لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبى عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسىّ

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الابيارى

الجزء الخامس

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

كتاب العقد الفريد

تأليف

أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته
ورتب فهارسه

أحمد أمين ، أحمد الزين ، ابراهيم الابيارى

الجزء الخامس

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس من العقد الفريد

٢/٣ كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد(١) والحجاج والطالبين والبرامكة

فرش كتاب أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة

للمؤلف

قال الفقيهُ أبو عمرَ أحمدُ بنُ محمد بنِ عبدِ ربّه رضى الله تعالى عنه : قد مضى قولُنا فى أخبار الخُلفاء وتواريخهم وأيامهم وما تَصرّفت به دولهم(٢) ، ونحن قائلون بعون الله فى أخبار زياد والحجّاج والطالبيّين والبرامكة ، وماسِحون(٣) على شىء من أخبار الدولة ، إذ كان هؤلاء الذين جرّدنا لهم كتابَنا هذا ، قُطبَ المُلك الذى عليه مدار السياسة ، ومعادنَ التّدبير ، ويَنابيعَ البلاغة ، وجوامعَ

(*) بين أيدينا قطع ثلاث من هذا الكتاب ، انتفعنا بها فى آخر الجزء الرابع ولم ننبه عليها هناك ، لأنها لم تساير الجزء الرابع من أوله ، وقد اخترنا التنبيه عليها هنا ، إذ هى من بين أصول هذا الجزء المعتمدة ، وهى :

س — مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١١٠٨ أدب .

ع — « « « « « « ١٩٤٠ أدب .

ن — « « « « « « ١٤١٣ أدب .

(١) فى بعض الأصول : « تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبين والبرامكة » . وفى بعض آخر : « الجزء السادس عشر من كتاب العقد فيه اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين تأليف أبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه » .

(٢) كذا فى ع . وفى ن : « أحوالهم » . وفى سائر الأصول : « دولتهم » .

(٣) كذا فى ع ، ن . وماسحون ، أى مارون مرا خفيفا . والذى فى سائر الأصول « وما سيجوز » .

البيان . هم راضوا الصِّعاب حتى لانت مقاودُها ، وخَزموا الأنوف حتى سكنتْ شواردُها ؛ ومارسوا الأمور ، وجرّبوا الدُّهور ؛ فاحتملوا أعباءها ، واستفتحوا مغالقها ، حتى أُستقرت قواعدُ الملك ، وانتظمت قلائدُ الحُكم ، ونَفَذت عزائم السلطان .

أخبار زياد

أم زياد وشيء من أخبارها

كانت سُميّة أُمّ زياد قد وَهبها أبو الخير[1] بن عمرو الكِنْدى للحارث بن كَلَدة[2] ، وكان طبيباً يعالجه ، فولدتْ له على فِراشه نافعاً ، ثم ولدتْ أبا بَكْرة ، فأنكر لونَه . وقيل له : إن جاريتك بَغِىّ . فانتفى من أبى بَكْرة ومن نافع ، وزوّجها عُبيدًا ، عبداً لابنته . فولدتْ على فراشه زيادًا . فلما كان يومُ الطائف نادَى مُنادى رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أيما عبدٍ نزل فهو حرٌّ وولاؤه لله ورسوله . فنزل أبو بكرة وأسلم ولحق بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فقال الحارث بن كَلَدة لنافع : أنت أبنى ، فلا تَفعل كما فَعل هذا ، يريد أبا بكرة . فلَحِق به ، فهو ينتسب إلى الحارث بن كَلَدة .

البغايا فى الجاهلية ووقوع أبى سفيان بسمية

وكانت البَغايا فى الجاهليّة لهن راياتٌ يُعرفن بها ، ويَنْتحيها الفِتْيان . وكان أكثرُ الناس يُكرهون إماءهم على البِغاء والخُروج إلى تلك الرايات ، يبتغون بذلك عَرضَ الحياة الدنيا . فنهى الله تعالى فى كتابه عن ذلك بقوله جل وعز : (ولا تُكرِهُوا فَتياتِكم على البِغَاء إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغوا عَرضَ الحَياة الدُّنيا. ومَنْ يُكرِهْهن) يريد فى الجاهلية (فإنّ الله من بَعْد إكراههنّ غَفُورٌ رَحِيم) ٣/٣

(١) فى ابن خلكان (٢ : ٢٩٤) : « أبو الجبر » .

(٢) وعثل هذا جاء الكلام عن سمية فى المعارف : والذى فى جمهرة الأنساب لابن الكلبي فيما نقله عنها محمد شافى فى تصويباته : « كان النوشجان قد جذم فعالجه أطباء الفرس فلم يصنعوا شيئا فقيل له إن بالطائف متطبب العرب . قال : فحمل إليه هدايا وحمل سمية . قال : فداواه فبرأ ، فوهبها له مع هدايا . وكانت سمية من أهل زندورد » .

يريد في الإسلام . فيقال : إن أبا سُفيان خَرج يوما ، وهو ثَمِل ، إلى تلك الرايات ، فقال لصاحبة الراية : هل عندك من بَغِىّ ؟ فقالت : ما عندى إلا سُمية . قال : هاتها على نَتن إبطيها ، فوقع بها . فولدت له زيادا ، على فراش عُبيد .

استلحاق أبي سفيان لزياد

ووجّه عاملٌ من عُمّال عمرَ بن الخطّاب زياداً إلى عمرَ بفَتح فَتحه الله على المسلمين . فأمره عمرُ أن يَخطب الناسَ به على المنبر . فأَحسن في خُطبته وجوّد ، وعند أصل المِنبر أبو سفيان بن حَرْب وعلىّ بن أبي طالب . فقال أبو سفيان لعلىّ : أيُعجبك ما سمعتَ من هذا الفتى ؟ قال : نعم . قال : أما إنه ابنُ عمّك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أنا قذفتُه في رَحم أُمه سُميّة . قال : فما يمنعك أن تدّعيَه ؟ قال : أخشى هذا القاعدَ على المِنبر — يعنى عُمَر بن الخطاب — أن يُفسد علىّ إهابى . فبهذا الخبر استلحق معاويةُ زياداً وشَهد له الشُّهود بذلك . وهذا خلافُ حُكم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قوله : الولدُ للفراش وللعاهر الحَجَر[1] .

لزياد حين استلحقه أبو سفيان

العُتبىّ عن أبيه قال : لما شَهد الشُّهود لزياد قام في أعقابهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : هذا أمرٌ لم أشهد أوّلَه ولا عِلْم لى بآخره ، وقد قال أميرُ المؤمنين ما بَلغكم ، وشهد الشهودُ بما سَمعتم . فالحمدُ لله الذى رَفع منّا ما وَضع الناس ، وحَفظ منّا ما ضَيّعوا . وأما عُبيد فإنما هو والدٌ مَبْرور ، أو رَبيب[2] مَشْكور . ثم جلس .

وقال زياد : ما هُجيت ببيت قطُّ أشدَّ علىّ من قول الشاعر[3] :

فَكِّرْ ففى ذاك إن فَكّرتَ مُعْتَبرٌ ... هل نِلتَ مَكْرُمةً إلا بتأْميرِ
عاشتْ سُميّة ما عاشت وما عَلمتْ ... أنّ ابنَها من قُريش فى الجَماهير

(١) الحجر ، أى الخيبة . يعنى أن الولد لصاحب الفراش من الزوج أو السيد ، وللزانى الخيبة والحرمان . (انظر النهاية لابن الأثير مادة حجر) .

(٢) الربيب : زوج الأم .

(٣) هو يزيد بن مفرغ . وسيأتى هذا الشعر منسوبا إليه عند الكلام على الأدعياء .

سُبحان مَن مُلْكُ عبّاد[١] بقُدرته لا يَدفع الناسُ أسبابَ المقادير

خوف معاوية من زياد وسعى المغيرة بينهما

وكان زياد عاملاً لعلىّ بن أبى طالب على فارس . فلما مات علىّ رضى الله عنه، وبايع الحسنُ معاويةَ عامَ الجماعة، بقى زيادٌ بفارس وقد مَلَكها وضَبط قِلاعها، فاغتمّ به معاوية ، فأرسل إلى المُغيرة بنُ شعبة . فلما دخل عليه قال : لكُل نبأ مُستقر ، ولكُل سرّ مُستودع ، وأنت موضعُ سرّى وغاية ثِقَتى . فقال المغيرة : يا أمير المؤمنين، إنْ تَستودعنى سرّك تَستودعْه ناصحاً شَفيقا، ووَرِعا رفيقا، فما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ زيادا واعتصامَه بأرض فارس ومُقامه بها، وهو داهية العرَب ، ومعه الأموالُ ، وقد تحصّن بأرض فارس وقِلاعها يُدبّر الأمور، فما يُؤمننى أن يُبايع لرجل من أهل هذا البيت، فإذا هو أعادها جَذَعة[٢] . قال له المُغيرة : أتأذن لى يا أميرَ المؤمنين فى إتيانه ؟ قال : نعم . نخرَج إليه . فلما دخل عليه وجده وهو قاعد فى بيت له مُستقبلُ الشمسَ . فقام إليه زياد ورحّب به وسُر بقدومه، وكان له صديقاً — وذلك أنّ زياداً كان أحدَ الشُّهود الأربعة الذين شَهدوا على المُغيرة ، وهو الذى تَلجلج فى شهادته عند عمرَ بن الخطّاب رضى الله عنه، فنجا المُغيرة وجُلد الثلاثةُ من الشهود، وفيهم أبو بكرة أخو زياد، فحلف أن لا يكلم زيادا أبدا — فلما تَفاوضا فى الحديث قال له المغيرة : أعلمتَ أنّ معاوية استخفّه الوجلُ حتى بَعثنى إليك ، ولا نَعلم أحداً يَمد يدَه إلى هذا الأمر غيرَ الحسن ، وقد بايع معاويةَ ، فخُذ لنفسك قبل التَّوطين[٣] فيَستغنى عنك معاوية . قال : أشِرْ علىّ وارمِ الغرضَ الأقصى ، فإنّ المُستشار مُؤتَمن . قال : أرى أن تَصل حبلَك بحَبْله وتَسيرَ إليه وتُعير الناسَ أذناً صمّاء، ٤/٣ وعَيْنا عمياء . قال : يا بن شُعبة ، لقد قلتَ قولاً لا يكون غرْسُه[٤] فى غير مَنْبته ،

(١) كذا فى ع ، ن . وعباد ، هو ابن زياد . والذى فى سائر الأصول : «ملك عبادا» .
(٢) أى أول ما يبتدأ فيها . (٣) فى ن : «التوطن» .
(٤) فى ع ، ن : «غرس» .

ولا مَدَرة تغذّيه[١] ، ولا ماء يَسْقيه ، كما قال زهير :

وهل يُنْبِت الخطىَّ إلا وشيجُه وتُغرس إلا فى مَنابتها النخلُ

ثم قال : أرى ويقضى الله .

لعمر بن عبد العزيز وغيره فى زياد

وذَكر عمر بن عبد العزيز زياداً فقال : سَعى لأهل العراق سَعْىَ الأم البرّة ، وجمع لهم جَمْعَ الذَّرة . وقال غيره : تَشبّه زيادٌ بعمرَ فأفرط ، وتشبه الحجّاج بزياد فأهلك الناس . وقالوا : الدُّهاة أربعة : معاوية للروِيّة ، وعمرو بن العاص للبَديهة ، والمُغيرة للمُعضلات ، وزياد لكُل صَغيرة وكبيرة .

زياد وبلج

ولما قَدم زيادٌ العراق قال : مَن على حَرَسكم ؟ قالوا : بَلَج[٢] . قال : إنما يُحترس من مثل بَلَج[٢] ، فكيف يكون حارسا ! أخذه الشاعر فقال :

* وحارس مِن مِثْله يُحْترس *

من سياسة زياد وقوله فى ذلك

العُتبى قال : كان فى مجلس زياد مكتوب : الشِّدة فى غير عُنف ، واللّين فى غير ضَعف . المُحسن يُجازَى بإحسانه ، والمُسىء يعاقَب بإساءته . الأعطيات فى أيامها . لا احتجابَ عن طارق لَيْل ولا صاحب ثَغر . وبَعث زيادٌ إلى رجال من بنى تَميم ورجال من بنى بَكْر ، وقال : دُلّونى على صُلَحاء كل ناحية ومن يُطاع فيها . فدلوه ، فضمّنهم الطريق وحَدّ لكُل رجل منهم حَدّا . فكان يقول : لو ضاع حَبل بينى وبين خُراسان عرفتُ من آخُذ به .

وكان زياد يقول : من سَقَى صبيّا خمرًا حددناه ، ومن نقَب بيتاً نَقَبنا عن قلبه ، ومن نَبش قبرًا دفنّاه فيه حيًا . وكان يقول : اثنان لا تُقاتِلُوا فيهما : الشتاء وبُطون الأودية .

من أخبار زياد وابنه عبيد الله

وأول من جُمعت له العراق زياد ، ثم ابنهُ عُبيد الله بن زياد ، لم تجتمع

---

(١) كذا فى ن . وفى ع : « ... تغذوه » . والمدرة : « الطين » . والذى فى سائر الأصول : « لا أصل له يغذيه » .

(٢) فى بعض الأصول : « بلج » بحاء مهملة . وفى بعض آخر : « بلخ » بخاء معجمة .

لقرشيٍّ قطُّ غيرَهما . وعُبيدالله بن زياد أول من جُمع له العراق وسجستان وخراسان والبحران وعُمان ، وإنما كان البحران وعُمان إلى عُمّال أهل الحجاز . وهو أول من عَرّف العُرفاء ، ودعا النقباء[1] ، ونَكّب[2] المناكب ، وحصّل الدواوين ، ومُشي بين يديه بالعَمد ، ووَضع الكراسي ، وعمل المَقصورة ، ولَبس الزياديّ ، وربَع الأرباع بالكوفة ، وخمّس الأخماس بالبصرة[3] ، وأعطى في يوم واحد للمُقاتلة والذرية من أهل البصرة وأهل الكوفة ، وبلغ بالمُقاتلة من أهل الكوفة ستّين ألفاً ، ومقاتلة البصرة ثمانين ألفا ، والذرية مائة ألف وعشرين ألفا . وضَبط زيادٌ وابنهُ عُبيد الله العراقَ بأهل العراق .

لعباد بن زياد يجيب عبد الملك مفاضلا بين أبيه والحجاج

قال عبدُ الملك بن مروان لعبّاد بن زياد : أين كانت سيرةُ زياد من سيرة الحجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ زياداً قَدِم العراقَ وهي جَمْرة تشتعل ، فسَلّ أحقادَهم ، وداوَى أدواءهم ، وضَبط أهلَ العراق بأهل العراق . وقَدمها الحجاجُ فكسر الخراج ، وأفسد قلوبَ الناس ، ولم يَضْبطهم بأهل الشام فضلاً عن أهل العراق ، ولو رام منهم ما رامَه زياد لم يَفْجأك إلا على قَعود يُوجف به .

بين نافع وأخيه زياد ثم بين ابن عامر ومعاوية من أجل زياد

وقال نافعٌ لزياد : أستعملتَ أولادَ أبي بَكْرة وتركت أولادي ؟ قال : إني رأيتُ أولادك كُزْماً[4] قصاراً ، ورأيت أولاد أبي بكرة نُجباء طوالا . ودخل عبدُ الله بن عامر على مُعاوية ، فقال له : حتى متى تذهب بخراج العراق ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تقول هذا لمن هو أبعدُ منّي رَحماً ! ثم خرج . فدخل على يزيد فأخبره وشكا إليه . فقال له : لعلك أغضبتَ زياداً ؟ قال : قد فعلتُ . قال : فإنه لا يَرضى حتى تُرضي زياداً عنك . فانطلق ابنُ عامر ، فاستأذن على زياد ،

(١) كذا في ن : والذي في سائر الأصول : « الفقراء » .
(٢) المناكب : جمع منكب ، وهو العريف ، وقيل : عونه .
(٣) أخماس البصرة خمسة ، فالخمس الأول ، العالية ، والثاني بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد .
(٤) كذا في س ، ع ، ن . وكزم : جمع أكزم . وهو المتجمع القصير ؛ ويقال : هذا كزم البنان ، أي بخيل . والذي في سائر الأصول : « كراما » .

فأذن له وألطفه . فقال له ابنُ عامر : إن شئت فصُلح بعتاب ، وإن شئتَ فصُلح بغير عتابُ . [قال زياد : بل صُلحٌ بغير عِتاب] ، فإنه أسلم للصَّدر . ثم راح زيادٌ إلى مُعاوية فأخبره ، وأصبح ابنُ عامر غادياً على مُعاوية . فلما دخل
٤/٥ عليه ، قال : مرحباً بأبى عبد الرحمن ، هاهنا ، وأجلسه إلى جَنْبه(١) ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن :

لنا سياق ولكم سـياق قد علمتْ ذلكمُ الرفاق(٢)

أبو بكرة حين ثقل وسعى أنس ليصلح بينه وبين أخيه زياد

الحسن بنُ أبى الحسن قال : ثَقُل أبو بكرة فأرسل زيادٌ إليه أنسَ بن مالك ليصالحه ويُكلّمه(٣) ، فانطلقتُ معه . فإذا هو مُولٍّ وجهَه إلى الجدار ، فلما قَعد قال له : كيف تجدك(٤) أبا بكرة ؟ فقال : صالحا(٥) ، كيف أنتَ أبا حَمْزة ؟ فقال له أنس : أتق الله أبا بكرة فى زياد أخيك ، فإنّ الحياة يكون فيها ما يكون ، فأمّا عند فراق الدُّنيا فَليستغفر اللهَ أحدُكما لصاحبه ، فوالله ما علمتُ إنه لوَصول للرَّحم ؛ هذا عبدُ الرحمن ابنُك على الأُبلة ، وهذا داود على مدينة الرِّزْق(٦) ، وهذا عبدُ الله على فارس كلها . والله ما أعلمه إلا مُجتهدا . قال : أقعدونى . فأقعدوه ، فقال : أخبرنى ما قلتَ فى آخر كلامك ، فأعاد عليه القولَ . فقال : يا أنس ، وأهلُ حَروراء قد اجتهدوا فأصابوا أم أخطئوا ؟ والله لا أكلمه أبداً ولا يصلى علىّ . فلما رجع أنس إلى زياد أخبره بما قال ، وقال له : إنه قَبيحٌ أن يموت مثْل أبى بكرة بالبَصرة ، فلا تُصلّى عليه ولا تقوم على

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « جانبه » .
(٢) الشعر للنابغة الجعدى . (انظر الأغانى ج ٤ ص ١٣٩ طبعة بلاق) والرواية هناك : « لهم سياق » .
(٣) فى بعض الأصول : « ويطلقه » .
(٤) فى ن : « كيف أنت » .
(٥) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « صالح » .
(٦) كذا فى ع والطبرى . والرزق : إحدى مصالح العجم بالبصرة قبل أن يخطها المسلمون . (انظر معجم البلدان) . والذى فى سائر الأصول : « الرى » .

قَبره ، فاركب دوابّك والحق بالكوفة . قال : ففعل ، ومات أبو بكرة بالغد عند صلاة الظهر ، فصلّى عليه أنس بن مالك .

شريح وزياد وابن سيرين

وقدم شريحٌ على زياد من الكوفة فقضى بالبَصرة[1] ، وكان زياد يُجلسه إلى جَنبه ويقول له : إن حكمتُ بشيء ترى غيرَه أقربَ إلى الحق منه فأعْلمنيه . فكان زياد يَحكم فلا يَرُدّ شريحٌ عليه . فيقول زيادٌ لشريح : ما ترى ؟ فيقول : هذا الحكم[2] ؟ حتى أتاه رجل من الأنصار ، فقال : إنّى قدمتُ البَصرة والخطط موجودة فأردت أن أختطّ لى ، فقال لى بنو عَمى ، وقد اختطّوا ونزلوا : أين تخرُج عنا ؟ أتم مَعنا واختطّ عندنا ، فوسّعوا لى ، فاتخذت فيهم داراً وتزوّجت ، ثمّ نزغ الشيطان بيننا فقالوا لى : اخرُج عنّا . فقال زياد : ليس ذلك لكم ، مَنعتموه أن يَختط والخِطط موجودة ، وفى أيديكم فضل فأعطيتموه ، حتى إذا ضاقت الخُطط أخرجتموه وأردتم الإضرار به ، لا تخرج من منزلك[3] . فقال شريح : يا مُستعير القدر أرددها . قال زياد : يا مستعير القدر احبِسْها ولا تَرْددها . فقال محمد بن سيرين : القضاء بما قال شُريح ، وقولُ زياد حَسن[4] .

لزياد فى واحدة غلبه فيها معاوية

وقال زياد : ما غَلبنى أميرُ المُؤمنين مُعاوية إلا فى واحدة ، طلبتُ رجلاً فلجأ إليه وتحرّم به ، فكتبتُ إليه : إنّ هذا فسادٌ لعَملى ، إذا طلبتُ أحداً لجأ إليك فتحرّم بك . فكتب إلى : إنه لاَ ينبغى لنا أن نَسوس الناسَ بسياسة واحدة فيكونَ مَقامُنا مقامَ رجل واحد ، ولكن تكون أنت للشدّة والغِلْظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة ، فيستريح الناس فيما بيننا .

(١) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « شريح مع زياد من الكوفة لقضاء البصرة » .
(٢) فى أكثر الأصول : « ماترى فى هذا الحكم » . وما أثبتنا من ع ، ن .
(٣) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « لا يخرج من منزله » .
(٤) فى بعض الأصول : « أحسن » .

بين عمر وزياد حين عزله ثم بين زياد والحسن ومعاوية

ولما عَزل عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه زياداً عن كتابة أبى موسى ، قال له : أعن عجز أم خِيانة ؟ قال : لا عَن واحدة منهما ، ولكنّى كرهتُ أن أحمل على العامّة فضلَ عقلك . وكتب الحسنُ[(١)] بن علىّ رضى الله عنه إلى زياد فى رجل من أهل شِيعته ، عرض له زيادٌ وحال بينه و بين [جميع] ما يَملكه ، وكان عنوان كتابه : من الحسن بن علىّ إلى زياد . فغَضب زيادٌ إذ قدّم نفسه عليه ولم يَنْسبه إلى أبى سفيان ، فكتب إليه : من زياد بن أبى سُفيان إلى حسن : أما بعد ، فإنك كتبتَ إلىّ فى فاسق لا يأويه إلا الفُساق ، وأيم الله لأطلبنّه ولو بين جِلدك ولحمك ، فإن أحبّ لحم إلىّ أن آكله لحمٌ[(٢)] أنتَ منه . فكتب الحسنُ إلى معاوية يشتكى زياداً ، وأدرج كتاب زياد فى داخل كتابه . فلما قرأه معاويةُ أكثَر التعجُّب من زياد ، وكتب إليه : أما بعد . فإنّ لك رأيين أحدُهما من أبى سفيان والآخرُ من سُمية ، فأما الذى من أبى سفيان فحَزم وعَزم ، وأما الذى من سمية فكما يكون رأىُ مثلها ، وإنّ الحسن بن علىّ كتب إلىّ يذكر أنك ٦/٣ عرضْت لرجل من أصحابه ، وقد حجزناه عنك ونُظراءه ، فليس لك على واحد منهم سَبيل ولا عليه حُكم . وعجبتُ منك حين كتبتَ إلى الحسن لا تَنْسُبه إلى أبيه ، أفإلى أُمه وكلْته لا أم لك ؟ فهو ابنُ فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فالآن حين اخترتَ له[(٣)] !

بين زياد ومعاوية وابن عباس ثم بين أبى بكرة وزياد حين أذن له معاوية فى الحج

وكتب زياد إلى معاوية : إنّ عبدَالله بن عبّاس يُفسد الناسَ علىّ ، فإن أذنتَ لى أن أتوعّده فعلتُ . فكتب إليه : إن أبا الفضل وأبا سُفيان كانا فى الجاهلية فى مِسْلاخ واحد ، وذلك حِلف لا يَحلُّه سوء رأيك . واستأذن زيادٌ معاويةَ فى الحجّ ، فأذِن له . وبَلغ ذلك أبا بكرة ، فأقبل حتى دخل على زياد ،

---

(١) فى ن : « الحسين » .

(٢) كذا فى ع ، ن . وابن عساكر (ج ١٤ ص ٢٨٨ تيمورية) . والذى فى سائر الأصول : « فإنى أحب أن آكل لحما أنت منه » .

(٣) أى فالآن حق له أن يفتخر حين نسبته إلى أمه . والذى فى ابن عساكر : « تلك أغر له إن كنت تعقل » مكان « فالآن حين اخترت له » .

وقد أجلس له بَنيه ، فسلّم عليهم ولم يُسلّم على زياد . ثم قال : يابَنِى أخى ، إن أباكم رَكِب أمراً عظيما فى الإسلام بادعائه إلى أبى سفيان ، فوالله ما علمتُ سُمَيّةَ بغتْ قط ، وقد استأذن أميرَ المؤمنين فى الحجّ وهو مارٌّ بالمدينة لا محالة ، وبها أم حَبيبة بنت أبى سُفيان زَوجُ النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، ولا بُدّ له من الاستئذان عليها ، فإن أذنتْ له فقعَد منها مَقعد الأخ من أُخته فقد انتهك من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حُرمة عظيمة ، وإن لم تأذن له فهو عارُ الأبد ، ثم خرج . فقال له زياد : جَزاك الله خيراً من أخ ، فما تَدع النصيحةَ على حال . وكتب إلى معاوية يَستقيله ، فأقاله .

دعوة ابن عمر على زياد وسببها ثم كلمة له حين بلغه موته

وكتب زيادٌ إلى مُعاوية : إنى قد أخذتُ العِراق بيمينى وبقيتْ شمالى فارغة ، وهو يعرّض له بالحجاز . فبلغ ذلك عبدَ الله بن عمر رضى الله عنهما ، فقال : اللهم اكفِنا شماله . فعرضَت له قرحة فى شماله ، فقَتلته . ولما بلغ عبدَ الله ابن عمر موتُ زياد قال : أذهب إليك ابنَ سُمية ، لا يداً رفعت من حرام ، ولا دنيا تملّيت[1] .

زياد وحاجبه عجلان

قال زياد لعَجلان حاجبه : كيف تأذن للناس ؟ قال : على البيوتات ، ثم على الأنساب ، ثم على الآداب . قال : فمن تُؤخّر ؟ قال : من لا يَعبأ الله بهم . قال : ومن هم ؟ قال : الذين يَلبسون كُسوة الشتاء فى الصيف ، وكسوة الصيف فى الشتاء . وقال زيادٌ لحاجبه : ولّيتك حِجابتى وعَزَلتك عن أربع : هذا المُنادى إلى الله فى الصلاح والفلاح ، لا تَعُوجنّه[2] عنّى ولا سُلطان لك عليه ؛ وطارق الليل ، لا تَحْجبه فشرٌّ ما جاء به ولو كان خيراً ما جاء فى تلك الساعة ؛ ورسول صاحب الثغر[3] ، فإنه إن أبطأ ساعةً أفسد عملَ سنة ؛ وصاحب

---

(١) تمليت : استمتعت . والعبارة فى ابن عساكر (ص ٢٩٢) : « لا الدنيا بقيت لك ولا الآخرة أدركت » .

(٢) كذا فى ع ، ن : ولا تعوجنه ، أى لا تعطفنه . والذى فى سائر الأصول : « لا توقفه » .

(٣) فى ع ، ن : « ورسول الثغر » .

الطعام ، فإنّ الطعام إذا أُعيد تَسْخينه فَسد .

وقال عَجلان حاجبُ زياد : صار لى فى يوم واحد مائةُ ألف دينار وألف سيف . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أعطى زيادٌ ألفَ رجل مائتى ألف دينار وسيفاً ، فأعطانى كل رجل منهم نصفَ عطائه وسيفَه .

أخبار الحجاج

تطليق المغيرة لفارعة وزواجها من يوسف بن أبى عقيل

دخل المُغيرة بن شُعبة على زوجته فارعة ، فَوجدها تتخلّل حين انفتلت من صلاة الغداة ، فقال لها : إن كنتِ تتخلّلين من طَعام البارحة فإنك لقذرة ، وإن كان من طَعام اليوم إنك لنَهمة ، كنتِ فبِنْت . قالت : والله ما فَرحنا إذ كُنّا ولا أَسِفنا إذ بِنّا ، وما هو بشىء مما ظننتَ ، ولكنّى استكتُ فأردت أن أتخلّل للسواك[3] . فندم المغيرةُ على ما بَدر منه ، فخرج أسفاً ، فلقى يوسف بن أبى عَقيل ، فقال له : هل لك إلى شىء أدعوك إليه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : إنى نزلتُ الساعةَ عن سيّدة نساء ثقيف ، فتزوّجها فإنها تُنجب لك . فتزوّجها فولدتْ له الحجّاج .

شىء عن الحجاج وأبيه

ومما رواه عبدُ الله بن مُسلم بن قُتيبة قال : إنّ الحجّاج بن يوسف كان يُعلّم الصِّبيان[1] بالطائف ، واسمه كُليب ، وأبوه يوسف معلّم أيضا . وفى ذلك يقول مالك بن الرَّيب[2] :

٧/٣ فماذا عسى الحجّاجُ يَبلغ جُهده ... إذا نحن جاوزْنا حفيرَ زيادِ
فلولا بنو مَروان كان ابنُ يوسف ... كما كان عبدًا من عَبيد إياد
زمانَ هو العَبد المُقِرّ بذُلّه ... يُراوح صبيانَ القُرى ويُغادى

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « يسواك » .
(٢) فى بعض الأصول : « الناس » .
(٣) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « وفى ذلك قول الشاعر » .

تولى الحجاج شرطة عبد الملك وشيء من شدته

ثم لحق الحجاجُ بن يوسف برَوْح بن زِنباع ، وزير عبد الملك بن مَروان ، فكان فى عديد شُرطته إلى أن شكا عبدُ الملك بن مروان ما رأى من انحلال عسكره[١] ، وأنّ الناسَ لا يَرحلون برَحيله ولا ينزلون بنزوله . فقال رَوْح بن زنْباع : يا أمير المؤمنين ، إنّ فى شُرطتى رجلاً لو قلّده أميرُ المؤمنين أمر عَسكره لأرحلهم[٢] برَحيله وأنزلهم بنزوله ، يقال له الحجّاج بن يوسف . قال : فإنّا قد قلّدناه ذلك . فكان لا يقدر أحدٌ أن يتخلّف عن الرّحيل والنزول إلا أعوانَ رَوْح بن زنباع . فوقف عليهم يوماً وقد رحل الناسُ وهم على طَعام يأكلون ، فقال لهم : ما مَنعكم أن تَرْحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ فقالوا له : انزل يا بن اللّخناء ، فكُلْ معنا . فقال : هيهات ! ذهب ما هنالك . ثم أمر بهم فجُلدوا بالسّياط ، وطَوّفهم فى العسكر ، وأمر بفَساطيط رَوْح بن زنباع فأحرقت بالنار . فدخل روحُ بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكيا . فقالَ له : مالك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، الحجّاج بن يوسف الذى كان فى عديد شُرطتى ضَرب عَبيدى وأحرق فَساطيطى . قال : علىّ به . فلما دخل عليه قال : ما حملك على مافعلتَ ؟ قال : ما أنا فعلتُه يا أمير المؤمنين . قال : ومَن فعله[٣] ؟ قال : أنت والله فعلته ، إنما يدى يدُك وسَوطى سوطُك ، وما على أمير المؤمنين أن يُخْلف على رَوح بن زنباع للفُسطاط فُسطاطين ، وللغُلام غلامين ، ولا يَكْسرنى فيما قدّمنى له . فأخْلف لرَوْح بن زنْباع ما ذَهب له ، وتقدّم الحجاجُ فى منزلته . وكان ذلك أولَ ماعرف من كفايته .

أم الحجاج وشيء من كرمه وكرم يوسف بن عمر

قال أبو الحسن المدائنى : كانت أمُّ[٤] الحجّاج الفارعة بنت همّار قال : وكان الحجّاج بن يوسف يَضع فى كُل يوم ألف خِوان فى رمضان ، وفى سائر

(١) فى أكثر الأصول : « العسكر » . وما أثبتنا من ع ، ن .

(٢) فى ع ، ن : « لأرحل الناس » :

(٣) فى ع ، ن : « من قال » .

(٤) فى أكثر الأصول : « امرأة » . تحريف . وما أثبتنا من ن .

الأيام خمسمائة خوان ، على كل خِوان عشرةُ أنفس وعشرةُ ألوان وسَمكة مَشويّة طريّة وأُرزة(١) بسكر ، وكان يُحمل فى محَفّة ويُدار به على موائده يتفقّدها ، فإذا رأى أرزة ليس عليها سُكر وسعى الخباز ليجيء بسُكرها ، فأبطأ حتى أُكلت الأرزة بلا سُكر ، أمر به فضُرب مائتى سوط . فكانوا بعد ذلك لا يَمشون إلا متأبطى خرائط السكر(٢) . قال : وكان يوسف بن عمر والى العراق فى أيام هشام بن عبد الملك يَضع خمسمائة خِوان ، فكان طعام الحجّاج لأهل الشام خاصّة ، وطعام يُوسف بن عمر لمن حَضره ، فكان عند الناس أحمد .

بين الحجاج وابن سلكة

العُتبيّ قال : دخل على الحجّاج سُليك بن سُلَكة(٣) ، فقال : أصلح الله الأمير ، أعِرْنى سمعك ، واغضُض عنّى بصَرك ، واكفُف عنى غَربك(٤) ، فإن سمعتَ خطأً أو زللا فدونَك والعُقوبة . فقال : قُل . فقال : عَصى عاصٍ من عُرض العَشيرة فحُلّق على اُسمى(٥) ، وهُدمت دارى ، وحُرمت عطائى . قال : هيهات ! أما سمعت قول الشاعر(٦) :

جانيك من يَجنى عليك وقد ... تُعدِى الصحاحَ مباركُ الجُربِ
ولربّ مأخوذٍ بذنبِ عشيرةٍ ... ونَجا المُقارف صاحبُ الذنب

قال : أصلح الله الأمير ، فإنى سمعت الله قال غير هذا . قال : وما ذاك ؟

(١) فى الأرزة لغات أربع ، تشديد الآخر مع فتح أوله وضم ثانيه ، أو مع ضم أوله وثانيه ، وكقفل بالضم ، وطنب ، بضمتين .
(٢) انظر الكامل للمبرد (ص ١٧٣) .
(٣) ظاهر أنه يريد فرعون بن عبدالرحمن المعروف بابن سلكة . وكان معاصرا للحجاج . ولعل شهرته بابن سلكة هى التى جرت إلى هذا اللبس فظنوه سليكا . وقتهم أن هذا قتل فى الجاهلية . وانظر الحاشية (١ : ٣٥) من الجزء الأول من هذه الطبعة . وقد ذكر أبو هلال فى كتابه الأوائل مثل هذه القصة بين مروان بن الحكم وفتى أخذه بأبيه وجده .
(٤) فى بعض الأصول : « حزبك » وما أثبتنا من ع ، ن .
(٥) أى عمل عليه حلقة من المداد . وكان ذلك بمنزلة الضرب على الأسماء فى أيامنا .
(٦) هو ذؤيب بن كعب بن عمرو . وانظر خبره فيما سيأتى عند الكلام على يوم تياس .

قال : قال : (يأيّها العَزِيزُ إنّ له أبًا شيْخا كبيرًا فخُذ أحَدنا مكانَه إنّا نَراكَ من المُحْسِنين . قال معاذ الله أن نأخُذ إلّا مَن وجـدْنا مَتاعَنا عِنـده إنّا إذاً لظالمون) . فقال الحجاج : علىّ بيزيد بن أبى مُسلم ، فأُتى به ، فمَثَل بين يديه ، فقال : افــكُكْ لهذا عن اسمه ، واصكُكْ له بعطائه ، وابنِ له منزلَه ، ومُرْ مُناديا ٨/٣ يناد فى الناس : صَدَقَ الله وكَذب الشاعر .

الحجاج وامرأة ابن الأشعث

أُتى الحجاجُ بامرأة عبد الرحمن بن الأشعث بعد دَيْر الجماجم[1] ، فقال لحَرَسى : قُلْ لها: ياعدوة الله ، أين مالُ الله الذى جَعلته تحت ذَيلك؟ فقال : يا عدوة الله ، أين مالُ الله الذى جعلته تحت أستك ؟ فقال له : كذبتَ ، ما هكذا قلتُ ، أرْسلها[2] . فخلَّى عنها .

الحجاج وحديث الشجى

الأصمعى قال : ماتت رُفقــة عَطَشاً بالشَّجِى — والشَّجِى : رَبو[3] من الأرض فى بطنَ فلج — فَشَجِى به[4] الوادى فسُمِّى شجٍ — فقال الحجاج : إنى أراهم قد تضرّعوا إذ نَزل بهم الموت ، فاحفروا فى مكانهم ، فحفروا . فأمر الحجّاج رجلا ، يقال له عُضيدة[5] يحفر البئر ، فلما أنبطها حمل منها قِربتين إلى الحجّاج بواسط ، فلما قدم بهماعليه . قال: ياعُضيدة ، لقدتجاوزت مياها عذابا ، أَخَسَفْتَ[6] أم أوْشلت ؟ قال : لا واحدَ منهما ، ولــكنْ نَبَطا[7] بين الماءين[8] . قال : وكيف يكون قَدره ؟ قال : مَرّت بنا رُفقة فيها خمسة وعشرون جملا فَرويت الإبل

(١) دير الجماجم : بظاهر الـكوفة على سبعة فراسخ منها : وعند هذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج وابن أشعث .

(٢) فى أكثر الأصول : « استك » . وما أثبتنا من ع ، ن .

(٣) كذا فى ع ، ن ومعجم البلدان . والذى فى سائر الأصول : « ربوة » .

(٤) كذا فى ع ، ن ، ب ومعجم البلدان . والذى فى سائر الأصول : « فسمى به » .

(٥) الذى فى معجم البلدان عند الـكلام على الشجى : «عبيدة السلمى» .

(٦) كذا فى ن ولسان العرب (مادة خسف) . يقول : أطلعت ماء كثيرا أم قليلا . يقال : خسف البئر ، إذا حفرها فى حجارة فنبعت بماء كثيرة . والذى فى سائر الأصول : « احتفت » .

(٧) النبط : الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر .

(٨) كذا فى ع ، ن :والذى فى سائر الأصول : « المنافق » .

وأهلها . قال : أوَ لِلإبل حفرتها ؟ [إنما حفرتَها للناس] ! إن الإبل ضُمْر خُسْف[1] ، ما جُشِّمت تجشّمت .

الحجاج واليا على العراق

بعث عبدُ الملك بن مروان الحجَّاج بن يوسف والياً على العراق وأمره أن يَحشر الناسَ إلى المهلَّب فى حَرب الأزارقة . فلما أتى الكوفة صَعِد المنبر مُتلثّماً متنكّبا قوسَه ، فجلس واضعاً إبهامه على فيه . فنظر محمدُ بن عُمير بن عُطارد التميمى[2] ، فقال : لعن الله هذا ولَعن مَن أرسله إلينا ! أرسل غلاماً لا يستطيع أن يَنطق عِيًّا ! وأخذ حصاةً بيده لِيَحْصِبه بها . فقال له جليسُه : لا تَعجل حتى نَنظرَ ما يَصنع . فقام[3] الحجاج فكشف[4] لِثامَه عن وجهه [وقال] :

أنا ابنُ جـــلَا وطَلَّاع الثَّنايا ... متى أَضع العِمامةَ تَعرِفونى[5]
صليبُ العُود مِن سَلَفَىْ نِزار ... كنَصل السيفِ وضَّاح الجَبين
أخو خَمسين مُجتمعٌ أشُـــدِّى ... ونَجّذَنى[6] مداورةُ الشُّئون

أما والله [إنى] لأحملُ الشرَّ بثِقْله ، وأحذوه بنَعله ، وأجزيه بمِثله ؛ أما والله إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قِطافُها ، وكأنى أرى الدماء بين العمائم واللِّحى [تترقرق] :

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدِّى زِيَمْ ... قد لَفَّها الليلُ بسوّاق حُطَمْ[7]

---

(١) خسف ، أى هزيلة .
(٢) الذى فى الكامل للمبرد (ص ٢١٥ طبعة أوربة) : « عميرة بن ضابئ البرجى » . والذى فى مروج الذهب : « محمد بن عمير الدارمى » .
(٣) فى بعض الأصول : «فقال» . وما أثبتنا من س ، ن .
(٤) فى ن : « فنزع » .
(٥) الشعر لسحيم بن وثيل الرياحى . (انظر الكامل) .
(٦) كذا فى ن . والمنجذ (كمعظم ، بصيغة اسم المفعول) : المجرب والذى أصابته البلايا . والذى فى سائر الأصول : «وتجذنى» بالدال المهملة . تصحيف .
(٧) زيم : ناقة أو فرس ، وهو يخاطبها يأمرها بالعدو ، وحرف النداء محذوف . وفى أكثر الأصول : « العمر » مكان الشد . وما أثبتنا من ن . وفى اللسان مادة زيم : «الحرب» . والحطم : الراعى إذا كان عنيفا ، كأنه يحطمها ، أى يكسرها ، إذا ساقها ، أو إذا أسامها يعنف بها . وقيل : هو الحطم القيسى .

ليس براعى إبلٍ ولا غَنَم ولا بجزّار على ظَهـــر وَضَم[١]

ألا إنّ أميرَ المؤمنين عبدَ الملك بن مروان كَبَّ[٢] كنانته فعجَم عيدانَها، فوجدنى أصلبها[٣] عودا، فوجّهنى إليكم، فإنكم طالما سَعيتم فى الضَّلالة، وسَننتم سُنن البَغى. أما والله لألحونَّكم لحوَ العصا، ولأعصبنَّكم عصْب السَّلمة[٤]، ولأقرعنَّكم قَرْع المَرْوة، ولأضربنَّكم ضَرْب غَرائب الإبل[٥]. والله ما أَخْلُقُ إلا فَرَيت[٦]، ولا أعد إلا وفَّيت. [إنى والله] لا أُغمز تَغماز التّين، ولا يُقعقع لى بالشِّنان[٧]. إياى وهذه الزّرافات والجماعات، وقيل وقال وما يقول، وفيم أنتم ونحو هذا. من وجدتُه[٨] بعد ثالثة من بعث المُهلّب ضربتُ عنقه. ثم قال: يا غلام، اقرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين، فقرأ عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الملك بن مروان إلى مَن بالكوفة من المسلمين. سلامٌ عليكم. فلم يقُل أحد شيئا. فقال الحجاج: أُسكت يا غلام، هذا أدب ابن نِهْيَة[٩]، والله لأؤدّبنهم غير هذا الأدب أو ليستقيمُنّ. اقرأ يا غلام كتابَ أمير المؤمنين. فلما بلغ قولَه: «سلام عليكم» لم يبقَ أحد فى المسجد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام. ثم نزل، فأتاه عُمير بن ضابئ فقال: أيها الأمير، إنّى شيخ كبيرٌ عَليل،

(١) الوضم: كل شىء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض. يريد أنه ليس ممن يبتذل نفسه. ونسب الشعر لأبى زغبة الخزرجى، وقيل لرشيد بن رميض العنزى، كما نسب للحطم القيسى، كما أسلفنا. انظر اللسان (حطم ووضم) والكامل للمبرد.

(٢) كب: قلب. وفى ن: «نكب». والنكب: الطرح.

(٣) فى بعض الأصول: «أطلبها». تحريف.

(٤) السلم: نوع من العضاه، وقيل هو شجر سلب العيدان لا شوك له. وعصبه، أن تشد أغصانه عند خبطه حتى يؤمن شوكه. (انظر ابن عساكر (ص ٤٠٩) والميدانى فى الكلام على هذا المثل ففيه قريب من هذا.

(٥) هذا مثل ضربه لنفسه مع رعيته يهددهم، وذلك أن الإبل إذا وردت الماء فدخلت عليها غريبة من غيرها ضربت وطردت حتى تخرج عنها.

(٦) الخلق: التقدير. والفرى: القطع.

(٧) الشنان: جمع شن، وهو القربة الخلق. وقعقعتها: تحريكها. يريد أنه لا يخدع. وأصل المثل من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع.

(٨) فى ن: «أخذته».

(٩) ذكر أبو العباس المبرد أن ابن نهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج.

٩/٣ وهذا أبنى أقوى على الغزو منّى . قال : أجيزوا ابنَه عنه ؛ فإن الحَدَثَ أحبُّ إلينا من الشيخ . فلما وَلّى الرجلُ ، قال له عنبسةُ بن سَعيد : أيها الأمير ، هذا الذى رَكض عثمانَ برجله وهو مَقتول . فقال : رُدُّوا الشيخ ، فردُّوه ، فقال : أضربوا عُنقه . فقال فيه الشاعر[1] :

تجهزْ فإمّا أن تزور ابنَ ضابئ[2] عُمَيرًا وإمّا أن تَزور المهلَّبَا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نجاؤك منهما ركوبُك حَوْليًّا من الثَّلج[3] أشهبا

ثم قال : دُلّونى على رجل أُوليه الشُّرطة . فقيل له : أىّ الرجال تريد ؟ قال : أريده دائم العُبوس ، طويلَ الجلوس ؛ سمينَ الأمانة ، أعجفَ الخيانة ، لا يَحْنق فى الحق على [جُرّ أو] حُرة ، يَهون عليه سؤال الأشراف فى الشّفاعة . فقيل له : عليك بعبدالرحمن بن عُبيد التّميمى . فأرسل إليه فاستعمله . فقال له : لستُ أقبلها إلا أن تكفيَنى عُمالَكَ وولدَكَ وحاشيَتك . فقال الحجاج : يا غلام ، نادِ : مَن طَلب إليه منهم حاجةً فقد برئتْ الذمةُ منه . قال الشعبىُّ : فوالله ما رأيتُ قطُّ صاحبَ شرطة مثلَه ، كان لا يَحبس إلا فى دَيْن ، وكان إذا أُتى برجل نَقب على قوم وَضع مِنْقبته فى بَطنه حتى تَخرج من ظهره ، وكان إذا أُتى برجل نَبّاش حَفر له قبرًا ودَفنه فيه حيًا ، وإذا أُتى برجل قاتل بحديدة أو شَهر[4] سلاحا قَطع يدَه ، فربما أقام أربعين يومًا لا يؤتى إليه بأحد . فضمّ الحجاجُ إليه شُرطة البَصرة مع شُرطة الكوفة .

بينه وبين خالد ابن يزيد فى مسجد المدينة

ولما قَدِم عبدُ الملك بنُ مروان المدينةَ نزل دارَ مروان ، فمرّ الحجّاجُ بخالد ابن يزيد بن معاوية وهو جالسٌ فى المسجد ، وعلى الحجّاج سيفٌ محلًّى ، وهو

(١) هو عبد الله بن الزبير الأسدى . (انظر ابن عساكر ج ٨ ص ٣٣٨)
(٢) فى بعض الأصول وابن عساكر (٣٣٩) : « هانئ » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والكامل (ص ٢١٧) والشعر والشعراء (ص ٢٠٤) .
(٣) كذا فى ع ، ن وابن عساكر . يريد أن لونه أشد شهبة من الثلج . والذى فى سائر الأصول : « البلج » .
(٤) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « أظهر » .

يَخطِر مُتبختِرا فى المسجد . فقال رجل من قُريش لخالد : من هذا[(١)] التَّختارة ؟ فقال : بخ بخ ! هذا عمرُو بن العاص ! فسمعه الحجاجُ فمال إليه ، فقال : قلتَ : هذا عمرو بن العاص ! والله ما سرّنى أن العاص وَلدنى ولا ولدتُه ، ولكن إن شئتَ أخبرتُك من أنا : أنا ابنُ الأشياخ من ثَقيف ، والعقائل من قُريش ، والذى ضَرب مائةً[(٢)] بسيفه هذا كلُّهم يَشهدون على أبيك بالكفر وشُرب الخمر حتى أقرُّوا أنه [خليفة . ثم] ولّى وهو يقول : هذا عمرو بن العاص ! .

بينه وبين يحيى بن يعمر فى الحسن بن على

الأصمعىُّ قال : بعث الحجاجُ إلى يحيى بن يَعْمُر ، فقال له : أنت الذى تقول : إنّ الحسنَ[(٣)] بن علىّ ابنُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ والله لتأتينّى بالمخرج أو لأضربنّ عُنقك . فقال له : فإن أتيتُ بالمخرج فأنا آمن ؟ قال : نعم . قال له : اقرأ : (وتلك حُجَّتُنا آتيناها إبراهيمَ على قَوْمه نَرْفع درجاتٍ مَن نَشاء) إلى قوله (ومِن ذُرِّيته داودَ وسُليمانَ وأيوبَ ويُوسفَ ومُوسى وهَرون وكذلك نَجْزى المُحْسنين . وزَكريّا ويَحيى وعِيسى) فمن أقربُ : عيسى إلى إبراهيم ، وإنما هو ابن بنته ، أو الحسنُ[(٣)] إلى محمد ؟ قال الحجاج : فوالله لكأنى ما قرأتُ هذه الآية قط ، وولّاه قضاء بلد . فلم يزل بها قاضياً حتى مات .

من عبد الملك إلى الحجاج

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : كان عبدُ الملك بنُ مَروان سِنانَ قُريش وسيفَها رأياً وحزماً ، وعابدَها قبل أن يُستخلفَ ورعًا وزُهدا ، فجلس يومًا فى خاصّته فقبض على لِحيته فشمّها مليًّا ، ثم أجترّ نَفَسَه ونَفَخ نفخةً أطالها ، ثم نَظر فى وُجوه القوم فقال : ما أطول يومَ المسألة عن أبن أم الحجّاج[(٤)] وأدحضَ المُحتجَّ[(٥)]

(١) فى أكثر الأصول : « ما هذه » وما أثبتنا من ن .

(٢) فى ن : « مائة أنف » .

(٣) فيما مر (ج ٢ ص ١٧٥) من هذه الطبعة : « الحسين » .

(٤) كذا فى ع . والذى فى س ، ن : « ماأطول نومذى المسألة عن ابن أم الحجاج » . والذى فى سائر الأصول : « ما أقول يومذى المسألة عن أمر الحجاج » .

(٥) يقول : ما أعجز حجة المحتج على العليم بما طوته الحجب ، أى الله سبحانه وتعالى .

على العليم بما طَوته الحُجب(١) . أما إنّ تَمليكى له قَرَن بى(٢) لوعةً يَحشّها(٣) التّذكار . كيف وقد علمتُ فتعاميتُ(٤) ، وسمعتُ فتصاممت ، وحمله الكرامُ الكاتبون . والله لكأنّى إلفُ ذى الضِّغن(٥) على نَفْسى ، وقد(٦) نعتِ الأيامُ
١٠/٣ بتصرّفها أنفسًا حُق لها الوعيد بتصرّم الدُّول(٧) . وما أبقت الشُّبهة للباقى متعلّقًا ، وما هو إلا الغِلّ الكامن من النَّفس بحَوْبائها(٨) ، والغَيْظ(٩) المُندمل . اللهم أنت لى أوسع ، غيرَ مُنتصر ولا مُعتذر . يا كاتب ، هاتِ الدواةَ والقِرْطاس . فقعد كاتبُه بين يديه وأملى عليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك بن مَروان إلى الحجّاج بن يوسف : أما بعد . فقد أصبحتُ بأمرك بَرِمًا ، يُقعدنى الإشفاقُ ، ويُقيمنى الرجاء . [وإذا] عجزتُ فى دار السَّعة وتوسُّط(١٠) الملك وحين المَهَل واجتماع الفكر ، [أن] ألتمس(١١) العُذرَ فى أمرك ، فأنا لعمرُ الله ، فى دار الجزاء ، وعَدَم السلطان ، واشتغال الحامّة(١٢) ، والرُّكون إلى الذِّلّة من نفسى ، والتوقّع لما طُويت عليه الصحفُ ، أعجز . وقد كنتُ أشركتُك فيما طوّقنى الله [عزّ وجلّ] حملَه ، ولاثَ

---

(١) فى ع : « العالم بما دونه الحجب » .

(٢) فى أكثر الأصول : « بنى » وما أثبتنا من ع ، ن .

(٣) كذا فى ع ، ن . ويحشها ، أى يذكيها ويلهبها . والذى فى سائر الأصول : « يحنها » .

(٤) فى ع ، ن : « فتغابيت » .

(٥) كذا فى ع . ن . والذى فى سائر الأصول : « إلف ذا الطعن » .

(٦) فى بعض الأصول : « بعد أن » . وفى س ، ع ، ن : « لقد » وما أثبتنا من سائر الأصول .

(٧) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « الزوال » .

(٨) فى ن : « لحوبائها » . والحوباء : روع القلب .

(٩) فى بعض الأصول : « والغش » .

(١٠) فى ن : « ووسط » .

(١١) فى س ، ع ، ن : « ملتمس » .

(١٢) كذا فى ع ، ن . والحامة : خاصة الرجل من أهله وولده . والذى فى سائر الأصول : « النفس » .

بحَقْوىّ[١] من أمانته فى هذا الخلق[٢] المَرْعىّ ، فدُلِلتُ منك[٣] على الحزم والجِدّ فى إماتة بِدعَة وإنعاش سُنّة ، فقعدتَ عن تلك ونهضتَ بما عاندَها ، حتى صِرْتَ حُجَّة الغائب والشاهدِ القائم ، وعُذْر اللاعنِ . فلعن الله أبا عَقيل وما نَجل ، فالأمُ والد وأخبث نَسل . فلعمرى ما ظَلمكم الزّمان ولا قَعدت بكم المراتب . لقد ألبستْكم مَلبسكم ، وأقعدتكم[٤] على رَوابِى خُططكم ، وأحلّتكم[٥] أعلى مَنَعتكم ، فمن حافر وناقل وماتِح للقُلُب المُقْعَدة[٦] فى الفيافى المتفيهقة ، ما تقدَّم فيكم الإسلام ولقد تأخّرتم ، وما الطائف منّا ببعيد يُجهل أهلُه . ثم قمتَ بنفسك وطمحتَ بهمّتك . وسرّك انتضاء سَيفك ، فاستخرجك أميرُ المؤمنين من أعوان رَوْح ابن زِنباع وشُرطته ، وأنت على معاونته يومئذٍ مَحْسود ، فهفا أميرُ المؤمنين ، والله يُصلح بالتوبة والغُفران زلّته . وكأنى[٧] بك وكأنّ ما لو لم يكن لكان خيراً مما كان . كل ذلك من تجاسرك وتَحاملك على المُخالفة لرأى أمير المؤمنين . فصدعْتَ صفاتَنا ، وهتكت حُجبنا ، وبَسطت يديك[٨] تحفِن بهما من كرائم ذوى الحُقوق اللازمة ، والأرحام الواشجة ، فى أوْعية ثَقيف . فأستغفر الله لذَنْبٍ ما له عُذر . فلئن استقال أميرُ المؤمنين فيك الرأىَ فلقد جالت البصيرةُ فى ثَقيف بصالح النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، إذ ائتمنه على الصدقات ، وكان عبدَه فهرب بها عنه[٩] ، وما هو إلا اختيار الثّقة والتلطّف لمواضع الكفاية ، فقعد به الرجاء كما قَعد بأمير المؤمنين

(١) الحقو (بالفتح والكسر) : الكشح ، ومعقد الإزار . ولاث : لف وعصب .
(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « من أمانة الله فى هذا الخلق » .
(٣) فى بعض الأصول : « منه » . (٤) فى ن : « وقعدت بكم » .
(٥) فى ع ، ن : « وأحالتكم على » .
(٦) كذا فى ع . والقلب : الآبار ؛ الواحد قليب . والمقعدة من الآبار : التى احتفرت فلم ينبط ماؤها فتركت ، وهى المسهبة عندهم . يشير إلى مكاسب آبائه بالطائف . والذى فى سائر الأصول : « وماتح للفلوات القفرة » .
(٧) فى أكثر الأصول : « وكأن » . وما أثبتنا من ن .
(٨) فى ن : « فصدعت صفا وهتكت حجبا » .
(٩) يشير إلى ما يذكر فى نسب ثقيف من أنه كان عبداً لصالح عليه السلام وأنه سرحه إلى عامل له على الصدقات . فبعث العامل معها به ، فهرب واستوطن الحرم . انظر ابن أبى الحديد (٢ : ٣٩٢) والكامل (٢ : ٢٢٤) .

فيما نَصبك له . فكأنّ هـذا ألبس أميرَ المؤمنين ثوبَ العَزاء ، ونهض بعُذره إلى أستنشاق نَسيم الرَّوْح . فاعتزِلْ عمل أميرالمُؤمنين ، وأظعنْ عنه باللّعنة اللازمة ، والعُقوبة الناهكة إن شـاء الله ، إذ استحكم لأمير المُؤمنين ما يُحاول من رَأيه . والسلام .

ودعا عبدُ الملك مولى يقال له نُباتة ، له لسان وفَضْل رأى ، فناوله الـكتابَ ، ثم قال له : يا نُباتة ، العجَلَ ثم العجلَ حتى تأتىَ العراق ، فضَع هذا الـكتاب في يد الحجاج وترقَّب ما يكون منه ، فإن أَجْبَل[1] عند قراءته وأستيعاب ما فيه ، فاقْلعه عن عمله وأنقلع معه حتى تأتى به ، وهَدِّن[2] الناسَ حتى يأتيهم أمرى ، بما تَصفنى به فى حين أنقلاعك ، من حُبِّى لهم السلامة . وإن هَشَّ للجواب ولم تَـكْتنفه أُرْبة[3] الحَيرة ، فخُذ منه ما يُجيب به وأَقْرِرْه على عمله ، ثم أعجَلْ علىّ بجوابه .

قال نُباتة : فخرجتُ قاصدًا إلى العراق ، فضمّتنى الصّحارَى والفيافى ، وأحتوانى القُرّ ، وأخذ منّى السفرُ حتى وصلتُ . فلما وردتُه أُدخلت عليه فى يوم مايَحْضُره فيه الملأ[4] ، وعلّى شحوبُ مُضْنٍ ، وقد توسّط خدمَه من نواحى ، وتدثّر بمِطْرَف[5] خَزّ أدكن ، ولاثَ به الناسُ من بين قائم وقاعد . فلما نظر إلىّ ، وكان لى عارفًا ، قعد ، ثم تبسّم تبسّم الوَجِل ، ثم قال : أهلاً بك يا نُباتة ، أهلا بمولى أميرالمُؤمنين ، لقد أثَّر فيك سفرُك ، وأعرِف أميرَ المؤمنين بك ضنيناً ، فليتَ شعرى ، ما دَهمَك أو دَهمَنى عنده . قال : فسلّمتُ وقعدتُ . فسأل : ما حالُ أمير المُؤمنين وخَوَله ؟ فلما هَدأ أخرجتُ له الـكتاب فناولتُه إياه . فأخذه منّى مُسرعا ويدُه تُرْعَد ، ثم

(١) كذا فى ع ، ن . وأجبل ، أى انقطع . والذى فى سائر الأصول : «فإذا جبن» .

(٢) هدن : أسكن . وفى بعض الأصول : « وهد » .

(٣) كذا فى ن . والأربة (بالضم) : العقدة التى لا تنحل حتى تحل حلا . والذى فى سائر الأصول : « أرنبة» .

(٤) كذا فى ع . والذى فى ن : « ما يحظر فيه الملا » . والذى فى سائر الأصول : « ما يخطر فيه الحلق » .

(٥) قال الفراء : «المطرف من الثياب : ماجعل فى طرفيه علمان . والأصل : مطرف ، بالضم ، فكسروا الميم ليكون أخف كما قالوا «مغزل » وأصله مغزل (بضم الميم) من «أغزل» ، أى أدير ، وكذلك المصحف والمجسد(انظر لسان العرب مادة طرف) .

نظر فى وُجوه الناس فما شعرتُ إلا وأنا معه ليس معنا ثالث ، وصار كُلٌّ من يُطيف به من خَدمه تَلْقاه جانبا(١) لا يسمعون منّا الصوت(٢) . ففكّ الكتابَ فقرأه ، وجعلَ يتثاءب ويُردد تثاؤبه ويَسيل العرقُ على جَبينه وصُدْغيه على شدّة البرد من تحت قَلَنْسوته ، من شدّة الفَرق(٣) ، وعلى رأسه عِمامةُ خزّ خضراء ، وجعل يَشخص إلىّ ببصره ساعةً كالمُتوهّم(٤) ، ثم يعود إلى قراءة الكتاب ، ويُلاحظنى النظر كالمُتفهم(٤) ، إلا أنه واجم ، ثم يُعاود الكتابَ ، وإنّى لأقول : ما أُراه يُثبت حروفَه من شدّة اضطراب يده ، حتى استقصى قراءته . ثم مالت يدُه حتى وقع الكتابُ على الفراش ، ورَجع إليه ذهنُه ، فمسح العرق عن جَبينه ، ثم قال متمثّلا :

وإذا المنيّةُ أنشبت أظفارَها ألفيتَ كُلّ تَميمةٍ لا تَنْفَعُ

[ثم قال] : قَبُح والله منّا الحسنُ يانُباتة ، وتَواكلتنا عند أمير المُؤمنين الألسن . وما هذا إلا سانح فِكْرة تَمْقها مُرصِد يَكْلَب(٥) بقصّتنا ، مع حُسن رأى أمير المؤمنين فينا . ياغلام . فتبادر الغِلمان الصّيحةَ ، فمُلئ علينا منهم المجلس حتى دَفأتنى منهم الأنفاس . فقال : الدّواةَ والقرطاس . فأُتى بالدواة والقِرطاس ، فكتب بيده : وما رَفع القلم إلا مُستمداً حتى سَطّر مثل خدّ الفَرس . فلما فَرغ قال لى : يا نُباتة ، هل علمتَ ما جئتَ به فنُسمعك ما كتبنا ؟ قلت : لا . قال : إذاً حَسْبك منّا مثلُه . ثم ناولنى الجوابَ وأمر لى بجائزة فأجزل ، وجَرّد لى كِساء ، ودَعا لى بطَعام فأكلتُ ، ثم قال : نَكِلك إلى ما أُمرت به من عَجلة أو تَوان ، وإنّى لأُحب مُقارنتك والأُنس برُؤيتك . فقلتُ : كان معى قُفلٌ مفتاحُه

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « يلقاه خاليا » .
(٢) فى أ كثر الأصول : « إلا الصوت » ، وما أثبتنا من ع ، ن .
(٣) فى الأصول : « العرق » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « كالمفهم » .
(٥) فى ع ، ن : « نكث » .

عندك ، ومفتاح قُفلك عندى ، فأحدثت(١) لك العافية(٢) بأمرين(٣) : فأقفلتَ المكروه وفتحت العافية ، وما ساءنى ذلك ، وما أحب أن أزيدك بياناً ، وحسبُك من أستعجالى القيام . ثم نهضتُ ، وقام مُودِّعاً لى فالتزمنى ، وقال : بأبى أنت وأمى ، رُبَّ لفظة مَسْموعة ، ومُحتقر نافع ، فكُن كما أظن . فخرجتُ مُستقبلاً وَجهى حتى وردتُ أميرَ المؤمنين ، فوجدتُه مُنصرفاً من صلاة العصر ، فلما رآنى قال : ما أحتواك المضجَع يا نُباتة ! فقلتُ : مَن خاف من وجه الصَّباح أدْلج ، فسلّمت وأنتبذتُ عنه . فتركنى حتى سَكن جاشى ثم قال : مَهْيم(٤) ؟ فدفعتُ إليه الكتاب ، فقرأه مُتبسّما ، فلمَّا مَضى فيه ضَحك حتى بدت له سِنٌّ سوداء ، ثم أستقصاه فأنصرف إلىّ ، فقال : كيف رأيتَ إشفاقَه ؟ قال : فقصصتُ عليه ما رأيتُ منه . فقال : صلواتُ الله على الصادق الأمين « إنّ من البيان لسحراً » ثم قذف الكتاب إلىَّ ، فقال : أقرأ ، فقرأتُه فإذا فيه :

من الحجاج إلى عبد الملك

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عبد الملك أميرِ المؤمنين ، وخليفة ربِّ العالمين ؛ المؤيَّد بالولاية ، المعصوم من خَطل القول(٥) ، وزَلل الفعل ، بكفالة الله الواجبة لذوى أمره ، من عَبدٍ أكتنفته الذِّلة ، ومَدَّ به الصَّغار إلى وَخيم المَرْتع ، ووَبيل المكْرع ، من جليلٍ فادح ، ومُعتَدٍ(٦) قادح . والسلام عليك ورحمةُ الله ، التى اتّسعت فوسعت ، وكان بها إلى أهل التَّقوى عائداً(٧) . فإنى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، راجياً لعطفك بعَطفه ، أما بعد . كان الله لك بالدَّعة فى دار الزَّوال ، والأمن فى دار الزِّلزال . فإنه من عُنيت(٨) به فكرُتك يا أمير المؤمنين مَخْصوصاً

(١) كذا فى ع . والذى فى ن : « فجادت » . والذى فى سائر الأصول : « فأجدت » .
(٢) كذا فى ع : « بأمرين » . والذى فى سائر الأصول : « بالأمرين » .
(٣) فى بعض الأصول : « الوافية » .
(٤) مهيم : كلمة استفهام ، أى ما حالك وما شأنك ، أو ما وراءك .
(٥) فى بعض الأصول : « القوم » .
(٦) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « ختال » . . .
(٧) فى أكثر الأصول : « وكان بها التقوى إلى أهلها قائدا » . وما أثبتنا من ع .
(٨) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « عنت » .

فما هو إلا سَعيد يُوثر أو شَقِيٌّ يُوتر ، وقد حَجَبنى عن نواظر السَّعد لسانُ مُرصِد ، ونافسٌ حَقِد ، أُنتهز به الشيطانُ حين الفكرة ، فافتتح به أبوابَ الوَساوس[١] بما تَخْنق[٢] به الصُّدور . فواغوثاه اُستعاذةً بأمير المؤمنين من رَجيم إنما سلطانُه على الذين يتولّونه ، واعتِصاما بالتَّوكّل على من خَصَّه بما أجزل له من قَسْم الإيمان وصادق السُّنة . فقد أراد اللعين أن يَفتُق لأوليائه فَتْقاً نبا عنه كيدُه ، وكَثُر عليه تحسُّره ، بَليَّة قَرع بها فكرَ أميرِ المؤمنين مُلبساً[٣] ، وكادحاً ومُؤرشاً ، ليفُلَّ من عزمه[٤] الذى نَصبنى له ، ويُصيب ثأراً لم يَزل به موتوراً . وذَكر قديمَ مامُنى[٥] به الأوائل وكيف لحقتُ بمثله منهم، وما[٦] كُنت أبلوه من خِسَّة أقدار ومزُاولة أعمال ، إلى أن وصلتُ ذلك بالتشرُّط لرَوح بن زِنباع . ١٢ / ٣

وقد علِم أميرُ المؤمنين ، بفضل ما اُختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضى ، بأنَّ الذى عُيِّر[٧] به القوم من مَصانعهم من أشدِّ ما كان يُزاوله أهلُ القُدْمة[٨] الذين اُجتبى الله منهم ، وقد اُعتصموا وامتَعضوا من ذكر ما كان ، وارْتفعوا بما يكون ، وما جَهل أميرُ المؤمنين — وللبيان موقعُه غيرَ مُحتج ولا متعدٍّ[٩] — أنَّ متابعةَ رَوح بن زِنباع طريقُ الوسيلة[١٠] لمن أراد مَن فوقه ، وأنَّ رَوْحًا لم يُلبِسْنى العزمَ الذى به رَفعنى أميرُ المؤمنين عن خَوله ، وقد ألصقتْنى برَوْح بن زِنباع هِمَّةٌ لم تزل نواظرُها تَرمى بى[١١] البعيدَ ،

(١) فى ع : « السعاية » .
(٢) كذا فى ع . وفى ن : « تحويه » . والذى فى سائر الأصول : « تحتويه » .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « مبلسا » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « غربه » .
(٥) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « وأذكره قديما مات » .
(٦) فى أكثر الأصول : « ومن » . وما أثبتنا من ع .
(٧) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « عمر » .
(٨) القدمة : السابقة فى الأمر .
(٩) فى ن : « معدد » . وفى بعض الأصول : « متعدد » .
(١٠) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « طريق إلى الوسيلة » .
(١١) كذا فى ع . وفى ن : « ترى البعيد » . والذى فى سائر الأصول : « ترى إلى البعيد » .

وتُطالع الأعلام . وقد[1] أخذتُ من أمير المؤمنين نصيباً اقتسمه الإشفاقُ من سَخطته ، والمُواظبة على مُوافقته ، فما بقى لنا فى مثله بعده إلا صُبابة إرث[2] ، به تَجول[3] النفس، وتَطْرِف النواظر . ولقد سِرْتُ بعين أمير المؤمنين سيرَ المُثَبِّط لمن يَتلوه ، المُتطاول لمن تقدّمه ، غيرَ مُبِتٍّ[4] مُوجِف ، ولا مُتثاقل مُجْحِف ، ففتُّ الطالبَ، ولحقتُ الهارب ، حتى سادت[5] السنة ، وبادت البدعة، وخَسِىَ[6] الشيطان ، وحُملت الأديان إلى[7] الجادّة العُظمى ، والطريقة المُثلى . فهأنذا يا أميرَ المؤمنـين : نُصبَ المسألة لمن رَامنى ، وقد عقدت الحُبْوة ، وقَرَنت الوَظِيفين لقائل مُحتَج ، أو لائم[8] مُلتَجّ . وأميرُ المؤمنين ولىُّ المظلوم ، ومَعْقِل الخائف . وستُظهر له المِحنةُ نبأَ أمرى ، ولكُل نبأٍ مُستقر . وما حَقَنت يا أميرَ المؤمنين فى أوعية ثقيف حتى رَوِى الظمآن ، وبَطِن الغَرثان ، وغَصَّت الأوعية ، وانقدّت[9] الأوكية فى آل مَرْوان ، فأخذتْ ثقيفُ فضلاً صار لها ، لولاهم لقطنته[10] السابلة . ولقد كان ما أنكره أميرُ المؤمنين من تحاملى ، وكان ما لو لم يكن لعظُم الخطبُ فوق ما كان ، وإنّ أميرَ المؤمنين لرابعُ أربعة ، أحدُهم ابنة شُعيب النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، إذ رَمت بالظنّ غرضَ اليقين تفرُّساً فى النجىّ المُصطفى بالرسالة[11] ، فحقَّ لها فيه الرجاء ، وزالت شُبهة الشكّ

---

(١) فى ع ، ن : «حتى» .

(٢) الإرث : البقية من كل شىء .

(٣) كذا فى ع . وفى ن : «فما بقى بتأميله بعده إلا صبابة أرب به تجول» . والذى فى سائر الأصول : «فما بقى لنا بعد الإصابة وارث به تحول» .

(٤) كذا فى بعض الأصول . ومبت ، من أبت بعيره ، إذا أجهده وأتعبه فى السير حتى قطعه . وفى ع ، ن : «متئد» . والذى فى سائر الأصول : «متثبت» .

(٥) فى بعض الأصول : «ثارت» .

(٦) فى ن : «وخزى» . وفى ع : «وخشى» .

(٧) فى بعض الأصول : «إلى» . (٨) فى ع ، ن : «قائم» .

(٩) انقدت : انقطعت . كنى بذلك عن امتلاء الأوعية واكتظاظها .

(١٠) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : «التطقه» .

(١١) يريد : موسى عليه السلام .

بالاختبار ؛ وقبلَها العزيزُ فى يوسف ؛ ثم الصدِّيق فى الفاروق[١] ، رحمةُ الله عليهما ؛ وأميرُ المؤمنين فى الحجّاج . وما حَسد الشيطانُ يا أمير المؤمنين خاملاً ، ولا شَرِق بغير شَجى[٢] . فكم غيظة يا أمير المؤمنين للرجيم أدبر منها وله عُواء[٣] وقد قلّت حيلته ، ووَهن كيْدُه يوم كيْت وكيت ، ولا أظنّ أذكرَ لها من أمير المؤمنين . ولقد سمعتُ لأمير المؤمنين فى صالحٍ ، صلواتُ الله عليه ، وفى ثَقيف مقالاً ، هَجم بى الرجاء لعدله ، عليه بالحُجّة فى ردّه بمُحكم التنزيل على لسان ابن عمه خاتَم النبيّين وسيد المرسلين ، صلّى الله عليه وسلم ، فقد أخبر عن الله عزّ وجلّ ، وحكاية عن الملأ من قُريش عنـد الاختيار والافتخار ، وقد نَفخ الشيطان فى مناخرهم ، فلم يَدعوا خلف ما قصدوا إليه مرمًى[٤] . فقالوا : (لولا نُزِّل هذا القُرآنُ على رجُل من القَرْيتَين عَظِيم) . فوقع اختيارهم ، عند المُباهاة بنَفْخة الكُفر[٥] وكِبْر الجاهلية ، على الوليد بن المُغيرة المخزومى وأبى مَسْعود الثّقفى[٦] ، فصارا فى الافتخار بهما صِنْوين ، ما أنكر اجتماعَهما من الأمة ١٣/٣ مُنكر فى خبر[٧] القرآن ، ومبلِّغ الوحى . وإن كان ليُقال للوليد فى الأمة يومئذ رَيْحانة قُريش ، وما ردّ ذلك العزيز تعالى إلا بالرّحمة الشاملة فى القَسم السابق ، فقال عزّ وجلّ : (أهم يَقسمون رَحْمة ربك نحن قَسَمْنا بينهم مَعيشَتَهم فى الحَياة الدُّنيا) . وما قدَّمتْنى يا أميرَ المؤمنين ثقيفُ فى الاحْتجاج لها ، وإنّ لها مقالاً رحباً ، ومُعاندة قديمة ، إلاّ أنَّ هذا من أيسر ما يَحتجّ به العبدُ

---

(١) يشير إلى اختيار أبى بكر لعمر لتولى الخلافة قبل موته .

(٢) كذا فى ن . والشجا : ما اعترض فى الحلق من عظم أو غيره . والذى فى سائر الأصول : « ولا شرف بغير شجى » .

(٣) كذا فى ن . والذى فى ع : « وله ارعوى » . والذى فى سائر الأصول : « وله غواة ومرساة » .

(٤) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « موسى » .

(٥) فى بعض الأصول : « الكبر » .

(٦) فى ع ، ن : « وعروة بن مسعود الثقفى » . وهو اسم أبى سعود .

(٧) كذا فى ع ، ن : والذى فى سائر الأصول : « فى مد صوت » .

المُشفِق على سيِّده المُغضَب ، والأمرُ إلى أمير المؤمنين ، عَزل أم أقرّ ، وكلاهما عَدْل مُتَّبع ، وصواب معتقد(١) . والسلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله .

قال نُباتة : فأتيتُ على الكتاب بمَحضر أمير المؤمنين عبد الملك ، فلما استوعبتْهُ سارقتُه النظرَ على الهيبَة منه(٢) ، فصادف لَحظى لَحظَه ، فقال: أقطعه ، ولا تُعلمنّ بما كان أحداً . فلما مات عبدُ الملك فشا عنّى الخبرُ بعد موته(٣) .

بين الحجاج وابن المنتشر فى ذمى كان دفعه إليه

محمد بن المُنتشر بن الأجدع الهَمَدانىّ قال : دَفع إلىَّ الحجاجُ رجلاً ذِمّيًّا(٤) وأمرنى بالتّشديد عليه والاستخراج منه . فلما انطلقتُ به ، قال لى : يا محمد ، إنّ لك لشرَفاً ودِيناً ، وإنى لا أُعطى على القَسر شيئاً ، فاستَأْدِنى(٥) وأرفُق بى . قال : ففعلتُ ، فأدّى إلىّ فى أُسبوع خمسمائة ألف . فبلغ ذلك الحجّاجَ فأغضبه ، فانتزعه من يدى ودَفعه إلى الذى كان يتولّى له العذاب ، فدقّ يديه ورجليه ، ولم يُعطهم شيئاً . قال محمد بن المنتشر : فإنى لسائرٌ يوماً فى السوق ، إذا صائحٌ بى : يا محمد ، فالتفتُّ ، فإذا أنا به مُعَرَّضاً على حمار مَدقوقَ اليدين والرِّجلين . فخِفت الحجاجَ إن أتيتُه وتذمَّمتُ منه(٦) ، فملتُ إليه ، فقال لى: إنك وَليتَ منّى ما ولى هؤلاء ، فرَفقتَ بى وأحسنتَ إلىّ ، وإنهم صنعوا ما ترى ، ولم أُعطهم شيئاً ، ولى خمسُمائة ألف عند فلان ، فخُذها مكافأة لما أحسنتَ إلىَّ . فقلت : ما كنتُ لآخذ منك على معروفى أجراً ، ولا لأرْزأك على هذه الحال شيئاً . قال : فأمّا إذ أبيتَ فاسمع منّى حديثاً أحدِّثك به حدَّثنيه بعضُ أهل دينك عن نبيِّك صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا رضى الله عن قوم أنزل عليهم المطر(٧) فى وَقته ، وجعل المالَ فى سُمحائهم ، واستعمل عليهم خِيارهم . وإذا سَخِط على قوم أنزل عليهم المطر فى غير

(١) فى ع ، ن : « معتدل » . وفى بعض الأصول : « معتد » .
(٢) فى ع : « على الخلسة منه » .
(٣) لم يرو هذا الكتاب ولا الذى قبله فى مرجع آخر فنستطيع أن نقابله به .
(٤) اسمه : أزاد مرد بن الهربذ . (انظر الكامل ص ١٧٢ طبعة أوربة) .
(٥) كذا فى بعض الأصول والكامل . يريد : اطلب الأداء منى . والذى فى سائر الأصول : « فأذن لى » .
(٦) تذممت منه : استحييت .
(٧) فى الكامل : « أمطرهم » .

وَقته ، وجعل المال فى بُخلائهم ، واستَعمل عليهم شرارهم» . فانصرفتُ ، فما وضعت ثوبى حتى أتانى رسولُ الحجَّاج . فسرتُ إليه ، فألفيتُه جالساً على فراشه والسيفُ مُصْلَت بيده ، فقال لى : ادْنُ ، فدنوْتُ شيئاً . ثم قال لى : ادْن ، فدنوتُ شيئاً . ثم قال لى الثالثة : ادْنُ ، لا أبَا لك ! فقلتُ : ما بى إلى الدنوِّ من حاجة ، وفى يد الأمير ما أرى . فضحك وأغمد سيفَه ، وقال : اجْلس ، ما كان من حديث الخبيث ؟ فقلت له : أيها الأمير ، والله ما غششْتُك منذ أُستَنْصحتَنى ، ولا كذبتُك منذ أُستَخبرتنى ، ولا خُنتك منذ أُتمنتنى ، ثم حدَّثته . فلما صرتُ إلى ذكر الرجل الذى المالُ عنده أعرض عنّى بوجهه ، وأومأ إلىَّ بيده ، وقال : لا تُسَمِّه ؛ ثم قال : إنَّ للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث .

من صفات الحجاج

ويقال : إن الحجَّاج كانَ إذا استَغرب ضَحِكا والَى بين الاستغفار ، وكان إذا صَعد المِنبر تلفَّع بمِطْرَفه[1] ، ثم تكلَّم رويداً فلا يكاد يُسمع ، ثم يتزيّد فى الكلام ، فيُخرج يَده من مِطْرَفه ، ثم يَزجر الزَّجرة ، فيَقرع بها أقصى مَن فى المسجد .

خالد القسرى بين مدح الحجاج وذمه

صعد خالدُ بن عبد الله القَسرىّ المِنبر فى يوْم جمعة وهو إذ ذاك على مكَّة ، فذكر الحجَّاجَ ، فحَمِد طاعتَه وأثنى عليه خَيْراً . فلما كان فى الجمعة الثانية وَرد عليه كتابُ سليمان بن عبد الملك ، يأمره فيه بشَتم الحجاج ونَشْر عُيوبه وإظهار البراءة منه . فصَعِد المِنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنّ إبليس ١٤/٣ كان مَلَكا من الملائكة ، وكان يُظْهر مِن طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له به فضلاً ، وكان الله قد عَلِم من غِشّه وخُبثه ما خَفِى على ملائكته ، فلما أراد الله فضيحتَه أمره بالسُّجود لآدم ، فظهر لهم منه ما كان يُخفيه ، فلَعنوه . وإن الحجَّاج كان يُظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كُنّا نرى له به فَضْلا ، وكأنّ الله قد أطلَع أميرَ المؤمنين من غِشه وخُبثه على ما خفى عنّا ، فلما أراد الله فضيحتَه

(١) المطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام . (وانظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٣ من هذا الجزء) .

أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين فلعنه ، فالعنوه لعنه الله ، ثم نزل .

الحجاج والحرسى وامرأة ابن الأشعث

ولما أتى الحجاج بامرأة ابن الأشعث قال للحرسىّ : قل لها : يا عدوّة الله ، أين مال الله الذى جعلتِه تحت ذَيلك ؟ فقال لها الحرسىُّ : يا عدوة الله ، أين مال الله الذى جعلتِه تحت أستك ؟ قال الحجاج : كذبْت ، ما هكذا قلت . أرسِلْها . خلى سبيلها[1] .

بين الحجاج وأبى وائل

أبو عَوانة عن عاصم عن أبى وائل[2] قال : أرسل الحجاجُ إلىَّ ، فقال لى : ما اسمُك ؟ قلت : ما أرسل الأميرُ إلىَّ حتى عَرف اسمى ! قال لى : متى هبطتَ هذه الأرض ؟ قلت : حين ساكنتُ أهلها . قال : كم تقرأ من القرآن ؟ قلتُ : أقرأُ منه ما إن اتبعتهُ كفانى . قال : إنى أريد أن أستعين بك على بعض عَملى . قلت : إن تستعن بى تَستعن بكبيرٍ أخرقَ ضعيف يخاف أعوان السوء ، وإن تَدَعْنى فهو أحبُّ إلىَّ ، وإن تُقْحمنى أتقحَّم . قال : إن لم أجد غيرَك أقْحمتك ، وإن وجدتُ غيرَك لم أُقحمك . قلت : وأخرى أكرم الله الأمير ، إنى ما علمتُ الناس هابوا أميراً قطُّ هيبتَهم لك ، والله إنى لأتعارّ[3] من الليل فأذكرك فما يأتينى النومُ حتى أصبح ، هذا ولستُ لك على عمل . فأعجبه ذلك ، وقال : هيــه ، كيف قلتَ ؟ فأعدتُ عليه الحديث . فقال : إنّى والله ما أعلم اليومَ رجلاً على وجه الأرض هو أجرأ على دمٍ[4] منّى . قال : فقمتُ فعدلتُ عن الطريق [عمداً] كأنّى لا أُبصر . فقـال : أهدوا الشّيخ ، أرشدوا الشيخ .

بين الحجاج وابن أبى ليلى

أبو بكر بن أبى شَيبة قال : دخل عبدُ الرحمن بن أبى لَيلى على الحجّاج ، فقال لجلسائه : إذا أردتم أن تنظروا إلى رجل يَسُبُّ أميرَ المؤمنين عثمانَ فانظروا

(١) مر هذا الخبر (ص ١٦) من هذا الجزء .
(٢) هو شقيق بن سلمة الأسدى . (انظر المعارف) .
(٣) التعار : السهر والتقلب على الفراش ليلا مع كلام .
(٤) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « ربه » .

إلى هذا . فقال عبدُ الرحمن : معاذَ الله أيها الأميرُ أن أكون أسبُّ عثمان ، إنه ليحجزُني عن ذلك آياتٌ فى كتاب الله تعالى : (لِلفُقَرَاء المُهاجرين الذين أُخرِجوا مِن دِيارِهم وأَموالهم يَبْتغون فَضْلاً من الله ورِضْواناً ويَنصرون اللهَ ورسولَه أُولئكَ هم الصادِقون) فكان عثمانُ منهم . ثم قال : (والَّذِين تَبَوَّؤا الدَّارَ والإيمان مِن قَبْلهم يُحبُّون مَن هاجَرَ إليهم ولا يَجِدُون فى صُدُورهم حاجةً مما أُوتُوا ويُؤْثِرون على أَنفُسهم ولو كان بهم خَصَاصة) فكان أبى منهم . ثم قال : (والَّذِين جاءوا مِن بَعْدِهم يَقُولون رَبَّنا اغْفِر لنَا وَلإخْوانِنا الَّذِين سَبَقُونا بالإيمان) فكنتُ أنا منهم . قال : صدقتَ .

ابن أبى ليلى ولعن على وابن الزبير والمختار

أبو بكر بن أبى شَيبة عن أبى مُعاوية عن الأعمش قال : رأيتُ عبدَ الرحمن ابن أبى لَيلى ضَربه الحجّاج ووقفه على باب المسجد ، فجعلوا يقولون له : الْعن الكاذبين : علىَّ بن أبى طالب ، وعبدَ الله بن الزُّبير ، والمُختارَ بن أبى عُبيد . فقال : لعنَ اللهُ الكاذبين ، ثم قال : علىُّ بن أبى طالب ، وعبدُ الله بن الزُّبير ، والمُختار بن أبى عُبيد ، بالرفع . فعرفتُ حين سَكت ثم ابتدأ فرفع أنه ليس يُريدهم .

عفو الحجاج عن الشعبى ثم سؤاله فى فريضة ثم حديث النفر الذين وصفوا المطر بين يديه

قال الشَّعبىُّ : أُتى بى الحجاجُ مُوثقاً ، فلما جئتُ باب القصر لَقِينى يزيدُ بن أبى مُسلم كاتبُه ، فقال : إنّا لله يا شَعبىّ لما بين دَفَّتيك مِن العلم ، وليس اليومُ بيوم شفاعة . قلتُ له : فما المَخرج ؟ قال : بُؤْ للأمير بالشِّرْك والنِّفاق على نفسك وبالحَرَى أن تنجوَ . ثم لقينى محمدُ بن الحجّاج فقال لى مثلَ مَقالة يزيدَ . فلما دخلتُ على الحجاج قال لى : وأنتَ يا شَعبىُّ فيمن خَرج علينا وأَكثر ؟ قلتُ : أصلحَ اللهُ الأمير ، نَبا بنا المَنزلُ ، وأجدب[1] بنا الجَناب ، ١٥/٣ واستحلَسْنا الخوفُ[2] ، واكتحلنا السَّهر ، وضاق المَسلك ، وخَبَطتنا فتنةٌ لم نكنْ فيها بررةً أتقياء ، ولا فَجَرَة أقوياء . قال : صدق والله ما برُّوا بخُروجهم علينا ولا قَوُوا ، أطلقوا عنه . فاحتاج إلىَّ فى فَريضة بعد ذلك فأرسل إلىَّ ،

(١) فيا س (ج ٢ : ٤٦٤) من هذه الطبعة : « أحزن » .

(٢) استحلسنا الخوف : لم يفارقنا .

فقال : ما تقول فى أُم وأُخت وجَدّ ؟ فقلت : أختلف فيها خمسةٌ من أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم : عبدُ الله بن مسعود ، وعلىّ ، وعثمان ، وزَيد ، وابنُ عباس . قال : فما قال فيها ابنُ عباس ، إن كان لَمَنْقَبًا[١] ؟ قلت : جعل الجد أبًا ولم يُعط الأختَ شيئًا ، وأعطى الأُم الثلث . قال : فما قال فيها ابنُ مسعود ؟ قلت : جَعلها من ستّة ، فأعطى الجدّ ثلاثة ، وأعطى الأمّ أثنين ، وأعطى الأختَ سهمًا . قال : فما قال زَيد ؟ قلت : جعلها من تِسعة ، فأعطى الأمّ ثلاثة ، وأعطى الجدّ أربعة ، وأعطى الأختَ أثنين ، فجعل الجدّ معها أخًا . قال : فما قال فيها أميرُ المؤمنين عثمان ؟ قلتُ : جعلها ثلاثًا . قال : فما قال فيهـا أبو تُراب ؟ قلتُ : جعلها من ستة ، فأعطى الأختَ ثلاثة ، وأعطى الأمّ أثنين ، وأعطى الجدّ سهمًا . قال : مُر القاضى فَلْيُمضها على ما أمضاها أميرُ المؤمنين . فبينما أنا عنده إذ جاءه الحاجبُ فقال له : إن بالباب رُسلاً . فقال : إيذن لهم . قال : فدخلوا وعمائمهم[٢] على أوساطهم ، وسيوفُهم على عواتقهم ، وكُتبهم بأيمانهم ، وجاء[٣] رجل من بنى سُليم يقال له شَبابة بن عاصم ، فقال له : مِن أين ؟ قال : من الشام . قال : كيف تركتَ أمير المؤمنين وكيف تركتَ حَشمه ؟ فأخبره . قال : هل وراءك من غيث ؟ قال : نعم . أصابتنى[٤] فيما بَينى وبين الأمير ثلاث سحائب . قال : فأنعتْ لى كيف كان وَقع المطر وتَباشيره ؟ قال : أصابتنى سحابةٌ بحُوّارين[٥] فوقع قَطر صغار وقَطر كبار ، فـكانت الصغار

---

(١) كذا فى ن ، ولسان العرب (مادة نقب) . والمنقب (بالكسر والتخفيف) : الرجل العالم بالأشياء الكثير البحث عليها والتنقيب عنها . وكذلك النقاب ، بالكسر . والذى فى سائر الأصول : « لمتقيا » .

(٢) فى بعض الأصول : « عمايينهم » . وما أثبتنا من ع ، ن .

(٣) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « إذ جاء » .

(٤) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « فهل بينى وبين الأمير من سحاب . قال نعم . قال : فانعت ... الخ » .

(٥) حوارين (بالضم وتشديد الواو) : من قرى حلب .

لُحْمة[١] للكبار ، ووقع نشيطاً[٢] ومُتداركا ، وهو السَّيح[٣] الذى سمعتَ به ، فوادٍ سائل ، ووادٍ نازح ، وأرض مُقبلة ، وأرض مُدبرة . وأصابتنى سحابةٌ بَسراء[٤] فلبّدت[٥] الدِّماث ، وأسالت العَزَاز[٦] ، وأدحضت[٧] التِّلاع ، وصَدَعت عن الكمأة أماكنَها . وأصابتنى سحابةٌ بالقَرْيتين[٨] فقاءت الأرضُ بعد الرِّى ، وامتلأت الأخاديد ، وأُفعمت الأودية ، وجئتُك فى مثل وِجار الضَّبُع[٩] . [ثم] قال : إيذَن ، فدخل رجل من بنى أسد . فقال: هل وراءك من غيث ؟ قال: لا ، كثُر[١٠] الإعصار ، وأغبرت البلاد ، وأيقنّا أنه عام سَنة . قال : بئس المُخبر أنت . قال : أخبَرْتُك الذى كان . [ثم]قال : إيذَن . فدَخل رجل من أهل اليمامة . قال : هل وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، سمعت الرُّوَّاد يَدْعون إلى الماء وسمعتُ قائلاً يقول : هَلُمّ ظَعنَكم إلى محلّة تَطفأُ فيها النيران ، وتشكّى فيها النساء ، وتنافسُ فيها المِعزى . قال الشعبىّ : فلم يدر الحجّاج ما قال . فقال له : تبًّا لك ! إنما تُحدّث أهلَ الشام فأَفْهِمْهم . قال : أصلح الله الأمير ، أخصب الناسُ ، فكَثُر التمر والسمن والزُّبد واللّبن ، فلا تُوقَد

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : «تجمد» .
(٢) فى ع ، ن : « بسيطا » .
(٣) السيح : الماء الجارى الظاهر . وفى بعض الأصول: « الثلج » .
(٤) كذا فى الأصول . والذى فى البيان : « بسوء » فإن صح أن الهمزة فى هذه الأخيرة محرفة عن دال ، أى سود . سلم الرسم ، وكان اسما لقرية بالشام .
(٥) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « فأبدت » . والدمات : الأمكنة السهلة .
(٦) العزاز : الأرض الصلبة . وفى أكثر الأصول : «العرار » براءين مهملتين ، تصحيف . والعبارة فى البيان : « ورحضت العزاز » .
(٧) أدحضت التلاع : جعلتها زلقة .
(٨) لعله يريد بالقريتين : قرية كبيرة من أعمال حمص تدعى «القريتين» إذ غير هذه فى مكان بعيد . (انظر معجم البلدان) .
(٩) فى اللسان (مادة وجر) : « وفى حديث الحجاج : جئتك فى مثل وجار الضبع . قال ابن الأثير: وقال الخطابى : هو خطأ ؛ وإنما هو فى مثل جار الضبع . يقال : غيث جار الضبع ، أى يدخل عليها فى وجارها حتى يخرجها منه . قال : ويشهد لذلك أنه جاء فى رواية أخرى : وجئتك فى ماء يجر الضبع ويستخرجها من وجارها» .
(١٠) فى بعض الأصول : « كثر الله » .

نار يُختبز بها . وأما تشكّى النساء ، فإن المرأة تظلّ تَرُبق[١] بَهْمها ، وتَمخَض لبنها ، فتَبيت ولها أنينٌ من عَضُدها . وأما تنافسُ المعزى ، فإنها تَرى من أنواع التمر وأنواع الشجر.ونَوْر النباتِ ما يُشبع بطونَها ولا يُشبع عيونها ، فتبيتُ وقد امتلأت أكراشُها[٢] ، ولها من الكِظّة جِرّة ، فتبقى الجِرّة حتى تَستنزل الدِّرّة . [ثم] قال : إيذن ، فدخل رجلٌ من المَوالى كان من أشدّ الناس فى ذلك الزمانِ . فقال له : هل وراءك من غيث ؟ قال : نعم ، ولكنى لا أُحسن أن أقول ما يقول هؤلاء . قال : فما تُحسن ؟ قال : أصابتنى سحابةٌ بحُلوان[٣] ، فلم أزل أطأ فى آثارها حتى دخلتُ عليك . فقال : لئن كنتَ أقصرَهم فى المطر خُطبة ، فإنك لأطولُهم بالسيف خُطوَة[٤] .

عبد الملك والحجاج وابن عمر

١٦/٣ إبراهيم بن مَرزوق عن سعيد بن جُوَيرية قال : لما كان عامُ الجماعة ، كتب عبدُ الملك بن مروان إلى الحجّاج : انظر ابنَ عمر فاقتد به وخُذ عنه ، يعنى فى المناسك . قال : فلما كان عشيّة عرفة ، سار الحجّاج بين يدى عبد الله بن عُمر وسالمٍ ابنه ، فقال له سالم : إن أردتَ أن تُصيب السّنة اليوم فأوجز[٥] الخطبة وعَجِّل الصلاة . قال : فقطّب[٦] ونظر إلى عبد الله بن عُمر . فقال : صدق . فلما كان عند الزوال مَرّ عبدُ الله بن عمر بسرادقه ، وقال الرَّواح : فما لبث أنْ خرج ورأسُه يقطُر كأنه قد اغتسل . فلما أفاض الناسُ ، رأيتُ الدم[٧] يتحدّر من النَّجيبة التى عليها ابنُ عمر ، فقلت : أبا عبد الرحمن[٨] ، عقرت النَّجيبة ؟ قال : أنا عُقِرْت ليس النَّجيبة ، وكان أصابه زُجّ رُمح بين إصبعين من قدمه ،

(١) تربق (بالضم والكسر) : تجعل رأسه فى الربقة .
(٢) فى ع : « أقرابها » . والأقراب : جمع قرب ، بالضم وبضمتين ، وهو الخاصرة أو من الشاكلة إلى مراق البطن .
(٣) حلوان : مدينة بالعراق بقرب الجبل .
(٤) فى بعض الأصول : « حظوة » .
(٥) فى ن : « فأخر » .
(٦) فى ع : « فغضب » .
(٧) كذا فى ع . وفى ن : « العلق » . والذى فى سائر الأصول : « العرق » .
(٨) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « أبا عبد الله » .

فلما صِرْنا بمكة دخل عليه الحجّاج عائدًا ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، لو علمتُ مَن أصابك لفعلتُ وفعلت . قال له : أنت أصبتني . قال : غفر الله لك . لِمَ تقول هذا ؟ قال : حملتَ السلاحَ في يوم لا يُحمل فيه السلاح .

من أخبار الحجاج

أبو الحسن المدائني قال : أخبرني من دَخل المسجد ، والحجّاج على المِنبر ، وقد ملأ صوتُه المسجد بأبيات سُويد بن أبي كاهل اليَشْكري حيث يقول :

رُبّ من أنضجتُ غيظاً صدرَه[1] قــد تمنّى لىَ موتاً لم يُطَعْ
ساء ما ظَنُّوا وقد أبليتُهم[2] عند[3] غايات المدَى كيف أقع
كيف يَرجون سِقاطى[4] بعد ما شَمِل الرأسَ مَشيبٌ[5] وصَلع

الحجاج يصف سيرته للوليد

كتب الوليدُ إلى الحجّاج : أن صِفْ لى سيرتَك . فكتب إليه : إنى أيقظتُ رأيى ، وأنمتُ هواى ، فأدنيت السيّد المُطاع فى قومه ، ووليتُ الحَرْبَ الحازمَ فى أمره ، وقلّدت الخراج المُوفِّر لأمانته ، وصَرفتُ السيفَ إلى النَّطف[6] المُسىء ، فخاف المُريبُ صولةَ العِقاب ، وتمسّك المُحسن بحظّه من الثواب .

بين الحجاج وقارىء حبسه

قرأ الحجاجُ : فى سورة هود (قال يا نُوح إنّه لَيس من أهلك إنّه عَمَل غيرُ صالح) فلم يَدْر كيف يقرأ : «عمل» بالضم والتنوين ، أو «عمل» بالفتح . فبعث حَرسيًا ، فقال : إيتنى بقارىء . فأُتى به ، وقد ارتفع الحجّاج عن مجلسه ، فحبسه [ونَسيه] حتى عَرض الحجاجُ حبسه بعد ستة أشهر ، فلما أنتهى إليه قال له : فيم حُبست ؟ قال : فى أبن نُوح ، أصلح الله الأمير ، فأمر بإطلاقه .

عبد الملك والحجاج وأنس

إبراهيم بن مرزوق قال : حدّثنى سعيد بن جُويرية[7] قال : خَرجتْ خارجةٌ على الحَجّاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يَخرج معه ، فأبى .

(١) فى ن والمفضليات : « قلبه » .
(٢) أبليتهم : أى عرفوا منى واستيقنوا . والمدى : الغاية .
(٣) فى ن : « فوق » .
(٤) كذا فى المفضليات : والذى فى سائر الأصول : « سقوطى » .
(٥) فى المفضليات : « لاح فى الرأس بياض » .
(٦) النطف (ككتف) : الرجل المريب .
(٧) فى ع ، ن : « إبراهيم بن مرزوق عن سعيد بن جويرية » .

فكتب إليه يَشْتمه . فكتب أنسُ بن مالك إلى عَبد الملك بن مروان يشكوه، وأدرج كتابَ الحجّاج فى جوف كتابه . قال إسماعيل بن عبد الله بن أبى المُهاجر: بعث إلىّ عبدُ الملك بن مروان فى ساعة لم يكن يبعثُ إلىّ فى مثلها . فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حَنقا وغَيظا ، فقال : ياإسماعيل ، ما أشدَّ علىّ أن تقول الرعيّة : ضعُف أمير المؤمنين وضاق ذَرْعه فى رجل من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لا يقبل له حَسنة ، ولا يتجاوز له عن سَيِّئة ! فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كتب إلىّ يذكر أن الحجّاج قد أضرّ به وأساء جواره ، وقد كتبتُ فى ذلك كتابين : كتاباً إلى أنس بن مالك ، والآخَر إلى الحجّاج ، فاقبِضْهما ثم اخرُج على البريد، فإذا وردتَ العِراق فابدأ بأنس بن مالك فادفعْ له كتابى ، وقل له : أشتدّ على أمير المؤمنين ما كان من الحجّاج إليك ، ولن يأتىَ إليك أمرٌ تكرهه إن شاء الله. ١٧ / ٣ ثم إيت الحجاجَ فادفع إليه كتابه ، وقُل له : قد اغتررتَ بأمير المؤمنين غِرّة لاأظنّك[1] يُخطئك شَرُّها ، ثم أَفهم ما يتكلّمُ به وما يكون منه ، حتى تُفْهمنى إياه إذا قَدِمت علىّ إن شاء الله . قال إسماعيل : فقبضتُ الكتابين وخرجتُ على البريد حتى قَدِمتُ العراق ، فبدأتُ بأنس بن مالك فى منزله ، فدفعتُ إليه كتاب أمير المؤمنين وأبلغتُه رسالتَه ، فدعا له وجزّاه خيرا . فلما فرغ من قِراءة الكتاب قلتُ له : أبا حمزة ، إن الحجّاج عاملٌ ولو وُضع لك فى جامعةٍ[2] لَقَدر أن يَضرك ويَنفعك ، فأنا أريد أن تُصالحه . قال : ذلك إليك لا أخرجُ عن رأيك . ثم أتيتُ الحجاجَ ، فلما رآنى رحّب وقال : والله لقد كنتُ أُحب أن أراك فى بلدى هذا . قلت : وأنا والله قد كنتُ أُحب أن أراك وأَقْدَم عليك بغير الذى أُرسلتُ به إليك . قال : وما ذاك ؟ قلت : فارقتُ الخليفةَ وهو أغضبُ الناس عليك . قال : ولِمَ ؟ قال : فدفعتُ إليه الكتاب . فجعل يقرؤه وجبينُه

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « لا أظنه » .
(٢) الجامعة : الغل .

يَعرق . فيمسحه بيمينه ، ثم قال : أُركبْ بنا إلى أنس بن مالك . قلتُ له : لا تفعل ، فإنى سأتلطّف به حتى يكون هو الذى يأتيك ؛ وذلك للذى أشرتُ عليه من مُصالحته . قال : فألق [إلىّ] كتابَ أمير المؤمنين فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج بن يوسف . أما بعد . فإنك عبدٌ طَمَتْ(١) بك الأمور فطَغيتَ وعَلوت فيها حتى جُزت قدرك ، وعَدوت طَوْرك ، وأيم الله يا بن المُستفرمة بعَجَم زبيب الطائف(٢) ، لأغمزنّك كبعض غمزات الليوث للثعالب ، ولأركُضَنّك رَكضة تدخل منها فى وَجْعاء أمك(٣) . أذكر مكاسبَ آبائك بالطائف ، إذ كانوا يَنقلون الحجارة على أكتافهم(٤) ، ويحفرون الآبار والمَناهل بأيديهم ، فقد نسيتَ ما كنتَ عليه أنت وآباؤك من الدَّناءة واللؤم والضَّراعة . وقد بلغ أميرَ المؤمنين استطالةٌ منك على أنس بن مالك خادمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جُرْأةً منك على أمير المؤمنين وغِرّة بمَعرفة غِيَره(٥) ونَقِماته وسَطَواته على مَن خالف سبيله ، وعَمد إلى غير محبّته ، ونَزَل عند سَخْطته . وأظُنك أردتَ أن تَرُوزه(٦) بها لتعلم ما عنده من التّغيير والتّنكير(٧) فيها . فإن سُوِّغتها مضيتَ قُدُما ، وإن بُغِّضتها ولّيت دُبرا ، فعليك لعنةُ الله مِن عبد أخْفش العينين ، أصكّ الرّجلين(٨) ، ممسوح الجاعرتين . وأيم الله لو أن أميرَ المؤمنين علم أنك أجترمت منه جُرما ، وانتهكت له عِرْضا ، فيما كتب به إلى أمير المؤمنين ، لبعث إليك مَن يَسحبك ظهراً لبطن حتى يَنتهى بك إلى

(١) فى ن : « علت » .
(٢) المستفرمة : التى تجعل الدواء فى متاعها ليضيق ، وعجم الزبيب ، مما يستفرم به . وقيل إنه كتب إليه بذلك لأن فى نساء ثقيف سعة .
(٣) كذا فى ع ، ن . والوجعاء : السافلة ، وهى الدبر . والذى فى سائر الأصول : « فى وجارك » . والعبارة فى البيان (١ : ٢٠٥) : لقد هممت أن أركلك برجلى ركلة تهوى بها فى جهنم » .
(٤) فى ع ، ن : « أعناقهم » . (٥) فى ن : « غيرته » .
(٥) كذا فى ع ، ن . وتروزه ، أى تجربه . والذى فى سائر الأصول : « ترزأه » .
(٧) فى ع : « والتسكير » .
(٦) أصك الرجلين : مضطرب الركبتين والعرقوبين .

أنس بن مالك ، فيحكمَ فيك بما أحبَّ . ولن يَخفى على أمير المؤمنين نَبؤك ، ولكل نَبأ مُستقر ولسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى أنطلق معى إلى الحجاج . فلما دخلنا عليه قال : يَغفر الله لك أبا حمزة ، عَجِلْت باللائمة وأغضبتَ علينا أميرَ المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير . فقال أنس : إنك كنتَ تزعم أنّا الأشرار ، والله سمّانا الأنصار . وقلتَ : إنّا من أبخل الناس ، ونحن الذين قال الله فيهم(١) : (ويُؤْثِرون على أنفُسِهم ولو كانَ بهم خَصَاصة) . وزعمتَ أنا أهلُ نفاق والله تعالى يقول فينا : (والّذين تَبوّءوا الدارَ والإيمان مِن قبلهم يُحبّون مَن هاجَر إليهم ولا يَجِدُون فى صُدورهمْ حاجةً مما أُوتُوا) . فكان المَفزع(٢) والمُشتكى فى ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولّى من ذلك ما ولّاه الله ، وعرف من حقّنا ما جَهلتَ ، وحَفظ منّا ما ضيّعتَ ، وسَيحكم فى ذلك ربٌّ هو أرضى للمُرضى ، وأسخطُ للمُسخط ، وأقدرُ على المُغير(٣) ، فى يوم لا يشوب الحقَّ عنده الباطلُ ، ولا النورَ الظلمةُ ، ولا الهدى الضلالةُ . والله لو أنّ اليهود أو النّصارى رأت مَن خَدَم موسى بن ١٨/٣ عمران أو عيسى بن مريم يومًا واحدًا لرأت له ما لم تَرَوا لى فى خدمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَشرَ سنين . قال : فاعتذر إليه الحجاجُ وترضّاه حتى قَبل عُذره ورضى عنه ، وكتب برضاه عنه وقبوله عُذرَه . ولم يزل الحجاجُ له مُعظماً هائباً له حتى هَلك أنسٌ رضى الله عنه .

وكتب الحجاجُ إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . أصلحَ الله أميرَ المؤمنين وأبقاه ، وسهّل حظّه(٤) وحاطه ولا أعْدمنا إياه . فإن إسماعيل بن أبى المُهاجر رسولَ أمير المؤمنين — أعزّ الله نَصره — قَدِم علىّ بكتاب أمير المُؤمنين — أطال الله بقاءه ، وجعلنى من كل مكروه فداءه —

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « والله يقول فينا » .

(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « المخرج » .

(٣) فى بعض الأصول : « النير » .

(٤) فى ن : « وسل سخطه » .

يذكر شتيمتى وتَوْبيخى بآبائى ، وتَعييرى بما كان قبلَ نزول النِّعمة بى من عند أمير المؤمنين ، أتمّ الله نعمَته عليه وإحسانه إليه . ويذكر أميرُ المؤمنين ، جعلنى الله فداه ، استطالةً منّى على أنس بن مالك خادمِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، جراءةً منى على أمير المؤمنين وغِرّة بمعرفةِ غِيَره ونقَماته وسَطَواته على مَن خالف سبيلَه ، وعَمد إلى غير محبته ، ونزل عند سَخْطته . وأميرُ المؤمنين ، أصلحه الله ، فى قَرابته من محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إمامِ الهدى وخاتَم الأنبياء ، أحقُّ من أقال عَثْرتى وعَفا عن ذَنبى ، فأمهلنى ولم يُعجلنى عند هَفوتى ، للذى جُبل عليه من كريم طبائعه ، وما قلّده اللهُ من أمور عباده . فرأىُ أمير المؤمنين ، أصلحه الله ، فى تَسْكين رَوْعتى ، وإفراج كُربتى ، فقد مُلئت رُعباً وفَرقا من سَطْوته وفُجاءة نِقْمته . وأميرُ المؤمنين — أقاله الله العثراتِ ، وتجاوز له عن السيآت ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له الدّرجات — أحقُّ من صَفح وعفا ، وتغمّد[1] وأبقى ؛ ولم يُشمت بى عدوًّا مُكِبّا[2] ، ولا حَسودا مُضِبّا[3] ، ولم يُجرّعنى غُصصا . والذى وَصف أميرُ المؤمنين من صنيعه إلىّ وتَنويهه بى بما أسند إلىّ من عمله وأوطأنى من رقاب رعيّته ، فصادقٌ فيه مجزىٌّ بالشكر عليه . والتوسّلُ منى إليه بالولاية ، والتقرّبُ له بالكفاية . وقد عاين إسماعيلُ بن أبى المُهاجر ، رسولُ أمير المؤمنين وحاملُ كتابه ، نُزولى عند مسرّة أنس بن مالك ، وخُضوعى لكتاب[4] أمير المؤمنين ، وإقلاقَه إياى ، ودُخولَه [علىّ] بالمُصيبة ، على ما سيعلمه أميرُ المؤمنين ويُنهيه[5] إليه . فان رأى أميرُ المؤمنين — طوّقنى الله شُكره وأعاننى على تأدية حقّه وبَلّغنى إلى ما فيه مُوافقة مَرْضاته ومَدّ لى فى أجله — أمر[6] لى بكتاب من رضاه

(١) كذا فى ع ، ن : وتغمد : ستر . والذى فى سائر الأصول : « وتحمل » .
(٢) أكب عليه : لزمه ولم يعدل عنه .
(٣) مضبا ، أى مضمرا الغل والحقد .
(٤) فى بعض الأصول : « عند كتاب » .
(٥) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « يعهد » .
(٦) فى بعض الأصول : « أن يأمر » .

وسلامة صَدْره، يُؤمِّننى به من سَفك دَمى ويَرُدّ ما شَرَد من نومى ويَطمئن به قلبى، فقد وَرد علىّ أمرٌ جَليل خَطبُه، عظيم أمرُه، شديدٌ علىّ كربُه. أسأل الله أن لا يُسخط أميرَ المُؤمنين علىّ، وأن يَبْتليَه[1] فى حَزمه وعَزمه، وسياسته وفِراسته، ومواليه وحَشمه، وعُمّاله وصنائعه، بما يُحمد به حُسنُ رأيه، وبُعْدُ هِمّته؛ إنه ولىّ أمير المؤمنين، والذابّ عن سلطانه، والصانع له فى أمره، والسلام.

فحدّث إسماعيلُ أنه لما قرأ أميرُ المؤمنين الكتابَ قال: يا كاتب، أفرخ رُوع أبى محمد. فكتب إليه بالرضا عنه.

بين سليمان بن عبد الملك والحجاج

كان سليمانُ بن عبد الملك يكتب إلى الحجّاج فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك كُتباً فلا يَنظر له فيها. فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من سليمان بن عبد الملك إلى الحجّاج بن يوسف: سلامٌ على أهل الطاعة من عباد الله. أما بعد. فإنك امرؤ مَهتوك عنه حجابُ الحقّ، مُولَع بما عليك لا لك، مُنصرف عن مَنافعك، تاركٌ لحظّك[2]، مُستخفٌ بحق الله وحق أوليائه. لا ما سلف إليك من خير يَعطفك، ولا ما عليك لا لك يصرفك[3]. فى مُبهمة[4] من أمرك مَغمور[5]
١٩/٣ [مَنكوس]، مُعصوصر عن الحق أُعصيصاراً[6]، لا تَتنكّب[7] عن قَبيح، ولا تَرعوى عن إساءة، ولا ترجو لله وقاراً، حتى دُعيت فاحشاً سبّاباً. فقِسْ شِبرك بفَترك، واحذُ[8] زمام نَعلك بحذو مثله. فايم[9] الله لئن أمكننى الله منك لأدوسنّك دَوْسة تلين منها فرائصُك، ولأجعلنّك شَرِيداً فى الجبال، تلوذ

(١) كذا فى ن. و ع: «وأن ينيله .. ما يحمد». والذى فى سائر الأصول: «وأن يثبته».
(٢) فى ع: «لحقك».
(٣) كذا فى ع، ن. والذى فى سائر الأصول: «تصرفه».
(٤) كذا فى ع، ن. والذى فى سائر الأصول: «مهمة».
(٥) كذا فى ع. والذى فى سائر الأصول: «معموه».
(٦) معصوصر: ممنوع محبوس.
(٧) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «تسكت».
(٨) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «واخرز».
(٩) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «فأم وايم».

بأطراف الشمال ، ولأعلقنّ الرّومية الحمراء[١] بثَدْيَيها . علم الله ذلك منّى وقضَى لى به علىّ ، فقدْماً غرّتك العافية ، وانتحيتَ[٢] أعراضَ الرّجال ، فإنك قَدَرْتَ فَبَذَخْتَ ، وظَفِرت فتعدّيت . فرويدكَ حتى تنظر كيف يكون مصيرُك إن كانت بى و بك مُدة أتعلّق بها ، وإن تكن الأخرى فأرجو أن تؤول إلى مَذلة ذَليلة ، وخِزْية طويلة ، ويُجعل مصيرُك فى الآخرة شرَّ مَصير . والسلام .

فكتب إليه الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم . من الحجاج بن يوسف إلى سُليمان بن عبد الملك . سلامٌ على من اتّبع الهدى . أما بعد . فإنك كتبتَ إلىّ تذكر أنّى [امرؤ] مَهْتوك عنّى حِجابُ الحق ، مُولَع بما علىّ لا لى ، مُنصرف عن مَنافعى ، تاركٌ لحظّى ، مُستخفّ بحقّ الله وحقّ ولىّ الحق . وتذكر أنك ذو مُصاولة . ولَعمرى إنك لصبيٌّ حديث السنّ تُعذَر بقلّة عَقلك وحَداثة سنّك و يُرقَب فيك غيرُك . فأما كتابُك إلىّ فلَعمرى لقد ضَعُف فيه عقلك ، واستُخِفّ به حلمُك ، فلِله أبوك . أفلا انتصرت بقضاء الله دون قَضائك ، ورجاءِ الله دون رجائك ، وأمتّ غيظك ، وأمّنتَ عدوّك ، وسترت عنه تدبيرك ، ولم تُنَبّهه فَيلتمسَ مِن مُكايدتك ما تلتمس من مُكايدته ، ولكنّك لم تَستَشِفّ[٣] الأمور علماً ، ولم تُرزق من أمرك حَزْماً . جمعتَ أُموراً دلاّك فيها الشيطانُ على أسوأ أمرك ، فكان الجفاء مِن خليقتك ، والحُمق مِن طَبيعتك ، وأقبل الشيطانُ بك وأدبر ، وحدّثك أنك لن تكون كاملاً حتى تَتعاطى ما يَعيبك . فتَحذلقت حنجرتُك لقوله ، واتّسعت جوانبُها لكذبه . وأما قولُك لو مَلّكك الله لعلّقت زينبَ بنت يوسف بثَدْيَيها . فأرجو أن يُكرمها الله بهَوانك ، وأن لا يُوَفّق ذلك لك إن كان ذلك مِن رأيك ، مع أنّى أعرف أنك كتبتَ إلىّ والشيطانُ

(١) يعنى بها زينب بنت يوسف أخت الحجاج ، كما سيدل على ذلك جواب الحجاج بعد .

(٢) يقال : انتحاه ، إذا اعتمده بالكلام وقصده .

(٣) لم تستشف ، أى لم تستوعب . والاستشفاف فى الأصل : أن تشرب جميع ما فى الإناء ولا تسئر فيه شيئا . وفى بعض الأصول : « لم تشف بالأمور » .

بين كَتفَيك ، فشرٌ مُملٍ على[١] شرٌّ كاتب راض بالخسف ، فأَحْرِ بالحمق أن لا يدلّك على هُدى ، ولا يردّك إلا إلى رَدى . وتحلّب فُوك للخلافة ، فأنت شامخ البَصر ، طامح النّظر ، تظنّ أنك حين تَملكها لا تَنْقطع عنك مُدتها . إنها للقُطة[٢] الله التى أسأل الله أن يُلهمك فيها الشكر . مع أنّى أرجو أن تَرغب فيما رغب فيه أبوك وأخوك فأكون لك مثلى لهما . وإن نَفخ الشيطانُ فى مُنخريك فهو أمرٌ أراد الله نَزعه عنك وإخراجه إلى مَن هو أكمل به منك . ولعمرى إنها لنصيحة ، فإنْ تقبلها فمثلُها قُبل ، وإن تردّها علىّ اقتطعتُها دونك ، وأنا الحجاج .

الحجاج والوليد وأم البنين

قدم الحجاجُ على الوليد بن عبد الملك فدخل عليه، وعليه دِرْع وعمامة سوداء ، وقوسٌ عربيّة وكِنانة ، فبعثتْ إليه أمُّ البنين بنت عبد العزيز[٣] بن مروان : مَن هذا الأعرابىّ المُستلئم فى السلاح عندك وأنت فى غِلالة . فبعث إليها : هذا الحجاج بن يوسف . فأعادت الرسولَ إليه تقول : والله لأن يَخلو بك مَلَكُ الموتِ أحبُّ إلىّ من أن يخلو بك الحجاج . فأخبره الوليدُ بذلك وهو يمازحه . فقال : يا أمير المؤمنين ، دَع عنك مُفاكهة النساء بزُخرف القول ، فإنما المرأة رَيحانة ، وليست بقَهْرمانة[٤] ، فلا تُطْلعها على سرّك ، ومُكايدة عدوّك . فلما دخل الوليدُ عليها أخبرها بمَقالة الحجاج . فقالت : يا أمير المؤمنين ، حاجتى أن تأمره غداً يأتينى مُستلئما ، ففعل ذلك . وأتى الحجاج فَحجبته ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت له : إيه يا حجاج ، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقَتلك عبد الله بن الزُّبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك من شِرار[٥] خَلقه ما ابْتلاك برَمْى الكعبة[٦] ،

(١) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « فشر مملٍ عليك على » .
(٢) أى إنها من الله يؤتيها من يشاء .
(٣) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « بنت عبد الملك بن مروان » .
(٣) القهرمان : المسيطر الحفيظ على من تحت يديه .
(٤) فى ن : « شر » .
(٥) فى ع : « الكعبة الحرام » . وفى ن : « الكعبة البيت الحرام » .

وقَتْل ابن ذاتِ النِّطاقين ، وأوّل مولود وُلد في الإسلام . وأما نَهْيك أمير المؤمنين عن مُفاكهة النساء وبُلوغ أوطاره منهن ، فإنْ كُنّ يَنْفرجن عن مِثلك ، فما أحقّه بالأخذ عنك ، وإن كن يَنْفرجن عن مِثْله فغيرُ قابل لقولك . أما والله لقد نَفَض نساء أمير المؤمنين الطيِّبَ عن غدائرهن فبِعْنَه في أعطية أهل الشام حين كنتَ في أضيق من القَرَن قد أظلّتك رماحُهم ، وأثخنك كِفاحهم ، وحين كان أميرُ المؤمنين أحبَّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ، فما نجّاك الله من عدو أمير المؤمنين إلا بحبّهم إياه . ولله دَرّ القائل إذ نظر إليك ، وسنانُ غَزالة[1] بين كَتفيك :

أسَدٌ عليّ وفي الحُروب نعامةٌ ... رَبداء تجفِل[2] من صَفير الصَّافرِ
هلاّ برزتَ إلى غزالةَ في الوَغى ... بل كان قَلبُك في جَناحَي طائر[3]
صَدعت غزالةُ جمعَه بعساكرٍ[4] ... تركتْ كتائبَه[5] كأمس الدّابر

ثم قالت : اخرُج . فخرج مَذْموماً مدحوراً .

عبد الملك والحجاج وعروة ابن الزبير

كان عُروة بن الزبير ، عاملاً على اليمن لعبد الملك بن مروان ، فاتّصل به أن الحجاجَ مُجمع على مُطالبته بالأموال التي بيده وعَزْله عن عمله ، ففرّ إلى عبد الملك وعاذ به تخوُّفاً من الحجاج ، واستدفاعاً لضرَره وشرّه . فلما بلغ ذلك الحجاجَ كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد . فإنّ لواذ[6] المُعترضين بك ، وحُلولَ الجانحين إلى المُكث بساحتك ، واُستلانَتهم دَمِث أخلاقك ، وسَعة

(١) هي غزالة الحرورية . وقد ذكر أبو الفرج (ج ١٦ ص ١٥٥ طبعة بلاق) أن غزالة الحرورية لما دخلت على الحجاج هي وشبيب الكوفة تحصن منها وأغلق عليه قصره . فكتب إليه عمران بن حطان وقد كان الحجاج لج في طلبه . ثم أورد هذه الأبيات الثلاثة .
(٢) في ع : « تنفر » .
(٣) في الأغاني والكامل (ص ٤٥٠) : « جناحي طائر » .
(٤) في الأغاني : « قلبه بفوارس » .
(٥) في الأغاني : « مدابره » .
(٦) في بعض الأصول : « لوذان » .

عَفْوك ، كالعارض المُبرق لا يَعدَم له شائماً ، رجاء أن ينـاله مطره(١) . وإذا أُدنى الناس بالصّفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل وال(٢) . والناسُ عبيد العصا، هم على الشدّة أشد استباقاً منهم على اللّين . ولنا قِبَل عُروة بن الزُّبير مالٌ من مال الله ، وفى استخراجه منه قَطْعٌ لطمع غيره ، فَليبعث به أميرُ المؤمنين ، إن رأى ذلك . والسلام .

فلما قرأ الكتابَ بعثَ إلى عُروة ، ثم قال له : إنّ كتاب الحَجّاج قد وَرد فيك ، وقد أَبى إلا إشخاصَك إليه . ثم قال لرسول الحجّاج : شأنَك به . فالتفت إليه عروةُ مقبلاً عليه ، وقال : أما والله ما ذلّ وخَزِى مَن مات ، ولكن ذَلّ وخَزِى مَن مَلّكتموه ، والله لئن كان المُلك بجَواز الأمر ، ونَفاذ النّهى ، إنّ الحجاج لسُلطانٌ عليك يُنفّذ أُموره دون أُمورك ، إنك لتُريد الأمرَ يَزينك عاجلُه ، ويَبقى لك أُكرومةً آجلُه ، فَيجذِبُك عنه ويَلقاه دونك(٣) ، ليتولّى من ذلك الحُكم فيه ، فيحظَى بشرف عَفوٍ إن كان ، أو بجُرم عقوبة إن كانت . وما حاربَك مَن حاربَك إلا على أمرٍ هذا بعضُه .

قال : فنظر فى كتاب الحجاج مرّة ، ورَفع بصرَه إلى عُروة تارة ، ثم دعا بدواةٍ وقرطاس فكتب إليه :

أما بعد . فإن أميرَ المؤمنين ، رآك مع ثِقته بنَصيحتك خابطاً فى السياسة خَبْط عَشْواء الليل . فإن رأيك الذى يُسَوِّل لك أنّ الناس عبيدُ العصا هو الذى أخرج رجالاتِ العرب إلى الوُثوب عليك ، وإذ أَحرجت(٤) العامة بعُنف السياسة كانوا أوشكَ وثوباً عليك عند الفُرصة ، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الدّاعى ولا هُداه ، إذا رَجَوْا بذلك إدراك الثأر منك . وقد وَلِىَ العراقَ قبلك ساسةٌ ، وهم يومئذ أحمى أُنوفاً وأقربُ من عَمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلحَ منك عليهم ،

(١) فى بعض الأصول : « المبرق لأعدائه ... رجاء استنالة عفوك » .
(٢) فى الأصول : « ضال » .
(٣) فى ع : « ويلفتك دونه » .
(٤) فى ع : « احترشت » .

وللشدّة واللين أهلون ، والإفراطُ في العفو أفضلُ من الإفراط في العقوبة . والسلام .

بين ابن شهاب والحجاج في ضعف بصره

زكريا بن عيسى عن ابن شهاب قال : خرجنا مع الحجّاج حُجاجاً ، فلما انتهينا ٢١/٣ إلى البيداء وافيناً ليلةَ الهلال، هلالِ ذى الحجة ، فقال لنا الحجاج : تَبصّروا[1] الهلال ، فأما أنا فنى بَصرى عاهة[2] . فقال له نَوفلُ بن مُساحق : أوَتدرى لم ذلك أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أدرى . قال : لكثرة نَظرك فى الدفاتر .

شعر لأعرابى أطلق بعد الحجاج

الأصمعى قال: عُرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثةً وثلاثين ألفاً لم يجب على واحد منهم قَتل ولا صَلْب ، ووُجد فيهم أعرابىٌّ أُخذ يَبول فى أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أُطلق . فأنشأ الأعرابىّ يقول :

إذا نحن جاوزنا مدينةَ واسطٍ خَرِينا وبُلْنا لا نَخاف عِقاباً

عدد من قتل الحجاج

أبو داود المُصحفىّ ، عن النَّضر بن شُميل ، قال : سمعتُ هشاماً يقول : احصُوا مَن قتل الحجّاجُ صَبْراً . فوجدوهم مائةَ ألف وعشرين ألفاً .

خطبة للحجاج فى أهل العراق

وخطب الحجاجُ أهلَ العراق ، فقال : يأهل العراق . بلغنى أنكم تَرْوُون عن نبيِّكم أنه قال : مَن ملك عشرة رقاب من المسلمين جيء به[3] يوم القيامة مغلولةً يداه إلى عُنقه ، حتى يفكّه العَدل أو يُوبقه الجَوْر . وأيم الله ، إنى لأحبُّ إلىَّ أن أُحشر مع أبى بكر وعمر مغلولاً من أن أُحشر معكم مُطلقاً .

وخطبة له وقد فرح أهل العراق بمرضه

ومرض الحجاجُ ففرح أهلُ العراق ، وقالوا : مات الحجاج ! مات الحجاج ! فلما أفاق صَعد المِنبر وخَطب الناس ، فقال : يأهل العراق ، يأهل الشقاق والنفاق ، مرضتُ فقلتم : مات الحجاج . أما والله إنى لأحبُّ إلىَّ أن أموت من ألاّ أموت ، وهل أرجو الخيرَ كلَّه إلا بعد الموت ، وما رأيتُ الله رَضى بالخُلود فى الدنيا[4] إلا لأبغض خَلقه إليه وأهونهم عليه : إبليس . ولقد رأيتُ العبدَ

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « تبصرون » .
(٢) كذا فى ن ، والذى فى ع : « عهدة » . والعهدة : الضعف ، وهى فى العقل خاصة . (انظر القاموس واللسان) .
(٣) فى ن : « حشر يوم » .
(٤) فى بعض الأصول : « فى الدنيا لأحد من خلقه » .

الصالح سأل ربّه ، فقال : (ربِّ هَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِن بَعْدِي) . ففعل ، ثم أضمَحل ذلك فكأنه لم يكن .

وخطبة له حين أراد الحج واستخلاف ولده

وأراد الحجاجُ أن يَحج . فاستخلف محمداً ولده على أهل العراق ، ثم خَطب فقال : يأهل العراق[١] ، إنى أردتُ الحجَّ وقد استخلفتُ عليكم محمداً ولدى ، وأوصيتُه[٢] فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم فى الأنصار ، فإنه أوصى فيهم أن يُقبل من مُحسنهم ، ويُتجاوز عن مُسيئهم . و إنى أوصيتُه[٣] ألا يقبل من مُحسنكم ، وألاّ يتجاوزَ عن مُسيئكم . ألاَ و إنكم قائلون بعدى مقالةً لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفى : لا أحسن اللهُ له الصحابةَ . وأنا أعجل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة . ثم نزل .

خطبة له فى وفاة ابنه وأخيه

فلما كان غداةَ الجمعة مات محمدُ بن الحجاج ، فلما كان بالعشيِّ أتاه بريدٌ من اليمن بوفاة محمد أخيه . ففرح أهلُ العراق ، وقالوا : انقطع ظهرُ الحجاج وهِيض جناحُه . فخرج فصعد المنبرَ ثم خطب الناس ، فقال : أيها الناس ، محمدان فى يوم واحد ! أمَا والله ما كنتُ أحب أنهما معى فى الحياة الدنيا لما أرجو[٤] من ثواب الله لهما فى الآخرة . وايم الله ، ليُوشكنّ الباقى منى ومنكم أن يَفنى ، والجديدُ أن يبلى ، والحيّ منى ومنكم أن يموت ، وأن تُدال الأرض منّا كما أُدلنا منها ، فتأكل من لُحومنا وتشرب من دمائنا ، كما مَشينا على ظهرها وأكَلْنا من ثِمارها وشَربنا من مائها ، ثم نكون كما قال الله تعالى : (ونُفِخ فى الصُّور فإذا هُم من الأجْدَاثِ إلى رَبِّهِم يَنْسِلون) . ثم تمثل بهذين البيتين :

عَزائى نبيُّ الله مِن كل مَيتٍ ... وحَسبى ثوابُ اللهِ من كل هالكِ

إذا ما لقيتُ الله عنِّىَ راضِياً ... فإنّ سُرورَ النَّفس فيما هُنالكِ

ثم نزل وأذن للناس فدخلوا عليه يُعزونه ، ودخل فيهم الفرزدقُ . فلما نظر

(١) زيد فى بعض الأصول بعد قوله « العراق » : « يأهل الشقاق والنفاق » .
(٢) فى ن : « وأمرته ... ما أمر » .
(٣) فى ن : « أمرته » .
(٤) فى ع : « على ما أرجو » .

٢٢/٣ إليه قال : يا فرزدق ، أما رثيتَ محمدا ومحمدا ؟ قال : نعم أيها الأمير وأنشد :

لئن جَزِع[١] الحجّاجُ ما من مُصيبةٍ ... تكون لمحزون أمضَّ[٢] وأوْجعَا

مِن المصطفى والمُنتقى من ثِقاته ... جناحاه لمـا فارقاه وودّعا[٣]

جناحا عَتيق فارقاه كلاهُما ... ولو نُزعا من غــــيره لتَضعضَعا

ولو أنَّ يومَيْ جُمعتيه تتــــابعا ... على شامخٍ صَعْبِ الذرى لتصدَّعا[٤]

سَميّا[٥] رسول الله سمّاهما به ... أبٌ[٦] لم يكن عند الحوادث أخضعا

قال : أحسنت . وأمر له بصلة . فخرج وهو يقول : والله لو كلَّفني الحجاجُ بيتاً سادسا[٧] لضَرب عنقي قبل أن آتيه به ، وذلك أنه دخل ولم يهيِّ شيئا .

قولهم فى الحجاج

لأبي العتبي وابن مهران فى الحجاج

الرِّياشيّ عن العُتبي عن أبيه ، قال : ما رأيتُ مثلَ الحجاج ، كان زِيُّه زِيّ شاطر[٨] ، وكلامُه كلامَ خارجيّ ، وصولتُه صولةَ جبَّار . فسألته عن زيّه فقال : كان يُرجِّل شعرَه ويَخْضِب أطرافه . كثيرُ بن هشام عن جعفر بن بُرْقان : قال : سألتُ ميمون بن مهران فقلت . كيف ترى فى الصلاة خلفَ رجل يَذكر أنه خارجيّ ؟ فقال : إنك لا تصلّى له إنما تصلّى لله ، قد كُنا نصلّى خلف الحجّاج وهو حَروريّ أزرقيّ . قال : فنظرت إليه، فقال : أتدرى ما الحروريُّ الأزرقى ؟ هو الذى إن خالفتَ رأيه سمّاك كافرا واستحلّ دمك . وكان الحجاج كذلك .

---

(١) فى الديوان : « صبر » .

(٢) فى الديوان : « أجل » .

(٣) رواية الديوان :

من المصطفى والمصطفى من ثقاته ... خليليه إذ بانا جميعا فودعا

(٤) رواية الديوان :

* على جبل أمسى حطاما مصرعا *

(٥) فى الديوان : « سمي » . وقبله فى الديوان :

على خير منعيين إلا خليفة ... وأولاه بالمجد الذى كان أرفعا

(٦) فى بعض الأصول : « إذا » .

(٧) فى ن : « خامسا » فقد جاءت الأبيات فيها تنقص البيت الرابع . والأبيات فى الديوان من قصيدة عدد أبياتها ٣٧ بيتا .

(٨) الشاطر : من أعيا أهله خبثا .

لعمر بن عبد العزيز في الحجاج

أبو أمية عن أبي مُسهر قال : حدَّثنا هشامُ بن يحيى عن أبيه قال : قال[1] عمرُ بن عبد العزيز : لو جاءت كل أُمة بمُنافقيها وجئنا بالحجاج لفَضَلْناهم .

بين الحسن البصري وحالف بأن الحجاج في النار

وحلف رجلٌ بطلاق امرأته إن الحجّاج في النار . فأتى امرأته ، فمنعته نفسَها . فسأل الحسنَ بن أبي الحسن البصري[2] . فقال : لا عليك يا بن أخي ، فإنه إن لم يكن الحجاج في النار ، فما يَضُرّك أن تكون مع امرأتك على زنى .

الحسن وموت الحجاج ولإبراهيم في لعنه

أبو أمية عن إسحاق بن هشام عن عثمان بن عبد الرحمن الجُمَحيّ عن عليّ بن زَيد ، قال : لما مات الحجاجُ أتيتُ الحسنَ فأخبرتُه . فخرّ ساجدا . عليّ بن عبد العزيز عن إسحاق[3] عن جرير بن مَنصور[4] ، قال : قلتُ لإبراهيم[5] : ما ترى في لَعْن الحجاج ؟ قال : ألم تسمع إلى قول الله تعالى : (أَلَا لَعْنَةُ اللهِ على الظّالمين) ، فأشهدُ أنّ الحجاجَ كان منهم .

لجابر والحسن وأنس وابن سيرين في الحجاج . ثم بين عبد الملك والحجاج وقد استوصفه نفسه

وكيعٌ عن سُفيان عن محمد بن المُنكدر عن جابر بن عبد الله ، قال : دخلتُ على الحجاج فما سلّمت عليه . وَكيع عن سُفيان قال : قال يزيد الرَّقاشيُّ عند الحسن : إني لأرجو للحجاج . قال الحسن : إني لأرجو أن يُخلف الله رجاءك . ميمون بن مِهران قال : كان أنس وابن سِيرين لا يَبيعان ولا يَشتريان بهذه الدراهم الحجّاجيّة . وقال عبدُ الملك بن مروان للحجّاج : ليس من أحد إلا وهو يَعرف عيبَ نفسه ، فصِف لي عُيوبَك . قال : أعفني يا أميرَ المؤمنين . قال : لا بدَّ أن تقول . قال : أنا لَجوج حَسود حَقود . قال : ما في إبليس شرٌّ من هذا .

لابن عمر والحسن في الحجاج . ثم حديث ما هان ومن قتلهم الحجاج صبرا

أبو بكر بن أبي شَيبة ، قال : قيل لعبد الله بن عُمر : هذا الحجّاج قد وَلِي الحرمَين . قال : إنْ كان خيرًا شَكرنا ، وإن كان شرًّا صَبرنا . ابنُ أبي شَيبة

---

(١) كذا في ن . والذي في سائر الأصول : « حدثنا » .
(٢) في عيون الأخبار (٢ : ٢٤٥) : « ابن سيرين » . وفيا مر من العقد : « ابن شبرمة » .
(٣) لعله : إسحاق بن إسماعيل الطالقاني . (انظر التهذيب) .
(٤) لعله : جرير بن عبد الحميد ، ولعل منصورا هو ابن المعتمر . (انظر التهذيب) .
(٥) هو إبراهيم النخعي ، وعنه يروى منصور . (انظر التهذيب) .

قال : قيل للحسن : ما تقول فى قِتال الحجاج ؟ قال : إنّ الحجاج عُقوبةٌ من الله فلا تَستقبلوا عُقوبة الله بالسَّيف . ابنُ فُضيل[(١)] قال : حدّثنا أبو نُعيم قال : أمر الحجاجُ بماهان أن يُصلب على بابه . فرأيتُه حين رُفعت خشبته يُسبِّح ويُهلّل ويكبِّر ويَعقد بيده ، حتى بلغ تسعاً وتسعين[(٢)] ، وطعنه رجلٌ على تلك الحال ، فلقد رأيتُها بعد شهر فى يده[(٣)] . قال : وكُنّا نرى عند خَشبته بالليل شَبيها بالسِّراج . أبو داود المُصحفىّ عن النَّضر بن شُميل ، قال : سمعتُ هشامًا يقول : احصُوا من قتل الحجاج صبرًا . فوجدوهم مائة وعشرين ألفاً[(٤)] . ٢٣/٣

من زعم أن الحجاج كان كافرا

الشعبي ومجاهد فى تكفيره

ميمون بن مِهران عن الأجلح ، قال : قلتُ للشعبىّ : يزعم الناسُ أنّ الحجاجَ مُؤمن . قال : مؤمن بالجِبْت والطاغوت كافرٌ بالله . علىّ بن عبد العزيز عن إسحاق بن يحيى عن الأعمش ، قال : اختلفوا فى الحجّاج فقالوا : بمن تَرْضون ؟ قالوا : بمجاهد . فأتوه ، فقالوا : إنّا قد اختلفنا فى الحجّاج . فقال : أجئتم تسألونى عن الشيخ الكافر ؟

القاسم وأبي البخترى فى معنى ما سبق

محمد بن كَثير عن الأوزاعىّ ، قال : سمعتُ القاسم بن محمد[(٥)] يقول : كان الحجاج بن يوسف يَنْقض عُرى الإسلام عروةً عروة . عطاء بن السائب ، قال : كنتُ جالساً مع أبى البَخْتَرىّ والحجاج يَخْطب ، فقال : فى خُطبته : إنَّ مَثَل

(١) كذا فى ع ، ن . ولعله : «محمد بن فضيل بن غزوان الضبى» . وقد مر ذكره . وانظر التهذيب ، والذى فى سائر الأصول : «ابن أبى فضيل» .
(٢) فى ع ، ن : «تسعا وعشرين» .
(٣) أى إنه رآه عاقداً يده بعد هذا الشهر .
(٤) مر هذا الخبر (ص ٤٦) من هذا الجزء .
(٥) المعروف بهذا الاسم : القاسم بن محمد بن أبى بكر ، وهذا توفى والأوزاعى ابن ثلاث وعشرين سنة . (انظر المعارف) . وقد وجدنا فى التهذيب أن الأوزاعى يروى عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، أى ابن القاسم المذكور هنا .

عثمان عند الله كمَثل عيسى بن مريم ، قال الله فيه : (إنِّى مُتوفِّيك ورَافعُك إلىَّ ومُطَهِّرك مِن الذى كَفروا وجاعِلُ الذين أتبعوك فوقَ الذين كَفروا إلى يوم القِيامة) . فقال أبو البَخْترىّ : كفر وربِّ الكعبة .

العلماء وتكفير الحجاج . ثم ما كان بين حوار وعبد الملك فى كتاب الحجاج إليه

ومما كفَّرت به العلماء الحجَّاج قولُه ، ورَأى الناسَ يطوفون بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنبره : إنما يطوفون بأعواد ورِمَّة . الشيبانىُّ عن الهيثم عن ابن عيَّاش[1] قال : كُنا عند عبد الملك بن مروان ، إذ أتاه كتابٌ من الحجاج يُعظِّم فيه أمرَ الخلافة ويزعم أن السموات والأرض ما قامتا إلا بها ، وأن الخليفة عند الله أفضلُ من الملائكة المُقرَّبين والأنبياء المُرسلين . وذلك أن الله خلق آدم بيده ، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنَّته ، ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفَته ، وجعل الملائكة رُسلا إليه . فأُعجِب عبدُ الملك بذلك ، وقال : لوددتُ أن عندى بعض الخوارج فأُخاصمَه بهذا الكتاب . فانصرف عبدُ الله بن يزيد إلى منزله ، فجلس مع ضِيفانه وحدَّثهم الحديث ، فقال له حُوار[2] بن زيد الضّبى ، وكان هارباً من الحجاج : توثَّق لى منه ، ثم أعلمنى به . فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان . فقال : هو آمنٌ على كل ما يخاف . فانصرف عبد الله إلى حُوار فأخبره بذلك . فقال : بالغداة إن شاء الله . فلما أصبح أغتسل ولبس ثوبين ثم تحنَّط وحَضر باب عبد الملك ، فدخل عبدُ الله فقال : هذا الرجل بالباب . فقال : أَدْخله يا غلام . فدخل رجلٌ عليه ثيابٌ بيضٌ يُوجد عليه ريح الحنوط ، فقال : السلام عليكم ، ثم جلس . فقال عبدُ الملك : إيت بكتاب أبى محمد يا غلام . فأتاه به . فقال : اقرأ ، فقرأ حتى أتى على آخره . فقال حُوار : أراه قد جعلك فى

(١) كذا فى ع ، ن . غير أن ابن عياش ، وهو عبد الله بن عياش المنتوف ، مات سنة ١٥٦ هـ . أى بعد وفاة عبد الملك بنحو من سبعين سنة ، فيبعد أن يكون الخبر لعبد الله ولعل الخبر لأبيه ، وهذا عاش مع عبد الملك ، ويكون فى الكلام نقص هو : « قال أبى » . (انظر المعارف والميزان والطبرى) .

(٢) فى ع : « جوار » . وفى الكامل : « جواب » .

موضع مَلَكا وفى موضع نبيًّا وفى موضع خليفة ، فإن كنت مَلَكا فمن أنزلك ؟ و إن كنت نبيًّا فمن بعثك(١) ؟ و إن كنت خليفة فمن أستخلفك ؟ أعن مَشورة من المسلمين(٢) أم ابتززتَ الناس أمورَهم بالسيف ؟ فقال عبد الملك : قد أمّنّاك ولا سبيلَ إليك ، والله لا تُجاورنى فى بلد أبداً . فارحل حيثُ شئت . قال : فإنى قد اخترتُ مصر ، فلم يزل بها حتى مات عبدُ الملك .

الربيع والحجاج

علىّ بن عبد العزيز عن إسحاق بن إسماعيل الطالَقانى(٣) ، قال : حدّثنا جريرُ عن مُغيرة عن الربيع(٤) قال : قال الحجّاج فى كلام له : ويحكم ! أخليفة أحدِكم فى أهله أكرمُ عليه أم رسوله إليهم ؟ قال : ففهمتُ ما أراد ، فقلت له : لله علىّ ألا أصلّى خلفك(٥) صلاة أبدا ، ولئن وجدتُ قومًا يقاتلونك لقاتلنّك(٦) معهم . فقاتل فى الجماجم حتى قُتل .

الحجاج وأربعة ود لو تقرب بدمهم

قيل للحجّاج : كيف وجدتَ منزلك بالعراق ؟ قال : خيرُ منزل لو أدركتُ بها أربعة(٧) فتقرّبتُ إلى الله بدمائهم . قيل : ومَن هم ؟ قال : مُقاتل بن مِسمع(٨) ، ولى سِجِستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال ، فلما قَدِم البصرة بَسط الناسُ له أرديتَهم ، فقال : لمثل هذا فَلْيعمل العاملون . وعُبيد الله بن ظَبيان ، قام فخطب خُطبة أوجز فيها(٩) ، فنادى الناسُ من أعراض المسجد : أكثر الله ٢٤/٣ فينا من أمثالك . قال : لقد سألتم الله شَططا . ومَعْبَد(١٠) بن زُرارة ، كان

(١) فى بعض الأصول : « أرسلك » .
(٢) فى ن : « الناس » .
(٣) فى الأصول : « الطائى » . تحريف . (انظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٩ من هذا الجزء) .
(٤) فى المروج : « الربيع بن خالد » . وعن الربيع بن خالد الضبي يروى مغيرة بن مقسم . (انظر التهذيب) .
(٥) فى ع ، ن : « معك » .
(٦) فى ع ، ن : « لأقاتلك » .
(٧) فى ع ، ن : « أربعا » .
(٨) فى بعض الأصول هنا : « مسلم » . وما أثبتنا من ع ، ن .
(٩) فى ن : « خطب الناس فلم يخطب خطبة أوجز فيها » .
(١٠) فى أكثر الأصول هنا : « سعيد » . وما أثبتنا من ع .

ذات يوم جالساً على الطريق فمرّت به امرأة، فقالت: يا عبد الله، أين الطريق إلى مكان كذا؟ فغضب، وقال: أمثلي يقال يا عبد الله! وأبو سماك الحنفي[١] أضلّ ناقته، فقال: لئن لم يردّها الله عليّ لا صلّيت أبدا. فلما وجدها، قال: علِم الله أنّ يميني كانت برّة[٢]. قال ناقل الحديث: ونسيَ الحجاجُ نفسه وهو خامس الأربعة، بل هو أفسقهم وأطغاهم وأعظمهم إلحادا وأكفرهم في كتابه إلى عبد الملك بن مروان: «إن خليفة الله في أرضه[٣] أكرمُ عليه من رسوله إليهم»، وكتابه إليه، وبلغه أنه عطس يوما فحمد الله وشمّته أصحابُه فردّ عليهم ودعا لهم، فكتب إليه: «بلغني ما كان من عُطاس أمير المؤمنين، ومن تشميت أصحابه له وردّه عليهم، فياليتني كنتُ معهم فأفوزَ فوزاً عظيما».

الحجاج وأسرى الجماجم

وكان عبدُ الملك بن مروان كتب إلى الحجاج في أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف، فمن أقرّ منهم بالكفر بخروجه علينا فخلّ سبيله، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عنقه. ففعل. فلما عرضهم أُتي بشيخ وشابّ، فقال للشاب: أمؤمن أنت أم كافر؟ قال: بل كافر. فقال الحجاج: لكنّ الشيخَ لا يرضى بالكفر. فقال له الشيخ: أعني نفسي تخادعني يا حجاج، والله لو كان شيء أعظمَ من الكفر لرضيتُ به. فضحك الحجاج وخلّى سبيلهما. ثم قُدِّم إليه رجلٌ، فقال له: على دِين من أنت؟ قال: على دِين إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. فقال: اضربوا عُنقه. ثم قُدم آخر، فقال له: على دِين من أنت؟ قال: على دين أبيك الشيخ يُوسف. فقال: أما والله لقد كان صوّاماً قوّاماً. خلّ عنه يا غلام. فلما خلّى عنه انصرفَ إليه، فقال له: يا حجاج، سألتَ صاحبي: على دين مَن أنت؟ فقال: على دين إبراهيم حنيفاً وما كان من

(١) في عيون الأخبار: «أبو سماك الأسدي». وفي اللسان مادة صرم: «أبو سمال الحنفي».

(٢) في ن: «صرى». والرواية في اللسان: «قد علم ربي أنها مني صرى». وصرى، أي عزيمة.

(٣) في ع، ن: «أمته».

المُشركين ، فأمرتَ به فقتُل(١) ؛ وسألتَنى : على دين مَن أنت ؟ فقلتُ : على دين أبيك الشيخ يوسف ، فقلتَ : أمَا والله لقد كان صوّاماً قوّاماً ، فأمرتَ بتخلية سبيلى . والله لو لم يكن لأبيكَ من السّيئات إلا أنّه وَلد مثلَك لكفاه . فأمر به فقتُل . ثم أُتى بعِمْران بن عِصام العَنزى(٢) ، فقال : عمران ؟ قال : نعم . قال : ألم أُوفدك على أمير المؤمنين ولا يُوفد مثلك ؟ قال : بلى . قال : ألم أزوّجك مارية بنت مِسمع سيدة قومها ولم تكن أهلاً لها ؟ قال : بلى . قال : فما حَملك على الخروج علينا ؟ قال : أخرجنى باذان . قال : فأين كنتَ من حُجة أهلك ؟ قال : أخرجنى باذان . فأمر رجلاً فكَشف(٣) العمامة عن رأسه ، فإذا هو محلوق . قال : ومحلوق أيضاً ! لا أقالنى الله إن لم أقتُلك . فأمر به فضُرب عنقه . قال : فسأل عبدُ الملك بعد ذلك عن عمران بن عصام فقيل له : قتله الحجّاج . فقال : ولم ؟ قال : بخروجه مع ابن الأشعث . قال : ما كان ينبغى له أن يقتله بعد قوله :

وبَعثتَ من ولد(٤) الأغرّ مُعتّبٍ صَقْراً يلوذ حمامُه بالعَوْسجِ(٥)
فإذا طبختَ بناره أنضجتَها وإذا طبختَ بغيرها(٦) لم تُنضجِ
وهو الهِزبر إذا أراد فريسةً لم يُنجها منه صريخُ الهَجْهجِ(٧)

ثم أُتى بعامر الشّعبىّ ومُطرّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وسَعيد بن جُبير . وكان الشّعبىُّ ومُطرِّف يَريان التّورية(٨) ، وكان سعيدُ بن جُبير لا يرى ذلك ،

---

(١) فى ن : « فضربت عنقه » . والعنق يذكر ويؤنث .
(٢) فى الأصول : « الفنوى » . والصواب من الطبرى .
(٣) فى ن : « فكشط » .
(٤) فى ع : « آل » .
(٥) كذا فى أكثر الأصول والأغانى (١٦ : ٦٠) طبعة بلاق . والعوسج : شجر من شجر الشوك تجدى له جناة حمراء . وفى ن : « الرفيج » والرفيج (بالفتح والكسر) : ضرب من النبات سهلى سريع الانقاد .
(٦) فى أكثر الأصول : « بغيره » . وما أثبتنا من ن والأغانى .
(٧) الهجهج : صياح الرجل بالأسد .
(٨) فى ن : « التقية » . والتقية : الحذر .

فلما قُدِّم له الشعبيّ . قال : أ كافرٌ أنت أم مُؤمن ؟ قال : أصلح الله الأمير ، نَبا بنا المنزل ، وأجْدب بنا الجَناب ، واستحلَسَنا الخوفُ(١) ، واكتَحلنا السهر ، وخَبَطتْنا فتنة لم نكن فيها بَرَرَةً أتقياء ، ولا فَجَرَة أقوياء . قال الحجاج : ٢٥/٣ صَدَق والله ، ما برُّوا بخُروجهم علينا ولا قَوُوا ، خَلِّيا عنه . ثم قُدِّم إليه مُطَرِّف ابن عبد الله ، فقال له : أ كافرٌ أنت أم مؤمن ؟ قال : أصلح الله الأمير ، إنّ مَن شقّ العصا ، ونَكَث البيعة ، وفارق الجماعة ، وأخاف المُسلمين ، لجديرٌ بالكُفر . فقال : صدق ، خلِّيا عنه . ثم أُتى بسَعيد بن جُبير ، فقال له : أنت سَعيد بن جُبير ؟ قال : نعم . قال: لا ، بل شقيُّ بن كُسَير . قال : أمى كانت أعلم باسمى منك . قال: شقيتَ وشقيتْ أُمك . قال : الشقاء لأهل النار . قال: أ كافرٌ أنت أم مؤمن ؟ قال : ما كفرت بالله منذ آمنتُ به . قال : اضربوا عنقه .

موت الحجاج

حزن الوليد لموت الحجاج وقوله فى يزيد وقد ولاه مكانه

مات الحجَّاجُ بن يوسف فى آخر أيام الوليد بن عبد الملك ، فتفجَّع عليه الوليدُ وولَّى مكانَه يزيدَ بن أبى مُسلم كاتب الحجَّاج ، فكَفَى(٢) وجاوز . فقال الوليد : مات الحجَّاج ووليتُ مكانَه يزيد بن أبى مُسلم ، فكنت كمن سَقط منه درهمٌ وأصاب ديناراً . وكان الوليدُ يقول : كان(٣) عبد الملك يقول : الحجاج جِلْدة ما بين عينىّ وأنفى . وأنا أقول : إنه جلدةُ وَجهى كُلِّه .

لعمر بن عبد العزيز حين بلغه موت الحجاج

قال : ولما بلغ عمرَ بن عبد العزيز موتُ الحجاج خرّ ساجداً . وكان يدعو الله أن يكون موتُه على فراشه ليكونَ أشدَّ لعذابه فى الآخرة .

ليزيد فى الحجاج على قبره

أبو بكر بن عيّاش قال : سُمع صياحُ الحجاج فى قبره ، فأتوا إلى يزيدَ بن أبى مُسلم فأخبروه ، فركب فى أهل الشام فوقف على قبره فتسمّع ، فقال :

(١) يقال : استحلس فلانا الخوف ، إذ لم يفارقه .
(٢) فى بعض الأصول : « فاكتفى » .
(٣) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « الوليد بن عبد الملك » مكان « الوليد يقول » .

يرحمك الله يا أبا محمد ، فما تَدع القراءةَ حتى مَيِّتاً .

بين يزيد ورجل رأى الحجاج فى منامه . ثم للفرزدق فى رثاء الحجاج

الرياشيّ عن الأصمعيّ ، قال : أقبل رجلٌ إلى يزيدَ بن أبى مسلم ، فقال له : إنّى كنتُ أرى الحجاج فى المنام فكنت أقول له : أخبرنى ما فعل الله بك ؟ قال : قتلنى بكل قتيل قتلتُه قتلةً ، وأنا مُنتظر ما ينتظره المُوحِّدون . ثم قال : رأيتُه بعد الحول فقلت له : ما صَنع الله بك ؟ فقال : يا عاضّ بَظر أمه ، أما سألتنى عن هذا عامَ أول فأخبرتك ؟ فقال يزيدُ بن أبى مسلم : أشهدُ أنك رأيت أبا محمد حقًّا . وقال الفرزدق يرثى الحجاجَ ليُرضى بذلك الوليدَ بن عبد الملك :

لِيَبْكِ على الحجّاج[(١)] مَن كان باكياً ... على الدِّين مِن مُستوحِش الليل خائفِ[(٢)]
وأرمَلةٌ لما أتاها نَعيُّه ... فجادت له بالواكفات الذَّوارفِ[(٣)]
وقالت لِعبْدَيها أنيخا فعجِّلا[(٤)] ... فقد مات راعى ذَوْدنا بالتَّنائف[(٥)]
فليت الأكُفّ الدافنات ابنَ يوسف ... يُقَطَّعن إذ يَحْثين[(٦)] فوق السَّقائف
فما ذَرفت عينان[(٧)] بعد محمدٍ ... على مِثله إلا نُفوسَ الخلائف

قال ابن عَيّاش[(٨)] : فلقيتُ الفرزدق فى الكوفة ، فقلت له : أخبرنى عن قولك : « فليتَ الأكفّ الدافنات ابن يوسف * يقطّعن » ما معناك فى ذلك ؟ فقال : وددتُ والله أنّ أرْجُلهم تُقطع مع أيديهم[(٩)] .

للفرزدق فى مدح ابن المهلب وجوابه لابن عياش

قال ابنُ عَيّاش[(٨)] : فلما هلك الوليدُ واستُخلف سليمانُ استعملَ يزيدَ بن

(١) كذا فى الديوان . والذى فى الأصول : « الإسلام » .
(٢) رواية الديوان : « على الدين أو شار على الثغر واقف » .
(٣) رواية هذا البيت فى الديوان :
ومهلة لما أتاها نعيه ... أراحت عليها مهملات التنائف
(٤) فى الديوان : « أريحا فعقلا » .
(٥) فى الديوان : « بالطرائف » أى أطراف الأرض .
(٦) فى الأصول : « يحثن » . تصحيف .
(٧) فى الأصول : « عيناى » . وما أثبتنا من الديوان .
(٨) كذا فى ع ، ن والأغانى (١٩ : ٥٠) . والذى فى سائر الأصول : « ابن عباس » وانظر الحاشية رقم ١ ص ٥١ من هذا الجزء .
(٩) ذكر أبو الفرج هذا الخبر وذكر للفرزدق جوابا غير هذا .

المُهلَّب على العراق وأمره بقتل آل أبي[1] عَقيل، فقتلهم. فأنشأ الفرزدق يقول:

لئن نَفَّر الحجاجَ آلُ مُعتِّبٍ[2] ... لَقُوا دَوْلةً كان العدوُّ يُدالُها[3]
لقدْ أصبح الأحياءُ منهم أذلّةً ... وموتاهُمُ في النار كُلْحًا[4] سِبالُها[5]
وكانوا يرون الدائراتِ بغيْرهم ... فصارَ عليهم بالعَداة انتقالُها[6]
وكُنّا إذا قُلنا[7] اتقِ اللهَ شمَّرت ... به عِزّةٌ لا يُستطاع جِدالُها
ألِكْني إلى مَن كان بالصِّين أورمتْ ... به الهندَ ألواحٌ عليها جِلالُها[8]
هَلُمَّ إلى الإسلام والعدلِ عندنا ... فقد مات عن أرض العراق خَبالُها[9]
٣٦/٣ ألا تَشكُرون اللهَ إذ فَكَّ عنكمُ ... أداهمَ بالمَهْدِيِّ صُمًّا قِفالُها
وشِيمتْ[10] به عنكم سُيوفٌ عليكمُ ... صباحَ مَساء بالعذاب[11] استلالُها
وإذ أنتمُ مَن لم يَقُل أنا كافرٌ[12] ... تردَّى نهاراً عَثْرةً لا يُقالُها

قال ابن عيّاش: فقلت للفرزدق: ما أدرى بأىّ قَوليك نأخذ، أبمَدحك فى الحجاج حياتَه، أم هَجْوِك له بعد موته؟ قال: إنما نكون مع أحدهم ما كان الله معه، فإذا تخلّى عنه تخلّينا عنه.

لعمر بن عبد العزيز فى الحجاج فى حضرة الوليد

ولما مات الحجّاجُ دخل الناسُ على الوليد يعزُّونه ويُثْنون على الحجاج خيراً، وعنده عمرُ بن عبد العزيز، فالتفت إليه ليقول فيه ما يقول الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، وهل كان الحجاجُ إلا رجلًا منا؟ فرضيها منه.

(١) فى ن: «بنى أبى عقيل». (٢) نفروه، أى نصروه وأمدوه. وآل معتب: رهط الحجاج.
(٣) كذا فى ع والديوان والأغانى. وفى ن: «ينالها». والذى فى سائر الأصول: «يرى لها». (٤) فى الديوان: «وفى النار مثواهم كلوحاء».
(٥) السبال: ما على الشارب من الشعر.
(٦) فى الديوان: «بالعذاب انفتالها».
(٧) فى الديوان: «وكان إذا قيل».
(٨) يريد بالألواح: السفن. والجلال: الشرع، جمع شراع.
(٩) فى بعض الأصول: «من ... جبالها».
(١٠) شام السيف: غمده واستله. والمراد هنا الأول.
(١١) فى الديوان: «بالعراق». (١٢) فى الأصول: «هو». أثبتنا من الديوان.

أخبار البرامكة

لسهل بن هارون فى وصف البرامكة

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : حدّثنى سهلُ بن هارون ، قال : والله إن كانوا سَجّعوا الخُطب ، وقرضوا القريض لعيالٌ[1] على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى . ولو كان كلامٌ يُتصوَّر دُرًّا ، أو يُحيله المنطق السرىُّ جوهراً ، لـكان كلامَهما والمُنتقى من لَفظهما . ولقد كانا مع هذا عند كلام الرَّشيد فى بديهته وتوقيعاته فى كُتبه فَدْمين عَيِيَّين ، وجاهليين أُميين ، ولقد عمرتُ معهم ، وأدركتُ طبقــة المُتكلمين فى أيامهم ، وهم يَرون أنَّ البلاغة لم تُستَكمل إلا فيهم ، ولم تكُن مقصورةً إلا عليهم ، ولا انقادت إلا لهم ، وأنهم مَحض الأنام ، ولُبـاب الـكرام ، ومِلح الأيام ، عِتقَ مَنظر ، وجَوْدَة مَخبر ، وجَزالة مَنطق ، وسُهولة لفظ ، ونَزاهة نفس ، واكتِمال خِصال ؛ حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيّامهم ، والمأثور من خِصالهم ، كثيرَ أيام سواهم ، مِن لدن آدم أبيهم إلى النَّفخ فى الصُّور ، وانبعاث أهل القبور ، حاشى أنبياء الله المُكرَّمين ، وأهل وَحيه المُرسلين ، لما باهتْ إلا بهم ، ولا عَوّلت إلا عليهم . ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعْراقهم ، وسَعة آفاقهم ، ورَوْنق سِياقهم ، ومَعْسول مَذاقهم ، وبَهاء إشراقهم[2] ، ونَقاوة أعْراضهم ، وتَهذيب أغْراضهم ، واُكتِمال الخيرفيهم[3] ، فى جَنْب محاسن الرشيد[4] كالنُّقطة فى البحر ، والخَرْدلة فى المَهْمه القفر .

بين سهل ويحيى بالرقة فى منام رآه يحيى

قال سهل بن هارون : إنّى لأُحصّل أرزاقَ العامة بين يدى يَحيى بن خالد فى بناء خَلابه[5] داخلَ سُرادقه ، وهو مع الرَّشيد بالرَّقة ، وهو يَعقدها[6] جُملاً بكفه ،

(١) فى بعض الأصول : « مزجوا » . وفى ع ، ن والإمامة والسياسة : (ج ٢ ص ٢٠٣) : « إن كان مسجعو الخطب ومحبرو القريض لعيالا » .

(٢) فى الإمامة والسياسة : « وسنا إشراقهم » .

(٣) زيد فى الإمامة : « إلى ملء الأرض مثلهم » .

(٤) فى بعض الأصول والإمامة والسياسة : « المأمون » .

(٥) فى ع : « خلائه » . وفى الإمامة : « فى داخل » .

(٦) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول والإمامة : « يعقد بها » .

إذ غشيتْه سآمة ، وأخذته سِنة فغلبته عيناه ، فقـال : ويْحَك يا سهل ! طرق النومُ شَفْرىَّ ، وحَلّت السِّنة جَفْنِىَ[1] ، فما ذاك ؟ قلت : ضيفٌ كريم ، إنْ قرّبته رَوّحك ، وإن مَنعته عَنّتك ، وإن طردته طَلبك ، وإن أقصيته أدركك ، وإن غالبتَه غَلبك . قال : فنام أقلّ من فُواق بكية[2] ، أو نَزْع [من] رَكيّة[3] ، ثم أنتبه مذعوراً فقال : يا سهل ، لأمرٍ ما كان والله قد ذَهب مُلكنا ، ووَلّى عِزُّنا ، وأنقضت أيامُ دولتنا . قلت : وما ذاك أصلح الله الوزير ؟ قال : كأن مُنشداً أنشدنى :

كأن لم يَكُن بين الحجونِ إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامرُ[4]

فأجبتُه من غير رويّة ولا إجالة فِكْرة :

بلى نحنُ كُنّا أهلَها فأبادنا ... صروفُ اللّيالى والجدودُ العواثرُ[5]

قال : فوالله ما زلتُ أعرفها منه وأراها ظاهرةً فيـه إلى الثالث من يومه ذلك . فإنى لفى مَقعدى بين يديه أكتبُ توقيعاتٍ فى أسافل كُتبه لطلّاب الحاجات إليه ، قد كلّفنى إكمالَ معانيها وإقامة الوَزن فيها ، إذ وجدتُ رجلاً سعى
٢٧/٣ إليه حتى أرتمى مُكبًّا عليه ، فرفع رأسَه ، فقال : مهلا ، ويحك ! ما اكتتم[6] خير ولا استَتر شرّ . قال : قَتل أميرُ المؤمنين جعفراً الساعة . قال : أوَقد فَعل ؟ قال : نعم . قال : فما زاد على أن رَمى القلم من يده ، وقال : هكذا تقومُ الساعة بغتة .

---

(١) فى بعض الأصول : «وأكلت السنة خواطرى» . وفى الإمامة : «وأظلت ... الخ» .

(٢) الفواق (بالضم والفتح) : ما بين الحلبتين من الوقت : أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع . والبكيئة (بالهمز ثم سهلت وأدغمت الياء فى الياء) : القليلة اللبن .

(٣) الركية : البئر . وفى الإمامة والسياسة : «أو نزح ركية» .

(٤) الحجون : جبل بأعلى مكة عليه مدافن أهلها . (انظر معجم البلدان) .

(٥) الشعر لعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض . (انظر السيرة ج ١ ص ١٢٠ طبعة الحلبي) . وقد ساق أبو الفرج هذا الخبر (ج ١٣ ص ١١٤ طبعة بلاق) بين يحيي وإسحاق الموصلى .

(٦) فى ع ، ن : «ما كتم» .

لسهل بن هارون فى التفجع عليهم

قال سهل بن هارون : فلو انكفأت السماء على الأرض ما زاد[1]. فتبرأ منهم الحميم ، واستبعد عن نسبهم القريب ، وجَحد ولاءهم المولى . ولقد اعتبرت[2] لفقدهم الدُّنيا ، فلا لسان[3] يخطِر بذِكْرهم ، ولا طَرْفٌ ناظِر يُشير إليهم .

يحيى وضم بنيه إليه بعد مقتل جعفر

وضَم يحيى بن خالد وقته ذلك[4] الفضلَ ومحمداً وخالداً ، بنيه ؛ وعبد الملك ويحيى وخالداً ، أبناء جعفر بن يحيى ؛ والعاصى ومزيداً وخالداً ومعمراً ، بنى الفضل بن يحيى ؛ ويحيى وجعفراً وزيداً ، بنى محمد بن يحيى ؛ وإبراهيم ومالكا وجعفراً وعمر ومعمراً ، بنى خالد بن يحيى ؛ ومن لَفَّ لفّهم أو هَجس بصَدره أملٌ فيهم.

الرشيد وسهل بعد مقتل جعفر

وبعث إلىّ[5] الرشيدُ . فوالله لقد أُعجلتُ عن النظر ، فلبستُ ثياب أحزانى وأعظمُ رَغْبتى إلى الله الإراحة بالسيف وألاَّ يُعبثَ بى عبث[6] جعفر . فلما دخلتُ عليه ، ومثلت بين يديه ، عَرف الذُّعر فى تجرّض[7] ريقى وشُخوصى إلى السيف المَشهور ببَصرى . فقال : إيه يا سهل ، مَن غمط نعمتى ، وتعدّى[8] وصيَّتى ، وجانب مُوافقتى ، أعجلته عُقوبتى . قال : فوالله ما وجدتُ جوابَها حتى قال لى : لِيُفرِخ رَوْعُك ، ويَسكن جأشك ، وتَطبْ نفسك ، وتطمئنْ حواسك ، فإن الحاجة إليك قرّبت منك ، وأبقت عليك ، بما يَبْسط مُنقبضك ، ويُطلق مَعْقولك ، فما أُقتُصر[9] على الإشارة دون اللِّسان ، فإنه الحاكم الفاصل ، والحُسام الباتر[10] . وأشار إلى مَصرع جعفر ، فقال :

مَنْ لم يُؤَدِّبه الجميـــلُ ففى عُقوبته صَلاحُه

(١) كذا فى ن . وفى ع : « مازال » . والذى فى سائر الأصول والإمامة : « الأرض ما تبرأ » .

(٢) فى بعض الأصول والإمامة : « استعبرت » .

(٣) فى ع ، ن : « يخطى » .

(٤) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول والإمامة : « وبقية ولده » .

(٥) فى ع ، ن : « فى » .

(٦) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول والإمامة : « وإلا نعيت كما نعى جعفر » .

(٧) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « تحريض » .

(٨) فى أكثر الأصول : « واعتدى » . وما أثبتنا من ع ، ن .

(٩) فى بعض الأصول والإمامة : « فاقتصر على الإشارة قبل » .

(١٠) فى بعض الأصول والإمامة : « الناصل » .

قال سهل : فوالله ما أعلمنى أنّى عَيِيتُ بجواب أحد قط غير جواب الرشيد يومئذ ، فما عوّلت فى الشُّكر إلا على تَقبيل باطن [يديه و] رِجْليه . ثم قال : اذهب ، فقد أحللتُك محلَّ يحيى، ووهبتُك ماضَمنته أفنيته⁽¹⁾ وماحواه سُرادقه ، فاْقبض الدواوين ، وأحْصِ حِباءه وحِباء جعفر لتأمرك بقَبضه إن شاء الله . قال سهل : فكنتُ كمن نُشر عن كفن وأُخرج من حَبس . وأحصيتُ حِباءهما⁽²⁾ فوجدته عشرين ألفَ ألفِ دينار ، ثم قَفل راجعا إلى بغداد ، وفرّق البُرُد إلى الأمصار ، بقَبض أموالهم وغَلّاتهم . وأمر بجيفة جعفر وجُثته ، فَفُصلت على ثلاثة جُذوع ، رأسُه فى جِذع على رأس الجسر مُستقبِلَ الصَّراة⁽³⁾ ، و بعضُ جسده على جذع بالجزيرة ، وسائره فى جِذع على آخر الجسر الثانى مما يلى باب بغداد . فلما دنونا من بغداد ، طلع الجِسرُ الذى فيه وجهُ جعفر ، وأستقبلنا وجهُهُ وأستقبلته الشمس، فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه . فأنا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل الحاجب عن يَساره ، فلما نظر إليه الرشيد ، وكأنما قَنِيء شعره، وطُلى بنُورة بَشره، اربدّ وجهه وأغضى بصره . فقال عبد الملك بن الفضل : لقد عَظُم ذنبٌ لم يَسعه عفوُ أمير المؤمنين . وقال الرشيد : مَن يَرِد غيرَ مائه يَصْدر بمثل دائه ، ومن أراد فَهْم ذنبه يُوشك أن يقوم على مثل راحلته . علىّ بالنّضاحات⁽⁴⁾ ، فنَضح عليه حتى احترق عن آخره وهو يقول : لئن ذهب أثرُك ، لقد بقى خبرُك ، ولئن حُطّ قدرك ، لقد علا ذِكرُك .

قال سهل بن هارون : وأمر بضَمّ أموالهم ، فوُجد من العشرين ألفَ ألفِ التى كانت مبلغ حِبايتهم اثنا عشرَ ألفَ ألفٍ مكتوبٌ على بِدرها صُكوك مختومة بتفسيرها وفيما حَبوا بها ، فما كان منها حباء على غَريبة أو استطراف مُلحه تصدّق بها يحيى أثبت ذلك فى دِيوانها على تواريخ أيامها . فكان ديوانَ

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : «بنيته» . وفى الإمامة : «أبنيته» .

(٢) فى ن : « وحصلت ما حباها به » . (٣) الصراة : نهر بالعراق .

(٤) النضاحة : آلة تسوى من النحاس أو الصفر للنفط وزرقه .

إنفاق وأُكتساب فائدة. وقَبض من سائر أموالهم ثلاثين ألفَ ألفٍ وستّمائة ألف وستةً وسبعين ألفا[١]، إلى سائر ضياعهم وغَلّاتهم ودُورهم ورِياشهم، والدَّقيق والجليل من مواعينهم[٢]، فإنه لا يصف أقلّه، ولا يَعرف أيسره، إلا مَن أحصى الأعمال وعَرف مُنتهى الآجال. وأُبرزت حُرمه إلى دار البانوقة[٣] بنت المهديّ، فوالله ما علمتُه عاش ولا عِشْنَ إلا من صدقات مَن لم يزل مُتصدِّقا عليه، وما رأوا[٤] مثلَ موجدة الرشيد فيما يُعلم من ملك قبلَه على أحد مَلكه.

بين أم جعفر والرشيد

وكانت أمُّ جعفر بن يحيى، وهى فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قَحطبة، أرضعت الرشيدَ مع جعفر، لأنه كان رُبِّىَ فى حجرها وغُذِى بِرسْلها، لأنّ أمه ماتت عن مَهده. فكان الرشيدُ يُشاورها مُظهرًا لإكرامها والتبرك برأيها، وكان آلَى وهو فى كَفالتها ألّا يَحْجبها، ولا أستشفعَتْه لأحد إلا شَفَّعها، وآلت عليه أمّ جعفر ألّا دخلت عليه إلا مَأذونا لها، ولا شَفعت لأحد لغَرض دُنيا. قال سهل: فكم أسيرٍ فكَّت، ومُبْهم عنده فَتحت، ومُستغلق منه فرّجت. واحتجب الرشيدُ بعد قدومه. فطلبت الإذن عليه من دار البانوقة ومَتَّت بوسائلها إليه، فلم يَأْذن لها ولا أمر بشىء فيها. فلما طال ذلك بها خَرجت كاشفةً وجهها واضعةً لثامها مُحْتفيةً فى مَشيها، حتى صارت بباب قصر الرشيد. فدخل عبدُ الملك بن الفضل الحاجب، فقال: ظِئْرُ[٥] أمير المؤمنين بالباب فى حالة تَقلب شماتةَ الحاسد إلى شَفَقة أمّ الواحِد. فقال الرشيدُ: ويحك يا عبدَ الملك! أوَساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين حافية. قال: أدخلها يا عَبد الملك، فرُبَّ كَبد غَذتها، وكُربة فَرّجتها، وعَوْرة سترَتها. قال سهل: فما شككتُ يومئذ فى النَّجاة بطلبتها[٦]

---

(١) والإمامة: «وستين ألفا».
(٢) كذا فى ع، ن. والذى فى سائر الأصول والإمامة: «مواهبهم».
(٣) فى أكثر الأصول: «الباقونة». وما أثبتنا من ع والمعارف والطبرى والإمامة.
(٤) كذا فى ع، ن. والذى فى سائر الأصول والإمامة: «وصار من.. فيالا.. آخر ملكه».
(٥) الظئر: العاطفة على غير ولدها المرضعة له من الناس والإبل، الذكر والأنثى فى ذلك سواء. ومنه حديث سيف: القين ظئر إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وهو زوج مرضعته. (٦) فى بعض الأصول والإمامة: «بطلابها».

وإسعافها بحاجتها . فدخلت ، فلما نظر الرشيدُ إليها داخلةً مُحتفية قام مُحتفيا حتى تلقّاها بين عَمد المجلس ، وأكبَّ على تَقبيل رأسها ومواضع ثَدْييها ، ثم أجلسها معه . فقالت : يا أمير المؤمنين . أيعدو علينا الزمان ، ويجفونا خَوْفاً لك الأعوان[1] ، ويَحردك عنا[2] البهتان ؛ وقد ربّيتك فى حِجرى ، وأخذتُ برَضاعك الأمان من عدوى ودَهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قال سهل : فآيسنى من رأفته بتَركه كُنيتها آخرا ما كان أطمعنى من برّه بها أولا . قالت : ظِئْرك يحيى[3] وأبوك بعد أبيك ، ولا أصفه بأكثر مما عَرفه به أميرُ المؤمنين من نَصيحته ، وإشفاقه عليه ، وتعرضه للحَتف فى شأن مُوسى أخيه . قال لها : يا أم الرشيد ، أمرٌ سبق ، وقَضاء حُم ، وغَضب من الله نَفذ . قالت : يا أمير المؤمنين ، يَمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أم الكتاب . قال : صدقتِ ، فهذا مما لم يَمْحه الله . فقالت : الغيب محجوب عن النبيّين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ قال سهل ابن هارون : فأطرق الرشيد مليًّا ، ثم قال :

وإذا المَنيّة أنشبت أظفارَها ألفيتَ كلَّ تميمة لا تَنفعُ

فقالت بغير روّية : ما أنا ليحيى بتَميمة يا أميرَ المؤمنين ، وقد قال الأول :

وإذا افتقرتَ إلى الذّخائر لم تَجد ذُخرًا يكون كصالح الأعمالِ

هذا بعد قول الله عزّ وجلّ : (والكاظمين الغَيْظ والعافينَ عن النّاس والله يُحبُّ المُحسنين) . فأطرق هارون مليًّا ، ثم قال : يا أُم الرشيد ، أقول :

إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تَكَدْ إليه بوَجْهٍ آخرَ الدّهرِ تُقبِلُ

فقالت : يا أمير المؤمنين وأقول :

ستَقطع فى الدُّنيا إذا ما قَطعتَنى يَمينك ، فانْظر أىَّ كف تَبدّلُ ؟

(١) فى ن : « الإخوان » .

(٢) حرده يحرده ، كضربه يضربه : منعه . وفى بعض الأصول والإمامة : « يحردك بنا » :

(٣) أى زوج مرضعتك . وانظر الحاشية (رقم ٥ ص ٦٢) من هذا الجزء .

قال هارون : رضيتُ . قالت : فهَبْه لى يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : من ترك شيئاً لله لم يُوجده الله فَقْدَه . فأكبّ هارون مليًّا ، ثم رَفع رأسه يقول : لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ . قالت : يا أمير المؤمنين، (ويومئذ يَفرح المُؤمنون بنَصر الله يَنْصُر مَن يَشاء وهو العَزيزُ الرَّحيم). واذكُر يا أمير المؤمنين أَلِيَّتَك: ما أُستشفعتُ إلا شفَّعتَنى . قال : واذكرى يا أم الرشيد أَلِيَّتَك أن لا شَفعت لمُقترِفٍ ذنباً . قال سهل بن هارون : فلما رأته صَرَّح بمَنعها ولاذ عن مَطلبها أخرجت حُقًّا من زَبَرْجدة[1] خَضراء فوضعتْه بين يديه . فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففَتحت عنه قُفلا من ذهب فأخرجت منه قَميصه[2] وذوّابته وثَناياه، قد غَمست جميع ذلك فى المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك وأستعين بالله عليك وبما صار معى من كريم جَسدك وطَيِّب جوارحك ليحيى عبدِك . فأخذ هارون ذلك فلثَمه ، ثم أستعبرَ وبكى بُكاء شديداً وبكى أهْل المجلس . ومرّ البشيرُ إلى يحيى وهو لا يَظن إلاّ أنّ البكاء رحمةٌ له ورجوعٌ عنه ، فلما أفاق رَمى جميع ذلك فى الُحق . وقال لها : لحسناً[3] ما حفظتِ الوديعة . قالت : وأهلُ للمكافأة أنتَ يا أمير المؤمنين . فسكتَ وقَفل الحق ودَفعه إليها وقال : (إنّ الله يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات إلى أهلها) . قالت : والله يقول : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحْكُموا بالعَدْل) . ويقول : (وأوفُوا بعَهد الله إذا عاهدتُم) . قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : ما أقسمتَ لى به أن لا تَحجبنى ولا تَجبهنى[4] . قال : أُحب يا أُم الرشيد أن تشتريه[5] مُحكَّمة فيه . قالت : أنصفتَ يا أمير المؤمنين . وقد فعلتُ غيرَ مُستقيلة لك ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضاك عمّن لم يُسخطك . قال : يا أم الرشيد ، أمالِى عليك

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول والإمامة : « زمردة » .
(٢) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول والإمامة : « حفضه » .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « لحسن » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « ولا تمهننى » .
(٥) فى ع ، ن : « أن تشتريطيه محاكة » .

من الحق مثلُ الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين ، أنت أعزُّ علىَّ وهم أحبُّ إلىَّ . قال : فتحكّمى فى ثمنه بغيرهم ؟ قالت : بلى ، قد وَهبتُكه ، وجعلتُك فى حِلّ منه ، وقامت عنه . وبَقِى مبهوتاً ما يُحير لفظة . قال سهل : وخرجتْ فلم تَعُد ، ولا والله ما رأيتُ لها عَبرة ولا سمعتُ لها أنّة .

يحيى وطلبه إلى الأمين أن يستشفع بأمه لدى الرشيد

قال سهل : وكان الأمين محمدُ بن زُبيدة رضيعَ يحيى بن جعفر ، فتَّ إليه يحيى بنُ خالد بذلك ، فوعده أستيهاب أمه إيام[1] وتكلّمها[2] لهم ، ثم شَغله اللهوُ عنهم . فكتب إليه يحيى ، ويقال إنها لسليمان الأعمى أخى مُسلم بن الوليد ، وكان مُنقطعاً إلى البرامكة ، يقول :

يا مَلاذى وعِصْمتى وَعِمادِى وَمُجيرى من الخُطوب الشِّدادِ
بكَ قام الرجاء فى كلّ قلبٍ زادَ فيه البلاء كلَّ مَزاد
إنما أنت نِعمةٌ أعْقبَتْها نِعَمٌ نفعُها لكلِّ العِباد
وَعْدَ مولاك أتِمْنه[3] فأبهى الدّ رّ[4] مازين حُسْنُه بانعقاد
ما أظلّت سَحائبُ اليأس إلاّ كان فى كَشْفها عليك أعتمادى
إن تَراختْ يداك عنّى فُوَاقاً[5] أكَلَتنى الأيامُ أكلَ الجَراد

وبعث بها إلى الأمين محمد ، فبعث بها الأمينُ إلى أمه زُبيدة ، فأعطتها هارون وهو فى موضع لَذّته ، وعند إقبال أريحيّته[6] ، وتهيّأت للاستشفاع لهم ، وعبّأت[7] جواريها ومُغنياتها وأمرتهنّ بالقيام معها إذا قامت . فلما فرَغ الرشيدُ من قراءتها لم يَنقض[8] حَبوته حتى وقّع فى أسفلها : عِظَم ذَنبك أمات خواطرَ العفو عنك ، ورَمى بها إلى زُبيدة . فلما رأت توقيعَه علمت أنه لا يرجع عنه . ٣٠/٣

(١) فى بعض الأصول : « إياه » . (٢) فى ن : « وعملها » .
(٣) فى ع ، ن : « تمنه » . (٤) فى ن : « النور » .
(٥) كذا فى ع ، ن . والفواق (بالضم والفتح) : ما بين الحلبتين من الوقت . والذى فى سائر الأصول : « فراقا » .
(٦) فى ن : « من أريحيته » .
(٧) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « وهيأت » .
(٨) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « لم يفض » .

الرشيد وإسحاق ابن علي ومابيته البرامكة

وقال بعضُ الهاشميِّين : أخبرنى إسحاق بن علىّ بن عبد الله بن العباس ، قال : كنتُ أسايِر الرشيدَ يوماً والأمينُ عن يمينه والمأمون عن شماله ، فاستدنانى وقدّمهما أمامه ، فسايرتُه ، فجعل يُحدِّثنى ، ثم بدأ يُشاورنى فى أمر البرامكة ، وأخبرنى بمــا أضمر عليه لهم^(١) ، وأنهم أستوحشوه من أنفسهم ، وأننى عنده بالموضع الذى لا يَكْتمنى شيئاً من أمرهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا تَنْقلنى من السَّعة إلى الضيق . فقال الرشيد : إلا أن تقول، فإنى لا أتهمك فى نَصيحة ولا أخافُك على رأى ولا مَشورة . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، إنى أرى نفاسَتك عليهم بما صاروا إليه من النِّعمة والسَّعة ، ولك أن تأمر وتَنهى ، وهم عبيدٌ لك بانباتك إيام ، فهل يَصنعون ذلك كُلَّه إلا بك ؟ قال — وكنتُ أحطِب فى حبال البرامكة — فقال لى : فضياعُهم ليس لولدى مثلُها وتَطيب نفسى بذلك لهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ المَلك لا يَحسد ولا يَحقِــد ، ولا يُنعم نِعمةً ثم يُفسد نِعمته . قال : فرأيتُه قد كَرِه قَولى وزَوَى وجهه عنّى . قال إسحاق : فعلمتُ أنه سيُوقع بهم . ثم انصرفتُ فكتمت الخبرَ ، فلم يسمع به أحدٌ . وتجنّبت لقاء يحيى والبرامكة خوفاً أن يُظن أنّى أُفضى إليهم بسرّه ، حتى قتلهم ، وكان أشدّ ما كان إكراماً لهم . وكان قتلُهم بعد ستّ سنين من تاريخ ذلك اليوم .

يحيى ومنكة الهندى

وكان يحيى بن خالد بن برمك قد اعْتلّ قبل النازلة التى نزلت بهم ، فبعث إلى منكة^(٢) الهِندى . فقال له : ماذا ترى فى هذه العِلّة؟ فقال منكة : داء كبير ، دواؤه يسير ، والصبر^(٣) أيسر . وكان مُتفنِّناً . فقال له يحيى : ربما ثَقُل على السَّمع خَطْرة الحق به . وإذا كان ذلك كذلك كان الهجرُ له ألزمَ من المُفاوضة فيه . قال منكة : لـكننى أرى فى الطالع أثراً والأمرُ فيه قريب ، وأنت قَسيم فى

(١) فى ع ، ن : « بما هو عليهم » .
(٢) فى ن : « منقة » .
(٣) فى بعض الأصول: « والشكر » .

المَعرفة ، وربما كانت صورة النجم عقيمةً[١] لا نتاج لها ، ولـكنّ الأخذَ بالحزم أوفى[٢] لحظٍّ الطالبين. قال يحيى : الأمور مُنصرفة إلى العواقب ، وماحُتِم فلا بدّ أن يَقع ، والمَنعة بعُسالة[٣] الأيام نُهزة ؛ فاقْصد لما دعوتُك له من هذا الأمر المَوجود بالمِزاج . قال منكة : هي الصفراء مازجتْها مائيةُ البلغم[٤]، فحَدَث لذلك ما يَحدُث من اللهب عند مُماسّة[٥] رُطوبة الماء[٦] من الاشْتعال . فخُذ ماءالرُّمان فدُف[٧] فيه[٨] إهْليلَجة[٩] سوداء تُنهضك مجلساً أو مجلسين ، ويَسْكن ذلك التوقّد إن شاء الله .

فلما كان من أمرهم ما كان تلطّف منكَة حتى دخل الحبس فوجد يحيى قاعداً على لِبْد ، والفضلُ بين يديه يَخْدمه . فاسْتعبر منكة باكياً ، وقال : كنتُ ناديتُ لو أسرعتَ الإجابة . قال له يحيى : أتُراك كنتَ قد علمتَ من ذلك شيئاً جهلته ؟ قال : كلا ، ولـكن كان الرجاء للسلامة بالبَراءة من الذنب أغلبَ من الشّفق[١٠] ، وكانت مُزايلة القَدْر الخَطير عنّا أقلّ ما تنقَض به التُّهَمة[١١] ، فقد كانت نِقْمة أرجو أن يكون أوّلها صَبراً وآخرها أجراً[١٢] . قال : فما تقول في هذا الداء؟ قال منكة : ما أرى له دواء أنفعَ من الصبر ، ولو كان يُفدى بمِلْك أو بمُفارقة

(١) في ع : « عقيم » . (٢) في ع : « أوفر » .

(٣) في ع : « بمشابهة » .

(٤) كذا في ن . والذي في سائر الأصول : « مائية من البلغم » .

(٥) كذا في ع ، ن . والذي في سائر الأصول : « ممارسة » .

(٦) في أكثر الأصول : « المادة » . وما أثبتنا من ع .

(٧) داف يدوف : خلط يخلط . والذي في سائر الأصول : « فدق » بالقاف .

(٨) في أكثر الأصول : « عليه » . وما أثبتنا من ع ، ن .

(٩) الإهليلجة : واحدة الإهليلج ، بفتح اللام الثانية وكسرها ، وهو ثمر منه أصفر ، ومنه أسود ، وهو اليانع النضج .

(١٠) الشفق : الإشفاق . وفي بعض الأصول : « للشفقة » .

(١١) كذا في ع . أي إن التخلي عن هـذا المركز الرفيع كان من أهون أسباب دفع التهمة . والذي في سائر الأصول : « أقل ما تنهض به المهمة » .

(١٢) كذا في ع . والذي في سائر الأصول : « فقد كانت نعم أرجو أن يكون أولها شكراً ... الخ » .

عضو كان ذلك مما يَجب لك. قال يحيى: قد شكرتُ لك ما ذكرت فإن أمكنك تَعاهُدَنا فافْعل. قال منكة: لو أمكننى تخليفُ الرُّوح عندك ما بَخِلْتُ به، إذ كانت الأيام تَحْسُن بسلامتك.

كتاب من يحيى وهو فى الحبس

وكتب يحيى بن خالد فى الحبس إلى هارون الرشيد: لأمير المؤمنين، وخليفة المهديين، وإمام المُسلمين، وخليفة ربّ العالمين. من عبْد أسلمتْه ذنوبُه، وأَوْبقته عيوبه؛ وخَذله شقيقُه، ورَفضه صديقُه؛ ومال به الزمان، ونَزل به الحِدْثان؛ فعالج البُؤس بعد الدَّعة، وأُفترش السُّخط بعد الرضا، وأُكتحل بالسُّهاد بعد الهُجود؛ ساعتُه شهر، وليلتُه دهر؛ قد عاين الموتَ، وشارف ٣١/٣ الفَوْت؛ جزعاً لموجدتك يا أمير المؤمنين، وأسفاً على ما فات من قُربك لا على شىء من المَواهب؛ لأن الأهل والمالَ إنما كانا لك وبك، وكانا فى يدىَّ عاريةً، والعارية مردودة. وأما ما أُصبت به من ولدى فبذَنبه، ولا أَخشى عليك الخطأ فى أمره، ولا أن تكون تجاوزتَ به فوق حدِّه. تفكَّر فى أمرى، جعلنى الله فداك، ولْيَمل هواك بالعفو عن ذَنب إن كان فمن مِثْلى الزَّلل، ومن مثلك الإقالة، وإنما أعتذر إليك بإقرارى بما يجب به الإقرار حتى تَرضى، فإذا رضيتَ رجوتُ إن شاء الله أن يتبيَّن لك من أمرى وبراءة ساحتى ما لا يتعاظمك بعدَه ذنبٌ أن تَغْفره. مدَّ الله لى فى عمرك، وجعل يومى قبل يومك. وكتب إليه بهذه الأبيات:

قُلْ للخَليفة ذى الصَّنيـــعة والعَطايا الفاشيَهْ
وابنِ الخلائف من قُريْــش والمُلوك العاليـــه
إنّ البَرامكَة الّذيـــن رُموا لدَيْك بداهيه
صُفْر الوُجـــوه عليهمُ خِلع المَـــذلة باديه
فكأنهـــم ممّا بِهمْ أعجازُ نَخْل خاويه
عَمّتهم لك سَخطةٌ لم تُبق منهم باقيـــه

بعـــد الإمارة والوزا رة والأُمور الساميه
ومنـازلٍ كانت لهم فوق المَنـازل عاليه
أضحَوْا وجُـلّ مُنامُ منك الرِّضا والعافيــه
يا مَن يودُّ لى الرَّدى يَكْفيك منّىَ ما بيــه
يَكْفيك ما أبصرتَ من ذُلّى وذُلّ مَكانِيــــه
وبُكاء فاطمةَ الـكَئِيـــبة والمَدامع جاريه
ومَقالُهـا بتــــوجّعٍ يا سَــوْأتى وشَقائيه
مَن لى وقد غَضِب الزما نُ على جَميع رِجاليــه
يا لهفَ نفسى لَهْفَها ما لّلزمانِ وماليه ؟
يا عَطْفة المَلِك الرِّضا عُودى علينا ثانيــــه

فلم يكن له جوابٌ من الرشيد .

عهد يحيى إلى الرشيد وجواب الرشيد عليه

واعتلّ يحيى فى الحبس ، فلمـا أشْفى دعا برُقعة فـكتب فى عُنوانها : يُنفذ أميرُ المؤمنين عهد مولاه يحيى بن خالد . وفيها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدّم الخصمُ إلى مَوقف الفَصل ، وأنت على الأثر ، والله حَكم عَدْل ، وستقدم فتعلم . فلما ثَقُل قال للسجان : هذا عَهدى تُوصله إلى أمير المؤمنين ، فإنه ولىّ نعمتى ، وأحقُّ من نفّذ وصيّتى . فلمـا مات يحيى ، أوصل السجانُ عهدَه إلى الرشيد . قال سهل بن هارون : وأنا عند الرشيد إذ وصلتْ الرقعةُ إليه . فلما قرأها جعل يكتب فى أسفلها ولا أدرى لمن الرُّقعة ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ألا أَكْفيك ؟ قال : كلا ، إنى أخافُ عادةَ الرَّاحة أن تقوّى سلطان العجز[1] ، فيحكم بالغَفلة ، ويقضى بالبلادة ، ووقّع فيها : الحكم الذى رضيتَ به فى الآخرة لك هو أعدى الخُصوم عليك ، وهو مَن لا يُنقض حُـكمه ، ولا يُردّ قضاؤه . قال : ثم

---

(١) فى ع ، ن : « المعجزة » .

رَمى بالصكّ إلىّ ، فلما رأيتُه علمت أنه ليحيى ، وأنّ الرشيدَ أراد أن يُؤثر الجوابَ عنه . ٣٢/٣

لدعبل فى رثاء البرامكة

وقال دِعبل يَرثى بنى برمك :

ولما رأيتُ السيفَ جَلَّل جعفرًا … ونادَى مُنادٍ للخليفة فى يَحيى
بكيتُ على الدُّنيا وأيقنتُ أنما … قُصارى الفَتى يومًا مُفارقةُ الدنيا

لسليمان الأعمى فى رثاء البرامكة

وقال سليمان الأعمى يرثى بنى برمك :

هَدَا الخالُون عن شَجوِى وناموا … وعَيْنِىَ لا يُلائمها المنامُ[(١)]
وما سَهرى بأنّى مُستهامٌ … إذا سَهِر المُحِبُّ المُستهام
ولكنّ الحوادثَ أرّقتنى … فلى أرَقٌ إذا هَجع النِّيام
أُصبتُ بسادةٍ كانوا عُيونًا … بهم نُسقى إذا انقطع الغَمام
فقلتُ وفى الفؤاد ضِرامُ نارٍ … وللعَبرات من عَينى انسجام
على المَعروف والدُّنيا جميعًا … ودَوْلةِ آلِ بَرمكٍ السلام
جَزِعتُ عليك يا فَضلَ بنَ يحيى … ومَن يَجزعْ عليك فلا يُلام
هَوَت بك أنجُم المَعروف فينا … وعَزَّ بفَقدك القومُ اللئام
وما ظَلم الإله أخاك لكنْ … قضاءٌ كان سبّبه اجترام
عِقابُ خليفة الرّحمن فَخْرٌ … لمن بالسَّيف صَبّحه الحِمام
عَجِبتُ لما دها فضلَ بنَ يحيى … وما عَجَبى وقد غَضِب الإمام
جَرى فى اللّيل طائرُهم بنَحْسٍ … وصَبّح جعفرًا منه اصطلام
ولم أرَ قبل قَتلك يا بنَ يحيى … حُساما قَدّه السيفُ الحُسام
أُرِين[(٢)] الحادثاتُ له سِهامًا … فغالته الحوادثُ والسِّهام
لِيَهْن الحاسدين بأنّ يحيى … أسيرٌ لا يَضيم ويُستضام

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « منام » .
(٢) كذا فى الأصول . وهى لغة ضعيفة .

وأنّ الفضل بعد رداء عزّ　　غدا ورداؤه ذالٌ ولام[1]
فقُل للشامتين بهم[2] جميعًا　　لكم أمثالها عامٌ فعام[3]
أمينَ الله في الفَضل بن يحيى　　رَضيعك والرَّضيعُ له ذِمام
أبا العبّاس إنّ لكُلّ همّ　　وإنْ طال انقراضٌ وانصرام
أرى سَبب الرِّضا وله قَبول[4]　　على الله الزيادةُ والتّمام
وقد آليتُ فيه بصَوم شهر　　فإن تَمّ الرِّضا وَجب الصيام
وقد آليتُ مُعتزما[5] بنَذْرٍ　　ولى فيما نذرتُ به اعتزامُ
بأنْ لا ذُقتُ بعدكمُ مُدامًا　　ومَوتى أن يُفارقنى المُدام
أألهو بعدكم وأقرُّ عَينًا　　علىَّ اللّهوُ بعدكم حَرام
وكيف يَطيب لى عيشٌ وفَضلٌ　　أسيرٌ دونه البَلد الشآم
وجَعفرُ ثاويًا بالجسر أبلت　　محاسنَه السَّمائمُ والقَتام
أمرُّ به فيَغْلبنى بُكائى　　ولكنّ البُكاء له اكتتام
أقول وقُمت مُنتصبًا لديه[6]　　إلى أن كاد يَفضَحنى القِيام
أما والله لولا خوفُ واشٍ　　وعينٍ للخَليفة لا تنام
٣٣ / ٣ لثَمْنا رُكن جِذعك واستَلمنا　　كما للناس بالحجَر استلام

لبعض الشعراء فى إغراء الرشيد بالبرامكة

وقال بعض الشعراء يُغرى هارون ببنى برمك:

قل للخَليفة فى اكتفائه　　دُون الأنام بحُسن رائه
إمّا بدأتَ بجَعفرٍ　　فاُسق البَرامك مِن إنائه

(١) ذال ولام، أى ذل.
(٢) كذا فى ع، ن. والذى فى سائر الأصول: «به».
(٣) عام فعام، مرفوع على البدلية من «أمثالها».
(٤) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «والرضا له قبول».
(٥) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «معتذرا».
(٦) فى ن: «وأقول له وقمت فداه نصبا».

ما بَرْمَكِىٌّ بعـــــده   تَقِف الظُّنون على وَفاته
أنَّى وقَصْر الـــبرمكىِّ إلى أنتكاثٍ من شَقاته
فلقــــد رفعتَ لجعفرٍ   ذِكْرين قَلّا فى جَزائه
فأرفع ليَحيى مثـــلَه   ما العُود إلا مِن لِحائه
وأخضِب بصَـــدْر مُهنَّد   عُثنون يَحيى مِن دِمائه

إبراهيم بن المهدى وجعفر ابن يحيى وعبد الملك ابن صالح

إبراهيم بن المهدىّ قال : قال لى جعفرُ بن يحيى يوماً : إننى استأذنتُ أميرَ المؤمنين فى الحِجامة وأردتُ أن أخلو بنفسى وأفِرَّ من أشغال الناس وأتوحَّد ، فهل أنت مُساعدى ؟ قلتُ : جعلنى اللهُ فِداك ، أنا أسعد بمُساعدتك وآنسُ بمُخالاتك . فقال : بَكِّر إلىّ بُكور الغُراب . قال : فأتيتُ عند الفَجر الثانى ، فوجدتُ الشَّمعة بين يديه وهو قاعدٌ ينتظرنى للميعاد . قال : فصلّينا ثم أفضنا فى الحديث ، حتى أتى وقتُ الحِجامة ، فأُتى الحجّام ، فحجمنا فى ساعة واحدة . ثم قُدِّم إلينا الطعام ، فطَعِمنا . فلما غَسلنا أيدينا خُلع علينا ثياب[1] المنادمة وضُمِّخنا بالخَلوق ، وظَلِلنا بأسرِّ يوم مَرّ بنا . ثم إنه تذكَّر حاجةً فدعا الحاجب . فقال له : إذا جاء عبدُ الملك القَهْرمان فأْذن له ، فنَسى الحاجب ، وجاء عبدُ الملك ابن صالح الهاشمىّ على جَلالته وسنّه وقَدْره وأدبه ، فأذِن له الحاجب . فما راعنا إلاّ طَلعة عبدُ الملك بن صالح ، فتغيَّر لذلك وجهُ جعفر بن يحيى ، وتنغّص عليه ما كان فيه . فلما نَظر إليه عبدُ الملك على تلك الحالة دعا غلامَه ، فدَفع إليه سيفَه وسَواده وعِمامته ، ثم جاء فوَقف على باب المجلس ، فقال : اصنَعوا بنا ما صَنعتم بأنفسكم . قال : فجاء الغلامُ فطرَح عليه ثيابَ المُنادمة ، ودعا بطَعام فطَعِم ، ثم دعا بالشَّراب فشرب ثلاثا ، ثم قال : ليخفَّف عنّى فإنه شىء ما شربتُه قطُّ . فتهلَّل وجهُ جعفر فرحاً . وقد كان الرشيد حاور عبدَ الملك على المُنادمة فأبى ذلك وتنزه عنه[2] . ثم قال له جعفر بن يحيى : جَعلنى الله فِداك ، قد تفضَّلت وتطوّلت

(١) فى ع ، ن : « خلع » .
(٢) فى ن : « وكان الرشيد قد عتب على عبد الملك بن صالح ووجد عليه » .

وأسعدتَ ، فهل من حاجة تَبْلغها مقدرتى ، وتُحيط بها نِعْمتى فأقضيَها لك مُكافأةً لما صنعت ؟ قال : بلى ، إنَّ قلبَ أمير المؤمنين عاتبٌ علىَّ ، فتسأله الرِّضا عنّى . فقال : قد رَضى عنك أميرُ المؤمنين . ثم قال : وعلىَّ أربعةُ آلاف دينار . قال : هى حاضرة ، ولكن من مال أمير المؤمنين أحبُّ إلىَّ من مالى . قال : وأبنى إبراهيم أحبُّ أن أشُد ظهره بمُصاهرة أمير المؤمنين . قال : قد زَوَّجه أميرُ المؤمنين ابنَتَه عائشةَ الغالية . قال : وأحبُّ أن تَخْفق الألويةُ على رأسه بولاية . قال : قد ولاَّه أميرُ المؤمنين مِصر . قال : فانصرَف عبدُ الملك ونحن نَعجب من إقدام جعفر على الرَّشيد من غير استئذان . فلما كان الغدُ وقفنا على باب أمير المؤمنين ، ودَخل جعفر ، فلم يَلبث أن دعا بأبى يوسف القاضى ومحمد ابن الحسن وإبراهيم بن عبد الملك ، فعقد له النِّكاح وحُملت البِدَر إلى عبد الملك وكُتب سِجلّ إبراهيم على مِصر . وخرج جعفر فأشار إلينا ، فلما صار إلى منزله ونحن خلفَه ، نَزل ونزلنا بنُزوله . فالتفت إلينا ، فقال : تعلَّقت قلوبُكم
٣٤/٣ بأوّل أمر عبد الملك فأحببتم أن تعرفوا آخره ، وإنى لما دخلتُ على أمير المؤمنين ومَثلت بين يديه سألنى عن أمْسى ، فابتدأتُ أحدثه بالقِصّة من أولها إلى آخرها[1] ، فجعل يقول : أحسنَ والله ! [أحسن والله] ! ثم قال : فما أجبتَه ، فجعلت أخبره وهو يقول فى كل شىء : أحسنت[2] . وخرج إبراهيم والياً على مصر[3] .

(١) فى ع ، ن : « كما كانت » مكان « إلى آخرها » .
(٢) فى ع ، ن : « قال : فما صنعت؟ فأخبرته بما سأل وما أجبته فيه ، فجعل يقول فى كل ذلك أحسنت أحسنت » .
(٣) فى ن بعد هذا : « تم الجزء والحمد لله حمد الشاكرين أولا وآخرا ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وسلم تسليما » .

[من] أخبار الطالبيين[1]

من جفاوة السفاح بعبد الله بن الحسن

حدَّث عبدُ العزيز بن عبد الله البَصرىّ عن عثمان بن سَعيد بن سَعد المدَنىّ[2] قال : لما وَلى الخلافةَ أبو العبَّاس السفّاح قَدِم عليه بنو الحسن بن علىّ ابن أبى طالب ، فأعطاهم الأموال وقَطع لهم القَطائع ، ثم قال لعبد الله بن الحسن : احتكمْ علىّ ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، بألف ألف دِرْهم ، فإنى لم أرها قطُّ . فاستَقْرضها أبو العبَّاس من ابن مُقَرِّن[3] الصَّيرفىّ وأمر له بها — قال عبدُ العزيز : لم يكن يومئذ بيتُ مال — ثم إنّ أبا العبَّاس أُتى بجَوهر مَروان ، فجعل يُقلِّبه وعبدُ الله بن الحسن عنده . فَبكى عبدُ الله . فقال له : مايُبكيك يا أبامحمد ؟ قال : هذا عند بنات مَروان وما رأت بناتُ عمك مثلَه قطُّ . قال : فحَباه به . ثم أمر ابنَ مُقرِّن الصَّيرفىّ أن يَصل[4] إليه ويَبتاعه منه . فاشتراه منه بثمانين ألف دينار . ثم حَضر خروجُ بنى حسن فأرسل معهم رجلًا من ثِقاته ، وقال له : قُم بإنزالهم ولا تَأْلُ فى إلطافهم ، وكلما خلوتَ معهم فأَظْهر الميل إليهم والتحاملَ علينا وعلى ناحيتنا ، وأنهم أحقُّ بالأمر منّا ، وأَحْصِ لى ما يقولون وما يكون منهم فى مَسيرهم ومَقْدَمهم .

مما أوحش السفاح على عبدالله بن الحسن

ومما كان خَشَّن قلب أبى العبَّاس حتى أساء بهم الظنَّ ، أنه لما بَنى مدينةَ الأنبار دخلَها مع أبى جعفر أخيه وعبدِ الله بن الحسن ، وهو يسير بينهما ويُريهما بُنيانه وما أقام فيها من المَصانع والقُصور ؛ فظهرت من عبد الله بن الحسن فَلْتة ، فجعل يتمثَّل بهذه الأبيات :

ألم تر جَوْشناً[5] قد صار يَبْنى قُصوراً نَفْعُها لبنى نُفَيْلَهْ

(١) فى ن قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . عونك اللهم » .
(٢) فى ع . : « المرى » .
(٣) كذا فى ن والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « ابن أبى مقرن » .
(٤) فى ع : « يطلبه إليه » . والعبارة ساقطة فى ن . (٥) فيما سيأتى من هذا الكتاب فى الزبرجدة الثانية والأغانى (١٨ : ٢٠٦) طبعة بلاق : « حوشبا » .

يُؤمِّل أن يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوح وأمرُ الله يَحْدُثُ كلَّ لَيله

قال : فتغيَّر وجهُ أبي العبَّاس . فقال له أبو جعفر : أتراهما أبنيك أبا محمد والأمر إليهما صائر لا محالة ؟ قال : لا والله ما ذهبتُ هذا المَذهب ولا أردتُه ، ولا كانت إلا كلمة جرتْ على لساني لم أُلقِ لها بالاً . فأوحشتْ تلك الكلمةُ أبا العباس . فلما قَدِم المدينةَ عبدُ الله بن حسن أُجتمع إليه الفاطميُّون ، فجعل يُفرِّق فيهم الأموالَ التي بَعث بها أبو العبَّاس ، فعظُم بها سرورُهم . فقال لهم عبدُ الله بن الحسن : أفرحتم ؟ قالوا : وما لنا لا نَفرح بما كان محجوباً عنَّا بأيدى بنى مَروان حتى أتى الله بقَرابتنا وبنى عمِّنا ، فأصاروه إلينا . قال لهم : أفرَضيتم أن تنالوا هذا من تحت أيدى[1] قومٍ آخرين ؟ فخرَج الرجلُ الذى كان وكَّله أبو العباس بأخبارهم ، فأخبره بما سَمِع من قولهم وقوله ؛ فأخبر أبو العبَّاس أبا جعفر بذلك ، فزادت الأمور شرًّا .

أبو جعفر وعبد الله بن الحسن وغيبة ابنيه

ثم مات أبو العباس وقام أبو جعفر بالأمر بعده ، فبعث بعطاء أهل المدينة ، وكتب إلى عامله : أن أعطِ الناسَ فى أيديهم ولا تَبعث إلى أحدٍ بعطائه ، وتفقَّد بنى هاشم ومَن تخلَّف منهم ممَّن حضر ، وتحفَّظ بمحمد وإبراهيم ، ابنى عبد الله بن الحسن . ففعل وكتب : إنه لم يتخلف أحدٌ عن العطاء إلا محمد وإبراهيم ، ابنا عبد الله بن الحسن ، فإنهما لم يَحضُرَا . فكتب أبو جعفر إلى عبد الله بن الحسن ، وذلك مُبتدأ سنة تِسْع وثلاثين ومائة ، يسأله عنهما ويأمره بإظهارهما ويُخبره أنه غير عاذره[2] . فكتب إليه عبدُ الله : إنه لا يَدرى أين ٣٥/٣ هما ولا أين توَجَّها ، وإن غيبَتهما غيرُ معروفة . فلم يلبث أبو جعفر ، وكان قد أذكى العُيون ووَضع الأرصاد ، حتى جاءه كتابٌ من بعض ثِقاته يُخبره أنَّ رسولاً لعبد الله ومحمد وإبراهيم خرج بكتب إلى رجال بخُراسان يَستدعيهم إليهم[3] .

(١) فى ع ، ن : « هذا بأيدى » .

(٢) فى بعض الأصول : « غادره » .

(٣) فى ن : « بالاستدعاء لهم » . وفى بعض الأصول « يستدعيهم إليه » .

فأمر أبو جعفر برسولهم ، فأُتى به وبكُتبه ، فردّها إلى عبد الله بن الحسن بطَوابعها ، لم يَفتح منها كتاباً ، وردّ إليه رسولَه ، وكتب إليه : إنى أُتيت برسولك والكُتب التى معه ، فرددتُها إليك بطوابعها كراهيةَ أن أطلع منها على ما يُغيِّر لك قلبى ، فلا تَدْعُ إلى التقاطع بعد التواصل ، ولا إلى الفُرقة بعد الأجتماع ، وأظْهِر لى أبنيك فإنهما سيصيران بحيثُ تحب من الولاية والقرابة وتَعظيم الشرف . فكتب إليه عبدُ الله بن الحسن يعتذر إليه ويتنصّل فى كتابه ، ويُعلمه أن ذلك من عدوّ أراد تشتيت ما بينهم بعد التئامه . ثم جاءه كتابُ ثقة من ثقاته يذكر أنّ الرسول بعينه خَرج بالكُتب بأعيانها على طريق البصرة ، وأنه نازل على فلان المُهلَّبى ، فإن أراده أميرُ المؤمنين فَليضع عليه رَصَده . فوضع عليه أبو جعفر رَصده . فأُتى به إليه ومعه الكُتب ، فحَبس الرسولَ وأمضى الكُتبَ إلى خُراسان مع رسول من عنده من أهل ثِقاته . فقَدمتْ عليه الجواباتُ بما كره ، واستبان له الأمرُ . فكتب إلى عبد الله بن الحسن يقول :

أُريد حياتَه ويُريد قَتْلى عذيرَك مِن خليلك من مُرادِ[1]

أما بعد ، فقد قرأتُ كُتبك وكُتُب ابنْيك وأنفذتُها إلى خُراسان ، وجاءتنى جواباتُها بتَصديقها ، وقد استقرّ عندى أنك مُغَيِّبٌ لابنيك تعرف مكانَهما ، فأَظْهِرهما إلىّ ، فإنّ لك علىّ أن أُعظِم صِلتهما وجوائزهما وأَضعهما بحيث وضعتْهما قرابتُهما ، فتدارك الأُمورَ قبل تفاقُمها .

فكتب إليه عبدُ الله بن الحسن :

وكيف أُريد ذاك وأنت منِّى وزَنْدُك حين تُقْدح مِن زِنادِى
وكيف أُريد ذاك وأنت منِّى بمَنزلة النِّياط من الفُؤاد[2]

وكتب إليه : انه لا يدرى أين توجّها من بلاد الله ، ولا يَدرى أين

(١) البيت من أبيات لعمرو بن معديكرب . (انظر ١ : ١٤١ — ١٤٢) من هذه الطبعة .

(٢) انظر الأغانى (١٨ : ٢٠٦) ففى رواية الشعر خلاف .

صارا ، وإنَّه لا يعرف الـكُتُب ولا يشكُّ أنها مُفتعلة . فلما اخْتَلفت الأمور على أبى جعفر بعث سَلْم[1] بن قُتيبة الباهلىّ وبَعث معـه بمال ، وأمره بأمره ، وقال له : إنّى إنما أُدخلك بين جلدى وعظمى ، فلا توطئنّى عَشْواء[2] ولا تُخْف عنى أمراً تعلمه . فخرج سَلْم بن قُتيبة حتى قَدِم المدينةَ ، وكان عبدُ الله يُبسط له فى رُخام المِنبر فى الرَّوضة ، وكان مَجلسه فيه . فجَلس إليه وأظهر له المَحبَّة والمَيل إلى ناحيته ، ثم قال له حين أنس إليه : إنَّ نفراً من أهل خُراسان وهم فلان وفلان — وسمَّى له رجالاً يعرفهم ممن كان يُكاتب ممن أستقرَّ عند أبى جعفر أمرُهم — قد بَعثوا إليك معى مالاً ، وكتبوا إليك كتاباً . فقَبل الـكتاب والمال ، وكان المالُ عشرةَ آلاف دينار ، ثم أقام معه ما شاء الله حتى أزداد به أنساً وإليه أستنامة[3] ، ثم قال له : إنى قد بُعِثتُ بكتابين إلى أمير المؤمنين محمد وإلى ولىِّ عهـده إبراهيم ، وأُمرتُ أن لا أُوصل ذلك إلا فى أيديهما ، فإن أوصلتَنى إليهما وأدخلتَنى عليهما أوصلتُ إليهما الـكتابين والمال ، ورحلتُ إلى القوم بما يُثلج صدورَهم ، وتَقبله قلوبُهم ، فأنا عندهم بموضع الصدق والأمانة ، وإنْ [كان] أمرهما مظلماً ، ولم تكن تعرف مكانهما ، لم نخاطر بدينهم وأموالهم ومُهجهم[4] . فلما رأى عبدُ الله أنَّ الأمور تَفسد عليه من حيث يرجو صلاحها

٣٦/٣ إلا بإيصاله إليهما وإظهارهما له أوْصله ، فدفَع الـكتابين مع أربعين ألف درهم ؛ ثم قال:هذا محمد وهذا إبراهيم . فقال لهم: إنَّ مَن ورائى لم يَبعثونى ولهم ورائى[5] غاية ، وليس مثلى ينصَرف إلى قوم إلا بجُملة ما يحتاجون إليه ، ومحمد إنما صار إلى هذه الُخطة ووجبت له هذه الدَّعوة لقرابته من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وها هنا من هو أقربُ من رسول الله رَحماً وأوجبُ حقًّا منه . قال : ومن هو ؟

(١) فى الأصول : « سالم » . وانظر الحاشية (رقم ١ ص ١٢٩) من الجزء الثانى من هذه الطبعة . (٢) عشواء الليل وعشوته ، مثل ظلماء الليل وظلمته . يقال : أوطأتنى عشواء ، أى أمراً ملتبساً ، وذلك إذا أخبرته بما أوقعته به فى حيرة أو بلية .

(٣) فى أكثر الأصول : « واستئانا » . وما أثبتنا من ع ، ن .

(٤) فى ن : « ودمهم وأنفسهم » . (٥) فى ن : « بعدى » .

قال : أنت إلا أن يكون عندك أبنك محمد أمرٌ ليس عندك فى نفسك . قال : فكذلك الأمرُ عندى . قال له : فإنَّ القومَ يَقتدون بك فى جميع أمورهم ولا يُريدون أن يبذلوا دينَهم وأموالَهم وأنفسهم إلا بحُجة يرجون بها لمن قُتل منهم الشهادة ، فإن أنت خلعتَ أبا جعفر وبايعتَ محمداً أقتدَوْا بك ، وإنْ أبيْتَ أقتدَوا بك أيضاً فى تَركك ذلك ثقةً بك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومَوْضعك الذى وَضعك الله فيه . قال : فإنّى أفعل . فبايَعَ محمداً وخلع أباجعفر . وبايعه سَلْمٌ(1) من بعده، وأخذ كُتبَه وكتبَ إبراهيم ومحمد وخرج . فقدم على أبى جعفر وقد حضر الموسمُ ، فأخبره حقيقة الأمر ويقينه(2) .

فلما دخل(3) أبو جعفر المدينةَ أرسل إلى بنى الحسن فجَمعهم ، وقال لسَلْم : إذا رأيتَ عبدَ الله عندى فقُم على رأسى وأشِرْ إلىَّ بالسلاح ، ففعل . فلما رآه عبدُ الله سُقط فى يده وتغيَّر وجهه . فقال له أبو جعفر : ما لك أبا محمد ، أتعرفه ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فأَقِلْنى وصلَتْك رحم . فقال له أبو جعفر : هل علمتَ أنك تعرف موضع وَلَديك وأنه لا عُذر لك وقد باح السرُّ ، فأظهرهما لى ، ولك أن أصلَ رحمك ورحمَهما ، وأن أُعظم ولايتهما وأُعطىَ كلَّ واحد منهما ألف ألفِ درهم(4) . فتراجع عبدُ الله(5) حتى انكفأ(6) على ظهره ، وبنو حسن أثنا عشر رجلا ، فأمر بحَبسهم جميعاً . وخرج أبو جعفر فعسكر من ليلته على ثلاثة أميال من المدينة ، وعَبّأ على القتال ، ولم يَشُك أنَّ أهل المدينة سيُقاتلونه فى بنى حَسن ، فعبّأ ميمنة وميسرة وقَلْباً وتهيأ للحرب ، وأجلس فى مسجد

---

(١) فى الأصول : «سالم» تحريف . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٧٨) من هذا الجزء .
(٢) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « بينه » .
(٣) كذا فى ع و ن . والذى فى سائر الأصول : « حضر » .
(٤) فى ع ، ن : «مائة ألف ألف درهم» .
(٥) فى بعض الأصول : « فتراجع هو وعبد الله » .
(٦) فى أكثر الأصول : «جبذ» .

النبيّ صلى الله عليه وسلم عشرين مُعطياً يُعطون المطايا . فلم يتحرّكْ عليه منهم أحد ، ثم مَضى بهم إلى مكّة .

كتاب أبي جعفر إلى محمد بن عبد الله

فلما أنصرف أبو جعفر إلى العراق ، خرج محمدُ بن عبد الله بالمدينة ، فكتب إليه أبو جعفر : مِن عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله (إنما جَزاءُ الذينَ يحارِبُونَ اللهَ ورسولَه ويَسْعَوْن فى الأرضِ فساداً أنْ يُقتَّلوا أوْ يُصَلَّبُوا أو تُقطَّع أيديهم وأرْجُلهُم من خِلاف أو يُنْفَوا من الأرض ذلك لهم خِزْى فى الدُّنيا ولهم فى الآخرة عذابٌ عَظيم . إلاَّ الذين تَابُوا مِن قبْل أنْ تَقْدِروا عليهم فاعلَموا أنَّ الله غَفُورٌ رَحيم) . ولك علىّ عهدُ الله وميثاقه وذمّة الله وذمة نبيّه ، إن أنتما أتيتُما وتبتُما ورَجعتما من قبل أن أقدرَ عليكما وأن يقع بينى وبينكما سَفك الدماء ، أن أؤمنكما وجميعَ ولدكما ومَن شايعكما وتابَعكما على دِمائكم وأموالكم ، وأُوسعكم ما أصبتم من دم أو مال ، وأُعطيكما ألفَ ألفِ درهم لكلّ واحد منكما ، وما سألتما من الحوائج ، وأُبوئكما من البلاد حيث شئتُما ، وأطلِق من الحبس جميعَ ولد أبيكما ، ثم لا أتعقّب واحداً منكما بذَنب سَلف منه أبداً . فلا تُشمت بنا وبك عدوّنا[1] من قُريش ، فإن أحببْتَ أن تتوثّق من نفسك بما عرضتُ عليك ، فوَجِّه إلىَّ مَن أحببْتَ ليأخُذ لك من الأمان والعهود والمواثيق ما تأمن به وتطمئنُّ إليه إن شاء الله ، والسلام .

جواب محمد على أبي جعفر

فأجابه محمدُ بن عبد الله : من محمد بن عبد الله أمير المؤمنين ، إلى عبد الله ابن محمد (طَسم . تلك آياتُ الكِتَابِ المُبين . نَتْلو عليكَ مِن نَبَإِ مُوسى
٣٧ / ٣ وفِرْعونَ بالحقّ لقوم يُؤْمنون) إلى قوله (ما كانوا يَحْذَرون) . وأنا أَعرض عليك من الأمان ما عرضتَه ، فإنَّ الحقّ معنا وإنما أدعيتم هذا الأمر بنا ، وخَرجتم إليه بشِيعتنا ، وحَظيتم بفضلنا[2] ، وإنَّ أبانا عليًّا رحمه الله كان الإمام ، فكيف ورثتم ولايةَ ولده ، وقد علِمتُم أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ بمثل نَسَبنا

(١) فى ن : « أعداؤنا » . (٢) فى بعض الأصول : « بفضلنا » .

ولا شَرفنا، وأنا لسنا من أبناء الظِّئار[١]، ولا من أبناء الطُّلقاء[٢]، وأنه ليس يَمُتُّ أحدٌ بمثل ما نَمُتّ به من القرابة والسابقة والفضل، وأنا بنو أُم أبي رسول الله صلّى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو[٣] في الجاهلية، وبنو فاطمة ابنته في الإسلام دونكم، وأنّ الله اُختارنا واختار لنا، فولدنا من النبيّين أفضلُهم، ومن السّلف أوّلهم إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب، ومن النّساء أفضلُهن خديجة بنت خُويلد، وأول مَن صلّى إلى القبلة منهن، ومن البنات فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة، ولدت الحَسن والحُسين سيدَى شباب أهل الجنة صلواتُ الله عليهما، وأنّ هاشماً وَلد عليًّا مرتين[٤]، وأنّ عبد المطلب وَلد حسناً مرتين[٥]، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين[٦]، وأني من أوسط بني هاشم[٧] نَسباً وأشرفهم أباً وأمًّا، ولم تُعرِق فيّ العجم ولم تُنازع فيّ أمهاتُ الأولاد[٨]. فما زال الله بمَنّه وفضله يختار لي الأُمهات في الجاهليّة والإسلام، حتى اُختار لي في النار، فأنا ابنُ[٩] أرفع الناس درجةً في الجنّة، وأهونهم عذاباً في النار، وأبي خيرُ أهل الجنة، وأبي خيرُ أهل النار، فأنا ابن خير الأخيار، [وابن خير الأشرار][١٠] فلك اللهُ، إن دَخلتَ في طاعتي وأجبتَ دَعْوتي، أن أؤمِّنك على نَفسك ومالك

---

(١) كذا في أكثر الأصول. والظئار: اتخاذ المرأة ولداً ترضعه. والذي في ن: «الظؤار». وهو من جموع «ظئر» والظئر: العاطفة على ولد غيرها المرضعة له.

(٢) الطلقاء: الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقوا ولم يسترقوا.

(٣) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي أم أبي طالب وأم عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) عليا، يريد بهذا الاسم، ويعني علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وزين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٥) حسنا، يريد أيضا مسمى بهذا الاسم. ويعني جده وأبا جده، فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب.

(٦) يريد نفسه ومحمدا الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين.

(٧) أوسطهم، أي خيرهم.

(٨) يعرض بالمنصور، فقد كانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية. (انظر مروج الذهب).

(٩) في بعض الأصول: «فأبي».

(١٠) التكملة من الطبري وابن الأثير والكامل للمبرد (٢ : ٢٩٤) وصبح الأعشى (١ : ٢٣٢).

ودَمك وكلّ أمرٍ أحدثتَه ، إلا حدًّا من حُدود الله ، أوحقّ أمرئ مُسلمٍ أو مُعاهد ، فقد علمتَ ما يلزمك من ذلك ، وأنا أوْلى بالأمر منك ، وأوفى بالعَهد ؛ لأنك لا تُعطى من العهد أكثرَ مما أعطيتَ رجالاً قبلى . فأىّ الأمانات تُعطينى : أمانَ ابن هُبيرة[١] ، أو أمانَ عمك عبد الله بن علىّ[٢] ، أو أمانَ أبى مُسلم[٣] ؟

والسلام .

رد أبي جعفر

فكتب إليه أبو جعفر المنصور : من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله بن حَسن ، أما بعد . فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ كلامَك ، فإذا جُلّ فخرك بقَرابة النّساء ، لتُضل به الغوغاء . ولم يَجعل الله النساءَ كالعُمومة والآباء ، ولا كالعَصبة الأولياء ؛ لأن الله جعل العمّ أباً وبدأ به فى القرآن على الوالد الأدنى[٤] . ولو كان أختيارُ الله لهنّ على قدر قَرابتهن لكانت آمنة أقربَهن رَحِمًا ، وأعظمَهن حقًّا ، وأولَ مَن يدخل الجنة غداً ، ولكنّ اختيارَ الله لخلقه على قدر عِلْمه الماضى لهم . فأما ما ذكرتَ من فاطمة جدّة النبىّ صلّى الله عليه وسلم وولادتها لك ، فإنّ الله لم يَرزق أحداً من وَلدها دينَ الإسلام ، ولو أنّ أحداً من ولدها رُزق الإسلام بالقرابة لكان عبدُ الله بن عبد المطلب أولاهم بكُلِّ خَير

(١) كان أبو جعفر يرى الوفاء لابن هبيرة بما أعطاه من أمان ، إلا أن أبا مسلم أوغر صدر أبى العباس عليه — وكان العباس لا يقطع أمراً دون أبى مسلم — فكتب أبو العباس إلى أبى جعفر بقتل ابن هبيرة وألح ، فقتله أبو جعفر . (انظر الطبرى والإمامة والسياسة) .

(٢) لما هرب عبد الله بعد هزيمة أبى مسلم له ، شفع فيه أخو المنصور : سليمان وعيسى . فقبل شفاعتهما ، وكتب له ابن المقفع أمانا وشدد فيه . ولكن لما جاء عبد الله إلى المنصور حبسه فمات فى حبسه . (انظر وفيات الأعيان ١ : ١٥٠ وآمالى المرتضى ١ : ٩٤) .

(٣) كان المنصور قد أمن أبا مسلم ، وكفل بأمانه عيسى بن موسى . ولكن أبا مسلم لما قدم على أبى جعفر احتال له ثم قتله . (انظر الطبرى) .

(٤) زاد الطبرى وابن الأثير والكامل وصبح الأعشى : « فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه السلام : واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب » . على أن المذكورين فى الآية ليسوا بأعمام ليوسف ، فيعقوب أبوه وإسحاق جده وإبراهيم أبو جده .

فى الدُّنيا والآخرة ، ولـكنَّ الأمرَ لله يَختار لدينه مَن يشاء . وقد قال جلّ ثناؤه : (إنَّكَ لا تَهْـدِى مَن أَحْبَبْتَ ولـكنَّ اللهَ يَهْدِى مَن يَشاء وهُو أعلمُ بالمُهتَدِين) . وقد بعثَ الله محمداً صَلَّى الله عليه وسلم وله عُمومة أربعة ، فأنزل الله عليه : (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين) . فَدعاهم فأَنذرهم ، فأَجابه اثنان أحدُهما أبى ، وأَبَى عليه اثنان أحدُهما أبوك ، فقطع الله ولايتَهما منه ، ولم يَجعل بينهما إلاًّ ولا ذِمَّة ولا مِيراثاً . وقد زعمتَ أنك ابنُ أخفِّ أهل النار عذاباً وابنُ خير الأشرار ، وليس فى الشرِّ خِيارٌ ، ولا فَخْرَ فى النـار ، وستردّ فتَعلم (وسَيعلم الذين ظَلَمُوا أىَّ مُنقَلَب يَنْقَلبون) . وأما ما فَخرتَ به من فاطمةَ[1] أمّ علىّ ، وأنَّ هاشماً ولد عليًّا مرتين ، وأن عبد المطلب ولد الحسن مرتين ، وأن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم وَلدك مرَّتين ، فَخيرُ الأَولين والآخِرين رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، لم يَلِده هاشمٌ إلا مرَّة واحدة ، ولا عبدُ المطلب إلاّ مرة واحدة . وزعمتَ أنّك أوسطُ بنى هاشمٍ نَسَباً وأكرمُهم أباً وأمًّا ، وأنك ٣٨/٣ لم تَلِدْك العَجم ، ولم تُعرِق فيك أمَّهاتُ الأولاد ، فقد رأيتُك فَخرتَ على بنى هاشم طُرًّا ، فانظرُ أين أنت وَيْحك من الله غداً ! فإنك قد تعدّيت طَوْرك ، وفَخرت على مَن هو خيرٌ منك نفساً وأباً وأوّلا وآخِرا[2] : فَخرتَ على إبراهيم ولد النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم . وهل خيـارُ ولدِ أبيك خاصة وأهلُ الفَضل منهم إلاَّ بنو أُمهات أولاد ؟ وما وُلد منكم بعد وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أفضلُ من علىّ بن الحُسين،[3] وهو لأُم ولد ، وهو خَيرٌ من جَدِّك حَسن بن

(١) هى فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . ولم يرد لها ذكر فى كتاب النفس الزكية فيا سبق ولا فى المراجع الأخرى التى أشرنا إليها .

(٢) فى الأصول : « نسبا وأبا وأولا وآخرا » . وما أثبتنا من الطبرى وابن الأثير وصبح الأعشى .

(٣) هو زين العابدين على بن الحسين بن على ، وأمه بنت يزدجرد ، سبيت مع أختين لها أيام عمر بن الخطاب ، فأخذهن على بن أبى طالب فدفع واحدة لعبد الله بن عمر وأخرى لولده الحسين والثالثة لمحمد بن أبى بكر الصديق . (انظر وفيات الأعيان ١ : ٣٢٠) .

حسن . وما كان فيكم بعدَه مثلُ ابنه محمد بن علىّ(١) ، وجدّتُه أم ولد ، وهو خيرٌ من أبيك ، ولا مثلُ ابنه جَعفر(٢) ، وهو خيرٌ منك ، وجدّته(٣) أم ولد .

وأما قولُك : إنا بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن الله يقول : (ما كانَ محمدٌ أبَا أحَدٍ مِن رِجالِكم ولكنْ رسولُ الله وخَاتَم النبيّين). ولكنكم بنو ابنته ، وهى امرأة لا تُحرز ميراثاً ، ولا تَرِث الوَلاء ، ولا يَحل لها أن تَؤُم ، فكيف تُوَرث بها إمامة . ولقد طَلَبها أبوكَ بكُل وجه ، فأخرجها نهاراً(٤) ، ومرّضها سِرًّا ، ودَفنها ليلًا . فأَبى الناسُ إلا [تقديم] الشّيخين وتفضيلَهما .

ولقد كانت السُّنة التى لا اختلاف فيها أن الجدّ أبا الأُم والخالَ والخالةَ لا يرثون(٥) .

وأما ما فَخرتَ به من علىّ وسابقته . فقد حضرتْ النبىَّ صلى الله عليه وسلم الوفاةُ ، فأمر غيرَه بالصلاة(٦) . ثم أخذ الناسُ رجلًا بعد رجل فما أخذوه ، وكان فى الستّة(٧) من أصحاب الشُّورى ، فتركوه كُلهم : رفضه عبدُ الرحمن بن عوف ، وقاتله طَلحة والزبير ، وأبى سعدٌ بيعتَه وأغلق بابَه دونه ، وبايع معاويةَ بعده . ثم طلبها بكلٍّ وجه فقاتل عليها ، ثم حَكّم الحكَمين ورضى بهما وأعطاهما عهدَ الله وميثاقَه ، فاجْتمعا على خَلْعه واخْتلفا فى مُعاوية . ثم قام جدُّكَ

(١) هو الملقب بالباقر . وجدته ، أم أبيه زين العابدين ، إحدى بنات يزدجرد . وقد مر التعريف بهن فى الحاشية (رقم ٣ ص ٢٨٢) من هذا الجزء .

(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر . وأم جعفر أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر. والقاسم لأم ولد ، أمه إحدى الثلاث التى ذكرن . (انظر الحاشية ٣ ص ٨٢) .

(٣) فى بعض الأصول : « ولدته » . تحريف .

(٤) فى الطبرى : « فأخرجها تخاصم » . يشير إلى خروج فاطمة إلى أبى بكر رضى الله عنهما تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فدك . وقد هجرت فاطمة أبا بكر حتى ماتت . فدفنها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر . (انظر الطبرى).

(٥) زيد فى بعض الأصول : « ولا يورثون » .

(٦) يشير إلى أمر الرسول صلى الله عليه فى مرضه لأبى بكر بأن يصلى بالناس .

(٧) هم : على وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف .

الحسن فباعها بِخِرَق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد مُعاوية ، ودَفع الأموالَ إلى غير أهلها ، وأخذَ مالاً من غير ولائه[1] . فإن كان لكم فيها حقّ فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمُّك الحسين على ابن مَرْجانة[2] ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه . ثم خرجتم على بنى أمية فقتلوكم وصَلّبوكم على جُذوع النخل وأحرقوكم بالنِّيران ونفوكم من البُلدان ، حتى قُتل يحيى بن زيد بأرض خُراسان[3] ، وقَتلوا رجالكم وأسروا الصِّبْية والنِّساء وحَملوهم كالسَّبى المجلوب إلى الشام[4] . حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم ، وأردنا إشراككم فى مُلكنا ، فأبيتمُ إلا الخروجَ علينا . وظننتَ[5] ما رأيتَ من ذكرنا أباكَ وتفضيلنا إياه أنّا نُقدمه على العبّاس وحمزة وجعفر ، وليس كما ظننْتَ ، ولكنّ هؤلاء سالمون مُسلَّم منهم ، مُجتمع بالفضل عليهم . وابتُلى بالحرب أبوكَ ، فكانت بنو أمية تَلعنه على المنابر كما تَلعن أهلَ الكفر فى الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له وذكرنا فَضله وعنَّفناهم وظَلّمناهم فيما نالوا منه .

وقد علمت أنَّ المَكْرمة فى الجاهلية سقايةُ الحاج الأعظم وولاية بئر زمزم ، وكانت للعبَّاس من بين إخوته ، وقد نازَعنا فيها أبوكَ فقضى لنا بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نَزل نَليها فى الجاهليَّة والإسلام . فقد علمتَ أنه لم يَبْق أحدٌ من بعد النبىِّ صلى الله عليه وسلم من بنى عبد المطلب غيرَ العبَّاس وحدَه ، فكان وارثَه من بين إخوته . ثم طلب هذا الأمرَ غيرُ واحد من بنى هاشم فلم يَنله إلا ولدُه ، فالسقاية سقايتُنا ، وميراث النبىِّ صلى الله عليه وسلم ميراثُنا ،

(١) يشير إلى ما صالح عليه الحسن معاوية وأن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف فى أشياء اشترطها . (انظر الطبرى) .
(٢) هو عبيد الله بن زياد ، ومرجانة أمه .
(٣) هرب بعد مقتل أبيه إلى خراسان وخرج فى خلافة الوليد بن يزيد فقتل .
(٤) يشير إلى مقتل الحسين بالطف وحمل النساء ورأس الحسين إلى معاوية بدمشق .
(٥) فى بعض الأصول : « وأنزلت » .

والخلافة بأيدينا ، فلم يبق فضل ولا شَرف فى الجاهليَّة والإسلام إلاَّ والعبَّاس وارثه ومُورِّثه ، والسلام .

خروج محمد وإبراهيم ومقتلهما

٣٩/٣ فلما خرج محمدُ بن عبد الله بن الحسن بالمدينة بايعه أهلُ المدينة وأهل مكّة . وخرج أخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة فى شهر رمضان ، فاُجتمع الناسُ إليه ، فنَهض إلى دار الإمارة وبها سُفيان بن محمد بن المهلّب ، فسلّم إليه البَصرة بغير قتال . وأرسل إبراهيمُ بن عبد الله بن الحسن إلى الأهواز جيْشاً ، فأخذها بعد قتال شديد ، وأرسل جيشاً إلى واسط فأَخذها . ثم إن أبا جَعفر المَنصور جَهَّز إليهم عيسى بنَ موسى ، فَخَرج إلى المدينة ، فلقيه محمدُ بن عبد الله ، فاُنهزم بأَصحابه وقُتل . ثم مضى عيسى بنُ موسى إلى البصرة فلقى إبراهيمَ بن الحسن ، فقتله وبَعث برأسه إلى أبى جعفر .

كتاب المنصور إلى عمرو بن عبيد على لسان محمد بن عبد الله

وقال رجلٌ من أَهل مكّة[١] : كُنَّا جلوساً مع عمرو بن عُبيد بالمَسجد ، فأتاه رجلٌ بكتاب المَنصور على لسان مُحمد بن عَبد الله بن الحَسن يَدعوه إلى بيعته[٢] ، فقرَأه ثم وَضعه . فقال له الرسول : الجواب . فقال : ليس له جواب ، قُل لصاحبك يَدعْنا نَجلس فى الظلّ ونَشرب من هذا الماء البارد حتى تأتينَا آجالُنا .

إسماعيل بن على وأخوه عبد الصمد وابن شجاع فى أسرى المبيضة

مروان بن شُجاع ، مولى بنى أُميَّة ، قال : كنتُ مع إسماعيل بن علىّ بفارس أوْدب ولَده ، فلما لَقِيتْه المُبيِّضة[٣] وظفر بهم أُتى منهم بأر بعمائة أسير ، فقال له أخوه عبدُ الصمد ، وكان على شُرطته : أضرب أعناقهم . فقال : ماتقول يا مروان ؟ قلت : أصلح الله الأمير ، إنه أوَّل مَن سَنَّ قِتال أهل القِبْلة علىُّ بن أبى طالب ،

(١) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « بيته » .
(٢) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « نفسه » .
(٣) المبيضة (كمحدثة) : هم أصحاب المقنع ، سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم ، مخالفة للمسودة من العباسيين .

فَرأى أن لا يُقتل أسير ، ولا يُجهز على جريح ، ولا يُتبع مولى . قال : خُذ بيعتَهم وخلِّ سبيلَهم .

محمد بن على ومتعجب من قلة إخوته

قيل لمحمد بن على بن الحسين[1] : ما أقلَّ ولدَ أبيك ؟ قال : إنى لأعجبُ كيف وُلدتُ له ! قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : إنه كان يُصلى فى اليوم والليلة ألفَ ركعة ، فمتى كان يتفرَّغ للنساء ؟

وصية المنصور لعيسى بن موسى حين وجهه لحرب بنى عبد الله بن الحسن

ولما وَجَّه المَنصورُ عيسى بنَ موسى فى مُحاربة بنى عبد الله بن الحسن ، قال : يا أبا موسى ، إذا صرتَ إلى المدينة فادْعُ محمدَ بن عبد الله بن الحسن إلى الطاعة والدُّخولِ فى الجماعة ، فإن أجابك فاُقْبَل منه ، وإن هَرب منك فلا تتبعه ، وإن أبى إلا الحربَ فناجزْه واُستعن بالله عليه ، فإذا ظفرتَ به فلا تُخيفنَّ أهلَ المدينة وعُمَّهم بالعفو ، فإنهم الأصلُ والعشيرة وذُرِّية المهاجرين والأنصار ، وجيران قَبر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم . فهذه وصيَّتى إياكَ ، لا كما أوصَى به[2] يزيدُ بن مُعاوية مُسلمَ بن أبى عُقبة حين وجّهه إلى المدينة وأمرَه أن يَقتل مَن ظَهر له إلى ثَنيَّة الوَداع[3] ، وأن يُبيحها ثلاثة أيام ، ففعل . فلما بلغ يزيدَ ما فعله تمثّل بقول ابن الزِّبَعْرى فى يوم أُحد ، حيث قال :

ليت أشياخى ببَدرٍ شَهِدُوا جَزَع الخَزْرجِ مِن وَقْع الأَسَلْ

ثم اكتُب إلى أهل مكّة بالعَفو عنهم والصَّفح ، فإنهم آلُ الله وجيرانُه ، وسُكّان حَرمه وأمْنه ، ومَنبت القوم والعشيرة ، وعظِّم البيتَ والحَرم ، لا تُلحِد[4] فيه بظُلم ، فإنه حَرم الله الذى بَعث منه نبيّه محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، وشرَّف به آباءنا لتَشريف الله إيانا . فهذه وصيَّتى لا كما أوصى به الذى وجَّه الحجاجَ

(١) فى بعض الأصول : « الحسن » .
(٢) فى بعض الأصول : « بها » .
(٣) ثنية الوداع : ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة . (انظر معجم البلدان)
(٤) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « لا يلحد » .

إلى مكّة فأمره أن يضع المَجانيق على الكعبة، وأن يُلحد فى الحرم بظُلم، فعل ذلك. فلما بلغه الخبرُ تمثّل بقول عمرو بن كلثوم:

ألاَ لا يَجْهلنْ أحدٌ علينا فنجهَلَ فوقَ جَهل الجاهلينا
لنا الدُّنيا ومن أضحى عليها ونَبْطِش حينَ نَبطش قادِرِينا

لعيسى بن موسى حين أوصاه المنصور فى حرب بنى عبد الله

الرياشى قال: قال عيسى بنُ موسى: لما وجّهنى المنصور إلى المدينة فى حَرْب بنى عبد الله بن الحسن، جعل يُوصينى ويُكثر. فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إلى كم تُوصينى؟

٤٠/٣ إنّى أنا السيفُ الحُسام الهِنْدى أكلتُ جَفنى وفَريت غِمْدى
فكُلّ ما تطلب منى[1] عندى

تفضيل معاوية للحسن

وقال مُعاوية يوماً لجلسائه: مَن أكرم الناس أبًا وأمًّا وجَدًّا وجَدَّة وعمًّا وعمّة وخالًا وخالة؟ فقالوا: أميرُ المؤمنين أعلم. فأخذ بيد الحسن بن علىّ وقال: هذا، أبوه علىّ بن أبى طالب، وأمّه فاطمة بنت محمد، وجدّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وجدّته خديجة، وعمّه جعفر، وعمّته هالة بنت أبى طالب، وخاله القاسم بن محمد، وخالته زينب بنت محمد صلّى الله عليه وسلّم.

لسديف فى خروج إبراهيم ومحمد ابنى عبدالله وقتل المنصور له

الرِّياشىّ عن الأصمعىّ قال: لما خرج محمدُ بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، فبايعه أهلُ المدينة وأهلُ مكّة، وخرج إبراهيمُ أخوه بالبصرة فتغلّب على البصرة والأهواز وواسط، قال سُديف بن مَيمون فى ذلك:

إنّ الحَمامة يوم الشِّعب من حَضَن هاجت فؤادَ مُحبٍّ دائم الحَزَن[2]
إنا لنأمُل أن ترتدّ أُلفتُنا بعد التباعد والشَّحْناء والإحَن
وتَنْقضى دولةٌ أحكامُ قادتها فينا كأحكام قَوْم عابدِى وَثَن
فانْهَض ببَيْعتكم نَنْهض بطاعتنا إنّ الخلافة فيكم يا بَنى حَسَن

(١) فى ن: «عندى».
(٢) «حضن» بالتحريك: جبل بأعلى نجد. (انظر معجم البلدان).

لا عزَّ ركنُ نِزارٍ عند نائبةٍ   إنْ أسلموك ولا رُكنٌ لذى يَمنِ
ألست أكرمَهم يوماً إذا انتسبوا   عُوداً وأنقاهُم ثوباً من الدَّرنِ
وأعظمَ الناس عند الله منزلةً   وأبعدَ الناس من عَجز ومن أَفَنِ

فلما سمع أبو جعفر هذه الأبيات استُطير بها . فكتب إلى عبد الصمد بن عليّ أن يأخذ سُديفاً فيدفنَه حيًّا ، ففعل .

الرياشى وأبو جعفر البغدادى ومقتل سديف

قال الرياشيّ : فذكرت هذه الأبياتَ لأبى جعفر ، شيخ من أهل بغداد . فقال : هذا باطل ، الأبيات لعبد الله بن مُصعب ، وإنما كان سببُ قتل سُديف أنه قال أبياتاً مُبهمة ، وكتب بها إلى أبى جعفر ، وهى هذه :

أسرفتَ فى قَتل الرعيَّة ظالماً   فاكفُف يدَيك أضلَّها مَهديُّها
فلتأتينَّك رايةٌ حَسَنيَّة   جرّارة يقتادها حَسنيُّها

فالتفت أبو جعفر ، فقال لخازم بن خُزيمة : تهيَّأ بهيئة السفر متنكّراً ، حتى إذا لم يبق إلا أن تَضع رجلَك فى الغَرْز أتنى ، ففعل . فقال له : إذا أتيت[1] المدينة فادخل مسجدَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فدَعْ ساريةً وثانية ، فإنك تنظر عند الثالثة إلى شيخ آدَم يُكثر التلفُّت ، طويل كبير ، فاجلس معه فتوجّع لآل أبى طالب ، واذكر شدّة الزمان عليهم ثلاثة أيام ، ثم قُل له فى الرابع : مَن يقول هذه الأبيات :

* أسرفتَ فى قتل الرعيّة ظالمـا *

قال : ففعل . فقال له الشيخ : إن شئت نبأتك مَن أنت ؟ أنت خازم ابن خُزيمة ، بعثك إلىّ أميرُ المؤمنين لتعرف مَن قائل هذا الشعر ، فقُل له : جُعلت فداك ، والله ما قلتُه ولا قاله إلا سُديف بن ميمون ، فإنى أنا القائل وقد دَعونى إلى الخروج مع محمد بن عبد الله :

(١) فى ع ، ن : « انطلق إلى المدينة » .

دعَونى وقد شالت لإبليس رايةٌ … وأُوقد للغاوين نارُ الْحباحبِ (١)
أبالّيث تغترُّون يَحْمى عرينَه … وتَلقون جهلًا أُسدَه بالثعالب
فلا نَفعتْنى السنُّ إن لم يَؤُزَّ كم (٢) … ولا أحكَمتْنى صادقاتُ التجارب

٤١/٣ قال : وإذا الشيخ إبراهيمُ بن هَرْمة . قال : فقدمتُ على المنصور فأخبرتُه الخبر . فكتب إلى عبد الصمد بن علىّ ، وكان سُديف فى حَبسه ، فأخذه فدَفنه حيًّا .

عبد الحميد وابن أبى حفصة وبنو على . ثم حديث هشام وزيد بن على

قال الرياشىّ : سمعتُ محمد بن عبد الحميد يقول : قلت لابن أبى حفصة : ما أغراك ببنى علىّ ؟ قال : ما أحدٌ أحبّ إلىّ منهم ، ولكنى لم أجد شيئاً أنفعَ عند القوم منه . ولما دخل زيدُ بن علىّ على هشام بن عبد الملك قال له : بلغنى أنك تحدِّث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ، لأنك ابن أمة . قال له : أمّا قولك إنى أحدث نفسى بالخلافة ، فلا يعلم الغيبَ إلا الله ؛ وأما قولُك إنى ابنُ أمة ، فهذا إسماعيل ابنُ أمة ، أخرج الله من صُلبه محمداً صلى الله عليه وسلم ، وإسحاقُ ابن حُرّة ، أخرج الله من صُلبه القِردة والخنازير وعَبدة الطاغوت ، وخَرج من عنده . فقال : ما أحبَّ أحدٌ الحياة إلا ذلّ ، فقال له الحاجب : لا يَسمع هذا الكلامَ منك أحد . وقال زيد بن علىّ عند خُروجه من عند هشام بن عبد الملك :

شَرّده الخوفُ وأزْرى به … كذاك مَن يَكره حَرّ الجِلادْ
مُحتفِىَ الرِّجلين يَشكو الوَجَى … تَقرعه أطرافُ مَرْوٍ حِدَاد
قد كان فى الموت له راحةٌ … والموتُ حَتمٌ فى رِقاب العِباد

(١) نار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة ؛ وقيل : الحباحب : ذباب يطير بالليل كأنه نار له شعاع كالسراج . وقيل : كان الحباحب رجلا من أحياء العرب وكان من أبخل الناس ، فبخل حتى بلغ به البخل أنه كان لا يوقد نارا بليل إلا خفية ، فإذا انتبه منتبه ليقبس منها أطفأها .

(٢) الأز : الحركة الشديدة .

ثم خَرج بخُراسان ، فقُتل وصُلب . وفيه يقول سُديف[1] لأبى العبّاس يُغريه ببنى أُمية حيث يقول :

واذكُروا مصرعَ الُحسين وزيداً وقتيـــلًا بجانب المِهراسِ[2]

[يريد إبراهيم الإمام ، أخا أبى العبّاس] .

باب من فضائل على بن أبى طالب

رضى الله عنه

بين ابن هشام حين حج وشيخ فى على بن أبى طالب

عوانةُ بن الحكم قال : حجّ محمدُ بن هشام ، ونزلتْ رُفقه ، فإذا فيها شيخٌ كبير قد أحتوشه[3] الناس ، وهو يأمر ويَنهى ، فقال محمدُ بن هشام لمن حولَه : تجدون الشيخَ عراقيًّا فاسقا . فقال له بعضُ أصحابه : نَعم ، وكُوفيًّا مُنافقاً . فقال محمد : علىّ به ، فأُتى بالشيخ . فقال له : أعراقىّ أنت ؟ فقال له : نعم ، عراقىّ . قال : وكُوفىّ ؟ قال : وكُوفى . قال : وتُرابىّ ؟ قال : وترابىّ ، من التراب خُلقت وإليه أصير . قال : أنت ممن يهوى أبا تُراب ؟ قال : ومَن أبو تراب ؟ قال : علىّ بن أبى طالب . قال : أتعنى ابنَ عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وزَوج فاطمةَ ابنتِه ، وأبا الحسن والُحسين ؟ قال : نعم . قال : فما قولك فيه ؟ قال : قد رأيتُ من يقول خيراً ويَحمد ، ورأيت من يقول شرّا ويذُم . قال : فأيهما أفضلُ عندك ، أهو أم عثمان ؟ قال : وما أنا وذاك ؟ والله لو أن عليًّا جاء بوزن الجبال حسنات ما نَفعنى ، ولو أنه جاء بوزنها سيّئات ما ضرّنى ، وعثمان مثلُ ذلك . قال : فاشتُم أبا تراب . قال : أو ما تَرضى منى بما رَضى به مَن هو خير منك ممن هو خيرُ منّى فيمن هو شرٌّ من علىّ ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : رضى الله ، وهو خيرٌ منك ، مِن عيسى ، وهو خير منّى ، فى

(١) كذا فى ع والأغانى . والذى فى سائر الأصول : « شبل » .

(٢) المهراس : ماء بجبل أحد .

(٣) احتوش القوم فلانا وعلى فلان ، وتحاوشوه بينهم : جعلوه وسطهم .

النصارى ، وهم شرٌّ من علىّ ، إذ قال : (إن تُعذِّبهم فإنهم عبادُك و إن تَغفِر لهم فإنك أنتَ العزيزُ الحكيم) .

بين حمزة وابن له فى على

الرّياشىّ قال : أنتقص ابنٌ لحمزة بن عبد الله بن الزبير[1] عليًّا ، فقال له أبوه : يا بُنى ، إنه والله ما بَنت الدنيا شيئاً إلا هَدمه الدِّين ، وما بَنى الدينُ شيئاً فهَدمته الدنيا . أما ترى عليًّا وما يُظهر بعضُ الناس من بُغضه ولَعنه على المنابر ، فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء . وما ترى بنى مروان وما يَندبون به موتاهم من المَدح بين الناس ، فكأنما يكشفون عن الجِيَف .

حج الوليد وشعر الفضل فى على

٤٢/٣ قدم الوليدُ مكةَ ، فجعل يطوف البيتَ ، والفضلُ [بن العبّاس بن عُتبة] بن أبى لهب يستقى من زَمزم وهو يقول :

يأيها السائلُ عن علىٍّ تسأل عن بَدرٍ لنا بَدْرِىٍّ
مُرَدَّدٍ فى المجد أبطحىّ سائلةٍ غُرّتُه مُضِىّ[2]

فلم يُنكر عليه أحد[3] .

لمسلمة فى جعفر الهاشمى

العُتبى قال : قيل يوماً لمَسلمة بن هلال العَبدىّ[4] : خَطب جعفر بنُ سليمان الهاشمىّ خُطبة لم يُسمع مثلُها قط ، وما دَرينا أوجهُه كان أحسنَ أم كلامُه ! قال : أولئك قوم بنُور الخلافة يُشرقون ، وبلسان النبوّة ينطقون .

من عوام إلى بعض العمال

وكتب عوّامٌ ، صاحب أبى نُواس ، إلى بعض عُمّال ديار رَبيعة :

بحقّ النبىّ بحقّ الوصىّ بحق الحُسين بحقّ الحَسَن
بحق التى ظُلِمت حقَّها و والدُها خيرُ مَيْتٍ دُفِن

---

(١) فى ن : « ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير » .
(٢) أبطحى ، أى من قريش البطاح الذى ينزلون أباطح مكة ، لا من قريش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب . وأكرمها قريش البطاح . ومضى ، أى مضىء ، بالهمز ثم سهل وأدغمت الياء فى الياء .
(٣) الذى فى الأغانى (ج ١٥ ص ٦) أن هذا الرجز للفضل فى على بن عبد الله بن عباس ، وذكر هناك قصته .
(٤) فى ن : « العمرى »

ترفَّق بأرزاقنا فى الخراج بتَرْفيهها وبحَطّ المُؤن

قال : فأسقط عنه الخراج طولَ ولايته .

احتجاج المأمون على الفقهاء فى فضل على

إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل عن(١) حماد بن زيد قال: بعث إلىّ يحيى بن أكثم وإلى عدّة من أصحابى ، وهو يومئذ قاضى القُضاة ، فقال : إنّ أميرَ المؤمنين أمرنى أن أُحضر معى غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يَفقَه ما يُقال له ويُحسن الجواب ، فسمُّوا من تَظنّونه يَصلُح لما يطلبُ أميرُ المؤمنين . فسمَّينا له عِدة ، وذكر هو عِدة ، حتى تمّ العددُ الذى أراد ، وكتب تسمية القوم ، وأمر بالبُكور فى السَّحر ، وبعث إلى مَن لم يحضُر فأمره بذلك . فغدونا عليه قبلَ طلوع الفجر ، فوجدناه قد لبس ثيابَه وهو جالسٌ ينتظرنا ، فركب وركبنا معه ، حتى صِرْنا إلى الباب ، فإذا بخادم واقف . فلما نَظر إلينا قال : يا أبا محمد ، أمير المؤمنين يَنتظرك ، فأدخلنا . فأمرنا بالصلاة ، فأخذنا فيها ، فلم نستتمّها حتى خرج الرسول فقال : ادخلوا ، فدَخلنا . فإذا أميرُ المؤمنين جالس على فراشه وعليه سَوادُه وطَيلسانه والطَّويلة وعمامته . فوقفنا وسلّمنا ، فردّ السلام ، وأمرنا بالجلوس . فلما استقرّ بنا المجلسُ تحدّر عن فراشه ونَزع عمامته وطيلسانه ووضع قَلنسوته ، ثم أقبل علينا فقال : إنما فعلتُ ما رأيتم لتفعلوا مثلَ ذلك ، وأما الُخفّ فمنع مِن خَلْعه علةٌ ، مَن قد عرفها منكم فقد عَرفها ، ومن لم يَعْرفها فسأعرّفه بها ، ومدّ رجلَه . ثم قال : انزعوا قَلانسكم وخِفافكم وطَيالسكم . قال : فأمسكنا . فقال لنا يحيى : انتهوا إلى ما أمركم به أميرُ المؤمنين . فتنحَّينا فنزعنا أخفافنا وطيالسنا وقلانسنا ورجعنا . فلما استقرّ بنا المجلس قال : إنما بعثتُ إليكم معشرَ القوم فى المُناظرة ، فمن كان به شىء

(١) فى بعض الأصول « بن » . وفى ع ، ن : «إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد» .

من الأخْبثين(١) لم ينتفع بنفسه ولم يَفقه ما يقول : فمن أراد منكم الخلاء فهناك ، وأشار بيده ، فدعونا له . ثم ألقى مسألة من الفقه ، فقال : يا أبا محمد ، قُل وليقل القومُ من بعدك . فأجابه يحيى ، ثم الذى يلى يحيى ، ثم الذى يليه ، حتى أجاب آخرُنا فى العلَّة وعلة العلة ، وهو مُطرق لا يتكلم . حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى فقال : يا أبا محمد ، أصبتَ الجواب وتركت الصواب فى العِلّة . ثم لم يزل يَرُد على كل واحد منّا مقالَته ويخطِّئ بعضنا ويصوّب بعضنا حتى أتى على آخرنا . ثم قال : إنى لم أبعث فيكم لهذا ، ولكننى أحببتُ أن أُنبئكم(٢) أن أمير المؤمنين أراد مُناظرتكم فى مَذهبه الذى هو عليه ، ودينه الذى يَدين

٤٣/٣ اللهَ به . قلنا : فَليفعل أمير المؤمنين وفّقه الله . فقال : إن أمير المؤمنين يَدين الله على أن علىّ بن أبى طالب خيرُ خلق(٣) الله بعد رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وأولى الناس بالخلافة . قال إسحاق : قلت . يا أمير المؤمنين ، إنّ فينا من لا يعرف ما ذكر أميرُ المؤمنين فى علىّ ، وقد دعانا أمير المؤمنين للمُناظرة . فقال : يا إسحاق ، اختر إن شئت أن أسألك وإن شئت أن تسأل . قال إسحاق : فاغتنمتُها منه ، فقلت : بل أسألك يا أمير المؤمنين . قال : سَل . قلت : من أين قال أميرُ المؤمنين إن علىّ بن أبى طالب أفضلُ الناس بعد رسول الله وأحقُّهم بالخلافة بعده ؟ قال : يا إسحاق ، خبِّرنى عن الناس بم يتفاضلون حتى يُقال فلان أفضل من فلان ؟ قلت : بالأعمال الصالحة . قال : صدقت . قال : فأخبرنى عمّن فضل صاحبَه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم إن المفضول عَمل بعد وفاة رسول الله بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله ، أيَلحق به ؟ قال : فأطرقت . فقال لى : يا إسحاق ، لا تقل نعم ، فإنك إن قلتَ نعم أوجدتك فى دهرنا هذا مَن هو أكثر منه جهاداً وحجًّا وصياما

(١) الأخبثان : البول والغائط . وفى بعض الأصول : «الخبيثين» . وفى ن : «الحقنتين» .
(٢) فى ن : «أنشطكم» . وفى بعض الأصول : «أبسطكم» .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : «خلفاء» .

وصلاة وصَدقة . قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، لا يلحق المفضولُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاضلَ أبدا . قال : يا إسحاق . فانظر ما رواه لك أصحابُك ومَن أخذتَ عنهم دينك وجعلتَهم قُدوتك من فضائل علىّ ابن أبى طالب . فقِسْ عليها ما أتوك به من فضائل أبى بكر ، فإن رأيتَ فضائل أبى بكر تُشا كل فضائلَ علىّ فقل إنه أفضل منه ، لا والله ، ولكن فقِسْ إلى فضائله ما رُوى لك من فضائل أبى بكر وعمر ، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلىّ وحدَه فقُل إنهما أفضلُ منه . لا والله ، ولكن قِسْ إلى فضائله فضائل أبى بكر وعمر وعثمان ، فإن وجدتَها مثل فضائل علىّ فقُل إنهم أفضل منه ، لا والله ، ولكن قِس إلى فضائله فضائلَ العشرة الذين شَهد لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، فإن وجدتها تُشا كل فضائلَه فقل إنهم أفضل منه . [ثم] قال : يا إسحاق ، أى الأعمال كانت أفضلَ يوم بَعث الله رسولَه ؟ قلت : الإخلاص بالشهادة . قال : أليس السَّبقَ إلى الإسلام ؟ قلت : نعم . قال : أقرأ ذلك فى كتاب الله تعالى يقول : (والسَّابقون السَّابقون أولئك المُقرَّبون) إنما عنَى مَن سبق إلى الإسلام ، فهل علمتَ أحداً سَبق علياً إلى الإسلام ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، إن علياً أسلم وهو حَديث السنّ لا يجوز عليه الحُكم ، وأبو بكر أسلم وهو مُستكمل يجوز عليه الحُكم . قال : أخبرنى أيهما أسلم قبل ؟ ثم أناظرك من بعده فى الحَداثة والكمال . قلت : علىٌّ أسلم قبل أبى بكْر على هذه الشَّريطة . فقال : نعم ، فأخبرنى عن إسلام علىّ حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم دعاه إلى الإسلام أو يكونَ إلهاماً من الله ؟ قال : فأطرقت . فقال لى : يا إسحاق ، لا تقل إلهاماً فتُقدّمه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريلُ عن الله تعالى . قلت : أجل ، بل دعاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الإسلام . قال :

يا إسحاق ، فهل[١] يخلو رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تَكلَّف ذلك من نفسه ؟ قال : فأطرقت . فقال : يا إسحاق ، لا تَنسب رسول الله إلى التكلُّف ، فإنّ الله يقول : (وما أنا من المُتَكلِّفين) . قلت : أجل يا أمير المؤمنين ، بل دعاه بأمر الله . قال : فهل من صِفة الجبّار جلّ ذكره أن يُكلِّف رسله دُعاء مَن لا يجوز عليه حُكم ؟ قلت أعوذ بالله ! فقال : أفتراه فى قياس قولك يا إسحاق إنّ عليًّا أسلم صبيًّا لا يجوز
٤٤/٣ عليه الحُكم ، وقد كُلِّف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم دُعاء الصِّبيان إلى ما لا يُطيقونه ، فهو[٢] يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم فى ارتدادهم شىء ، ولا يجوز عليهم حُكم الرسول صلّى الله عليه وسلّم ، أترى هذا جائزاً عندك أن تَنْسبه إلى الله عزّ وجلّ[٣] ؟ قلت : أعوذ بالله . قال : يا إسحاق ، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضّل بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليًّا على هذا الخلق ، أبانَه بها منهم ليُعرف[٤] مكانه وفضله ، ولو كان الله تبارك وتعالى أمره بُدعاء الصِّبيان لدَعاهم كما دعا عليًّا ؟ قلت : بلى . قال : فهل بلغك أنّ الرّسولَ صلّى الله عليه وسلّم دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته ، لئلاّ تقول إنّ عليًّا ابنُ عمه ؟ قلت : لا أعلم ، ولا أدرى فَعل أو لم يفعل . قال يا إسحاق ، أرأيتَ ما لم تَدْره ولم تَعلمه هل تُسأل عنه ؟ قلتُ : لا . قال : فدَع ما قد وضعه الله عنّا وعنك . ثم قال : أىّ الأعمال كانت أفضلَ بعد السَّبق إلى الإسلام ؟ قلت : الجهاد فى سبيل الله . قال صدقت ، فهل تجد لأحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجد لعلىّ فى الجهاد ؟ قلت : فى أى وقت ؟ قال: فى أى الأوقات شئتَ ؟ قلت : بدر . قال : لا أريد غيرها ، فهل تجد لأحد إلا دون

---

(١) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « فهو »
(٢) فى بعض الأصول : « فهل » .
(٣) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٤) فى بعض الأصول : « ليعرفوا فضله » .

ما تجد لعليّ يوم بدر ، أخبرنى كم قَتْلى بدر ؟ قلت : نيّف وستون رجلاً من المشركين . قال : فكم قَتل علىٌّ وحدَه ؟ قلت : لا أدرى . قال : ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين ، والأربعون لسائر الناس . قلت : يا أمير المؤمنين ، كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عَريشه ، قال : يَصنع ماذا ؟ قلت : يدبّر . قال : ويحك ! يدبّر دون رسول الله أو معه شريكاً أم أفتقاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رأيه ؟ أى الثلاث أحبُّ إليك ؟ قلت : أعوذ بالله أن يدبّر أبو بكر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أن يكون معه شريكاً ، أو أن يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم افتقار إلى رأيه . قال : فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك ؟ أليس من ضَرب بسيفه بين يدى رسول الله أفضلَ ممن هو جالس ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، كل الجيش كان مجاهداً . قال : صدقتَ ، كلٌّ مجاهد ، ولكنّ الضارب بالسيف المحامىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الجالس أفضلُ من الجالس ، أما قرأتَ فى كتاب الله : (لا يَسْتَوِى القاعِدون من المُؤْمِنِين غَيْرُ أولى الضَّرَر والمجاهدُون فى سبيل الله بأمْوالِهم وأَنفُسِهم فَضّل اللهُ المُجاهدين بأموالهم وأَنْفُسهم على القاعِدين درجةً وكلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى . وفَضَّل اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) . قلت : وكان أبو بكر وعمر مُجاهدين . قال : فهل كان لأبى بكر وعُمر فضلٌ على من لم يَشْهد ذلك المشهد ؟ قلت : نعم . قال : فكذلك سَبق الباذل نفسه فَضْلَ أبى بكر وعمر . قلت : أجل . قال : يا إسحاق ، هل تقرأ القرآن ؟ قلتُ : نعم . قال : أقرأ علىّ : (هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لم يَكُنْ شَيْئاً مَذْكوراً) . فقرأت منها حتى بلغت : (يَشربون من كأسٍ كانَ مِزاجُها كافورا) إلى قوله : (ويُطْعِمون الطّعَام على حُبّه مِسْكيناً ويَتيما وأَسِيرا) . قال : على رِسْلك ، فيمن أُنزلت هذه الآيات ؟ قلتُ : فى علىّ . قال : فهل بَلغك أن عليًّا حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال : إنما نُطْعِمكم لوجه الله ؟ [قلت : أجل . قال] : وهل سمعتَ الله وصفَ فى كتابه

أحداً بمثل ما وصفتَ به عليًا ؟ قلت : لا . قال : صدقت ؛ لأن الله جلّ ثناؤه عرف سيرته . يا إسحاق ، ألستَ تشهد أن العشرة فى الجنة ؟ قلت : بلى يا أمير المؤمنين . قال : أرأيت لو أن رجلاً قال : والله ما أدرى هذا الحديث صحيح أم لا ؟ ولا أدرى إن كان رسولُ الله قاله أم لم يقُله ، أكان عندك كافراً ؟ قلت : أعوذ بالله . ٤٥/٣ قال : أرأيت لو أنه قال : ما أدرى هــذه السُّورة من كتاب الله أم لا ، أكان كافراً ؟ قلت : نعم . قال : يا إسحاق ، أرى بينهما فرقاً . يا إسحاق ، أتروى الحديث ؟ قلت : نعم . قال : فهل تعرف حديث الطير[1] ؟ قلت : نعم . قال : فحدِّثنى به . قال : فحدَّثته الحديث . فقال : يا إسحاق ، إنى كنتُ أكلمك وأنا أظنّك غيرَ معاند للحقّ ، فأما الآن فقد بان لى عنادُك ، إنك تُوقن أنّ هذا الحديث صحيح ؟ قلت : نعم ، رواه من لا يُمكننى ردُّه . قال : أفرأيتَ أنّ مَن أيقن أن هذا الحديث صحيح ، ثم زَعم أنّ أحداً أفضلُ من علىّ ، لا يخلو من إحدى ثلاثة : من أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عنــده مَردودة عليه ؛ أو أن يقول : إن الله عز وجل عرف الفاضلَ من خَلقه وكان المَفضولُ أحبَّ إليه ؛ أو أن يقول : إن الله عزّ وجلّ لم يعرف الفاضلَ من المَفضول . فأى الثلاثة أحبُّ إليك أن تقول ؟ فأطرقتُ . ثم قال : يا إسحاق ، لا تقل منها شيئاً ، فإنك إن قلتَ منها شيئاً أستتبتُك ، وإن كان للحديث عندك تأويلٌ غيرُ هذه الثلاثة الأوجه فقُله . قلت : لا أعلم ، وإنّ لأبى بكر فضلاً . قال : أجل ، لولا أنّ له فضلاً لما قيل إن عليًا أفضلُ منه ، فما فضلُه الذى قصدتَ إليه الساعة ؟ قلت : قولُ الله عزّ وجل : (ثانى اُثنين إذْ هُما فى الْغَار إذْ يقُولُ لصاحِبه لا تَحْزَن إنّ اللّهَ معَنا) ، فنَسبه إلى صُحبته . قال : يا إسحاق ، أمَا إنى لا أحملك على الوَعر من طريقك ، إنى وجدتُ الله تعالى نَسب إلى صُحبة مَن رَضيه ورَضى عنه كافراً ، وهو قوله : (فقال له صاحبُه وهو يُحاوِرُه أكفَرْتَ

---

(١) فى ن : « الظن » .

بالّذى خَلَقَكَ مِن تُراب ثم من نُطفة ثم سَوّاك رَجُلاً . لـكنّا هو اللهُ رَبِّى ولا أُشرِكُ برَبِّى أحَداً) . قلت : إن ذلك صاحب كان كافراً ، وأبو بكر مؤمن . قال : فإذا جاز أن يَنسب إلى صُحبة من رضيه كافراً جاز أن يَنسب إلى صحبة نبيّه مُؤمناً ، وليس بأفضل المؤمنين ولا الثانى ولا الثالث . قلت : يا أمير المؤمنين، إن قَدْر الآية عظيم ، إن الله يقول : (ثانِيَ اثنين إذ هُما فى الغار إذ يقولُ لصاحبه لا تَحْزَن ، إنَّ الله مَعَنا) . قال : يا إسحاق ، تأبَى الآن إلا أن أُخرجَك إلى الاُستقصاء عليك ، أخبرنى عن حُزن أبى بكر ، أكان رِضًى أم سُخطاً ؟ قلت : إن أبا بكر إنما حَزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه ، وغمّا أن يصل إلى رسول الله شىءٌ من المكروه . قال : ليس هذا جَوابى ، إنما كان جوابى أن تقول : رضًى أم سُخط ؟ قلت : بل رضًى لله . قال : فكأن الله جلَّ ذكرُه بَعث إلينا رسولاً يَنهى عن رضَى الله عزّ وجل وعن طاعته . قلت : أعوذ بالله . قال : أوَلَيس قد زعمتَ أن حُزن أبى بكر رضًى لله ؟ قُلت : بلى . قال : أوَلم تَجد أنَّ القرآن يشهد أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال له : « لا تَحزن » نهياً له عن الحزن . قلت : أعوذ بالله . قال : يا إسحاق ، إنَّ مذهبى الرفقُ بك لعلَّ اللهَ يردّك إلى الحق ويَعْدِل بك عن الباطل لـكثرة ما تَستعيذ به . وحدِّثنى عن قول الله : (فأنزَلَ اللهُ سكينتَه عليه) مَن عَنى بذلك : رسولَ الله أم أبا بكر ؟ قلت : بل رسول الله . قال : صدقْت . قال : فحدِّثنى عن قول الله عزّ وجل : (ويَوم حُنَين إذ أعجَبَتكم كَثرتُكم) إلى قوله : (ثم أنزلَ اللهُ سَكِينَتَه على رسولِه وعلى المُؤمنين) . أتعلم مَن المُؤمنون الذين أراد الله فى هذا الموضع ؟ قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين . قال : الناس جميعاً انهزموا يومَ حُنين ، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سبعةُ نفر من بنى هاشم : علىٌّ يضربُ بسيفه بين يدى رسول الله ، والعبّاس آخذ بلجام بَغلة رسول الله ، والخمسة مُحدِقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شىء ، حتى أعطى اللهُ لرسوله الظفرَ ،

فالمؤمنون فى هذا الموضع علىّ خاصة ، ثم من حضره من بنى هاشم . قال : فمن ٤٦/٣ أفضلُ : مَن كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت ، أم مَن انهزم عنه ولم يَره اللهُ موضعاً ليُنزلها عليه ؟ قلت : بل من أنزلت عليه السكينةُ ؟ قال : يا إسحاق ، من أفضل : مَن كان معه فى الغار أم من نام على فِراشه ووقاه بنفسه ، حتى تمّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد من الهجرة ؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسولَه أن يأمر عليّا بالنوم على فِراشه وأن يقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، فأمره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بذلك . فبكى علىٌّ رضى الله عنه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما يُبكيك يا علىّ ، أجَزَعاً من الموت ؟ قال : لا ، والذى بعثَك بالحق يا رسولَ الله ، ولكن خوفاً عليك ، أفتَسلَم يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال : سمعاً وطاعة وطيِّبة نفسى بالفداء لك يا رسول الله . ثم أتى مضجَعه واضطجع ، وتسجّى بثَوبه . وجاء المشركون من قُريش فحفّوا به ، لا يشكّون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أجمعوا أن يضربَه من كل بَطن من بُطون قريش رجلٌ ضربةً بالسيف لئلاّ يَطلبَ الهاشميون من البطون بطناً بدمه ، وعلىٌّ يسمع ما القوم فيه مِن تَلَف نفسه ، ولم يَدْعه ذلك إلى الجَزع كما جَزِع صاحبُه فى الغار ، ولم يَزل علىٌّ صابراً مُحتسباً . فبعث الله ملائكتَه فمنعتْه من مُشركى قريش حتى أصبح . فلما أصبح قام ، فنَظر القومُ إليه فقالوا : أين محمد ؟ قال : وما عِلْمى بمحمد أين هو ؟ قالوا : فلا نَراك إلا كُنت مُغرِّراً بنفسك منذ ليلتنا . فلم يَزل علىّ أفضلُ ما بدأ به يزيدُ ولا يَنقص حتى قبضه الله إليه . يا إسحاق ، هل تَروى حديث الولاية ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال : أرْوِه . ففعلتُ . قال : يا إسحاق ، أرأيت هذا الحديث ، هل أوجب على أبى بكر وعمرَ ما لم يُوجب لهما عليه ؟ قلت : إن الناس ذكروا أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشىء جَرى بينه وبين علىّ ، وأنكر ولاء علىّ ، فقال رسولُ الله صلى عليه وسلم : مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه ،

اللهم والِ مَن والاه ، وعادِ من عاداه . قال : وفى أى موضع قال هذا ؟ أليس بعد مُنصرفه من حِجّة الوداع ؟ قلت : أجل . قال : فإن قَتْل زيد بن حارثة قبل الغَدير[1] ، كيف رضيتَ لنفسك بهذا ؟ أخبرنى لو رأيتَ ابناً لك[2] قد أتت عليه خمسَ عشرة سنة يقول : مولاى مولى ابن عمى أيها الناس ، فاعلموا ذلك . أكنتَ مُنكراً عليه تعريفَه الناس ما لا يُنكرون ولا يَجهلون ؟ فقلتُ : اللهم نعم . قال : يا إسحاق ، أفتنزّه ابنك عما لا تُنزه عنه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويحَكم ! لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جلّ ذكره قال فى كتابه : (اتّخذوا أحبارَهم ورُهبانهم أرباباً من دُونِ الله) ولم يصلّوا لهم ولا صاموا ولا زَعموا أنهم أرباب ، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرَهم . يا إسحاق ، أتروى حديث : « أنت منّى بمَنزلة هارون من مُوسى » ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد سمعتُه وسمعتُ مَن صَحَّحه وجَحده . قال : فمن أوثق عندك : مَن سمعتَ منه فصحّحه ، أو مَن جحده ؟ قلت : مَن صحّحه . قال : فهل يمكن أن يكون الرسولُ صلى الله عليه وسلم مزح بهذا القول ؟ قلت : أعوذ بالله . قال : فقال قولاً لا معنى له ، فلا يُوقف عليه ؟ قلت : أعوذ بالله . قال : أفما تعلم أنَّ هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه ؟ قلت : بلى . قال : فعلىٌّ أخو رسول الله لأبيه وأمه ؟ قلت : لا . قال : أوليس هارون كان نبيًا وعلىٌّ غير نبىّ ؟ قلت : بلى . قال : فهذان الحالان مَعدومان فى علىّ وقد كانا فى هارون ، فما معنى قوله : « أنت منّى بمنزلة هارون من موسى » ؟ قلت له : إنما أراد أن يُطيِّب بذلك نفسَ علىّ لَمّا قال المنافقون إنه خلّفه استثقالاً له . قال : فأراد أن يُطيِّب نفسه بقول لا معنى له ؟ قال : فأطرقتُ . قال : يا إسحاق ، له معنى فى كتاب الله بيّن. قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ٤٧/٣ قوله عزّ وجلّ حكايةً عن موسى إنه قال لأخيه هارون : (اخلُفْنى فى قَوْمى

---

(١) يريد : غدير خم ، وهو بين مكة والمدينة ، وبينه وبين الجحفة ميلان . وكان مقتل زيد بن حارثة فى غزوة مؤتة .

(٢) فى ن : « لنفسك » .

وأصلِح ولاتَتَّبِع سَبيلَ المُفسدين). قلت : يا أمير المؤمنين ، إن موسى خَلّفَ هارون فى قومه وهو حىّ ، ومَضى إلى ربه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلّف عليًّا كذلك حين خرج إلى غَزاته . قال : كلا ، ليس كما قلت . أَخْبِرْنى عن موسى حين خَلّف هارون ، هل كان معه حين ذَهب إلى ربه أحدٌ من أصحابه أو أحد من بنى إسرائيل ؟ قلت : لا. قال : أوليس أستخلفه على جماعتهم ؟ قلت : نعم . قال : فأخبرنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى غزاته ، هل خلّف إلا الضُّعفاء والنساء والصبيان ؟ فأنّى يكون مثلَ ذلك ؟ وله عندى تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يَقدر أحدٌ أن يحتج فيه ، ولا أعلم أحداً أحتج به ، وأرجو أن يكون توفيقاً من الله . قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : قولُه عزّ وجل حين حَكى عن موسى قوله : (واجْعَل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدُد به أزْرِى وأَشْرِكه فى أمرى كىْ نُسبّحك كثيراً ونَذْكُرك كثيراً إنك كُنتَ بنا بصيراً) . فأنت منى ياعلىّ بمنزلة هارون من موسى ، وزيرى من أهلى ، وأخى أشد به أزرى ، وأشركه فى أمرى ، كى نُسبح الله كثيراً ، ونذكره كثيراً ، فهل يقدر أحد أن يُدخل فى هذا شيئاً غير هذا ؟ ولم يكن ليبطل قول النبى صلى الله عليه وسلم وأن يكون لا معنى له . قال : فطال المجلسُ وارتفع النهار . فقال يحيى ابن أكثم القاضى : يا أمير المؤمنين ، قد أوضحتَ الحقّ لمن أراد الله به الخير ، وأثبتّ ما لا يَقدر أحدٌ أن يَدفعه . قال إسحاق : فأقبل علينا وقال : ما تقولون ؟ فقلنا : كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزّه الله . فقال : والله لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اقبلوا القول من الناس» ما كنت لأقبل منكم القول . اللهم قد نصحتُ لهم القول ، اللهم إنى قد أخرجْت الأمر من عُنقِى ، اللهم إنى أدينك بالتقرّب إليك بحب علىّ وولايته .

الساحق يدعو الرضا بأمر المأمون

وكتب المأمون إلى عبد الجبّار بن سعد المُساحقىّ عامله على المدينة : أن أخطُب الناس وأُدعهم إلى بيعة الرِّضا علىّ بن موسى . فقام خطيباً فقال : يأيها الناس ، هذا الأمر الذى كُنتم فيه تَرغبون ، والعدل الذى كنتم تنتظرون ،

والخير الذى كنتم تَرجون ، هذا علىٌّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب :

ســــــــتةُ آباء همُ ما همُ ... مِن خَير مَن يشرب صَوْبَ الغَمام

بين المأمون والرضى

وقال المأمون لعلىّ بن موسى : علام تدّعون هذا الأمر؟ قال : بقرابة علىّ وفاطمة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال له المأمون : إن لم تكن إلا القرابة فقد خَلّف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل بيته مَن هو أقربُ إليه من علىّ ، أو من هو فى قُعْدُده[1] ؛ وإن ذهبتَ إلى قرابة فاطمة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإن الأمر بعدها للحسن والحُسين ، وقد أبتزهما علىٌّ حَقّهما وهما حيّان صحيحان ، فاستولى على ما لا حقٌ له فيه . فلم يجد علىّ بن موسى له جواباً .

---

(١) فى قعدده ، بضم الدال وفتحها ، أى فى قرب آبائه من الجد الأكبر .

باب من أخبار الدولة العباسية

علي ومعاوية ومولود لابن عباس

رُوِى عن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أفتقد عبدَ الله بن عبّاس وقت صلاة الظُّهر، فقال لأصحابه : ما بال أبى العبّاس لم يحضُر؟ قالوا : وُلد له مولود. فلما صلّى عليّ الظهر، قال : أنقلبوا بنا إليه. فأتاه فهنّأه، فقال له : شكرتَ الواهب وبُورِكَ لك فى الموهوب، فما سمّيتَه؟ قال : لا يجوز لى أن أسميه حتى تُسميه أنت. فأمر به فأُخرج إليه فأخذه، فحنّكه ودعا له وردّه، وقال : ٤٨/٣ خُذه إليك أبا الأملاك، وقد سمّيتُه عليًّا وكنّيته أبا الحسن. قال : فلما قدم معاويةُ قال لابن عباس : لك اسمُه[1] وقد كنّيته أبا محمد. فجرتْ عليه.

شيء عن علي بن عبدالله بن عباس

وكان عليّ سيّداً شريفاً عابداً زاهداً، وكان يصلّى فى كل يوم ألف ركعة، وضُرب مرّتين، [كلتاهما] ضَربه الوليد، [فإحداهما] فى تزوجه لُبابة بنت عبد الله[2] بن جعفر، وكانت عند عبد الملك بن مروان، فعضّ تفاحة ورمى بها إليها، وكان أبخر، فدعت بسكّين. فقال : ما تصنعين به؟ قالت : أُميط عنها الأذى، فطلّقها، فتزوّجها عليّ بن عبد الله بن عبّاس، فضَربه الوليد، وقال : إنما تتزوّج أمهاتِ أولاد الخُلفاء لتضع منهم. لأنّ مروان بن الحكم إنما تزوّج أمّ خالد بن يزيد ليَضع منه. فقال عليّ بنُ عبد الله بن عباس : إنما أرادتْ الخروج من هذه البلدة وأنا ابنُ عمها، فتزوجتُها لأكون لها مَحرماً. وأما ضربُه إياه فى المرة الثانية، فإن محمد بن يزيد قال : حدّثنى مَن رآه مَضروباً يُطاف به على بَعير ووجهُه مما يلى ذنَب البعير، وصائحٌ يصيح عليه : هذا عليّ بن عبد الله الكذّاب. قال : فأتيتُه فقلتُ : ما هذا الذى نسبوك فيه إلى الكَذِب؟ قال : بلغهم أنى أقول إن هذا الأمرَ سيكون فى ولدى، والله ليكوننّ فيهم حتى

(١) فى ع : « قال : فلما قام معاوية قال : ليس لكم اسمه وكنيته ».

(٢) فى الأصول : « لبابة بنت عبد الرحمن ». وما أثبتنا من الكامل (ص ٣٦٠) والمعارف (ص ١٠٤) وابن خلكان (١ : ٣٢٣).

تملكهم عبيدُهم الصغار العُيون ، العِراض الوجوه ، الذين كأنّ وجوههم المجانّ المُطرقة[١] .

وفى حديث آخر : إن علىّ بن عبد الله دخل على هِشام بن عبد الملك ومعه أبناه : أبو العباس وأبو جعفر ، فشكا إليه دَيناً لزمه ، فقال له : كم دَينُك ؟ قال : ثلاثون ألفاً ، فأمر له بقضائه ، فشكره عليه ، وقال : وصلتَ رحماً ، وأنا أريد أن تستوصى بابنىّ هذين خيراً . قال : نعم . فلما تولّى ، قال هشام لأصحابه : إنّ هذا الشيخَ قد أهْتَر وأسنّ وخُولط ، فصار يقول : إن هذا الأمر سيُنقل إلى ولده . فسمعه علىّ بن [عبد الله بن] العباس ، فقال : والله ليكوننّ ذلك وليملكنّ ابناى هذان ما تملكه .

على بن عبد الله وزواجه من جارية أهداها إليه عبد الملك وولداه منها

قال محمد بن يَزيد : وحدّثنى جعفرُ بنُ عيسى بن جعفر الهاشمىّ قال : حضَر علىُّ بن عبد الله مجلسَ عبد الملك بن مروان ، وكان مُكرِماً له ، وقد أُهديت له من خُراسان جارية وفَصّ خاتَم وسيف . فقال : يا أبا محمد ، إنّ حاضر الهدية شريكٌ فيها ، فاختر من الثلاثة واحداً . فاختار الجارية ، وكانت تسمّى سُعدى . وهى من سَبى الصُّغْد[٢] من رهط عُجيف بن عَنْبسة ، فأولدها سليمان بنَ علىّ ، وصالح بن علىّ . وذكر جعفرُ بن عيسى أنه لما أولدها سليمان ، اجتنبت فراشه ، فمرض سليمانُ من جُدرىّ خَرج عليه . فانصرف علىّ من مُصلّاه فإذا بها على فراشه ، فقال : مرحباً بك يا أم سليمان . فوقع عليها فأولدها صالحاً . فاجتنبت فراشَه ، فسألها عن ذلك . فقالت : خِفتُ أن يموت سليمان فى مَرَضه ، فينقطع النسبُ بينى و بين رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فالآن إذ ولدتُ صالحاً فبالحرىّ إن ذهب أحدهما بقى الآخر ، وليس مِثلى وطِيئة الرجال .

سليمان وصالح ووصية أبيهما

وزعم جعفرٌ أنه كانت فى سليمان رُتّة[٣] وفى صالح مثلُها ، وأنها موجودة فى

(١) المجان : جمع مجن ، وهو الترس .
(٢) الصغد (بالضم) : كورة قصبتها سمرقند . (انظر معجم البلدان) .
(٣) الرتة (بالضم) : العجمة . وفى بعض الأصول : « رقة » .

آل سليمان وصالح . وكان عليّ يقول : أكره أنْ أوصى إلى محمد ولدى ، وكان سيدَ ولده وكبيرَهم ، فأشينَه بالوصيّة ، فأوصى إلى سليمان . فلما دُفن عليّ جاء محمد إلى سُعدى ليلا ، فقال : أخرجي لى وصيَّة أبى . قالت : إن أباك أجلُّ من أن تُخرَج وصيّته ليلا ، ولكن تأتى غُدوة إن شاء الله . فلما أصبح غدَا عليه سليمانُ بالوصيَّة ، فقال : يا أبى ويا أخى ، هذه وصيَّة أبيك . فقال : جزاك الله من ابنٍ وأخ خيراً ، ما كنت لأُثَرِّب(١) على أبى بعد موته كما لم أُثَرِّب عليه فى حياته .

وصاة معاوية فى شكاته التى هلك فيها

العُتبى عن أبيه عن جدّه قال : لما اشتكى معاويةُ شكاتَه التى هلك فيها أرسل إلى ناس من جِلّة بنى أُمية ، ولم يحضُرها سفيانىّ غيرى وغير عثمان بن محمد ،
٤٩/٣ فقال : يا معشر بنى أمية ، إنى لما خِفْتُ أن يسبقكم الموتُ إلىّ سبقتُه بالموعظة إليكم ، لا لأرد قَدَراً ، ولكن لأبلغ عُذْراً . إن الذى أُخلِّف لكم من دُنياى أمرٌ ستُشاركون فيه وتُغلبون عليه ، والذى أُخَلِّف لكم من رأى(٢) أمر مقصور لكم نَفْعه إن فعلتموه ، مَخوف عليكم ضَرره إن ضيَّعتموه . إن قريشاً شاركتكم فى أنسابكم ، وانفردتم دونها بأفعالكم ، فقدَّمكم ما تقدمتُم له ، إذ أخَّر غيرَكم ما تأخروا عنه ، ولقد جُهل بى فَحَلُمْتُ(٣) ، ونُقر لى ففهمت ، حتى كأنى أنظر إلى أبنائكم بعدكم كنظرى إلى آبائهم قبلهم . إنّ دولتكم ستطول ، وكل طويل مملول ، وكل مملول مخذول . فإذا كان ذلك كذلك ، كان سببُه اختلافَكم فيما بينكم ، واجتماعَ المختلفين عليكم ، فيُدْبِر الأمرُ بضد ما أقبل به . فلستُ أذكر جسيماً(٤) يُركب منكم ، ولا قبيحاً يُنتهك فيكم ، إلا والذى أُمسك عن ذكره أكثرُ وأعظم ، ولا مُعوّل عليه عند ذلك أفضلُ من الصبر واحتساب

(١) التثريب : اللوم .
(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « ورائى » .
(٣) فى ن : « فعلمت » .
(٤) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « حسنا » .

الأجر . سيادٌ كم القومُ دولتَهم امتداد العِنانين فى عُنق الجواد ، حتى إذا بلغ الله بالأمر مَداه ، وجاء الوقتُ المبلول بريق النبىّ صلى الله عليه وسلم ، مع الخِلقة المطبوعة على مَلالة الشىء المَحبوب ، كانت الدولةُ كالإناء المُكفأ . فعندها أُوصيكم بتقوى الله الذى لم يتّقه غيرُكم فيكم[(١)] ، فجعل العاقبةَ لكم ، والعاقبةُ للمتقين . قال عمرو بن عُتبة : فدخلتُ عليه يوماً آخر فقال : يا عمرو ، أوَعيتَ كلامى ؟ قلت : وعيتُ . قال : أعِد علىّ كلامى فقد كلمتُكم وما أرانى أُمسى من يومكم ذلك .

شيب بن شيبة وعبد الله بن محمد بن على

قال شبيبُ بن شَيبة الأهتمىّ : حججتُ عامَ هلك هشامُ ووُلِّى الوليدُ بن يزيد ، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة ، فبينما أنا مُريح ناحية من المسجد ، إذ طلع من بعض أبواب المسجد فتىً أسمرُ رقيقُ السُّمرة ، موفَّر اللِّمّة . خفيف اللِّحية ، رَحب الجبهة ، أقنى بيّن القَنَى ، أعينُ كأنّ عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أُبهة الأملاك بزىّ النُّساك ، تَقبله القلوب ، وتَتبعه العيون ، يُعرف الشَّرف فى تواضعه ، والعِتْق[(٢)] فى صُورته ، واللُّب فى مِشيته . فما ملكتُ نفسى أن نهضتُ فى أثره سائلاً عن خبره ، وسَبقنى فتحرّم بالطواف ، فلما سبّع قصد المقام فركع ، وأنا أرعاه ببصرى . ثم نَهض مُنصرِفاً ، فكأنّ عيناً أصابته ، فكبا كَبوة دَميت لها إصْبعه ، فقعد لها القُرفصاء ، فدنوتُ منه متوجّعاً لما ناله مُتّصلا به ، أمسح رجله من عَفر التراب ، فلا يَمتنع علىّ ، ثم شققتُ حاشية ثوبى فعصبتُ بها إصبعه ، وما يُنكر ذلك ولا يَدْفعه ، ثم نَهض متوكئاً علىّ . وانقدتُ له أُماشيه ، حتى إذا أتى داراً بأعلى مكّة ، أبتدره رجلان تكاد صدورهما تَنفرج من هَيبته ، ففتحا له الباب . فدخل ، وأجتذبنى فدخلتُ بدخوله ، ثم خلّى يدى وأقبل على القِبْلة ، فصلّى ركعتين أوجز فيهما فى تَمام ، ثم أستوى فى صدر مجلسه ، فحمِدَ الله وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلّى الله عليه

(١) فى بعض الأصول : « فيهم » .
(٢) كذا فى ع ، ن . والذى فى سائر الأصول : « النغو » .

وسلم أتمَّ صلاة وأطيبها ، ثم قال : لم يَخْف عليَّ مكانك منذ اليوم ولا فعلُك بى ، فمن تكون يرحمك الله ؟ قلت : شَبيب بن شيبة التميميّ . قال: الأهتميّ ؟ قلتُ : نعم . قال : فرحّب وقرّب ، ووصف قومى بأبين بيان ، وأفصح لسان . فقلت له : أنا أُجلّك ، أصلحك الله ، عن المسألة ، وأُحب المعرفة . فتبسم وقال : لَطُف أهل العراق ، أنا عبدُ الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس . فقلت : بأبى أنت وأمى ، ما أشبَهك بنَسبك ، وأدلَّك على مَنْصبك ، ولقد سبق إلى قلبى من محبّتك مالا أُبلغه بوَصفى لك . قال : فأحمد الله يا أخا بنى تميم ، فإنّا قوم يُسعد الله بحُبنا من أحبّه ، ويُشقى ببغُضنا من أبغضه ، ولن يصل
٥٠/٣ الإيمانُ إلى قلب أحدكم حتى يُحبَّ اللهَ ويُحب رسوله ، ومهما ضَعُفنا عن جزائه قَوِى اللهُ على أدائه . فقلتُ له : أنت تُوصف بالعلم وأنا من حَمَلته ، وأيامُ الموسم ضَيِّقة ، وشُغل أهل مكةَ كثير ، وفى نفسى أشياء أُحب أن أسأل عنها ، أفتأذن لى فيها جُعلت فداك ؟ قال : نحن من أكثر النـاس مُستوحشون ، وأرجو أن تكون للسرِّ موضعا ، وللأمانة واعيا ، فإن كنتَ كما رجوتُ فافعل . قال : فقدّمتُ من وثائق القول والأيمان ماسكَن إليه ، فتلا قولَ الله : (قُلْ أيّ شَيْءٍ أكبرُ شهادةً قُلِ اللهُ شهيدٌ بَيْنى وبَيْنكم) ثم قال : سَل عما بدا لك . قلت ؟ ما ترى فيمن على الموسم ؟ وكان عليه يوسفُ بن محمد بن يوسف الثّقفى ، خال الوليد . فتنفّس الصُّعداء ، وقال : عن الصلاة خَلْفه تسألنى أم كرهتَ أن يتأمّر على آل الله مَن ليس منهم ؟ قلت : عن كلا الأمرين . قال : إن هذا عند الله لعظيم ، فأما الصلاة ففرضُ لله تَعبّدَ به خلقَه ، فأدِّ ما فرَض اللهُ تعالى عليك فى كل وقت مع كُل أحد وعلى كل حال ، فإن الذى نَدبك لحجّ بيته وحُضور جماعته وأعياده لم يُخبرك فى كتابه بأنه لا يَقبل منك نُسكا إلا مع أكمل المؤمنين إيمانًا ، رحمةً منه لك ، ولو فعل ذلك بلك

ضاق الأمر عليك ، فأَسْمِح يُسمِح[١] لك . قال : ثم كرّرت[٢] فى السؤال عليه فما احتجتُ أن أسأل عن أمر دين أحداً بعده . ثم قلت : يَزعم أهلُ العلم أنها ستكون لكم دولة . فقال : لا شك فيها ، تَطلع طُلوعَ الشمس وتَظهر ظهورَها ، فنسأل الله خيرَها ، ونعوذ بالله من شَرها ، فخُذ بحظّ لسانك ويدك منها إن أدركتَها . قلت : أو يتخلّف عنها أحدٌ من العرب وأنتم سادتها ؟ قال : نعم ، قَوم يأبون إلا الوفاء لمن اصطنعهم ، ونأبى إلا طَلباً بحقّنا ، فننُصر ويُخذلون ، كما نُصر بأولنا أولهُم ، ويُخذل بمُخالفتنا من خالف منهم . قال : فاسترجعتُ . فقال : سَهِّل عليك الأمر ، سُنة الله التى قد خَلَت من قبل ولن تَجد لسُنة الله تبديلا . وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صِلة أرحامهم ، وحفظ أعقابهم ، وتجديد الصَّنيعة عندهم . قلت : كيف تسلم لهم قلوبُكم وقد قاتلوكم مع عدوّكم ؟ قال نحن قوم حُبِّب إلينا الوفاء وإن كان علينا ، وبُغِّض إلينا الغَدر وإن كان لنا ، وإنما يَشذ علينا[٣] منهم الأقل ، فأما أنصار دَولتنا ، ونُقباء شِيعتنا ، وأمراء جُيوشنا ، فهم مواليهم[٤] ، ومَوالى القوم من أنفسهم . فإذا وَضعت الحرب أوزارها صَفحنا بالمُحسن عن المسىء ، ووَهبنا للرجل قومه ومَن اتصل بأسبابه ، فتذهب النّائرة[٥] ، وتَخبو الفِتْنة ، وتطمئنّ القلوب . قلت : ويقال : إنه يُبتلى بكم مَن أخلص لكم المَحبة . قال : قد رُوى أن البلاء أسرعُ إلى مُحبّينا من الماء إلى قراره . قلت : لم أُرد هذا . قال : فمَهْ ؟[٦] قلت : تَعُقّون الولىّ وتُحْظون العدو[٧] ؟ قال : مَن يسعد بنا من الأولياء أكثر ، ومن يَسلم منا من الأعداء أقلُّ وأيسر ، وإنما نحن بَشر وأكثرنا أُذن ، ولا يعلم

(١) سمح ، ككرم ، وأسمح : جاد وكرم .
(٢) فى ع ، ن : « داركت » .
(٣) فى بعض الأصول : « عنا » .
(٤) فى ع : « فهم ومواليهم » .
(٥) فى بعض الأصول : « المثابرة » تحريف .
(٦) فى بعض الأصول : « فما » .
(٧) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « تقعون بالولى وتحظون العدو » :

الغيبَ إلا الله ، وربما أستترت عنّا الأمور فنقع بما لا نُريد ، وإن لنا لإحساناً يَأسو اللهُ به ما نَكْلِم ، ويَرُمّ به ما نَثْلِم ، ونستغفر الله ممّا لا نعلم ، وما أنكرتُ من أن يكون الأمرُ على ما بلغك ، ومع الوَلىّ التعزُّز والإدلال ، والثِّقة والأسترسال ؛ ومع العدوّ التحرّز والأحتيال ، والتذلّل والأغتيال ؛ وربما أمَلّ المُدِلّ ، وأخلّ المُسترسل ، وتجانب المُتقرّب ، ومع الثقة تكون الثّقة ؛ على أنّ العاقبةَ لنا على عدوّنا ، وهى لوليّنا ، وإنك لسؤول يا أخا بنى تميم . قلت : إنى أخاف أن لا أراك بعد اليوم . قال : إنى لأرجو أن أراك وترانى كما تحب ٥١/٣ عن قَريب إن شاء الله تعالى . قلت : عَجّل اللهُ ذلك . قال : آمين . قلتُ : ووهب لى السلامة منكم فإنى من مُحبّيكم . قال : آمين ، وتبسّم . وقال : لا بأس عليك ما أعاذك الله من ثلاث . قلت : وما هى ؟ قال : قدْح فى الدين ، أو هَتْك المُلك ، أو تُهمة فى حُرمة . ثم قال : احفظ عنّى ما أقول لك : أصدُق وإن ضرك الصدق ، وأنصَح وإن باعدك النُّصح ، ولا تجالس عدوّنا وإن أحظيناه ، فإنه مخذول ، ولا تَخذل وليّنا [وإن أبعدناه] فإنه مَنْصور ، وأصحبنا بترك المُماكرة ، وتواضع إذا رفعوك ؛ وصِلْ إذا قَطعوك ، ولا تَستخْف فيمقتوك ، ولا تَنقَبض فيتحشّموك ، ولا تبدأ حتى يبدءوك ؛ ولا تخطب الأعمال ، ولا تتعرّض للأموال . وأنا رائح من عَشيّتى هذه ، فهل من حاجة ؟ فنهضتُ لوداعه فودّعته ، ثم قلت : أترقبُ لظهور الأمر وقتا ؟ قال : الله المقدِّر المُوقّت ، فإذا قامت النّوحتان بالشام فهما آخر العلامات . قلت : وما هما ؟ قال : موتُ هشام العامَ وموتُ محمد بن علىّ مستهلّ ذى القعدة ، وعليه أُخلِفت [1] ، وما بلغتُكم حتى أنضيت . قلتُ : فهل أوْصى ؟ قال : نعم ، إلى أبنه [2] إبراهيم . قال : فلما خرجتُ فإذا مولى له يَتْبعنى ، حتى عَرف منزلى ، ثم أتانى بكسوة

(١) يقال : أخلف الله تعالى عليك ، أى رد عليك ما ذهب ، يريد الخلافة . وفى أكثر الأصول : « وعليه تخلفت » .

(٢) فى الأصول : « أخيه » . تحريف . (انظر الطبرى) .

من كُسوته ، فقال : يأمرك أبو جعفر أن تُصلِّى فى هذه ، قال . وافترقنا .

قال : فوالله ما رأيتُه إلا وحرسيّان قابضان علىّ يُدنيانى منه فى جماعة من قومى لأبايعه . فلما نَظر إلىّ أثبتَنى ، فقال : خلّيا عمن صَحّت مودّته ، وتقدّمت حُرمته ، وأُخذتْ قبل اليوم بيعتُه . قال : فأكبر الناسُ ذلك من قوله ، ووجدتُه على أوّل عهده لى ، ثم قال لى : أين كنتَ عنّى فى أيام أخى أبى العبّاس . فذهبتُ أعتذر . قال : أمسك ، فإنّ لكل شىء وقتاً لا يعدوه ، ولن يَفوتك إن شاء الله حظُّ مودّتك وحق مُسابقتك ، فاختر بين رزق يَسعك أو عمل يرفعك . قلت : أنا حافظ لو صيّتك . قال : وأنا لها أحفظ ، إنما نهيتُك أن تخطُب الأعمال ، ولم أنهك عن قَبولها . قلت : الرزقُ مع قُرب أمير المؤمنين أحبُّ إلىّ . قال : ذلك لك ، وهو أجمّ لقلبك ، وأودع لك ، وأعفَى إن شاء الله . ثم قال : هل زدتَ فى عِيالك بعدى شيئاً ، وكان قد سألنى عنهم ، فذكرتُهم له ، فعجبتُ من حفظه ، قلت : الفرسَ والخادم . قال : قد أَلحقنا عيالَك بعيالنا وخادمك بخادمنا وفرسك بخَيلنا ، ولو وسعنى لحملتُ إليك[1] بيت المال ، وقد ضممتُك إلى المهدىّ ، وأنا أُوصيه بك ، فإنه أفرغُ لك منى .

قصة الأحوص وأيمن وابن حزم مع الوليد ثم ما كان من المنصور لابن حزم

قال الأحوص بن محمد الشاعر الأنصارىّ ، من بنى عاصم بن [بن ثابت بن] أبى الأقلح ، الذى حمت لحمَه الدَّبْر[2] ، يُشبِّب بامرأة يقال لها أم جعفر ، فقال فيها :

أدورُ ولولا أن أرى أمّ جعفر بأبياتكم مادُرت حيث[3] أدورُ

وكان لأم جعفر أخٌ يقال له أيمن ، فاستعدَى عليه ابنَ حَزم الأنصارىّ ، وهو والى المدينة للوليد بن عبد الملك ، وهو أبو بكر بن محمد بن عَمرو بن حَزم ، فبعث ابنُ حزم إلى الأحوص ، فأتاه . وكان ابنُ حزم يُبغضه ، فقال : ما تقول

(١) كذا فى ع . وفى ن : « لحملت لك بيت المال » . والذى فى سائر الأصول : « لحملت لك من بيت المال » .

(٢) الدبر : الزنابير . وسمى عاصم حمى الدبر ، لأنه لما أصيب يوم أحد منعت النحل الكفار منه . وذلك أن المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به فسلط الله عز وجل عليهم الزنابير الكبار تأبر الدارع . فارتدعوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه .

(٣) فى بعض الأصول : « حين » .

فيما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يزعم أنك تُشبِّب بأخته وقد فضحتَه وشَهرت أخته بالشعر . فأنكر ذلك . فقال لهما : قد أشتبه عليَّ أمرُكما ، ولكنى أدفع إلى كُل واحد منكما سَوطاً ، ثم أجتلِدا ، وكان الأحوص قصيراً نحيفاً ، وكان أيمن طويلاً ضخماً جَلْداً . فغلب أيمنُ الأحوصَ ، فضَربه حتى صَرعه وأثخنه . فقال أيمن :

لقد مَنع المعروفَ من أُم جعفر — أشمُّ طويلُ السّاعدين غَيورُ
عَلاكَ بمَتن السَّوط حتى أتقيتَه — بأصفرَ من ماء الصِّفاق يَفُورُ[1]

قال : فلما رأى الأحوص تحامُلَ ابنِ حزم عليه أُمتدح الوليدَ ، ثم شَخص
٥٢/٣ إليه إلى الشام ، فدخل عليه فأنشده :

لا ترثينَّ لحَــزْميٍّ رأيتَ به — ضُرًّا ولو أُلقِى الحَزْمىُّ فى النارِ
الناخسين لمَروان بذى خُشُبٍ — المُدْخلين على عُثمان فى الدارِ[2]

قال له : صدقتَ والله ، لقد كُنا غَفلنا عن حزم وآل حزم . ثم دعا كاتبَه فقال : اكتُب عهد عثمان بن حيّان المُرىّ على المدينة ، واعزِل ابنَ حزم ، واكتُب بقبض أموال حَزم وآل حَزم وإسقاطهم أجمعين من الديوان ، ولا يأخذون لأمويّ عطاء أبدا . ففعل ذلك . فلم يزالوا فى الحِرمان للعطاء مع ذَهاب الأموال والضِّياع حتى انقضت دولةُ بنى أمية وجاءت دولة بنى العبّاس . فلما قام أبو جعفر المنصور بأمر الدولة قدم عليه أهلُ المدينة ، فجلس لهم ، فأَمر حاجبَه أن يتقدَّم إلى كل رجل منهم أن يَنتسب له إذا قام بين يديه ، فلم يزالوا على ذلك يفعلون ، حتى دخل عليه رجلٌ قَصير قَبيح الوجه ، فلما مَثل بين يديه قال له : يا أمير

---

(١) الصفاق : جلد البطن ؛ وقيل : هو ما بين الجلد والمصران ومراق البطن . وقال الأصمعى : الصفاق : الجلد الأسفل الذى دون الجلد الذى يسلخ فإذا سلخ المسك بقى ذلك ممسك البطن ، وهو إذا انشق كان منه الفتق .

(٢) كذا فى اللسان (مادة نخس) . يريد أنهم نخسوا به من خلفه حتى سيروه من البلاد مطروحا ، والذى فى سائر الأصول : « الناكثين » . « وذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

المؤمنين ، أنا ابنُ حزم الأنصاريّ الذى يقول فينا الأحوص :

لا تَرْثِينّ لحزميّ رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلقى الحزمىُّ فى النارِ
الناخسين[١] لمروان بذى خُشُب والمُدخلين على عثمان فى الدار

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، حُرمنا العطاء منذ سِنين ، وقُبضت أموالُنا وضياعُنا . فقال له المنصور : أعِد علىّ البيتين . فأعادهما عليه . فقال : أما والله لئن كان ذلك ضَرّكم فى ذلك الحين لَينفعنّكم اليوم ، ثم قال : علىّ بسليمان الكاتب . فأتاه أبو أيوب الخُوزىّ . فقال : اكتُب إلى عامل المدينة أن يَرُدّ جميع ما اقتطعه بنو أميّة من ضِياع بنى حَزم وأموالهم ، ويَحسب لهم ما فاتَهم من عطائهم ، وما استُغلّ من غَلّاتهم من يومئذ إلى اليوم ، فيُخلف لهم جميعَ ذلك من ضِياع بنى مَروان ، ويَفْرض لكُل واحد منهم فى شَرَف العطاء — وكان شرفُ العطاء يومئذ مائتى ألف دينار[٢] فى السنة — ثم قال : علىّ الساعةَ بعشرة آلاف دِرهم تُدفع إلى هذا الفتى لنَفقته . فخرج الفتى من عنده بما لم يَخرج به أحدٌ ممن دخل عليه .

(١) فى الأصول هنا : « الناخشين » .
(٢) فى بعض الأصول : « بمائتى دينار » .

ذكر خلفاء بنى العباس

وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم

أبو العباس السفاح

بيعته ومولده ووفاته وخلافته وأمه

ولد أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب مُستهلّ رجبٍ سنةَ أربع ومائة . وبُويع له بالكوفة يومَ الجمعة لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلتْ من ربيع الآخر سـنة أثنتين وثلاثين ومائة . وتُوُفّى بالأنبار لثلاثَ(١) عشرَةَ ليلةً خلت من ذى الحجّة سنةَ ستٍّ وثلاثين ومائة . فكانت خلافتُه أربعَ سنين وثمانيةَ أشهر . وأمه رَيْطة بنتُ عُبيد الله بن عبد الله ابن عبد المَدان .

صفته وخاتمه وأولاده

وكان أبيضَ طويلاً أقنَى الأنف حسنَ الوجه حسنَ اللّحية جعدَها . نقشُ خاتمه « الله ثقة عبد الله وبه يؤمن » . وصلّى عليه عمُّه عيسى بن علىّ . ورُزق من الولد أثنين : محمد ، من أم ولد ، ومات صغيراً ؛ وأبنة سمّاها رَيطة ، من أم ولد ، تزوّجها المهدىُّ وأوولدها عليّا وعُبيد الله .

وزرائه وحجابه

ووَزَر له أبو سَلمة حَفْص بن سليمان الخلاّل ، وهو أول من لُقّب بالوزارة . فقتله أبو العبّاس وأستوزر بعده خالدَ بن بَرْمك إلى آخر أيّامه ، وكان حاجبَه أبو غسان صالحُ بن الهيثم ، وقاضيَه يحيى بنُ سعيد الأنصارىّ .

المنصـــــور

بيعته ومولده ووفاته وأمه

وبُويع أبو جعفر المنصور . وأسمه عبدُ الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله
٥٣/٣ ابن العبّاس فى اليوم الذى تُوُفّى فيه أخوه لثلاثَ عشرةَ(١) خلت من ذى الحجّة

(١) فى مروج الذهب : « لاثنتى عشرة » .

سنةَ ستٍّ وثلاثين ومائة . وكان مولدُه بالشَّراة[1] لسبعٍ خلَوْنَ من ذى الحجة سنةَ خمس وتسعين . وتُوفِّى بمكة قبل التَّرْوِية[2] بيوم ، لسبعٍ خلَوْنَ من ذى الحجَّة سنة ثمانٍ وخمسين ومائة وهو مُحْرِم . ودُفن بالحَجون[3] . وصلَّى عليه إبراهيمُ بن يحيى بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العبَّاس . وكانت مُدَّة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثمانيةَ أيام . وكانت سِنّه ثلاثاً وستين سنة . وأمُّه أَمَة اسمها سَلامة ، وجِنْسها بربرية .

صفته وخاتمه وزوجاته وأولاده

وكان أسمرَ طُوالاً نحيفَ الجسم خفيفَ العارضين يَخْضِب بالسواد . ونقش خاتمه «الله ثقة عبدالله وبه يؤمن» . وتزوَّج بنت منصور الحِمْيَرية[4] ، وولدت له : محمداً ، وهو المهدىُّ ، وجعفراً . وكانت شَرطت عليه ألاّ يتزوَّج ولا يتسرَّى إلا عن أمرها . وكان قد ابتاع جاريته أمَّ علىّ وجعلها قيِّماً فى داره[5] على أمِّ موسى وأولادها . فحظيت عند أمِّ موسى وسألته التسرِّى بها لِمَا رأت من فَضلها . فواقعها فأولدها عليّا ، وتُوفى قبل استكمال سَنة ؛ ثم فاطمة بنت محمد ، من ولد طَلحة بن عُبيد الله ، فولدت له سُليمان ، وعيسى ، ويعقوب . ورُزق من أمهات الأولاد : صالحاً والعالية[6] وجعفراً والقاسمَ والعبَّاس وعبد العزيز .

وزراؤه وحجابه وقضاته

ووَزر له ابنُ عطية الباهلىّ ، ثم أبو أيوب المُوريانىّ ، ثم الربيع ، مولاه . وكان حاجبه عيسى بنُ روضة ، مولاه ، ثم أبو الخَصيب ، مولاه . وكان قاضيَه

(١) الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة ، ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التى كان يسكنها ولد على بن عبد الله بن عباس فى أيام بنى مروان . (انظر معجم البلدان) .

(٢) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأن الحجاج يتزودون فيه من الماء وينهضون إلى منى ولا ماء بها فيتزودون ريهم من الماء .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

(٤) كذا فى ع . والذى فى سائر الأصول : « فى ولده » .

(٥) هى بنت منصور الحميرية التى تقدمت .

(٦) كذا فى ع والمعارف . وأمها من ولد خالد بن أسيد . والذى فى سائر الأصول : « غالية » .

عبدُ الله بن محمد بن صفوان ، ثم شريك بن عبد الله ، والحسن بن عمَّار ، والحجَّاج بن أرطاة .

المهـــــدى

بيعته ومولده ووفاته

ثم بُويع ابنُه أبو عبدالله محمد المهدىُّ بن عبد الله المَنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عبَّاس صبيحةَ اليوم الذى تُوفى فيه أبوه لستٍّ خلَون من ذى الحجة سنةَ ثمان وخمسين ومائة . وكان مولدُه بالُحميمة[1] يومَ الخميس لثلاثَ عشرةَ ليلة خلت من جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وعشرين ومائة . وتُوفى بماسَبَذان[2] فى المُحرم سنة تسع وستين ومائة . وصلَّى عليه ابنُه الرشيدُ . فكانت خلافتُه عشرَ سنين وخمسةً وأربعين يوماً . وكانت سنُه إحدى وأربعين سنة وثمانيةَ أشهر ويومين[3] .

صفته وخاتمه وزوجاته وأولاده

وكان أسمرَ طويلاً معتدلَ الخلق ، جعدَ الشعر ، بعينه اليمنى نُـكتة بياض . نقش خاتمه « الله ثقة محمد وبه يؤمن » . وتزوَّج رَيطة بنت السفاح ، وأولدها عليًّا وعُبيد الله . وأول جارية ابتاعها مَحْياة ، فرُزق منها ولداً مات قبل استكمال سنة . وكان يبتاع الجوارى بأسمها وتُقرِّبهن إليه . وأول من حَظِى منهن عنده رحيم ، ولدت له العبَّاسة ؛ ثم الَخيزران ، فولدت له موسى وهارون والبانوقة ؛ ثم حلة وحَسنة ، وكانتا مُغنِّيتين مُحسنتين . وتزوج سنة تسع وخمسين ومائة أمَّ عبدَ الله بنت صالح بن علىّ أختَ الفضل وعبد الله ، وأعتق الخيزران فى السنة وتزوَّجها[4] .

---

(١) انظر الحاشية (١ ص ١١٤) من هذا الجزء .

(٢) ما سبذان (بفتح السين والباء الموحدة والذال المعجمة وأخره نومه ، وأصله ماه سبذان ، مضاف إلى اسم القمر) : قال مسعر بن مهلهل : « وخرجنا من مرج القلعة إلى الطرز ونعطف منها يمنه إلى ماسبذان » . (انظر معجم البلدان) .

(٣) ما أورده المؤلف عن مولد المهدى ووفاته لايتفق وماذكره عن سنه . وقد جعل المسعودى مولده سنة سبع وعشرين ووفاته سنة سبع وستين ، إلا أنه أخطأ فى تقدير سنة فجعله ٤٣ . وذكر ابن قتيبة فى كتابه المعارف أن وفاته كانت سنة تسع وستين ، وأنه ولى الخلافة وهو ابن ثمان وثلاثين ، فوليها عشر سنين وشهرا ، وأنه مات وقد بلغ من السن ثمانيا وأربعين سنة .

(٤) ذكر ابن قتيبة فى المعارف للمهدى أولادا غير هؤلاء ، فارجع إليه .

وزراؤه وقضاته

ووَزر له أبو عبد الله مُعاوية بن عبد الله الأشعريّ ، ثم يعقوب بن داود السُّلمى ، ثم الفيض بن أبى صالح . واستحجب سلامان[1] الأبْرش . واستخلف على[2] القضاء محمد بن عبد الله بن عُلاثة ، وعافيةَ بن يزيد ، كانا يقضيان معاً فى مسجد الرُّصافة .

الهــــادى

بيعته وخلافته ووفاته

ثم بُويع ابنهُ أبو محمد موسى الهادى بن المهــدىّ مستهلَّ صفر ســنة تسع وستين ومائة . وتُوفى ليلة الجمعة لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة بعيساباذ[3] . وصلّى عليه أخوه الرشيد . وكانت خلافتُه سنةً وشهرين إلا أياماً وكانت سنُّه ستًّا وعشرين سنة .

صفته وخاتمه وزوجاته وأولاده

وكان أبيضَ طويلاً جسيما بشَفته العليا تقلُّص . نقش خاتمه « الله ربى » .
٥٤/٣ وتزوّج أمةَ العزيز ، فأولدها عيسى ؛ ثم رحيم ، فأولدها جعفراً ؛ ثم سعوف[4] ، فأولدها العبَّاس ؛ واشترى جاريته حسنة بألف درهم ، وكانت شاعرةً ، فرُزق منها عدَّة بنات ، منهن أم عيسى ، تزوّجها المأمون . وكان له من أمهات الأولاد عبدُ الله وإسحاق وموسى ، وكان أعمى .

وزراؤه وحجابه وقضاته

ووَزر له الربيع بن يونس[5] ، ثم عمر بن بَزيع[6] . واستحجب الفضلَ بن الربيع . وولّى القضــاء أبا يوسف يعقوب بن[7] إبراهيمَ ، فى الجانب الغربىّ ، وسعيدَ بن عبد الرحمن الجُمحىّ ، بالجانب الشرقىّ .

---

(١) لعله : سلام الأبرش .
(٢) فى بعض الأصول : « عن » تحريف .
(٣) عيساباذ : محلة كانت بشرقى بغداد تنسب إلى عيسى بن المهدى ، وكانت إقطاعا له . (انظر معجم البلدان) .
(٤) فى ع : « شفوف » .
(٥) فى الأصول : « الربيع ثم يونس » . وما أثبتنا من الطبرى ومروج الذهب .
(٦) كذا فى ع والطبرى والمروج . والذى فى سائر الأصول : « ربيع » .
(٧) فى الأصول : « يعقوب ثم ابراهيم » . وما أثبتنا من الطبرى والمروج .

هارون الرشـــيد

بيعته ومولده وخلافته ووفاته

ثم بُويع أخوه أبو محمد هارون الرشيد فى اليوم الذى تُوفى فيه أخوه يومَ الجمعة لأربعَ عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيع الأول ســنة سبعين ومائة . وفى هذه الليلة وُلد عبد الله المأمون . ولم يكن فى سائر الزمان ليلة وُلد فيها خليفة وتُوفى فيها خليفة وقام فيهـا خليفة غيرها . وكان مولد الرشيد فى المُحرم سنة ثمان وأربعين ومائة . وتُوفِّى فى جُمادى الأولى سنةَ ثلاث وتسعين ومائة ودُفن بطُوس[1] . وصلّى عليه ابنُه صالح فــكانت خلافتُه ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستةَ عشر يوماً . وكانت سنُّه ستاًّ وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما أفضتْ إليه الخلافةُ سلّم عليه عمُّه سليمان بن المَنصور ، والعبّاس بن محمد عمُّ أبيه ، وعبدُ الصمد ابن علىّ عمّ جدّه ، فعبدُ الصمد عمُّ العبّـاس ، والعبّاس عمُّ سليمان ، وسليمانُ عمُّ هارون .

صفته وخاتمه وزوجاته

وكان الرشيد أبيضَ جسيماً طويلاً جميلا . قد وَخطه الشيب . نقش خاتمه « لا إله إلا الله » ، وخاتم آخر « كن من الله على حذر » . وتزوّج[2] زُبيدة ، واسمها أَمَة العزيز ، وتُـكنى أمَّ الواحد ، وزُبيدة لقب لها . وهى أبنة جعفر بن المَنصور ، أولدها محمداً الأمين ؛ ثم مراجل ، فأولدها عبدَ الله المأمون ؛ وماردة ، أولدها محمداً المعتصم ؛ ونادر ، ولدت له صالحاً ؛ وشجا[3] ، ولدت له خديجة ولبابة[4] ؛ وسريرة[5] ، ولدت محمداً ؛ وبَربرية[6] ، ولدت له أبا عيسى ثم القاسم ، وهو المؤتمن ؛ وسُـكينة ؛ وحث[7] ، فولدت له إسحاق وأبا العبّاس .

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ . (انظر معجم البلدان) .

(٢) أورد الطبرى زوجات الرشيد وأولادهن مع خلاف كثير أثبتنا هنا بعضه .

(٣) فى الطبرى : « شجر » .

(٤) فى الطبرى مكان « لبابة » : « العباسة » .

(٥) فى الطبرى : « شذرة » .

(٦) الذى فى الطبرى أن أم أبى عيسى هى عرابه .

(٧) فى الطبرى : « خبث » .

وزراؤه وحجابه وقضاته

ووَزر له جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى وقتَله ، ثم الفضل بن الربيع . واستحجب بِشْرَ بن ميمون ، مولاه ؛ ثم محمد بن خالد بن بَرمك . واستخلف على قَضاء الجانب الغربى نُوحَ بن دَرّاج ، وحفصَ بن غِياث .

الأمين

بيعته ومولده ومقتله

ثم بويع أبو عبد الله محمد الأمين فى جُمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وتسعين ومائة . وقُتل يومَ الأحد لخمس بقين من المُحرم سنة ثمانٍ وتسعين ومائة . وكان مَولده بالرُّصافة[1] سنةَ إحدى وسَبعين ومائة فى شوّال . فكانت خلافتُه أربعَ سنين وستةَ أشهر وأياماً . صفا له الأمر من جُملتها سنتين وشهراً . وكانت الفتنة بينه و بين أخيه سَنتين .

صفته وخاتمه وزوجاته وأولاده

وكان طويلاً جسيماً جميلاً حسنَ الوجه بعيدَ ما بين المَنْكبين ، أشقرَ سبطاً ، صغير العَينين ، به أثر جُدرى . نقش خاتمه « محمد واثق بالله » . ورُزق من الولد موسى ، من أم ولد تُدعى نَظم[2] ، ولقّبه الناطق بالحق ، وضَرب اسمَه على الدراهم .

وذكر الصُّولى قال : حدّثنى مَن قرأ على دِرهم :

كُل عزّ ومَفْخرٍ فلمُوسى المُظفَّرِ
مَلِكٌ خُطَّ ذِكْرُه فى الكتاب المُسَطَّرِ

وماتت نَظم فاشتد جزعُه عليها ، فدخلت زُبيدة معزّيةً له ، فقالت :

نفسى فداؤك لا يَذهب بك التلفُ[3] ففى بَقائك ممّن قد مَضى خَلفُ
عُوِّضت مُوسى فهانت كُل مَرْزِية ما بعد مُوسى على مَفقودةٍ أسفُ[4]

---

(١) يريد رصافة بغداد . وهى بالجانب الشرقى . (انظر معجم البلدان) .

(٢) فى مروج الذهب : « مظم » . (٣) فى الروج : « اللهف » .

(٤) فى الأصول :

عوضت موسى فكانت كل مرزية من بعد موسى على مفقودة سلف

وما أثبتنا من المروج .

وبايع لابنه موسى فى حياته ، ولأخيه عبد الله ، وأمه أمّ ولد ، ونَقَش اسمَه أيضاً على الدراهم .

بذل بيعه وبين جعفر بن موسى

٥٥/٣ وكان لجعفر بن موسى الهادى جارية اسمُها بَذْل[1] ، فطلبها الأمين منه ، فأَبى عليه ، وكان شديدَ الوجد بها . فزاره الأمينُ يوماً فسُر به وزاد عليه فى الشُّرب حتى ثَمِل ، فانصرف وأخذ الجارية . فلما أصبح جعفر نَدم على ما جرى ولم يَدْر ما يصنع . فدخل على الأمين . فلما مَثَل بين يديه قال له : أحسنت والله يا جعفر بدَفعك بذل إلينا وما أحسنًا . ووَقر زَورقه بعشرين ألفَ ألفِ درهم .

وزراؤه وحجابه

ووَزر للأمين الفضلُ بن الرَّبيع إلى آخر أيامه . وكان حاجبَه العباسُ بن الفضل بن الربيع ، ثم علىُّ بن صالح صاحب المُصلَّى ، ثم السِّندىّ بن شاهك .

المأمون

بيعته ومولده ووفاته

ثم بُويع أبو العبّاس عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بعد قَتل أخيه ، يومَ الخميس لخمسٍ خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان مولدُه بالياسرية[2] فى ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة . وتُوفى بالبَذَنْدُون[3] سنة ثمانى عشرة ومائتين لثمانٍ خلون من رجب . ودُفن بطرسوس[4] . فكانت خلافتُه عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثةَ عشرَ يوماً . وكانت سنُّه ثمانيا وأربعين سنة وأربعةَ أشهر إلا أياما .

صفته وخاتمه

وكان أبيضَ تعلوه شُقرة ، أجنأ[5] أعينَ طويلَ اللحية رقيقَها ضيقَ الجبين ، بخدّه خالٌ أسود ، وكان قد وَخطه الشيب . نَقْش خاتمه « سَلِ الله يُعطك » .

---

(١) كذا فى الأغانى (١٥ : ١٤٥) . والذى فى الأصول : « بدل » .

(٢) كذا فى تاريخ بغداد فى ترجمة المأمون (١٠ : ١٨٤) والطبرى . والياسرية : منسوبة إلى ياسر اسم رجل ، وهى قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان . (انظر معجم البلدان) . والذى فى الأصول : « الناشرية » تصحيف .

(٣) البذندون (بفتحتين وسكون النون ودال مهملة) : قرية بينها وبين طرسوس يوم .

(٤) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب . (انظر معجم البلدان) .

(٥) الأجنأ : الذى أشرف كاهله على صدره .

حده للمأمون وسبب ذلك

وكان الرشيد حدَّ المأمون . وذلك أنه دَخل على الرشيد وعنده مُغَنية تُغنيه فلَحنت ، فكسر المأمون عينه عند أستماعه اللحن ، فتغيّر لونُ الجارية وفَطن الرشيد لذلك ، فقال : أعْلمتها بما صنعت ؟ قال : لا والله يا مولاى . قال : ولا أومأتَ إليها ؟ قال : قد كان ذلك . فقال : كُن منّى بمرأى ومَسمع فإذا خرج إليك أمرى فأْتنه إليه ، ثم أخذ دواةً وقرطاساً وكتب إليه :

يا آخذَ اللَّحن على الْـقَينة عنـد الطَّربِ
تُريد أن تُفْهمها حدَّ لُغات العرب
أُقسم بالله وما سَطَّر أهلُ الكُتب
للكَلب خيرٌ أدباً مِن بعض أهلِ الأدب

إذا قرأتَ ما كتبتُ به إليك ، فأْمُر مَن يضربك عشرين مَقرعة جياداً . فدعا المأمون البوابين ثم أمرهم ببَطحه وضَربه ، فامتنعوا . فأقسم عليهم ، فامتثلوا أمره .

أولاده وزوجاته

ورُزق من الولد محمداً الأصغر ، وعُبيد الله، من(١) أم عيسى بنت موسى الهادى . وتزوّج بُوران بنت الحسن بن سَهل ، بنى بها سنةَ عشر ومائتين ، ووَهب لأبيها عشرةَ آلافِ ألفِ درهم ، ولولده ألفَ ألفِ درهم . وكان له عدّة أولاد من بنين وبنات .

وزراؤه وحجابه

ووَزر له الفضلُ بن سهل ذو الرياستين ، ثم الحسنُ بن سهل ، ثم أحمد بن أبى خالد ثم احمد بن الأحول ، يوسف ، ثم ثابت بن يحيى ، ثم محمد بن يزداد . وأستحجب عبدَ الحميد بن شَبيب ، ثم محمداً وعليًّا ، ابنى صالح مولى المنصور .

المعتصم بالله

بيعته ومولده ووفاته وأمه

ثم بُويع أخوه أبو إسحاق المُعتصم بن الرشيد يومَ الجمعة لاثنتى عشرة ليلة

(١) فى بعض الأصول : « بن » .

خلت من رجب سنة ثمانى عشرة ومائتين . وكان مولده فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة . وتُوفى بسُرَّ من رأى يوم الخميس لاثنتى عشرةَ ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبع[1] وعشرين ومائتين . وصلّى عليه ابنُه هارون الواثق . وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانيةَ أشهر . وأُمه أم ولد يقال لها ماردة .

صفته وقوته

وكان أبيضَ أصهبَ اللحية طويلها مَربوعا مُشرب اللون [حُمْرةً] . نقش ٥٦/٣ خاتمه «الله ثقة أبى إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن» . وكان شديدَ البأس ، حمل باباً من حديد فيه سبعمائةٍ وخمسون رطلا وفوقه عِكام[2] فيه مائتان وخمسون رطلا ، وخطا خُطا كثيرة . وكان يُسمّى ما بين إصبعى المُعتصِم المِقطرة[3] ، لشدّته . وإنه اعتمد يوماً على غلام فدقّه . وذكر الصُولىّ أنه كان يسمى المُثمّن ، وذلك أنه الثامن من خلفائهم .

مولده وخلافته وأولاده

ومولده سنة ثمان وسبعين ومائة . ووَلى الأمرَ فى سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وله ثمان وأربعون سنة . وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر . ورُزق من الولد الذكور ثمانية ، ومن الإناث ثمانيا . وغزا ثمان غزوات . وخلّف فى بيت ماله ثمانية آلافِ ألفِ دينار ، ومن الوَرِق ثمانية آلاف ألف درهم .

ووَزر له الفضلُ بن مروان ، ثم أحمد بن عمّار ، ثم محمد بن عبد الملك الزيات . واستحجب وَصيفاً مولاه ، ثم محمد بن حمّاد بن[4] دَنقش .

الواثق

بيعته ومولده ووفاته وخلافته

ثم بويع ابنه أبو جعفر هارون الواثق صبيحةَ اليوم الذى تُوفى فيه أبوه يومَ الخميس لإحدى عشرةَ ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنةَ سبع وعشرين

(١) فى الأصول : « تسع » . وما أثبتنا من الطبرى .
(٢) العكام (ككتاب) : العدل .
(٣) المقطرة (بالكسر) : خشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .
(٤) فى بعض الأصول : « ثم محمد بن حماد ثم دنقش » . وانظر الطبرى .

ومائتين . وكان مولدُه يوم الاثنين لعشر بقين من شعبان سنة ستٍّ وتسعين ومائة. وتُوفى بسُرَّ مَن رأى يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذى الحجة سنة أثنتين وثلاثين ومائتين . وصلَّى عليه أخوه المتوكِّل . فكانت خلافتُه خمسَ سنين وتسعةَ أشهر وثلاثةَ عشر يوماً . وكانت سنّه ستًّا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً .

صفته وخاتمه وولده

وكان أبيضَ إلى الصُّفرة ، حسنَ الوجه جسيماً ، فى عينه اليمنى نُكتة بياض . نقش خاتمه « محمد رسول الله » وخاتم آخر « الواثق بالله » . ورُزق من الولد محمداً المُهتدى ، وأُمه أم ولد يقال لها قُرب ؛ وعبدَ الله ، وأبا العبَّاس أحمد ، وأبا إسحاق محمدا ، وأبا إسحاق إبراهيم .

وزراؤه وحجابه وقاضيه

ووَزر له محمد بن عبد الملك الزيات . وحاجبُه إيتاخ ، ثم وصيف مولاه ، ثم [ابن] دَنفش . وقاضيه ابن أبى دُواد .

المتوكل

بيعته ومولده ومقتله وخلافته وسنه

ثم بُويع أخوه أبو الفضل جعفر المتوكِّل يومَ الأربعاء لستٍّ بقين من ذى الحجة سنة أثنتين وثلاثين ومائتين . وكان مولدُه يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ست ومائتين . وقُتل ليلةَ الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، ودُفن فى القصر الجعفرىّ . وصلَّى عليه ابنُه المُنتصر ولىُّ عهده . فكانت مدةُ خلافته أربعَ عشرةَ سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام . وكانت سنّه أربعين إلا ثمانيةَ أيام .

صفته وخاتمه وولده

وكان أسمرَ كبيرَ العينين نحيفَ الجسم خفيفَ العارضين . نَقش خاتمه « على إلهى اتكالى » . وكان كثيرَ الولد .

وزراؤه وحجابه وقاضيه

وَزر له محمدُ بن عبد الملك الزيات ، ثم محمد بن الفضل الجُرجانىّ ، ثم عُبيد الله بن يحيى بن خاقان . واستحجب وصيفاً التركى ، ثم محمد بن عاصم ، ثم إبراهيم بن سهل . وكان خليفتَه على القضاء يحيى بن أكثم .

المنتصـــــر

بيعته ومولده وموته وخلافته

ثم بويع ابنُه أبو جعفر محمد المنتصر لأربع خلون من شوّال سنةَ سبع وأربعين ومائتين . وكان مولدُه يومَ الخميس لستٍّ خلون من شهر ربيع الآخر [سنة اثنتين وعشرين ومائتين . ومات ليلة السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر] سنة ثمان وأربعين ومائتين . فكانت خلافتُه ستةَ أشهر ، وسنّه ستا وعشرين سنة إلا ثلاثةَ أيام .

صفته وخاتمه وأولاده

وكان قصيرًا أسمرَ ضخمَ الهامة عظيمَ البطن جَسيما ، على عينه اليمنى أثر . نَقش خاتمه « يؤتى الحَذِر من مأمنه » ، وعلى خاتم آخر « أنا من آل محمد . الله وليّى ومحمد » .

ورُزق من الولد عليًّا وعبدَ الوهاب وعبدَ الله وأحمدَ .

وزراءه وحجابه

ووَزَر له أحمدُ بن الخصيب . وحاجبه وصيف ، ثم بغا ، ثم ابنُ المَرزبان ، ثم أوتامش .

المستعين

بيعته وخلعه وخلافته ومقتله وأمه

ثم بويع المُستعين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن المعتصم يوم الاثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنةَ ثمان وأربعين ومائتين . وخلع نفسه بموافقة
٥٧/٣ المُعتزّ بوساطة أبى جعفر المَعروف بابن الكُرديّة ، يومَ الجمعة لأربع خلون من المُحرم سنة اثنتين[1] وخمسين ومائتين . وكانت خلافته ثلاثَ سنين وتسعة أشهر . وكان مولده يومَ الثلاثاء لأربع خلون من رجب سنة إحدى وعشرين ومائتين . وقُتل بالقادسيّة بعد خَلعه نفسَه بتسعة أشهر . وأُمه أم ولد يقال له مُخارق[2] .

صفته وخاتمه

وكان مربوعاً أحمرَ الوجه أشقَرَ مُسْمِناً[3] عريض المنكبين ، ضخم

(١) فى بعض الأصول : « ثمان » تحريف . وانظر الطبرى .
(٢) كذا فى بعض الأصول ومروج الذهب والتنبيه والإشراف للمسعودى . والذى فى سائر الأصول : « مخلوق » . (٣) المسمن (كمحسن) : السمين خلقة .

الكراديس[1] ، خفيف العارضين ، بوجهه أثر جُدَرِيّ ، ألثغ بالسين . نقش خاتمه « فى الاعتبار غِنًى عن الاختبار » .

وزراؤه وحجابه وسنه

وزر له أحمدُ بن الخصيب ، فنكبه ، وقلّد مكانَه ابنَ يَزْداد ؛ ثم شُجاع بن القاسم ، كاتب أوتامش ، وأوتامش هذا حاجبه . وكانت سنه إحدى وثلاثين سنة إلا ثمانية أيام .

المعـــــتز

بيعته ومقتله ومولده وخلافته

ثم وَلِى أبو عبد الله محمدُ المعتزّ بن المتوكّل يومَ الجمعة ، لأربع خلون من المحرّم سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وكانت الفتنة قبل ذلك بينه وبين المُستعين سنةً . وقُتل عشيةَ يوم الجمعة لليلة خلتْ من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، وكان مولده يومَ الخميس لإحدى عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين . وكانت خلافتهُ منذ بُويع له واجتمعت الكلمةُ عليه ثلاثَ سنين وستةَ أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، ومنذ بايعه أهل سُرّ من رأى إلى أن قُتل أربعَ سنين وستة أشهر وخمسة عشر يوماً . وقتله صالح بن وَصيف .

صفته وخاتمه

وكان أبيضَ شديدَ البياض ، رَبْعة حسنَ الجسم ، على خده الأيسر خالٌ أسود الشعر . نقش خاتمه « الحمد لله رب كل شىء وخالق كل شىء » .

وزراؤه وحاجبه وسنه

وزر له جعفر بن محمود الإسكافى ، ثم عيسى بن فرخان شاه ، ثم أحمد ابن إسرائيل الأنبارى . وحاجبه سَماء بن صالح بن وصيف . وكانت سنّه أربعاً وعشرين سنة وشهرين وأياماً .

المهتـــــدى

بيعته ومولده ومقتله وخلافته وسنه

ثم بويع المهتدى أبو عبد الله محمد بن الواثق بسُرّ من رأى يومَ الأربعاء لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين . وكان مولده يومَ الأحد لخمس

(١) الكراديس : جمع كردوسة : وهى كل عظمين التقيا فى مفصل .

خلون من شهر ربيع الأول سنة تِسْع عشرة[١] ومائتين . وقُتل بسمٍّ من رأى بسَهم لحقه يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين . فكانت خلافتُه أحدَ عشر شهراً وأربعةَ عشر يوماً . وكانت سنه سبعاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأحدَ عشر يوماً .

صفته وخاتمه

وكان أبيضَ مُشرباً حُمرة ، صغيرَ العينين ، أقنى الأنف ، فى عارضيه شيب ، وخَضب لما ولى الخلافة . نقش خاتمه « من تعدَّى الحق ضاق مذهبه » .

وزيره وحاجبه

وزَر له أبو أيوب سليمان بن وَهب . وحاجبه بالِك باك .

المعتمـــــد

بيعته وخلافته

ثم بويع أبو العبَّاس أحمد المعتمد بن المتوكل يومَ الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ستٍّ وخمسين ومائتين . وكان مولده يوم الثلاثاء لثمان بقين من المُحرَّم سنة تسع وعشرين ومائتين . وتوفى ببغداد لأربعَ عشرةَ ليلة خلت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين . فكانت خلافتُه ثلاثاً وعشرين سنة . وكانت سنه خمسين سنة وخمسةَ أشهر واثنين وعشرين يومًا . ومات أخوه وولىّ عهده طَلحة الموفّق فى أيامه فى صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وكان قد غَلب على الأمر لمَيل الناس إليه . وكان المعتمد قد عَقد لولده جعفر ولقَّبه المُفوَّض ، وبعدَه لأبى أحمد طلحة الموفّق، فاشتد أمرُ الموفّق وقتل صاحب الزنج فى سنة [سبعين ومائتين][٢] ومَال الناس إليه ، وأسمه الناصر لدين الله ، وكان يُدْعى له على المِنبر ، فى أيام المعتمد ، وكان الموفّق حَبس ابنَه أبا العباس المُعتضد ، فلما حضرتْه الوفاةُ أطلقه للقيام بالأمر ، وأجرى المُعتمد أمرَه على ما كان يَجرى عليه أمر أبيه المُوفّق ، وأفرده بولاية العهد ، وأمر بكَتْب الكُتُب بخلع أبنه المفوّض ، ٥٨/٣

(١) فى المروج : « ثمان عشرة » .

(٢) مكان هذا بياض بالأصول . والتكملة من التنبيه والإشراف . والعبارة فيه : « وكان مقتل على بن محمد صاحب الزنج المنتمى إلى آل أبى طالب فى صفر سنة ٢٧٠ » .

وأفرد المُعتضد بالعهد وجَعله الخليفة بعده .

صفته وخاتمه ثم وزراؤه وحجابه

وكان المُعتمد أسمر مربوعا نحيفَ الجسم حسنَ العينين مدوَّر الوجه ، على وجهه أثر جُدرىّ . نقش خاتمه «السعيدُ من كُفى بغيره» . ووَزر له عبيدُ الله يحيى ابن خاقان ، ثم سليمان بن وهب ، ثم الحسن بن مَخلد ، ثم صاعد بن مخلد ، ثم أبو الصقر إسماعيل بن بلبل . حاجبه موسى بن بغا ، ثم جعفر بن بغا ، ثم بكتمر .

المعتضـــد

بيعته ومولده ووفاته وخلافته واسم أمه

و بُويع المعتضد أبو العباس أحمد بن المُوفّق فى رجب سنة سبع وسبعين ومائتين . وكان مولده فى جُمادى الآخرة سنةَ ثلاث وأربعين ومائتين[1] . وتُوفى ببغداد ليلة الثلاثاء لسبع[2] بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وصلّى عليه أبو عمر القاضى . فكانت خلافتُه تسعَ سنين وتسعة أشهر وأربعة أيام[3] . وكانت سنّه خمساً وأربعين سنة وتسعةَ أشهر وأياماً[4] . وأمه ضِرار .

صفته وخاتمه وزراؤه وحجابه

وَكان نحيفَ الجسم معتدلَ القامة طويلَ اللحيــة أسمر . نَقْش خاتمه «الاضطرار يُزيل الاختيار[5]» . ووَزر له عُبيد الله بن سليمان بن وهب ، ثم ابنهُ القاسم بن عُبيد الله . وحاجبه صالح الأمين .

المكتفى

بيعته ومولده ووفاته وخلافته وسنه واسم أمه

ثم بُويع ابنهُ أبو محمد علىّ بن المُعتضـد يومَ الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين . وكان مولدُه فى رَجب سنة أربع وستين ومائتين ، وتُوفى ببغداد فدُفن عند قبر أبيه ليلةَ الأحد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وكانت خلافتُه ستَّ سنين وستة

---

(١) الذى فى التنبيه والإشراف أنه بويع يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٧٩ .

(٢) فى التنبيه : «لثمان وقيل لست» .

(٣) فى التنبيه : «واثنين وعشرين يوما» .

(٤) فى التنبيه : «وله سبع وأربعون سنة» .

(٥) فى التنبيه : «الحمد لله الذى ليس كمثله شىء وهو خالق كل شىء» .

أشهر وعشرين يوماً . وكانت سنّه إحدى وثلاثين سنة وأربعةَ أشهر وأياماً[1] .

وأمه جيجق ، وقيل خاضع .

صفته وخاتمه وأمواله

وكان رَبْعة حسنَ الوجه أسودَ الشعر وافرَ اللحية عريضها ، ولم يَشِب إلى أن مات . نقش خاتمه « بالله علىُّ بن أحمد يثق[2] » . وخلّف فى بيت ماله ستة عشر ألفَ ألفِ دينار ، ومن الوَرِق ثلاثين ألفَ ألفِ درهم .

وزراؤه وحجابه

ووَزر له القاسمُ بن عُبيد الله ، ثم العباس [بن الحسن] ، ثم الحسن بن أيوب . وحاجبُه خَفيف السَّمَرْقَندىّ ، ثم سَوسن مولاه .

المقتــــدر

بيعته ومولده ومقتله وسنه

ثم بُويع المقتدر ، وهو أبو الفضل جعفر بن المُعتضد فى اليوم الذى تُوفّى فيه أخوه يومَ الأحد لثلاثَ عشرةَ ليلةً خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين . وخُلع فى خلافته دَفعتين ، الأولى بعد جلوسه بأربعة أشهر وأيام بابن المُعتز وبطل الأمر من يومه . والدّفعة الثانية بعد إحدى وعشرين سنة وشهرين ويومين من خلافته ، خَلع نفسه وأشهد عليه وأجلس القاهرَ يومين وبعضَ اليوم الثالث . ووقع الخلف بين العسكرين ، وعاد المقتدرُ إلى حاله .

وكان مولده لثمان بقين[3] من شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين . وقُتل بالشّماسية[4] يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين من شوّال سنة عشرين وثلثمائة . فكانت خلافتُه خمساً وعشرين سنة إلا خمسةَ عشر يوماً . وكانت سنّه ثمانياً وثلاثين[5] سنة وشهراً وعشرين يوماً .

(١) فى التنبيه : « وله إحدى وثلاثون سنة وستة أشهر » .

(٢) الذى فى التنبيه أن نقش خاتمه كنقش خاتم سابقه .

(٣) كذا فى الأصول . ولعلها « مضين » ليصح ما ذكر هنا بعد أنه توفى عن ثمان وأربعين سنة وشهرا وعشرين يوما ، وهى السن التى ذكرها المسعودى فى التنبيه ، غير أنه جعل الأيام سبعة عشر يوما .

(٤) الشماسية : مجاورة لدار الروم التى فى أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسية ، (انظر معجم البلدان) . (٥) فى الأصول : « وأربعين » . تحريف .

صفته وخاتمه

وكان أبيضَ مُشرباً حُمرة حسنَ الخلق ضخم الجسم ، بعيدَ ما بين المَنكِبين ، جعدَ الشعر ، مدوَّرَ الوجه ، قد كَثُرَ الشيبُ في وجهه . نقش خاتمه « الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو على كل شيء[1] قدير » .

وزراؤه وحجابه

ووَزر له العبّاس بن الحسن ، ثم عليّ بن محمد بن موسى بن الفُرات ، ثم عُبيد الله بن خاقان[2] ، ثم أبو الحسن عليّ بن عيسى [بن داود بن الجراح] ، ثم حامد بن العبّاس ، ثم أحمد بن عبيد الله الخَصيبي ، ثم محمد بن عليّ بن مُقلة ، ثم سليمان بن الحسن بن مَخلد [بن الجراح] ، ثم عُبيد الله [بن محمد] الكلوذاني ، ثم الحُسين[3] بن القاسم بن عُبيد الله بن سليمان بن وهب ، ثم الفضل بن جعفر ابن [موسى بن] الفرات . واستحجب سَوسنا ، مولى المكتفي ، ونصراً القشوريّ ، وياقوتا المعتضديّ ، وإبراهيم ومحمدا ، ابني رائق . ٥٩/٣

القاهر

بيعته ومولده وخلافته

ثم بويع أخوه أبو منصور محمد القاهر بن المعتضد يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلثمائة . وخُلع وسُمل يوم الأربعاء لخمس خلون من جُمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده لخمس خلون من جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ومائتين ، وكانت خلافتُه سنةً وستة أشهر وستة أيام . وعاش إلى أيام المطيع ، وكانت سنه[4] .

صفته ووزراؤه وحجابه

وكان رَبْعة أسمر اللون ، معتدل القامة ، أصهب الشعر . وَوزر له أبو عليّ [محمد] بن مُقلة ، ثم محمد بن القاسم بن عُبيد الله ، ثم أحمد بن عُبيد الله الخَصيبيّ . واستحجب عليّ بن بليق ، مولى يونس ، ثم سلامة الطولوني[5] .

---

(١) في التنبيه : « المقتدر بالله » .
(٢) الذي في التنبيه : « محمد بن عبد الله بن يحيى بن خاقان ، الملقب بدق صدره » .
(٣) في بعض الأصول « الحسن » . وما أثبتنا من سائر الأصول والتنبيه والطبري .
(٤) بعد هذا الكلام بياض في الأصل . وإذا علمنا أن وفاة القاهر كانت في جمادى الأولى سنة ٣٣٩ وأن المطيع بويع يوم الخميس لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة ، وأن وفاة ابن عبد ربه صاحب العقد كانت سنة ٣٢٨ تبين لنا أن قوله « وعاش إلى أيام المطيع وكانت سنه ٢٢ مما زيد على العقد .
(٥) في التنبيه : « سلامة المؤتمن المعروف بأخي نجح » .

الراضى

بيعته ومولده ووفاته وخلافته واسم أمه

ثم بويع الراضى أبو العباس أحمد بن المُقتدر يومَ الأربعاء لستٍّ خلون من جُمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة . وكان مولده فى رَجب سنةَ سبع وتسعين ومائتين . ومات ببغداد ليلةَ السبت لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وثلثمائة(١) . ودُفن بالرُّصافة(٢) . وكانت خلافتُه ستّ سنين وعشرة أيام(٣) . وكانت سنّه إحدى وثلاثين سنة وثمانيةَ أشهر وأياماً(٤) . وأمه أمُّ ولد يقال لها ظَلوم .

صفته وخاتمه ووزراؤه . وحجابه

وكان قصيرَ القامة ، نحيفَ الجسم ، أسودَ الشعر ، رقيق السُّمرة ، فى وجهه طول . نقش خاتمه «محمد رسول الله» . ووَزَر له أبو علىٍّ [محمد] بن مُقلة ، ثم ابنُه أبو الحسين [على بن محمد] ، ثم عبدُ الرحمن بن عيسى [بن داود بن الجرّاح ، ثم محمد بن القاسم الكَرْخىّ ، ثم سُليمان بن الحَسن [بن محمد بن الجراح] ، ثم الفَضل بن جعفر [بن الفُرات] ، ثم أبو عبد الله [أحمد بن محمد] اليَزيدىّ . واستحجب محمدَ بن ياقوت ، ثم ذكيّا ، مولاه .

المتـــــقى

بيعته وخلعه ومولده وخلافته

ثم بويع أخوه المُتقى أبو إسحاق إبراهيم بن المُقتدر يومَ الأربعاء(٥) لعشر

(١) كانت وفاة المؤلف كما قدمنا سنة ٣٢٧ أوسنة ٣٢٨ ومن هنا يظهر أن الأخبار التى جاءت بعد سنة وفاته — إذا صح أنه بقى يزيد فى كتابه إلى قبيل موته — من زيادات من جاء بعده وليست له .

(٢) الرصافة : فى غربى الرقة ، بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية . (انظر معجم البلدان) .

(٣) كذا فى الأصول . والذى فى التنبيه ، وقد اتفق مع ما أوردهنا فى البيعة والوفاة : « ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام » . وهو قريب مما ورد فى المروج . وصواب العبارة : « ست سنين وثمانية أشهر وعشرة أيام » . ولعل قوله بعد فى تقدير سنة : « ... وثمانية أشهر » مكانه هنا لا هناك . ليصح التقديران فى الخلافة والسن .

(٤) انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة .

(٥) فى التنبيه : « يوم الخميس » .

بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة . وخُلع وسُمل يوم السبت لثمان(١) خلون من صَفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة . وكان مولده فى شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين . وكانت خلافتُه ثلاث سنين وأحد عشر شهراً إلا أياماً .

صفته وخاتمه ووزراؤه وحجابه

وكان أبيض تعلوه حُمرة ، أصهَبَ شَعرِ اللحية ، كثّ اللّحية ، بفكه الأدنى عِوَج . نقش خاتمه « محمد رسول الله(٢) » . وزر له أحمد بن محمد بن ميمون ، ثم اليزيدىّ(٣) ، ثم سليمان بن الحسن [بن مخلد] ، ثم أبو إسحاق محمد بن أحمد القَراريطى . ثم محمد بن القاسم الكَرَخىّ ، ثم أحمد بن عبد الله الأصبهانىّ ، ثم علىّ بن محمد بن مُقلة . واستحجب سلامة ، مولى خُمارويه بن أحمد(٤) ، ثم بدرا الخرشنى(٥) ، ثم عبد الرحمن بن أحمد بن خاقان المُفْلحىّ(٦) .

المستكفى

بيعته ومولده وموته واسم أمه

ثم بُويع أبو القاسم عبد الله بن علىّ المستكفى فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة بالسِّنْدِيّة(٧) عُقيب كُسوف القمر . وخُلع فى شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة(٨) . فكانت خلافته سنة واحدة وستة أشهر وأياما . وكان مولدُه مستهلّ سنة اثنتين وتسعين ومائتين . وتُوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة . وكانت سنه سبعاً وأربعين سنة . وأمه أم ولد يقال لها غُصن .

صفته وخاتمه ووزراؤه وكتابه وحجابه

وكان أبيضَ تعلوه حُمرة ، ضخمَ الجسم ، تامّ الطُّول ، خفيفَ العارضين ،

(١) فى التنبيه : « لعشر » .
(٢) فى التنبيه : « المتقى بالله » .
(٣) لم يذكر المسعودى فى التنبيه اليزيدى من وزراء المتقى .
(٤) فى التنبيه : « سلامة مولاه المؤتمن المعروف بأخى نجح » وقد مر .
(٥) زيد فى الأصول بعد « الخرشنى » : « ثم سلامة الطولونى » . وهو سلامة مولى خمارويه المذكور قبل .
(٦) فى التنبيه : « أحمد بن خاقان » .
(٧) السندية : قرية من قرى بغداد على نهر عيسى بين بغداد والأنبار . (انظر معجم البلدان) .
(٨) ذكر المسعودى أن خلعه كان يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ .

كبيرَ العينين ، أشهلَ ، جَهورِىَّ الصوت . نقش خاتمه «محمد رسول الله[1]» . وَزر له محمد بن علىّ السرىّ مَن رأى[2] . واستكتب بعده أبا أحمد الفضل بن عبد الله الشيرازى[3] ، واستحجب أحمد بن خاقان .

المطيع

بيعته وخلعه ومولده ووفاته واسم أمه

ثم بُويع المطيع أبو القاسم الفضل بن المقتدر لسبع بقين من شعبان سنة أربع وثلاثين وثلثمائة[4] . وخَلع نفسَه ببغداد لسبعَ عشرة ليلةً خَلت من ذى الحجة سنة ثلاث وستين وثلثمائة . وكان مولدُه فى النصف من ذى القِعدة سنة إحدى ٦٠/٣ وثلثمائة . وتوفى فى[5] . فكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً . وأمه أم ولد تُدعى مَشْعلة . وكانت سنه[6] .

صفته ووزراؤه وحاجبه

وكان شديدَ البياض أسودَ شعر الرأس واللحية . وزَر له علىّ بن محمد ابن مُقلة . والناظر فى الأمورِ أبو جعفر الصَيمرىّ ، كاتب أحمد بن بُويه . ثم أستولى على اسم الوزارة . وكَتب المُطيعِ الفضل بن عبد الرحمن الشّيرازىّ ، ومات وقام مقامه أبو محمد الحسن بن محمد المُهلبى ، وحاجبه عزّ الدولة بُختيار ابن مُعزّ الدولة[7] .

تم كتاب اليتيمة الثانية

---

(١) فى التنبيه : «المستكفى بالله» .
(٢) فى التنبيه : «أبو الربيع أحمد بن محمد السامرى» ،
(٣) فى التنبيه : «الشيرازى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن» . وكذا سيأتى بعد فى خلافة المطيع .
(٤) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٢٩) من هذا الجزء .
(٥) بياض بالأصل . والمعروف أن وفاة المطيع كانت سنة ٣٦٤ .
(٦) بياض بالأصل . وبالرجوع إلى مولده ووفاته نرى أنه عمر نحوامن ٦٣ سنة
(٧) هذا الباب «ذكر خلفاء بنى العباس» بجملته غير مذكور فى س ، ن . وقد جاء بعقبه فى ع : «تم كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين . يتلوه كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم تسليما . وحسبنا الله ونعم الوكيل» .

كتاب الدرة الثانية[1]

فى أيام العرب ووقائعهم

فرش لكتاب الدرة الثانية

قال الفقيه أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عَبد ربّه رضى الله عنه : قد مَضى قولُنا فى أخبار زياد والحجّاج والطالبيين والبرامكة ، ونحن قائلون بعَون الله وتَوفيقه فى أيام العرب ووقائعهم[2] ، فإنها مآثر الجاهليّة ، ومكارمُ الأخلاق السنيّة . قيل لبعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما كنتم تتحدّثون به إذا خلوتم فى مجالسكم ؟ قال : كُنّا نتَناشد الشعر ، ونتحدّث بأخبار جاهليّتنا . وقال بعضُهم : وددتُ أنّ لنا مع إسلامنا كرمَ أخلاق آبائنا فى الجاهليّة ، ألا ترى أنّ عَنترة الفوارس جاهلىّ لا دينَ له ، والحسنَ بن هانىء إسلامىّ له دين ، فمنع عنترةَ كرمُه مالم يَمنع الحسنَ بن هانىء دينُه ؛ فقال عنترة فى ذلك :

وأغضُّ طَرْفى إن بَدت لىَ جارتى ... حتى يُوارِى جارتى مَأواها

وقال الحسنُ بن هانىء مع إسلامه :

كان الشبابُ مطيّةَ الجَهل ... ومُحسِّنَ الضَّحكات والهَزْل

والباعِثى والناسُ قد رَقدوا ... حتى أتيتُ حليلةَ البَعْل

(١) قبل هذا العنوان فى ن : « بسم الله الرحمن الرحيم . اللهم عونك وتيسيرك » .

(٢) فى بعض الأصول : « ووقائعها » .

حروب قيس فى الجاهلية

يوم مَنْعِج

لغَــــنِيّ على عَبْس

قال أبو عُبيدة مَعْمر بن المُثَنّى: يوم مَنعِج[١]، يقال له يوم الرَّدْهة[٢]، وفيه قُتل شأس بن زُهير بن جَذيمة بن رَواحةَ العَبسىّ بِمَنْعِج على الرَّدْهة. وذلك أنّ شأس بن زُهير أقبل من عند النُّعمان بن المُنذر[٣]، وكان قد حَباه بحِباء جَزِيل، وكان فيما حباه قطيفةٌ حمراء ذات هُدب وطَيلسانٌ، وطِيبٌ. فورد مَنعِج، وهو ماء لغنىّ، فأناخ راحلتَه إلى جانب الرَّدْهة وعليها خِباء لرِيَاح ابن الأَسَل[٤] الغَنوىّ، وجعل يغتسل، وامرأةُ رياح تنظر إليه وهو مثل الثور الأبيض. فانتزع له رياحٌ سَهما[٥] فقتله ونَحر ناقته فأكلها، وضَمّ متاعَه وغَيّب أثره. وفُقد شأس بن زهير، حتى وجدوا القطيفةَ الحمراء بسوق عُكاظ قد سامتها[٦] امرأةُ رياح بن الأسل[٤]، فعلموا أنّ رياحاً صاحبُ ثأرهم. فغزت

---

(١) منعج (بالفتح ثم السكون وكسر العين والجيم. وقياس المكان فتح العين لفتح عين مضارعه. ومجيئه مكسوراً شاذ): واد يأخذ بين حفر أبى موسى والنباج ويدفع فى بطن فلج. (انظر معجم البلدان).

(٢) الردهة: النقرة فى صخرة يستنقع فيها الماء، وليست بمكان، كما يشعر به السياق هنا. فلم يذكر ياقوت فى معجم البلدان بهذا الاسم إلا موضعا فى بلاد قيس دفن فيه بشر بن أبى خازم. ثم إن العبارة فى الأغانى صريحة بأن المراد من « الردهة » هو ما ذهبنا إليه. قال أبو الفرج نقلا عن أبى عبيدة (ج ١٠ ص ١١): « ... وقرعلى ردهة فى جبل ».

(٣) فى ابن الأثير (١ : ٢٥٢): « النعمان بن امرىء القيس جد النعمان بن المنذر ».

(٤) كذا فى الأصول وابن الأثير. وفى معجم ما استعجم للبكرى والطبرى: « رياح ابن الأشل ». وفى الأغانى: « رياح الأسلك ».

(٥) يقال: انتزع للصيد سهما، إذا رماه به. والعبارة فى بعض الأصول: «فانتزعه رياح بسهم». والعبارة فى الأغانى: تختلف عنها هنا كثيرا.

(٦) فى بعض الأصول: « باعتها ».

بنو عَبس غَنِيًّا قبل أن يطلبوا قَوَداً[١] أو دِيَةً ، مع[٢] الحُصين بن زُهير بن جَذِيمة والحُصَين بن أُسَيد بن جَذِيمة . فلما بلغ ذلك غَنِيًّا قالوا لرِيَاح : أَنجُ لعلّنا نُصَالح القومَ على شيء . فخرج رياحٌ رَدِيفاً لرجل من بني كلاب، لا يريان إلا أنهما قد خالفا وِجْهة القوم . فمرّ صُرَدٌ على رُءوسهما فصَرصر . فقالا : ما هذا ؟ فما راعهما إلا خيلُ بني عَبْس . فقال الكِلابيُّ لرياح : أَنحدر من خَلْفي والتمس نفقاً في الأرض فإني شاغلٌ القومَ عنك . فانحدر رياحٌ عن عَجز الجمل حتى أتى صَعْدة[٣] فاحتفر تحتها مثلَ مكان الأرنب وولَج فيه . ومَضى صاحبُه ، فسألوه فحدّثهم ، وقال : هذه غَنيٌّ جامعة وقد استمكنتم منهم . فصدّقوه وخلّوا سبيلَه . فلما ولّى رأوا مَرْكَبَ الرجل خلفَه ، فقالوا : مَن الذي كان خلفَك؟ فقال : لا أَكذب ، رياح بن الأسل، وهو في تلك الصَّعَدات[٤] . فقال الحُصينان[٥] لمن معهما: قد أمكننا الله من ثأرنا ولا نُريد أن يَشركنا فيه أحد. ٦١/٣
فوقفوا عنهما ، ومَضيا[٦] فجعلا يُريغان[٧] رياحَ بن الأسل بين الصَّعَدات . فقال لهما رياح : هذا غَنزَ الكما الذي تُريغانه . فابتدراه، فرمى أحدَهما بسهم فأقصده[٨] ، وطعنه الآخر قبل أن يَرْميه فأخطأه ، ومرّت به الفرسُ، واستدبره رياحٌ بسهم فقتله ، ثم نجا حتى أتى قومَه ، وانصرفوا[٩] خائبين مَوْتورين . وفي ذلك يقول الكُميت بن زيد الأسديّ ، وكانت له أُمّان[١٠] من غَنيّ :

أنا ابنُ غَنِيّ والداي كلاهما لأُمّين منهم[١١] في الفُروع وفي الأَصلِ

(١) القود : القصاص ، وقتل القاتل بدل القتيل .
(٢) في بعض الأصول : « من » . تحريف
(٣) الصعدة : القناة تنبت مستقيمة . والذي في الأغاني : « صفة » : وهي جانب الوادي.
(٤) في الأغاني : « السمرات » .
(٥) الحصينان ، أي حصين بن زهير وحصين بن أسيد .
(٦) في بعض الأصول : « ومضوا » .
(٧) أراغ : أراد وطلب . وفي بعض الأصول : « يريعان » بالعين المهملة تصحيف .
(٨) أقصده : لم يخطئه .
(٩) في بعض الأصول : « فانصرفا » .
(١٠) في بعض الأصول : « أبان » . (١١) في الأغاني : « فيهم » .

هُمُ استَودعوا زُهراً بسَيْب بن سالِمٍ[١] وهُم عَدلوا بين الحُصَينيين بالنَّبْل
وهم قَتَــلوا شأسَ المُلوك وأرغموا أباه زُهيراً بالمَــذَلّةَ والثُّــكْلِ[٢]

يوم النفراوات[٣]

لبنى عامر على بنى عبس

فيه قُتل زُهير بن جَذِيمة بن رَوَاحــة العَبسىّ . وكانت هوازن تُؤدّى إليه إتَاوة ، وهى الخراج . فأتته يوماً عجوز من بنى نَصر بن مُعاوية بسَمن فى نِحْى[٤] واعتذرت إليه وشكتْ سنينَ تتابعت على النــاس ، فذاقه فلم يَرْض طعمَه ، فدَعسها[٥] بقوس فى يده عُطّل فى صدرها، فاستلقت على قفاها مُنكشفة . فتألّى[٦] خالدُ بن جعفر ، وقال : والله لأجعلنّ ذراعى فى عُنقه[٧] حتى يُقتلَ أو أُقتــل . وكان زهير عَدُوسا[٨] مِقْداماً لا يُبالى ما أقدم عليه . فاستقلّ ، أى انفرد ، من قومه بأُبنَيْه وبَنى أخويه : أُسيدَ وزِنْباع ، يَرعى الغيثَ فى عُشَراوات[٩] له وشَوْل[١٠] . فأتاه الحارث بن الشَّرِيد[١١] ، وكانت تُماضر بنت الشَّرِيد تحت زُهير ،

---

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « زهراً نسيب » . تحريف . وابن سالم ، هو شبيب بن سالم النميرى .

(٢) فى بعض الأصول : « بالنكل » بالنون . وفى الأغانى : « ورغموا » . ولم نجد الأبيات فى ديوان السكميت

(٣) كذا فى بعض الأصول ومعجم ما استعجم للبكرى . والذى فى الأغانى : « النفرات » . والذى فى سائر الأصول : النقراوات » بالقاف . قال البكرى : « نفرى بفتح أوله وإسكان ثانية بعده راء مهملة مقصورة ، على وزن فعلى ، وعد: موضع فى بلاد غطفان . قال السكرى : هى حرة . ورواه السكونى « نقرى » بالقاف.

(٤) النحى (بالكسر والفتح وكفتى) : الزق ، أو ما كان للسمن خاصة .

(٥) الدعس : الطعن . (٦) تألى : أقسم .

(٧) فى الأغانى : « وراء عنقه » . (٨) العدوس : القوى .

(٩) العشراوات : جمع عشراء ، وهى من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية ، أو هى كالنفساء من الشاء .

(١٠) الشول (بالفتح على غير قياس) : جمع شائلة، وهى من الإبل التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضرعها إلا شول من اللبن ، أى بقية مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها .

(١١) كان الحارث قد أصاب دما ، ثم احتمى ببنى عامر ، قوم خالد ، وكان فيهم . =

فلما عرف الحارث مكانه أنذر(١) بنى عامر بن صَعصعة ، رهطَ خالد بن جعفر. فركب منهم ستة فوارس ، فيهم خالدُ بن جعفر، وَصخر بن الشَّريد، وحُنْدج(٢) ابنُ البَكَّاء ، ومعاوية بن عُبادة بن عَقِيل، فارس الهَرَّار(٣) — وَيقال لمُعاوية : الأَخْيل : وهو جَدّ ليلى الأَخْيَليّة — وثلاثة فوارس من سائر بنى عامر. فقال أُسَيد لزُهير : أعلمتْنى راعيةُ غَنمى أنها رأتْ على رأس الثنيّة أشباحاً ولا أحسبُها إلاّ خيلَ بنى عامر، فالحق بنا بقَومنا . فقال زهير : كُلُّ أزبَّ نَفور(٤) . وكان أُسيد أشعرَ القفا ، فذهبتْ مثلا . فتحمّل أُسيد بمن معه و بقى زُهير وأبناه: ورقاء والحارث، وصُحبتهم الفوارس. فتمرّدت(٥) بزُهير فرسُه القَعساء ، ولحقه خالد ومُعاوية الأَخيل ، فطعن مُعاوية القعساء ، فقلبت زُهيراً ، وخرّ خالد فوقه ، ورفع المِغْفر عن رأس زُهير ، وقال : يا آل عامر، أقبلوا جميعا . فأقبل معاويةُ ، فضرب زهيرا على مَفْرق رأسه ضربةً بلغت الدِّماغ ، وأقبل ورَقاء بن زُهير فضرب خالداً وعليه درعان فلم يغُن شيئا ، وأجهض(٦) ابنا زُهير القوم عن زُهير واحتملاه وقد أثخنته الضَّربة ، فمنعوه المـاء . فقال : أميِّتٌ أنا عَطشا ؟ اسقُونى المـاء وإن كانت فيه نَفسى . فسقَوْه فمات بعد ثلاثة أيام . فقال فى ذلك وَرقاء ابن زُهير :

رأيتُ زهيرًا تحت كَلْـكل خالدٍ فأقبلتُ أسعَى كالعَجول أُبادرُ(٧)

= ثم إن خالدا أرسله عينا ليأتى بخبر زهير . (انظر الأغانى وابن الأثير) .

(١) فى بعض الأصول : « ابرز إليه » .

(٢) كذا فى معجم ما استعجم (ص ٨ - ٤) والاشتقاق والطبرى والنقائض . وفى الأغانى وابن الأثير : « جندح » . والذى فى الأصول : وخرج ابن البكاء » .

(٣) فى الأصول : المرات » . تحريف . (انظر القاموس مادة هرر) .

(٤) الأزب : البعير الذى يكثر شعر حاجبيه . ويكون نفورا لأن الريح تضربه فينفر . يضرب فى عيب الجبان .

(٥) فى الأصول : « مرت » . والتصويب من الأغانى .

(٦) يقال : أجهضه عنه ، إذا نحاه .

(٧) العجول من النساء والإبل : الواله التى فقدت ولدها ، لعجلتها فى جيئتها وذهابها جزعا .

إلى بَطَلَيْن يَنْهضان كلاهما ... يُريدان[1] نَصلَ السَّيفِ والسيفُ نادرُ[2]
فشُلَّت يمينى يومَ أضربُ خالداً ... ويَمنعه[3] منّى الحديدُ المُظاهر
فياليت أنّى[4] قبل أيّام خالدٍ ... ويومِ زُهيرٍ لم تَلِدْنى تُماضر
لعمرى لقد بُشِّرْتِ بى إذ وَلَدْتِنى ... فما ذا الّذى رَدّت عليك[5] البشائر

وقال خالدُ بن جعفر فى قتله زُهيرا :

٦٢/٣ بل[6] كيف تكْفُرنى هوازنُ بعدما ... أعتقتُهم فتوالدوا أحرارا
وقتلتُ رَبَّهمُ زُهيراً بعدما ... جَدَع الأنُوف وأكثر الأَوتارا[7]
وجعلتُ مَهر بناتِهم ودياتِهم ... عَقْلَ[8] الملوك هَجائنا وبِكارا[9]

يوم بطن عاقل

لذبيان على عامر

فيه قُتل خالد بن جَعفر ببطن عاقل[10] . وذلك أن خالداً قَدم على الأسود ابن المُنذر[11] ، أخى النُّعمان بن المُنذر ، ومع خالد عُروة الرَّحال بن عُتبة بن جعفر .

---

(١) فى الأغانى « بريغان » وهما بمعنى .
(٢) نادر : ساقط . وفى ابن الأثير : « داثر » . ويقال : دثر السيف ، إذا صدى ، فهو داثر .
(٣) فى إحدى روايتى الأغانى : « فشلت يمينى إذ ضربت ابن جعفر * وأحرزه » .
(٤) فى الأغانى : « فياليتنى من »
(٥) كذا فى ن والأغانى . والذى فى الأصول : « إليك » .
(٦) فى ن : « قل » . وفى الأغانى : « أبلغ هوازن كيف تكفر بعدما » .
(٧) كذا فى أكثر الأصول وبعض روايات الأغانى والكامل لابن الأثير والذى فى سائر الأصول : « الأوزارا » .
(٨) العقل : الدية .
(٩) كذا فى الأصول والكامل لابن الأثير . والهجائن : الإبل البيض الكرام . والبكار : جمع بكر ، وهى الناقة التى ولدت بطنا واحدا . والذى فى الأغانى : « هجائنا أبكارا » .
(١٠) بطن عاقل : موضع على طريق حاج البصرة ، بين رامتين وإمرة . (انظر معجم البلدان) .
(١١) فى الأغانى : «النعمان بن المنذر» .

فالتقى خالد بن جعفر والحارث بن ظالم بن غَيظ بن مُرّة بن عَوف بن سعد ابن ذُبيان عند الأسود بن المُنذر . قال : فدعا لهما الأسود بتمر . فجيء به على نِطْع فجُعل بين أيديهم . فجعل خالدٌ يقول للحارث بن ظالم : يا حارث ، ألا تَشكر يدى عندك أن قتلتُ عنك سيّدَ قومك زُهيرًا وتركتُك سيدَهم ؟ قال : سأجزيك شُكْر ذلك . فلما خرج الحارث قال الأسود لخالد : مادعاك إلى أن تَتحرّش بهذا الكَلب وأنت ضَيْفى ؟ فقال له خالد : إنما هو عَبد من عَبيدى لو وَجدنى نائمًا ماأيقظنى . وأنصرف خالدٌ إلى قُبّته، فلامه عُروةُ الرحّال . ثم ناما وقد أُشرجت عليهما القُبة ، ومع الحارث تَبيع له من بنى مُحارب يقال له خِرَاش . فلما هدأت العُيون أخرج الحارث ناقته ، وقال لخِراش : كُن لى بمَكان كذا ، فإن طَلع كوكبُ الصُّبح ولم آتِك فانظُر أىّ البلاد أحبُّ إليك فأعمِد لها . ثم أنطلق الحارث حتى أتى قُبةَ خالد فهتك شَرَجَها[١] ، ثم ولَجها ، وقال لعُروة : اسكُت فلا بأس عليك .

وزعم أبو عُبيدة[٢] أنه لم يشعر به حتى أتى خالداً وهو نائم فقتله ، ونادى عُروة عند ذلك : واجِوَارَ المَلك ! فأقبل إليه الناسُ ، وسَمع الهُتافَ الأسودُ بن المُنذر ، وعنده أمرأة من بنى عامر ، يقال لها المُتجرِّدة ، فشقّت جَيبَها وصَرخت . وفى ذلك يقولُ عبدُ الله بن جَعدة :

شَقّت عليكَ العامريّةُ جَيْبَها ... أسفًا وما تَبْكى عليكَ ضَلالاَ
يا حارِ ، لو نَبّهتَه لوجـدتَه ... لا طائشاً رَعِشاً ولا مِعْزالا[٣]
وأغرورقتْ عيناى لما أُخْبِرت[٤] ... بالجعفرىّ وأسبلتْ إسبالا[٥]
فلنقتلنّ بخالدٍ سَرَواتِكم ... ولنجعلنْ لظالمين نَكالا

(١) الشرج : العرى .
(٢) فى بعض الأصول : « وزعم غير أبى عبيدة » .
(٣) المعزال : الذى لا سلاح معه .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « أبصرت » .
(٥) يقال : أسبل دمعه وأسبل الدمع ، متعد ولازم ، إذا هطل .

فإذا رأيتم عارضاً مُتهـلِّلا[١]   مِنّا فإنا لا نُحـاول مالا

يوم رحـرحان[٢]

لعامر على تميم

قال : وهرب الحارثُ بن ظالم ونَبَتْ به البلادُ ، فلجأ إلى مَعبد بن زُرارة، وقد هَلك زرارةُ ، فأجاره . فقالت بنو تميم لمَعبد : مالك آويتَ هذا المَشئوم الأنكد ، وأغريت بنا الأَسود ؟ وخَذلوه غيرَ بنى دُمَاوِيّة[٣] ، وبنى عبد الله ابن دارم . وفى ذلك يقول لَقيطُ بن زُرارة :

فأمّا نَهشلٌ وبنو نُقَيم[٤]   فلم يَصبِر لنا منهم صَبُورُ
فإنْ تَعمِد طُهَيَّةَ فى أمور   تجدْها ثَم ليس لها نَصير
ويَربوعٌ بأسْفلِ ذى طُلُوح[٥]   وعمرو لا تَحل ولا تَسير
أُسيدُ والهُجيم لها حُصاصٌ[٦]   وأقوامٌ من الجَعْراء عُور[٧]
وأسلَمَنا قبائلُ من تميم   لها عددٌ إذا حُسِبوا كَثير
وأما الآثمـان : بنو عَدىّ   وتَيم إذ[٨] تُدبِّرت الأُمور
فلا تَنعم بهم فِتيانَ حَرْب   إذا ما الحىُّ صَبَّحهم نَذير
٦٣/٣ إذا ذهبت رماحُهم بزَيْد   فإنّ رِماحَ تَيْم[٩] لا تَضير

قال : وبلغ الأحوصَ بنَ جعفر بنِ كلاب مكانُ الحارث بن ظالم عند

---

(١) العارض : السحاب الذى يعترض فى الأفق . وفى بعض الأصول : «متليبا» . وتهلل السحاب بالبرق : تلألؤه . تصف جوعهم فى كثافتها وبريق سيوفها .
(٢) رحرحان : اسم جبل قريب من عكاظ خلف عرفات . (انظر معجم البلدان) .
(٣) كذا فى الطبرى . والذى فى الأصول : « معاوية » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « تميم » .
(٥) ذى طلوح : فى حزن بنى يربوع ، وبين الكوفة وفيد . انظر معجم البلدان) .
(٦) الحصاص (بالضم) : شدة العدو فى سرعة . والحصاص أيضاً : الضراط .
(٧) الجعراء ، هم بنو العنبر بن عمرو بن تميم . (انظر النقائض ص ٣٠٧) .
(٨) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « إن » .
(٩) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « زيد » .

مَعبد ، فغزى مَعبدا ، فالتقَوْا برَحرحان . فانهزمت بنو تَميم وأُسر مَعبد ابنُ زرارة ، أسره عامرُ والطُّفيل ، أبنا مالك بن جعفر بن كلاب . فوفد لَقيطُ ابن زُرارة عليهم في فِدائه ، فقال لهما : لكما عندى مائتا بعير . فقال : لا يا أبا نَهشل ، أنت سيِّد الناس وأخوكَ معبد سيِّد مُضر ، فلا نقبل فيه إلا ديةَ مَلِك . فأبى أن يَزيدهم ، وقال لهم : إن أبانا أوصانا أن لا نَزيد أحداً في ديته على مائتى بعير . فقال مَعبد للقيط : لا تَدَعْني يا لقيط ، فوالله لئن تركتَنى لا تَرانى بعدها أبدا . قال : صبراً أبا القَعقاع ، فأين وصاة أبينا ألاَّ تُؤكلوا العربَ أنفسكم ، ولا تَزيدوا بفدائكم على فِداء رجل منكم ، فتَذَوَّب بكم ذُؤبان العرب . ورحل لقيطُ عن القوم . قال : فمنعوا معبداً الماءَ وضارّوه حتى مات هُزالا .

وقيل : أبَى معبد أن يَطعم شيئا أو يَشرب حتى مات هُزالا . ففي ذلك يقول عامر ابن الطُّفيل[1] :

قضينا الجَوْن[2] من عبس وكانت منيَّة مَعبـــد فينا هُزالَا

وقال جرير :

وليلةَ وادى رَحْرحان فرَرْتُمُ[3] فِراراً ولم تُلْوُوا زَفيفَ النَّعائِم[4]
تَركتم أبا القَعقاع في الغُل مُصْفَدًا[5] وأىَّ أخ لم تُسلموا في الأداهم

وقال[6] :

وبِرَحرحان غداةَ كُبِّل مَعبدٌ نَكَحوا بناتِكم بغَير مُهورِ

(١) نسب هذا البيت في الأغاني لنافع بن الخنجرة بن الحكيم بن عقيل بن طفيل ابن مالك ، قاله في الإسلام .
(٢) كذا في بعض الأصول : والنقائض والأغاني . يريد حسان بن عمرو بن الجون ، وكان أسره طفيل بن مالك . وكانت عبس أتته تريده منه تقيد به من عوف بن الأحوص فأعطاهم إياه » . وانظر الأغاني ففي الحديث هناك تفصيل . والذى في سائر الأصول : « الحزن » تحريف .
(٣) في الديوان : « رفعتم » . (٤) الزفيف : أول عدو النعام .
(٥) في الديوان : « مبعدا » .
(٦) كذا في ن . والذى في سائر الأصول : « وقال آخر » تحريف . فالبيت لجرير : (انظر الديوان ص ١٩٦) .

يوم شعب جبلة

لعامر وعبس على ذبيان وتميم

قال أبو عُبيدة: يوم شِعب جَبلة(١) أعظم أيام العرب، وذلك أنه لما انقضت وَقْعة رَحرحان جمع لقيطُ بن زرارة لبنى عامر وألّب عليهم. وبين يوم رَحرحان ويوم جَبلة سنة كاملة. وكان يوم شِعْب جَبَلة قبلَ الإسلام بأربعين سنة، وهو عام وُلد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم. وكانت بنو عَبس يومئذ فى بنى عامر حُلفاء لهم، فاستعدى لَقيطٌ بنى ذُبيان، لعداوتهم لبنى عَبس من أجل حَرب داحس، فأجابته غَطفان كُلّها غيرَ بنى بدر. وتجمّعت لهم تميم كلها غير بنى سَعد، وخرجت معه بنو أسد للحِلْف كان بينهم وبين غَطفان، حتى أتى لقيطٌ الجونَ الكَلْبىّ، وهو ملك هَجر(٢)، وكان يَجبى مَن بها من العرب، فقال له: هل لك فى قوم غارّين قد مَلئوا الأرض نَعماً وشاء فتُرسلَ معى ابنيك، فما أصبنا من مال وَسْبى فلهما، وما أصبنا من دم فلى؟ فأجابه الجون إلى ذلك، وجعل له موعداً رأسَ الحَوْل. ثم أتى لقيطٌ النعمانَ بن المُنذر فاستنجده وأطمعه فى الغنائم، فأجابه. وكان لقيطٌ وجيهاً عند الملوك. فلما كان على قَرن الحول من يوم رَحرحان أنهلّت الجيوش إلى لَقيط، وأقبل سِنانُ ابن أبى حارثة المُرّى فى غَطفان، وهو والد هَرِم بن سِنان الجواد، وجاءت بنو أسد، وأرسل الجونُ ابنيه معاويةَ وعمراً، وأرسل النعمان أخاه لأمه حسّان ابن وَبَرة الكَلبىّ. فلما توافَوْا خرجوا إلى بنى عامر، وقد أُنذروا بهم وتأهّبوا لهم. فقال الأحوصُ بن جعفر، وهو يومئذ رَحَا هوازن(٣)، لقَيس بنُ زهير: ما ترى؟ فإنك تزعم أنه لم يَعْرِض لك أمران إلا وجدتَ فى أحدهما الفَرج. فقال قيسُ

---

(١) جبلة: هضبة حمراء بنجد بين الشريف والشرف. والشريف: ماء لبنى نمير. والشرف: ماء لبنى طالب. (انظر معجم البلدان).

(٢) هجر: بلاد قصبتها الصفا، بينها وبين اليمامة عشرة أيام، وبينها وبين البصرة خمسة عشر يوما.

(٣) رحا هوازن. سيدهم الذى يصدرون عن رأيه وينتهون إلى أمره.

ابن زهير : الرأى أن تَرتحل بالعيال والأموال حتى تَدْخل شِعْب جَبلة فتُقاتِل القوم دونها من وَجه واحد، فإنهم داخلون عليك الشِّعب ، وإنّ لَقيطاً رجل فيه طَيش فسيقتحم عليك الجبَل ، فأرى لك أن تأمر بالإبل فلا تَرعى ولا تُسقى ٦٤/٣ وتُعقل ، ثم تَجعل الدّرارى وراء ظُهورنا ، وتأمر الرجالَ فتأخذُ بأذناب الإبل ، فإذا دخلوا علينا الشِّعب حلّت الرَّجّالة عُقل الإبل ، ثم لَزِمت أذنابَها ، فإنها تنحدر عليهم وتحنّ إلى مرعاها ووِرْدها ، ولا يَرُدّ وجوهَها شىء ، وتخرج الفُرسان فى إثر الرّجالة الذين خلفَ الإبل فإنها تحطِّم ما لقيتْ ، وتُقبل عليهم الخيل ، وقد حُطِّموا من عَل. قال الأحوص : نِعم ما رأيت ، فأخذ برأيه . ومع بنى عامر يومئذ بنو عَبس ، وغنىّ فى بنى كِلاَب ، وباهلةُ فى بنى كعب[1] ، والأبناء أبناء صَعصعة . وكان رهط المُعقِّر البارقىّ يومئذ فى بنى نُمير بن عامر ، وكانت قبائلُ بجيلة كُلّها فيهم غير قَسْر[2] .

قال أبو عُبيدة : وأقبل لَقيط والملوك ومن مَعهم ، فوجدوا بنى عامر قد دخلوا شِعْب جَبلة ، فنزلوا على فَم الشِّعب . فقال لهم رجل من بنى أسد : خُذوا عليهم فَم الشِّعب حتى يَعْطشوا ويَخْرجوا ، فوالله ليتساقطُنّ عليكم تساقطَ البَعَر من أست البعير . فأبوا حتى دَخلوا الشِّعب عليهم ، وقد عقلوا الإبل وعَطّشوها ثلاثة أخماس[3] ، وذلك اثنتا عشرةَ ليلة ، ولم تَطْعم شيئا. فلما دخلوا حلّوا عُقُلَها ، فأقبلت تهوى . فسمع القومُ دَويًّا فى الشِّعب ، فظنّوا أن الشِّعب قد هُدم عليهم ، والرّجالة فى إثرها آخذين بأذنابها ، فدقّت كُلَّ ما لقيتْ ، وفيها بَعير أعور يتلوه غلام أعسر آخذٌ بذنبه وهو يرتجز ويقول :

---

(١) كذا فى ن . يريد كعب بن ربيعة بن صعصعة . وانظر النقائض (ص ٦٦٦) . والذى فى سائر الأصول : « صعب » .

(٢) فى الأصول : « قيس » . وفى الأغانى (١٠ : ٧٧) : «قشير» . وكلاهما محرف عما أثبتنا. (انظر النقائض ص ٦٦٠) .

(٣) أخماس : جمع خمس ، بالكسر ، وهو من أظماء الإبل ، وذلك أن ترعى ثلاثة أيام وترد فى الرابع .

أنا الغلامُ الأعسرْ * الخيرُ فىّ والشرّْ * والشرُّ فىّ[١] أكثرْ

فانهزموا لا يُلوون على أحد . وقُتل لقيطُ بنُ زُرارة ، وأُسر حاجبُ بن زرارة ، أسره ذو الرُّقَيْبَة[٢] . وأُسر سِنَان بن أبى حارثة المُرّى ، أسره عُروة الرَّحال ، فجزّ ناصيتَه وأطلقه ، فلم تَشِنْه . وأُسر عمرو بن أبى عمرو بن عُدس[٣] ، أسره قيسُ بن المُنتفق[٤] ، فجزّ ناصيته وخلّاه طَمعاً فى المُكافأة ، فلم يَفعل . وقُتل معاوية بن الجَوْن ، ومُنقذ بن طَريف الأَسدى ، ومالك بن رِبْعىّ بن جَندل ابن نَهشل . فقال جرير :

كأنك لم تَشهدْ لَقيطاً وحاجباً وعمرو بنَ عَمرو إذ دَعا يا لَدارمِ
ويومَ الصَّفا[٥] كُنتم عَبيداً لعامرٍ وبالحَزْن أصبحتم عَبيدَ اللَّهازمِ[٦]

يعنى بالحزن يومَ الوقيط[٧] . وقال جرير أيضاً فى بنى دارم :

ويومَ الشِّعب قد تَركوا لَقيطاً كأنّ عليه حُلّةَ[٨] أُرْجوانِ
وكُبِّل حاجبٌ بِشَمام[٩] حَوْلاً فحكَّم ذا الرُّقيبة وهو عانِ

وقالت دُخْتَنوس بنت[١٠] لَقيط تَرثى لَقيطاً :

(١) فى النقائض (ص ٦٦١) : « منى » .
(٢) هو مالك بن سالم ، أحد بنى قشير : وقد مر ذكره .
(٣) كذا فى ن . والذى فى الأصول : « عوين » . تحريف . انظر الأغانى (١٠ : ٤٤) والنقائض (ص ٦٧٤)
(٤) فى بعض الأصول : « المنفق » . وما أثبتنا من سائر الأصول والأغانى (١٠ : ٤٤) .
(٥) يعنى بيوم الصفا يوم جبلة . انظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٤١) من هذا الجزء .
(٦) لعله يريد حزن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . قبيلة جرير ، وهو قرب فيد ، وهو من جهة الكوفة . (انظر معجم البلدان) . واللهازم : لقب بنى تيم الله بن ثعلبة .
(٧) فى الأصول : « لقيط » . وما أثبتنا من النقائض . ويوم الوقيط : هو الذى أسر فيه عثجل بن المأموم . والمأموم بن شيبان . (انظر معجم البلدان) .
(٨) فى النقائض (ص ٦٧٠) : « خلة » .
(٩) فى أكثر الأصول : « بالشام » . وما أثبتنا من ن والديوان والنقائض (ص ٦٧٠) والأغانى (١٠ : ٤٣) . وشمام (بالكسر على البناء وبالفتح على أنه لا ينصرف) : جبل لباهلة .
(١٠) فى بعض الأصول « أخت » . وما أثبتنا من سائر الأصول والنقائض والشعر والشعراء . (ص ٤٤٦) والأغانى (١٠ : ٤٠) والطبرى والقاموس .

فَرّتْ بنو أسد فِرا ... رَ الطَّيْرِ عن أرْبابها
عن خَيرِ خِنْدِف كلِّها ... مِن كَهْلِها وشَبابِها
وأتَمِّها حَسَباً إذا ... نُصّتْ[1] إلى أحسابها

وقال المُعَقِّر البارقيّ :

أمِن آلِ شَعْثاء الحُمُولُ البَواكِرُ ... مع الصُّبحِ[2] أم زَالتْ قُبيلُ الأباعِرُ
وحلّت سُلَيمى في هِضابٍ وأيكةٍ ... فليس عليها يومَ ذلك قادر
وألقتْ عَصاها وأستقرّت بها النَّوى ... كما قَرّ عيناً بالإياب المُسافِرُ
وصَبّحها أملاكُها بكَتيبةٍ ... عليها إذا أمستْ من الله ناظر
مُعاويةُ بنُ الجَونُ ذُبيانُ حولَه ... وحسّانُ[3] في جَمعِ الرِّباب مُكاثِر ٦٥/٣
وقد زَحفتْ[4] دُودان تَبغي لثأرها ... وجاشت تَميمٌ كالفُحول تُخاطر
وقد جَمَعوا جمعاً كأنّ زُهاءه ... جرادٌ هَفا[5] في هَبْوة مُتطايِرِ[6]
فمرّوا بأطناب البُيوت فردّهم[7] ... رجالٌ بأطناب البُيوت مَساعِرِ[8]
فباتوا لنا ضيفاً وبتْنا بنِعْمة ... لنا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وزامِرِ[9]
فلم نَقْرِهم شيئاً ولكنْ قِراهُم[10] ... صَبوحٌ لدينا مَطْلَعَ الشمس حازِرِ[11]

(١) كذا في ن. والذي في سائر الأصول: «ضمت».
(٢) في النقائض والأغاني: «مع الليل»:
(٣) ذكر في النقائض أنه حسان بن عمرو بن الجون الكندي. وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٤٠) من هذا الجزء. وفي ابن الأثير (١ : ٢٦٥) أن رئيس الرباب في الوقعة كان حسان بن همام.
(٤) كذا في ن. والذي في سائر الأصول: «رجعت».
(٥) في الأغاني والنقائض: «هوى»:
(٦) الهبوة: الغبار الثائر.
(٧) الأطناب: حبال تشد بها البيوت. والمراد بأطناب البيوت هنا نواحيها وأطرافها.
(٨) في الأصول: «بأطراف الرماح». وما أثبتنا من الأغاني والنقائض. ومساعر: جمع مسعر؛ يقال: رجل مسعر حرب؛ إذا كان يؤرثها، أي تحمى به الحرب.
(٩) في ن والأغاني والنقائض: «وسامر».
(١٠) في ن والأغاني والنقائض: «ولكن قصرهم». وفي ن: «قصرهم».
(١١) الحازر: الحامض من اللبن والنبيذ.

وصَبَّحهم عند الشُّروق كتائبٌ[1] كأركان سَلْمَى سَيرُها[2] مُتواتِرُ
كأن نَعام الدَّوِّ باضَ عليهمُ[3] وأعينُهم تحت الحَبيك[4] خَوازِرُ[5]
مِن الضارِ بين الهام[6] يَمْشون مَقْدَمًا إذا غُصَّ بالرِّيق القليلِ الحَناجر
أظنّ سَراةُ القوم أنْ لن يُقاتِلوا[7] إذا دُعيت بالسَّفْح عَبْسٌ وعامِر
ضَربنا حَبِيك[8] البَيْض فى غَمر لُجَّة فلم يَنْجُ[9] فى الناجين منهم مُفاخر
هوى زَهْدَمٌ تحت العَجاج لحاجب كما انقضَّ بازٍ أقْتَمُ الرِّيش كاسِر[10]
يُفرّج عنّا كلَّ ثَغرٍ نَخافه مِسَحٌّ[11] كسِرْحان القَصيمة ضامِر[12]
وكلُّ طَموح فى العِنان كأنها إذا اغتمَسَتْ فى الماء فَتْخاء كاسِر[13]

(١) فى الأغانى والنقائض: «صبحناهم عند الشروق كتائبا».
(٢) فى الأغانى: شبرها».
(٣) يريد تشبيه ما على رءوسهم من بيض الحديد ببيض النعام.
(٤) الحبيك، أى الحبك من البيض، وهى طرائق حديده.
(٥) الخزر فى العين: كسرها خلقة أو ضيقها وصغرها، أو النظر كأنه فى أحد الشقين. وفى الأغانى والنقائض: «جواحر». والجواحر: الغائرة.
(٦) فى الأغانى والنقائض: «الكبش».
(٧) فى الأغانى والنقائض: «يقتلوا».
(٨) فى بعض الأصول: «جبيل».
(٩) فى الأغانى: «فلم يبق».
(١٠) كذا فى بعض الأصول، وهو زهدم بن حزن بن وهب بن عويمر بن رواحة العبسى. وحاجب، هو ابن زرارة: وقصته مع الزهدمين، زهدم هذا وأخوه قيس، مفصلة فى الأغانى والنقائض. وفى بعض الأصول: «لامر». وأقتم الريش: أسوده. والكاسر: الذى يكسر جناحيه ويضمهما إذا أراد السقوط: ورواية الشطر الثانى من هذا البيت فى اللسان (قتم):
* كما انقض أقنى ذو جناحين ماهر *
(١١) كذا فى بعض الأصول والأغانى. والمسح: الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجرى صبا. والذى فى سائر الأصول: «مشيح».
(١٢) القصيمة: رملة تنبت الغضا.
(١٣) الفتخاء الكاسر: العقاب. والفتخ: اللين فى المفاصل وغيرها. والعقاب إذا انحطت كسرت جناحيها وغمزتهما، وذلك لا يكون إلا من لين.

لها ناهضٌ[١] في الوَكْرِ[٢] قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ لِلبَعْلِ حَسناء عاقِرِ
تخاف نِساءٍ يَبْتَزِزن[٣] حَلِيلَها مُحَرَّبةٌ[٤] قد أَحْرَدتها الضرائر

استعار هذا البيت « فألقت عصاها» من المُعَقِّر البارقيّ ، إذ كان مثلاً فى الناس ، راشدُ بن عبد ربّه السُّلمى ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد استعمل أبا سُفيان بن حرب على نَجران فولّاه الصلاةَ والحرب ، ووجّه راشدَ ابن عبد ربّه السُّلمى أميراً على المظالم والقضاء ، فقال راشدُ بن عبد ربّه :

صحا القلبُ عن سَلْمى وأَقْصر شأْوُهُ وَرَدَّت عليه ما تَبتغيه تُماضِرُ
وحَلّمه[٥] شَيْبُ القَذالِ[٦] عن الصِّبا وللشَّيبُ عن بَعض الغَواية زاجر
فأَقصر جَهلى اليومَ وأرتدّ باطلى عن اللّهو لما أبيضّ منّى الغدائر
على أنه قد هاجه بعدَ صَحْوه بمَعرض ذى الآجام عِيسٌ بَوَاكر
ولما دنتْ من جانب الغُوط أخصبت وَحلّت فلاقاها سُلَيم وعامر
وخبّرها الرُّكبان أنْ ليس بينها وبين قُرى بُصرى ونَجران كافر
فألقت عَصاها وأستقرّت بها النَّوى كما قَرّ عيناً بالإياب المُسافر

فأستعار هذا البيت الأخير من المُعقِّر البارقىّ ، ولا أحسبه أستجاز ذلك إلا لأستعمال العامة له وتمثّلهم به .

يوم مقتل الحارث بن ظالم
بالخَرَبة[٧]

قال أبو عُبيدة : لما قَتل الحارث بنُ ظالم خالدَ بن جعفر الكِلابىّ أتى

(١) الناهض : الفرخ الذى وفر جناحاه حتى استقل للنهوض .
(٢) فى الأغانى : « فى المهد » .
(٣) فى الأغانى : « يبتدرن » .
(٤) محربة ، أى شديدة الغضب . ورواية الأغانى : « محردة » . من الحرد ، بمعنى الغيظ .
(٥) فى ن : « وحكمه » .
(٦) القذال : جماع مؤخر الرأس .
(٧) كذا فى معجم البلدان . والخربة (بالتحريك) : مما يلى ضرية . والذى فى الأصول :=

صديقاً له من كِنْدة ، فالتفتْ عليه ، فطلبه الملك ، فخَفِىَ ذِكره . ثم شَخص من عند الكِنْدىّ ، وأضمرته البِلاد حتى أستجار بزياد ، أحد بنى عِجل بن لُجيم ، فقام بنو ذُهل بن ثَعلبة و بنو عمرو بن شيبان فقالوا لعِجْل : أخْرِجوا هذا الرجل من بين أظهركم فإنه لا طاقَة لنا بالشَّهباء[1] ودَوْسر — وهما كتيبتان للأسود بن ٦٦/٣ المُنذر — ولا بمُحاربة الملك . فأبتْ ذلك عليهم عِجْل . فلما رأى ذلك الحارثُ ابنُ ظالم كَرِه أن يَقع بينهم فِتْنة بسببه ، فأرتحل من بنى عِجْل إلى جَبلَى[2] طيِّئ ، فأجاروه ، فقال فى ذلك :

لَعمرى لقد حَلّت بِى اليومَ ناقَتى على ناصِر من طَيِّئ غيرِ خاذِلِ
فأصبحتُ جاراً للمَجرَّةِ فيهم على باذخ يَعلو يدَ المُتطاوِل
إذا أجأ لَفّت علىّ شِعابَها وَسَلْمى فأنَّى أنتمُ مِن تَناولى[3]

فمكث عندهم حِيناً . ثم إنّ الأسود بن المُنذر لما أعجزه أمْرُه أرسل إلى جارات كُنّ للحارث بن ظالم ، فأستاقهنّ وأموالهن . فبلغ ذلك الحارثَ ابنَ ظالم ، فخرج من الجبلين ، فاندسّ فى الناس حتى عَلِم مكانَ جاراته ومَرعى إبلهن ، فأتاهنّ فأستنقذهنّ ، وأستاق إبلَهن فألحقهنّ بقومهن ، وأندس فى بلادغَطفان ، حتى أتى سِنانَ بن أبى حارثة المُرّى ، وهو أبو هَرِم الذى كان يمدحه زُهير . وكان الأسود بن المُنذر قد أسترضع أبنه شَرَحْبيل عند سَلْمى أمرأة سِنان ، وهى من بنى غَنْم بن دُودان بن أسد ، فكانت لاَ تأمن على أبن الملك أحدًا . فاستعار الحارثُ بن ظالم سَرج سِنان ، وهو فى ناحية الشَّرَبَّة[4] لا يعلم

= « الحوبة » بالحاء المهملة . تصحيف . وبعيد أن تكون « بالحربية » بالحاء . فهذا موضع بالبصرة . (انظر معجم البلدان) .

(١) فى الأغانى (١٠ : ٢٣) : « بالملجأ ، والملجأ كتيبة الأسود » .

(٢) فى بعض الأصول : « جبل » .

(٣) أجأ وسلمى : جبلان عن يسار سميراء ، وبينهما سير ليلتين . (انظر معجم البلدان) .

(٤) الشربة (بفتح أوله وثانيه وتشديد الباء الموحدة) : موضع بين السليلة والربذة ، وقيل : إذا جاوزت النقرة وماوان تريد مكة وقعت فى الشربة . ولها ذكر كثير فى أيام العرب وأشعارهم . (انظر معجم البلدان) .

سِنَان ما يُريد ، وأتى بالسَّرْج امرأةَ سنان وقال لها : يقول لك بعلُك : ابعثى بابن الملك(١) مع الحارث ، فإنى أريد أن أستأمن له الملكَ ، وهذا سرجُه آيةَ ذلك . قال : فزيَّنته سَلْمى ودفعته إليه . فأتى به ناحيةً من الشَّرَبَّة فقتله ، وقال فى ذلك :

أَخُصْيَىْ حِمارٍ باتَ يَكْدِمُ نَجْمَةً(٢) أَتُؤْكَل جاراتى(٣) وجارُك سالمُ
علوتُ بذى الحيَّات(٤) مَفْرِقَ رأسِه ولا يَركب المكْروهَ إلا الأكارم
فتكتُ به كما فتكتُ بخالد وكان سِلاحى تَجْتَويه الجماجم(٥)
بَدأتُ بذاك وأثنيتُ بهذه(٦) وثالثةٍ تَبيضّ منها المَقادم

قال : وَهَرب الحارث من فَوره ذلك ، وهَرب سنان بن أبى حارثة . فلما بلغ الأسودَ قتلُ ابنه شرحبيل ، غزا بنى ذُبيان ، فقتل وسَبى وأخذ الأموال ، وأغار على بنى دُودان ، رَهْطِ سَلْمى التى كان شَرحبيل فى حِجرها ، فقتلهم وسَباهم ، بشَطّ أُريك . قال : فوجد بعد ذلك نعلى شَرحبيل فى ناحية الشَّرَبّة عند بنى مُحارب بن خَصفة(٧) ، فغزاهم الملك ، ثم أسرهم . ثم أَحْمَى الصَّفا ، وقال : إنى أحذيكم نعالا ، فأمشاهم على ذلك الصَّفا ، فتساقطت أقدامهم . ثم إنّ سيَّار بن عمرو بن جابر الفَزارى أُحتمل للأسود ديةَ ابنه ألف بعير ، وهى دية الملوك ،

(١) فى بعض الأصول : « ابنك » . وما أثبتنا من سائر الأصول والأغانى .
(٢) أخصيى ، أراد يا خصيى ، يخاطب النعمان . شبهه بخصيى الحمار لتحقيره وتصغيره ، أو أنه شنج الوجه متغضنه كخصيى الحمار إذا كدم نجمة ، وذلك لصلابتها . والنجمة : واحدة النجم ، وهو من النبات ما لا ساق له . وهو هنا ضرب من النبت يقال له الثيل . (انظر شرح المفضليات) .
(٣) فى المفضليات : « أيؤكل جيرانى » .
(٤) ذو الحيات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات .
(٥) فى الأغانى : « فتكت به فتكا كفتكى بخالد » . وخالد ، هو ابن جعفر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وتجتويه : لا يوافقها .
(٦) فى الأغانى : « بدأت بهذى ثم أثنى بمثلها » . وفى المفضليات :
* بدأت بهذى ثم أثنى بهذه *
يريد بالأولى قتل خالد بن جعفر ، وبالثانية قتل ابن النعمان ، وبالثالثة قتل النعمان ، يتوعده .
(٧) فى الأغانى : « حفصة » .

ورَهنه بها قوسَه فوفّاه بها ، فقال فى ذلك :

ونحن رهنّا القوسَ ثُمّتَ[١] فُودِيت   بألفٍ على ظَهر الفَزاريّ أقرعَا[٢]

بعشر مِئين للمُلوك وفَى بهـا   ليُحمَدَ[٣] سيّارُ بنُ عمرٍو فأسرعا

وكان هذا قبل قَوس حاجب . وقال فى ذلك أيضا :

وهل وجدتُم حاملاً كحاملى   إذ رَهن القوسَ بألفٍ كاملِ[٤]

بدِيَة أبن المَلِك[٥] الحُلاحِلِ   فأفتكّها مِن قَبل عامٍ قابِلِ

[سيّارُ المُوفِى بها ذو النّائل]

وهرب الحارث فلحق بمَعبد بن زُرارة ، فأستجار به فأجاره ، وكان من سَببه وقعة رَحْرَحان التى تقدّم ذكرها . ثم هرب الحارث حتى لحق بمكة وقريش ،

٦٧/٣ لأنه يقال إن مُرّة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان[٦] ، إنما هو مُرّة بن عَوف بن لؤى ابن غالب ، فتوسّل إليهم بهذه القَرابة ، وقال فى ذلك :

إذا فارقتُ ثَعلبة بنَ سَعْد   وإخوتَهم نُسبتُ إلى لُؤىّ

إلى نَسب كريم غير دَغْل   وحىٍّ من أكارم كُلّ حَىّ

فإنْ يكُ منهمُ أصْلى فمنهم   قَرابِينَ الإله بنو قُصىّ

فقالوا : هــذه رَحمٌ كَرْشاء[٧] ، إذا أستغنيتَم عنها لَنْ يَترَكم[٨] . قال : فشخص الحارث عنهم غَضبان ، وقال فى ذلك :

ألا لستُمُ منّا ولا نحن منكمُ   بَرِئْنا إليكم من لُؤىّ بن غالبِ

غدَوْنا على نَشْز الحِجاز وأنتمُ   بمُنْشعب البَطْحاء بين الأخاشبِ[٩]

---

(١) كذا فى الأغانى . والذى فى سائر الأصول : « ثمة » .

(٢) ألف أقرع ، أى تام .   (٣) فى الأغانى : « ليوفى »

(٤) فى بعض الأصول : « كافل » . وما أثبتنا من سائر الأصول والأغانى .

(٥) فى الأصول : « الملك » . وما أثبتنا من الأغانى .

(٦) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول والطبرى : « أبا ذبيان » .

(٧) رحم كرشاء ، أى بعيدة .

(٨) لن يترِكم ، اى لن ينتقصكم ذلك . وفى بعض الأصول : « أدبرتم »

(٩) النشز (بالفتح والتحريك) : المرتفع من الأرض . والبطحاء : بطحاء مكة . والأخاشب : جبال مكة وجبال منى .

وتوجّه الحارث بن ظالم إلى الشام فلحق بيزيدَ بن عمرو الغسّانى، فأجاره وأكرمه. وكان ليزيد ناقة مُحماة[١]، فى عُنقها مُدية وزناد وصُرّة مِلْح، وإنما كان يَمتحن بها رعيّته لينظر مَن يجترىء عليه. فوَحِمت امرأة الحارث فاشتهت شَحماً فى وَحَمها، فانطلق الحارثُ إلى ناقة الملك فانتحرها، وأتاها بشَحمها، وفُقدت الناقة. فأرسل الملكُ إلى الخِمْس[٢] التّغلبىّ، وكان كاهناً، فسأله عن الناقة، فأخبره أنّ الحارث صاحبها. فهمّ الملك به، ثم تذمّم[٣] من ذلك. وأوجس الحارثُ فى نفسه شرّا، فأتى الخِمْس[٢] التّغلبىّ فقتَله. فلما فعل ذلك دعا به الملك فأمر بقَتله. فقال: أيها الملك، إنك قد أجرتَنى فلا تَغْدرنّ بى. فقال الملك: لا ضَير إن غدرتُ بك مرّة لقد غدرتَ بى مراراً. وأمر ابنَ الخِمْس[٤] فقتَله. وأخذ ابنُ الخِمْس[٤] سيفَ الحارث فأتى به عُكاظ فى الأشهر الحُرم، فأراه قيسَ بن زُهير العبسىّ، فضربه به قيسٌ فقتَله[٥]، وقال يرثى الحارثَ بن ظالم:

وما قصَرتْ من حاضنٍ سترَ بيتها[٦] ... أبرّ وأوفَى منك حارِ بنَ ظالمِ
أعزّ وأحمَى عند جارٍ وذِمّة ... وأضربَ فى كابٍ من النَّقْع قاتم

حرب داحس والغبراء

وهى من حُروب قيس

قال أبو عُبيدة: حرب داحس والغبراء بين عَبس وذُبيان، ابنى بَغيض بن

(١) محماة، أى محمية.
(٢) فى الأصول: «الحسن». تحريف. والتصويب من النقائض والأغانى والاشتقاق.
(٣) تذمم، أى استنكف.
(٤) هو مالك بن الخمس. والذى فى الأصول: «ابن الحسن».
(٥) العبارة فى الأغانى: «وأخذ ابن الخمس سيف الحارث بن ظالم المقلوب فأتى به سوق عكاظ فى الحرم. فجعل يعرضه على البيع ويقول: هذا سيف الحارث بن ظالم. فاشتراه قيس بن زهير بن جذيمة، فأراه إياه، فعلاه به حتى قتله فى الحرم».
(٦) كذا فى الأغانى. وقصر الستر: أرخاه. أى ما أرخت حاضن ستر بيتها على أبر وأوفى منك ... الخ. والذى فى أكثر الأصول: «حاضر دون سرها». والذى فى ن: «دون شبهها».

رَيْث بن غَطفان . وكان السبب الذى هاجها أنّ قيسَ بن زُهير وحَمل بن بَدر تَراهنا على داحس والغَبراء ، أيهما يكون له السَّبْق ، وكان داحس فحلاً لقيس ابن زُهير ، والغبراء حِجْرا[1] لحَمَل بن بَدْر ، وتواضعا الرِّهان على مائة بعير ، وجعلا مُنتهى الغاية مائة غَلْوة[2] ، والإضمار[3] أربعين ليلة . ثم قادوهما إلى رأس المَيدان بعد أن أضمروهما أربعين ليلة ، وفى طَرف الغاية شِعابٌ كثيرة . فأكمن حَمل بن بدر فى تلك الشِّعاب فِتْيانا على طريق الفَرسين ، وأمرهم إن جاء داحس سابقاً أن يردّوا وجهه عن الغاية .

قال : فأرسلوهما فأحضرا[4] ، فلما أحضرا خَرجت الأُنثى من الفحل . فقال حَمَل بن بدر: سبقتُك يا قيس . فقال قيس : رُويدا يَعْدُوان الجَدَد إلى الوَعْث[5] ، وتَرشح أعطاف الفحل . قال : فلما أوغلا فى الجدد وخَرجا إلى الوَعْث بَرَز داحس عن الغَبراء . فقال قيس : جَرْى المُذْكيات غِلاَء[6] ، فذَهبت مثلا . فلما شارف داحسٌ الغاية ودنا من الفِتية ، وَثبوا فى وجه داحس فردّوه عن الغاية . ففى ذلك يقول قيسُ بن زُهير :

وما لاقيتُ من حَمل بن بَدْر ... وإخوته على ذاتِ الإصادِ[7]

٦٨/٣ هُمُ فَخروا علىّ بغير فَخْرٍ ... وردّوا دون غايته جَوادى

---

(١) الحجر (بالكسر): الفرس ، لم يدخلوا فيه الهاء ، لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر. والجمع أحجار وحجورة وحجور . والذى فى الأصول : « حجرة » .

(٢) الغلوة : مقدار رمية بسهم . وقد تستعمل فى سباق الخيل .

(٣) إضمار الخيل : أن تشد عليها سروجها وتجلل بالأجلة حتى تعرق تحتها فيذهب رهلها ويشتد لحمها ، ويحمل عليها غلمان خفاف يجرونها ولا يعنفون بها ، فإذا فعل ذلك بها أمن عليها البهر الشديد عند حضرها ولم يقطعها الشد .

(٤) الإحضار : ارتفاع الفرس فى عدوه .

(٥) الجدد : فضاء لا نبت فيه . والوعث : المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام.

(٦) المذكيات من الخيل : التى قد أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان . وغلاء : جمع غلوة. أى إن جريها يكون غلوات . ويروى « غلاب » ، أى مغالبة. أى إن المذكى يغالب مجاريه يغلبه لقوته . ويجوز أن يراد أن ثانى جريه أبداً أكثر من باديه ، وثالثه أكثر من ثانيه . (انظر مجمع الأمثال) .

(٧) الإصاد : الماء الذى لطم عليه داحس . (انظر معجم البلدان) .

وثارت الحرب بين عبس وذُبيان ، أبنى بَغيض ، فبقيت أربعين سنة لم تُنْتَج لهم ناقة ولا فَرس ، لاشتغالهم بالحرب . فبعث حُذيفة بن بدر ابنَه مالكا إلى قيس بن زُهير يطلب منه حَقَّ السبق . فقال قيس : كلا ، لأمطُلنك به ، ثم أخذ الرُّمح فطعنه به فدقّ صُلْبه ، ورجعت فرسُه عارية[١] . فاجتمع الناسُ فاحتملوا دية مالك مائة عُشَراء . وزعموا أن الرَّبيع بن زياد العَبسىّ حملها وحدَه ، فقبضها حُذيفة وسكن الناس . ثم إن مالك بن زهير نزل اللُّقاطه[٢] من أرض الشرَبّة ، فأُخبر حُذيفة بمكانه ، فعدا عليه فقتَله . ففى ذلك يقول عَنترة الفوارس :

فللّه عَيناَ مَن رَأى مثلَ مالكٍ عَقيرةَ قوم أن جَرَى فَرَسانِ[٣]
فليتهما لم يَجْـــريا قَيْدَ[٤] غَلوة وليتهما لم يُرْسَـــلا لِرهان

فقالت بنو عَبس : مالك بن زُهير بمالك بن حُذيفة ، ورُدّوا علينا مالَنا . فأَبَى حذيفةُ أن يردّ شيئا . وكان الربيعُ بن زياد مجاورا لبنى فَزارة ، ولم يكن فى العَرب مثلُه ومثل إخوته ، وكان يقال لهم الكَمَلة ، وكان مُشاحناً لقيس بن زهير من سَبب دِرْع لقيس غَلبه عليها الربيعُ بن زياد ، فاطَّرد قيسٌ لَبوناً لبنى زياد فأتى بها مكةَ ، فعاوض بها عبدَ الله بن جُدعان بسلاح ، وفى ذلك يقول قيس ابن زُهير :

ألم يبلغك[٥] والأنباء تَنْمِى بما لاقتْ لَبون بنى زيادِ
وَمَحْبِسها على القُرشِىّ تُشْرى بأدراع وأسيافٍ حِداد
وكنتُ إذا بُليت بخَصم سَوء دَلَفتُ له بداهيـــة نآد[٦]

(١) كذا فى ن . وفى س : « عابرة » . وفى سائر الأصول : « غائرة » .
(٢) اللقاطة : موضع قريب من الحاجر من منازل بنى فزارة قتل فيه مالك بن زهير .
(٣) العقيرة : الرجل الشريف يقتل .
(٤) فى ديوان عنترة : « نصف غلوة » .
(٥) كذا فى بعض الأصول والأغانى (١٦ : ٢٨) . والذى فى سائر الأصول : « يأتيك » .
(٦) كذا فى الأغانى . والنآد : الداهية . ويقال : داهية نآد ، على النعت أو البدل . والذى فى سائر الأصول : « الفؤاد » .

ولما قُتل مالك بن زُهير قامت بنو فَزارة يسألون و يقولون : مَا فعل حِمارُكم ؟ قالوا . صِدْناه . فقال الرَّبيع : ما هذا الوَحْى ؟ قالوا : قتلنا مالكَ بن زهير . قال بئسما فعلتم بقومكم ، قَبلتم الدِّية ، ثم رَضيتم بها وغَدرتم . قالوا : لولا أنك جارنا لقتلناك ، وكانت خُفرة[1] الجار ثلاثا . فقالوا له : بعد ثلاث ليال : اُخرُج عنّا . فخرج وأتبعوه فلم يَلحقوه ، حتى لَحق بقومه . وأتاه قيسُ بن زهير فعاقده . وفى ذلك يقول الربيع :

فإنْ تكُ حَربُكم أمستْ عَواناً ... فإنّيَ لم أكُن ممّن جَناها[2]
ولكنْ وُلْد سَوْدة أرّثوها ... وَحشُّوا نارَها لِمَن اصطلاها[3]
فإنّى غيرُ خاذلكم ولكنْ ... سأسعى الآن إذ بَلغت مداها

ثم نَهضت بنو عَبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غَطفان إلى بنى فَزارة وذُبيان ، ورئيسهم الرَّبيع بن زياد ، ورئيس بنى فَزارة حُذيفة بن بَدر .

يوم المريقب

لبنى عبس على فزارة

فالتقوا بذى المُرَيْقِب ، من أرض الشَّرَبّة ، فاقتتلوا ، فكانت الشوكةُ فى بنى فَزارة ، قُتل منهم عوف بن زيد بن عمرو بن أبى الحُصين ، أحد بنى عدىّ بن فَزارة ، وضَمضم أبو الحُصين المُرّىّ ، قتله عَنترة الفوارس ، ونفر كثير ممن لا يعرف أسماؤهم. فبلغ عنترةَ أنّ حُصينا وهَرِماً ، ابنى ضَمضم ، يشتُمانه و يُواعدانه ، فقال فى قَصيدته التى أولها[4] :

(١) الخفرة (بالضم) : الاسم من خفره ، إذا أجاره ومنعه وأمنه .
(٢) العوان (كسحاب) : هى من الحروب التى قوتل فيها مرة .
(٣) ولد سودة : هم بنو بدر بن عمرو .
(٤) يريد معلقته ، غير أن أولها :
هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم
وبعده هذا البيت الذى ساقه هنا على أنه أولها .

«يا دارَ عَبلةَ بالجِوَاء تَكلَّمى ... وعِمِى صَباحاً دارَ عَبلةَ واَسلمى»[١]
ولقد خَشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُر ... للحَرْب دائرةٌ على أبنى ضَمْضمِ[٢]
الشاتِمَىْ عِرْضى ولم أشتُمهما ... والنَّاذِرين إذا لَمَ اَلقَهما دَمى[٣] ٦٩/٣
إن يَفعلا فلقد تركتُ أباهما ... جَزَر السِّباع وكُلِّ نَسرٍ قَشْعَمِ[٤]
لما رآنى قد نزلتُ أُريده ... أبدى نواجذَه لغَــير تَبسُّمِ[٥]

وفى هذه الوقعة يقول عنترة الفوارس :

فلتعلَمَنّ[٦] إذا التقت فُرسانُنا ... يوم المُريقب أنّ ظنّك أحمقُ

يوم ذى حسا

لذبيان على عبس

ثم إنّ ذُبيان تجمّعت، لِمَا أصابت بنو عَبْس منهم يومَ المُريقب : فزارةُ ، ابن ذُبيان ، ومُرّة بن عَوف بن سعد[٧] بنُ ذبيان، وأحلافُهم ، فنزلوا فتوافَوْا بذى حُسَا ، وهو وادى الصَّفا من أرض الشَّربّة ، و بينها و بين قَطَن[٨] ثلاثُ ليال ، و بينها و بين اليَعْمرية[٩] ليلة . فهربت بنو عَبس ، وخافت أن لا تقوم بجماعة بنى ذُبيان ، وأتبعوهم حتى لحقوهم ، فقالوا : التّفانى أوتُقِيدونا[١٠] . فأشار قيسُ

(١) الجواء : واد فى ديار عبس وأسد . (انظر معجم البلدان) .
(٢) يروى : «لم تكن» و «لم تقم» مكان «لم تدر» . وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم المريان . وكان عنترة قتل أباهما ضمضما ، فكانا يتوعدانه.
(٣) فى رواية : «إذا لقيتهما دمى»
(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ؛ يقال : تركهم جزر السباع ، أى قطعاً . والقشعم : الكبير من النسور .
(٥) مكان هذا البيت من المعلقة بعد قوله فيها :

ربذ يداه بالقداح إذا شتا ... هتاك غايات التجار ملوم

(٦) كذا فى ديوان عنترة . والبيت من أبيات أربعة يتوعده بها عنترة . والذى فى الأصول : «ولقد علمت» .
(٧) فى الأصول : «سفيان» . تحريف . (٨) قطن : موضع من أرض الشربة .
(٩) اليعمرية : ماء بواد من بطن نخلة من الشربة . (انظر معجم البلدان) .
(١٠) تقيدونا ، أى تعطونا القاتل نقتله بمن قتل .

ابن زُهير على الرَّبيع بن زياد ألاّ يُناجزوهم وأن يُعطوهم رهائنَ من أبنائهم حتى ينظروا فى أمرهم . فتراضَوْا(١) أن تكون رُهُنُهم عند سُبيع بن عمرو ، أحدِ بنى ثعلبة ابن سعد بن ذُبيان . فدَفعوا إليه ثمانيةً من الصِّبيان وانصرفوا ، وتكافَّ الناس . وكان رأىُ الرَّبيع مُناجزَتهم ، فصرفه قيسٌ عن ذلك . فقال الربيع :

أقول ولم أملك لقَيْس نصيحةً أرى ما يَرى واللهُ بالغَيبِ أعلمُ
أتُبقِى على ذُبيان فى قَتل مالك فقد حَشَّ جانى الحَرب ناراً تَضرَّمُ(٢)

فكانت رُهُنُهم عند سُبيع بن عمرو حتى حضرتْه الوفاة ، فقال لابنه مالك ابن سُبيع : إن عندك مكرمةً لا تَبيد ، لا ضَيْرَ إنْ أنت حفظتَ هؤلاء الأُغَيلمة ، فكأنّى بك لو متُّ أتاك خالُك حُذيفة بنُ بدر فعَصر لكَ عينيه وقال : هلك سيدُنا ، ثم خَدعك عنهم حتى تَدفعهم إليه فيقتلهم ، فلا تَشْرُف بعدها أبدا ؛ فإن خِفْتَ ذلك فاذهب بهم إلى قومهم . فلما هلك سُبيع أطاف حُذيفة بابنه مالك وخدعه حتى دفعهم إليه . فأتى بهم اليَعْمريّة(٣) ، فجعل يُبرز كل يوم غُلاماً فينصبه غَرضا ، ويقول : نادِ أباك . فيُنادى أباه حتى يَقتله .

يوم اليعمرية

لعبس على ذبيان

فلما بلغ ذلكَ مِن فِعل حُذيفة بنى عبس أتوهم باليَعْمريّة(٣) ، فلقُوهم — بالحَرّة ، حرّة اليعمريّة — فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا ، منهم : مالكُ بن سُبيع الذى رَمَى(٤) بالغِلْمة إلى حُذيفة ، وأخوه يزيدُ بن سُبيع ، وعامر بن لَوْذان ، والحارث بن زَيد ، وهرم بن ضَمضم ، أخو حُصين . ويقال ليوم اليعمريّة يوم نَفْر ، لأنّ بينهما أقلَّ من نصف يوم .

(١) فى بعض الأصول : « فتوافقوا » . (٢) حش النار : أسعرها .
(٣) انظر الحاشية (رقم ٩ ص ١٠٤) من هذا الجزء .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « بغى » .

يوم الهباءة

لعبس على ذبيان

ثم أجتمعوا فالتقوا فى يوم قائظ إلى جَنب جَفْر الهَباءة[١]، واقتتلوا من بُكرة حتى أنتصف النهار، وحَجزالحرّ بينهم، وكان حُذيفة بن بدر يحرق فخذيه الركضُ، فقال قيسُ بن زهير: يا بنى عبس، إن حُذيفة غداً إذا أحتدمت الوديقة[٢] مُستنقع فى جَفْر الهَباءة، فعليكم بها. فخرجوا حتى وَقعوا على أثر صارف، فرس حُذيفة، والحَنْفاء، فرس حَمل بن بدر. فقال قيس بن زهير: هذا أثر الحَنْفاء وصارف، فقَفَوْا أثرهما حتى توافَوْا مع الظّهيرة على الهَباءة. فبصُر بهم حملُ بن بدر، فقال لهم: مَن أبغضُ الناس إليكم أن يقف على رءوسكم؟ قالوا: قيسُ ابنُ زهير والربيعُ بن زياد. فقال: هذا قيسُ بن زهير قد أتاكم. فلم ينقض كلامُه حتى وقف قيسٌ وأصحابُه على جَفْر الهَباءة، وقيس يقول: لبّيكم لبّيكم — يعنى إجابة الصِّبية الذين كانوا يناديونهم إذ يُقتلون — وفى الجفر حُذيفة وحَمل، ابنا بدر، ومالك بن بَدْر، ووَرْقاء بن هِلال، من بنى ثعلبة بن سعد، ٧٠/٣
وحَنَش[٣] بن وهب. فوقف عليهم شدّاد بن مُعاوية العَبْسىّ، وهو فارس جَروة، وجروة فرسه، ولها يقول:

ومَنْ يكُ سائلاً عنّى فإنّى ... وجَروةَ كالشَّجا تحت الوَريدِ
أُقوّتها بقُوتى إنْ شَتَوْنا ... وأُلحفها ردائى فى الجليــد

فحال بينهم و بين خَيلهم. ثم توافت فُرسان بنى عَبس، فقال حَمل: ناشدتُك الله والرَّحم يا قيس. فقال: لبّيكم لبّيكم. فعَرف حُذيفة أنه لن يَدعهم، فأنتهر حملاً وقال: إياك والمأثورَ من الكلام. فذهبت مثلا. وقال لقيس: لئن قتلتنى

(١) جفر الهباءة: مستنقع فى بلاد غطفان. (انظر معجم البلدان).
(٢) الوديقة: حر نصف النهار: وقيل شدة الحر ودنو حمى الشمس.
(٣) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «وحسن».

لا تَصلح غطفانُ بعدها . فقال قيس : أَبْعَدَها الله ولا أَصلحها . وجاءه قِرْواش بمِعْبلة(١) ، فقَصَم صُلبه . وأُبتدره الحارث بن زُهير وعمرو بن الأسلع ، فضرباه بسَيْفيهما حتى ذفّفَا(٢) عليه . وقَتل الربيعُ بن زياد حَمَلَ بن بدر . فقال قيس ابن زُهير يَرثيه :

تَعلّمْ أنّ خيرَ الناس مَيْتٌ   على جَفْر الهَباءة ما يَرِيمُ
ولولا ظُلمه ما زلتُ أَبكى   عليه الدهرَ ما طَلع النجوم
ولكنَّ الفتى حملَ بن بَدر   بَغى والبَغْىُ مَرْتعة وَخيم
أظُن الحلْم دلّ علىّ قَومى   وقد يُستضعف الرجُل الحليم
ومارستُ الرجالَ ومارَسُونى   فَمُعْوَجٌّ علىّ ومُستقيم

ومثّلوا بحُذيفة بن بدر كما مَثّل هو بالغِلْمة ، فقطعوا مَذاكيره وجعلوها فى فيه ، وجعلوا لِسانه فى أسته . وفيه يقول قائلهم :

فإنّ قتيلاً بالهَباءة فى أُسته   صحيفتُه إنْ عاد للظُّلم ظالمُ
متى تقرءوها تَهْدِكم عن ضلالكم   وتُعرف إذ ما فُضّ عنها الخواتم

وقال فى ذلك عَقيل بنُ علّفة المرّى :

ويُوقِد عوفٌ للعشيرة نارَه   فهلاّ على جَفْر الهَباءة أَوْقدَا
فإنّ على جَفر الهَباءة هامةً   تُنادى بنى بَدر وعاراً مُخلّدا(٣)
وإنّ أبا وَرْد حُذيفةَ مُثْفَرٌ   بأيْرٍ على جَفر الهَباءة أسودا(٤)

وقال الربيعُ بن قَعْنب :

خَلَق المَخازى غيرَ أنّ بذى حُساً   لبنى فَزارة خِزْيةً لا تَخْلُقُ(٥)

(١) المعبلة : نصل طويل عريض .   (٢) ذففا عليه : أجهزا عليه .
(٣) كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذى لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره تقول : اسقونى اسقونى ، فإذا أدرك بثأره طارت .
(٤) مثفر بأير ، أى قد احتشى به .
(٥) ذو حسا : واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان . (انظر معجم البلدان) . وانظر (ص ١٠٤) من هذا الجزء .

تِبْيانُ ذلك أنّ فى أُستِ أبيهمُ شَنعاء من صُحف المَخازى تَبْرُق

وقال عمرو بن الأسلع :

إنّ السَّماء و إنّ الأرضَ شاهدة والله يَشهد والإنسانُ والبَلدُ
أنّى جَزيتُ بنى بَدْر بسَعْيهم على الهَباءة قَتلاً ماله قَوَد
لمّا ألتقيتا على أرجاء جُمّتها والمَشرفيّة فى أيماننا تَقِد[1]
عَلوتُه بحُسام ثم قلتُ له خُذْها إليك فأنتَ السيِّد الصَّمَد

فلما أُصيب أهلُ الهَباءة وأستعظمت غَطفان قَتل حُذيفة تجمّعوا ، وعَرفت بنو عَبس أنْ ليس لهم مُقام بأرض غَطفان ، فخرجوا إلى اليمامة فنزلوا بأخوالهم بنى حَنيفة ، ثم رَحلوا عنهم فنزلوا ببنى سَعد بن زيد مَناة . ٧١/٣

يوم الفروق

ثم إنّ بنى سَعد غدروا بجوارهم ، فأتوا معاوية بن الجَوْن فاستجاشوه[2] عليهم وأرادوا أ كلَهم . فبلغ ذلك بنى عَبس ، ففرّوا ليلا وقدّموا ظُعُنهم ، ووقف فرسانهم بموضع يقال له الفَرُوق[3] . وأغارت بنو سَعد وَمن معهم من جُنود المَلِك على محلّتهم ، فلم يجدوا إلا مَواقد النِّيران ، فأتبعوهم حتى أتو الفَروق ، فإذا بالخيل والفُرسان ، و قد توارت الظُّعن ، فانصرفوا عنهم . ومضى بنو عَبس فنزلوا ببنى ضَبّة فأقاموا فيهم . وكان بنو جَذِيمة[4] من بنى عَبس يُسَمّون بنى رَوَاحة ، و بنو بَدر من[5] فَزارة يُسمّون بنى سَوْدة . ثم رجعوا إلى قَومهم فصالحوهم ، وكان أول مَن سعى فى الحَمالة حَرْملة بن الأشعر بن صِرْمة بن مُرّة ، فمات ، فسعى فيها هاشمُ ابن حَرملة ابنُه ، وله يقول الشاعر :

(١) الجمة : الماء . يريد مستنقع الهباءة .
(٢) كذا فى ن . واستجاشوه ، أى طلبوا منه جيشا . والذى فى سائر الأصول : « استحاسوا » .
(٣) الفروق : عقبة دون هجر إلى نجد ، بين هجر ومهب الشمال . (انظر معجم البلدان) .
(٤) فى الأصول : « بنو حذيفة » . والتصويب من النقائض والطبرى .
(٥) فى بعض الأصول : « بن » . وما أثبتنا من سائر الأصول والطبري .

أَحْيا أباه هاشمُ بنُ حَرْمله ... يومَ الهَبا تَيْن ويومَ اليَعْمَله
ترى المُلوك حولَه مُرَعْبله ... يَقْتل ذا الذَّنب ومَن لا ذَنْبَ له[1]

يوم قَطَن

فلما توافَوْا للصُّلح وقفت بنو عَبس بقَطان[2]، وأقبل حُصين بن ضَمْضَم، فلقى تَيحان[3]. أحد بنى مَخزوم بن مالك. فقتله بأبيه ضَمضم، وكان عنترةُ بن شدّاد قتله بذى المُريقب. فأشارت بنو عبس وحلفاؤهم بنو عبد الله بن غَطَفان وقالوا: لا نُصالحكم ما بَلّ البحر صُوفة[4]، وقد غدرتم بنا غيرَ مرّة، وتناهض القومُ عبسٌ وذُبيان، فالتَقَوْا بقَطن، فقَتل يومئذ عمرو بن الأسلع عُيينةَ، ثم سَفرت السفراء بينهم، وأتى خارجةُ بن سِنان أبا تَيْحان بأبنه فدَفعه إليه، فقال: فى هذا وفاء من أبنك. فأخذه فكان عنده أياما. ثم حمل خارجةُ لأبى تيْحان مائةَ بعير قادها إليه، وأصطلحوا وتعاقدوا.

يوم غدير قَلْهَى[5]

قال أبو عُبيدة: فأصطلح الحيّان إلاّ بنى ثَعلبة بن سَعد بن ذُبيان، فإنهم أبَوْا ذلك، وقالوا: لا نَرضى حتى تُودوا قَتلانا أو يُهدَر دمُ مَن قَتلها. فخرجوا من قَطن حتى وَردوا غدير قلْهى[5]. فسَبقهم بنو عَبْس إلى الماء فَمنعوهم حتى كادوا يموتون عَطشاً ودوابُّهم، فأصلح بينهم عوفٌ ومَعقل، ابنا سُبيع، من بنى ثعلبة، وإياهما يَعنى زُهير بقوله:

---

(١) مرعبلة: ممزقة.
(٢) قطن: موضع من أرض الشربة. (انظر معجم البلدان).
(٣) فى بعض الأصول: «تيجان».
(٤) صوف البحر: شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى، واحده صوفة. ومن الأبديات قولهم: لا أتيك مابل بحر صوفة.
(٥) كذا فى معجم ما استعجم للبكرى (٧٤٢) والنقائض (١٥٧) ومعجم البلدان. والذى فى الأصول: «قلياد». تحريف.

تداركتما عَبْساً وذُبيان بعد ما تفانَوْا ودقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ (١)

فورَدوا حَرباً وأُخرجوا عنه سَلْما .

تم حرب داحس والغبراء .

يوم الرَّقَم

لغطفان على بنى عامر

غَزت بنو عامر فأغاروا على بلاد غَطَفان بالرَّقَم (٢) — وهو ماء لبنى مُرة — وعلى بنى عامر عامرُ بن الطُّفيل — ويقال يزيد بن الصَّعق — فركب عُيينة بن حِصْن فى بنى فَزارة ، ويزيد بن سِنان فى بنى مُرّة ، ويقال الحارث بن عَوف ، فانهزمت بنو عامر، وجعل يقاتل عامر بن الطُّفيل ويقول :

* يا نَفْسُ إلاّ تُقْتلى تموتى *

فزعمت بنو غَطفان أنهم أصابوا من بنى عامر يومئذ أربعةً وثمانين رجلاً، فدفعوهم إلى أهل بيت من أشجع ، كانت بنو عامر قد أصابُوا فيهم ، فقتلوهم أجمعين . وانهزم الحكم بن الطُّفيل فى نفر من أصحابه ، فيهم جِرابُ بن كعب ، حتى انتهوا إلى ماء يقال له المَرَوراة ، فقطع العطشُ أعناقَهم فماتوا ، وخَنق نفسَه الحكمُ بن الطُّفيل تحت شجرة مخافةَ المُثلة . وقال فى ذلك عُروة بن الوَرْد :

عجبتُ لهم لِمْ يَخْنقون نفوسَهم ومَقْتلُهم تحت الوَغى كان أجدرَا

---

(١) منشم ، بكسر الشين : بنت الوجيه بن حمير ، كانت تبيع العطر ويتشاءمون بعطرها . وبفتح الشين: امرأة كانت تنتجع العرب تبيعهم عطرها ، فأغار عليها قوم من العرب فأخذوا عطرها . فبلغ ذلك قومها فاستأصلوا كل من شموا عليه ريح عطرها . (انظر اللسان ومجمع الأمثال) .

(٢) قال ياقوت فى رسم « رقم » : « رقم بفتح أوله وثانيه : جبال دون مكة بديار غطفان ، وماء عندها أيضا . ويوم الرقم من أيامهم معروف . وربما روى بسكون القاف » .

يوم التَّنَاءَة

لعبس على بنى عامر

٧٢/٣ خرجتْ بنو عامر تُريد أن تدرك بثأرها يوم الرَّقم ، فجمعوا على بنى عَبس بالتَّنَاءَة[1] وقد أُنذروا بهم ، فالتقوا ، وعلى بنى عامر عامرُ بن الطُّفيل ، وعلى بنى عَبس الربيعُ بن زياد ، فاقتتلوا قتالاً شديدا . فانهزمت بنو عامر وقُتل منهم صَفوان بن مُرة ، قتله الأحنفُ بن مالك ؛ ونَهشل بن عُبيدة بن جعفر ، قتله أبو زُعبة بن حارث ؛ وعبدُ الله بن أنس بن خالد . وطَعن ضُبيعةُ بن الحارث عامرَ بن الطُّفيل فلم يَضرَّه ، ونجا عامر ؛ وهُزمت بنو عامر هَزيمةً قَبيحة . فقال خُراشةُ بن عمرو العَبْسى :

وساروُا على أظْائهم[2] وتَواعدُوا ... مِياهاً تحامتْهـا تَميمٌ وعامرُ
كأنْ لم يكُن بين الذُّناب[3] وواسطٍ ... إلى المُنحنَى مِن ذى الأراكة حاضِر[4]
ألاَ أبْلغَا عنّى خَليـلِىَ عامراً ... أتَنْسى سُعادَ اليومَ أم أنتَ ذاكر
وصدَّتك أطرافُ الرِّماح عن الهَوى ... ورُمتَ أُموراً ليس فيها مَصادر
وغادرتَ هِزّانَ الرئيسَ[5] ونَهشلاً ... فلِلّه عيناً عامرٍ مَن تُغادر
وأسلمتَ عبدَ الله لما عرفتَهم ... ونجّاك وثّابُ الجرَاميز[6] ضامر

(١) التنأة (كهمزة ، كما فى القاموس . وفى معجم البلدان : التناءة . وفى ابن الأثير : التناءة) : نخيلات لبنى عطارد .

(٢) كذا فى ن . والأظماء : جمع ظِمء ، بالكسر ، وهو ما بين الشربتين والوردين .

(٣) كذا فى ن . والذناب ، بكسر أوله : واد لبنى مرة بن عوف كثير النخل غزير الماء . (انظر معجم البلدان) . والذى فى سائر الأصول : « الزقاق » . ولم نجد مكانا بهذا الاسم .

(٤) ذو الأراكة : نخل بموضع من اليمامة لبنى عجل . (انظر معجم البلدان) .

(٥) هزان ، هو ابن مرة بن أنس . وفى هامش ن : « هزان الشريف » .

(٦) كذا فى ن . والجراميز : القوائم والجسد . والذى فى سائر الأصول : « الجرائم »

قَذَفْتَهُمُ في الموت(١) ثم خَذلْتهم فلا وَأَلت(٢) نفسٌ عليك تحاذر

وقال أبو عُبيدة : إن عامر بن الطُّفَيل هو الذى طَعن ضُبيعة بن الحارث ، ثم نجا من طَعنته ، وقال فى ذلك :

فإنْ تَنْجُ منها يا ضُبيع فإنّنى وَجدِّك لم أعْقِدْ عليك التّمائما(٣)

يوم شُوَاحط(٤)

لبنى محارب على بنى عامر

غزت سريّةٌ من بنى عامر بن صعصعة بلادَ غَطَفان(٥) ، فأغارت على إبلٍ لبنى مُحارب بن خَصَفة ، فأدركهم الطلبُ ، فقتلوا من بنى كلاب سَبعةً وأرتدّوا إبلَهم. فلما رجعوا من عندهم وَثب بنو كلاب على جَسْر(٦) ، وهم من بنى مُحارب ، كانوا حاربوا إخوتهم فخرجوا عنهم(٧) وحالفوا بنى عامر بن صَعصعة ، فقالوا : نَقتلهم بقَتل بنى محارب من قَتلوا منّا . فقام خِداشُ بن زُهير دونهم حتى مَنعهم من ذلك ، وقال :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغنْ عَقيلاً وأبْلغ إنْ لقيتَ أبا بَكْرِ

فيا أخَوينا من أبينا وأُمّنا إليكم إليكم لا سبيلَ إلى جَسْرِ(٦)

دَعُوا جانبى إنى سأترك(٨) جانباً لكم واسعاً بين اليَمامة والقَهْرِ(٩)

(١) كذا فى ن . والذى سائر الأصول : « فى اليم » .
(٢) وألت ، أى نجت ولجأت إلى حمى وموئل .
(٣) التمائم : جمع تميمة ، وهى خرزات كان الأعراب يعلقونها على أولادهم يتقون بها النفس والعين بزعمهم .
(٤) شواحط (بالضم) : جبل مشهور قرب المدينة .
(٥) فى بعض الأصول : « غسان » . وما أثبتنا يتفق وما جاء فى الأغانى (٣ : ٨٣) ومعجم ما استعجم للبكرى (٨٢٤) .
(٦) فى بعض الأصول : « حسر » . والتصويب من سائر الأصول والأغانى (٣: ٤٨) والطبرى . (٧) فى ن : « من عندهم » .
(٨) فى معجم البلدان فى رسم « قهر » : « سأنزل » .
(٩) كذا فى ن . والقهر : أسافل الحجاز مما يلى نجدا من قبل الطائف . (انظر معجم البلدان) . والذى فى سائر الأصول : « الفقر » .

أبى فارسُ الضَّحياء عمرو بنُ عامر أبى الذَّمَّ وأختار الوَفاء على الغَدْر[١]

يوم حَوْزة الأول[٢]

لسُلَيم على غطفان

قال أبو عُبيدة : كان بين معاوية بن عمرو بن الشَّريد وبين هاشم بن حَرْملة، أحد بنى مُرة بن غطفان، كلامٌ بعُكاظ، فقال معاوية : لوددتُ والله أنى قد سمعتُ بظعائنَ يَنْدبْنك . فقال هاشم : والله لوددتُ أنى قد تَرَّبت[٣] الرَّطْبة — وهى جُمة[٤] معاوية ، وكانت الدهرَ تَنطِف ماء ودُهنا وإن لم تُدْهن — فلما كان بعدُ تهيأ معاوية ليغزو هاشماً ، فنهاه أخوه صَخر . فقال : كأنى بك إن غزوتَهم علِق بجُمَّتك حَسَك العُرْفط[٥] . قال : فأبى مُعاوية وغزاهم يومَ حَوزة . فرآه هاشم بن حَرْملة قبل أن يَراه معاوية ، وكان هاشم ناقهاً من مَرض أصابه ، فقال لأخيه دُريد بن حَرملة : إنّ هذا إن رآنى لم آمَن أن يَشدعلىّ وأنا حديثُ عهد بشَكيّة ، فاستَطرِدْ[٦] له دونى حتى تجعلَه بينى وبينك ، ففعل . فحمل عليه معاويةُ وأردفه هاشم ، فاختلفا طَعنتين ، فأردى معاويةُ هاشما عن فرسه الشّماء ، وأنفذ هاشم سِنانه من عانة معاوية . قال : وكَرّ عليه دُريد فظنّه قد ٧٣/٣
أرْدى هاشماً ، فضرب معاويةَ بالسيف فقتله ، وشدّ خِفافُ بن عُمير[٧] على مالك ابن حارث[٨] الفَزارىّ . قال: وعادت الشّماء ، فرس هاشم ، حتى دخلت فى جَيش

(١) الضحياء : فرس عمرو بن عامر ، جد خداش .

(٢) حوزة : واد بالحجاز . وانظر الأغانى (١٣ : ١٤١) .

(٣) كذا فى ن . والذى سائر الأصول : « يريث » . تصحيف .

(٤) الجمة : مجتمع شعر الرأس ، وقيل ما سقط على المنكبين .

(٥) العرفط (بالضم) : شجر من العضاه .

(٦) يقال : هو يستطرد ليحمل عليه قرنه ثم يكر عليه ، وذلك أنه يتحيز فى استطراده إلى فئة وهو ينتهز الفرصة لمطاردته ، وقد استطرد له ، وذلك ضرب من المكيدة .

(٧) فى بعض الأصول : « عمرو » . وما أثبتنا من سائر الأصول والاشتقاق والكامل للمبرد .

(٨) فى الاشتقاق والكامل للمبرد : « حار » . وفى الأغانى (١٣ : ١٤٠) : « حجار » . وفى (ص ١٤١) : « حاد » .

بنى سُلَيم، فأخذوها وظنّوها فرس الفَزَارىّ الذى قَتله خُفاف، ورجع الجيشُ حتى دنوا من صَخْر، أخى مُعاوية، فقالوا: أنْعِم صَباحاً أباحسّان. فقال: حُيِّيتم بذلك، ما صنع مُعاوية؟ قالوا. قُتل. قال: فما هذه الفرس؟ قالوا: قَتلنا صاحبَها. قال: إذاً قد أدركتم ثأركم، هذه فرسُ هاشم بن حرملة.

قال: فلما دخل رجب رَكِب صخرُ بن عمرو الشّريد صبيحةَ يوم حَرام فأتى بنى مُرّة. فلما رأوه، قال لهم هاشم: هذا صخر فحَيُّوه وقولوا له خيراً، وهاشم مريض من الطَّعنة التى طَعنه معاوية، فقال: مَن قَتل أخى؟ فسكتوا. فقال: لِمن هذه الفرسُ التى تحتى؟ فسكتوا. فقال هاشم: هَلُمّ أبا حسّان إلى مَن يُخبرك. قال: مَن قتل أخى؟ فقال هاشم: إذا أصبتَنى أو دُريدا فقد أصبتَ ثأرَك. قال: فهل كفَّنتموه؟ قال: نعم، فى بُردين، أحدهما بخَمس وعشرين بَكْرة[1]. قال: فأرُونى قبره. فأروه إياه. فلما رأى القبر جَزِع عنده، ثم قال: كأنكم قد أنكرتُم ما رأيتُم من جَزَعى، فوالله ما بِتّ منذ عَقَلتُ إلا واتراً أو موتورا، أو طالباً أو مَطلوبا، حتى قُتل معاوية فما ذقتُ طَعم نوم بعده.

يوم حَوزة الثانى

قال: ثم غَزاهم صَخر، فلما دنا منهم مضى على الشّمّاء، وكانت غَرّاء مُحجَّلة، فسوّد غُرّتها وتَحجيلها، فرأتْه بنتٌ لهاشم، فقالت لعمّها دُريد: أين الشّمّاء؟ قال: هى فى بنى سُليم، قالت: ما أشبهها بهذه الفرس. فاستوى جالساً، فقال: هذه فرسُ بَهيم والشّمّاء غَرّاء محجَّلة، وعاد فاضطجع. فلم يَشعر حتى طَعنه صخر. قال: فثارُوا وتَنادَروا، وولّى صَخر، وطلبتْه غَطفان عامّةَ يومها، وعارض دونها أبو[2] شَجرة بن عبد العُزّى، وكانت أُمه خَنساء أُخت صَخر وصَخر خاله، فرد الخيل عنه حتى أراح فرسَه ونجا إلى قومه. فقال خُفاف بن نُدبة،

(١) البكرة: الفتية من الإبل.
(٢) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «البر».

لما قتل مُعاوية : قَتلنى الله إن بَرِحت مِن مَكانى حتى أثأر به ، فشدّ على مالك ، سيّد بنى جُمح ، فقَتله ، فقال فى ذلك :

فإن تَكُ خَيلى قد أُصيب صَمِيمُها … فَعَمْداً على عَيْنٍ[1] تَيَمّمْتُ مالِـكا
نَصبتُ له عَلْوَى[2] وقد خام صُحبتى … لأَبْنِىَ مَجداً أو لأثأر هالِـكا[3]
أقول له والرمحُ يَأْطِر[4] مَتْنه … تَأَمّل خُفافاً إنّنى أنا ذلِـكا

وقال صَخر يَرثى مُعاوية ، وكان قال له قومُه ، اهجُ بنى مُرة . فقال : ما بيننا أجلُّ من القَذْع . وأنشأ يقول :

وعاذلةٍ هَبّت بليلٍ تَلُومنى … ألا لاَ تلُومينى كَفَى اللومُ ما بيا
تقول ألا تَهْجو فوارسَ هاشم … ومالِىَ أنْ أَهْجوهم ثُم ماليا[5]
أبى الذمّ[6] أنّى قد أصابُوا كَرِيمتى … وأنْ ليس إهداء الخَنـا مِن شِماليا[7]
إذا ما امرؤ أهدَى لِمَيْتٍ تحيةً … فَحيّاك ربُّ الناسِ عَنّى مُعاويا
وهَوّن وَجدى[8] أننى لم أَقُل له … كَذبتَ ولم أبخلْ عليه بماليا
وذى إخوة قطّعت أقرانَ بَيْنِهم[9] … كما تَركونى واحِداً لا أخَا لِيـا

وقال فى قَتْل دُريد :

ولقد دفعتُ إلى دُريد طَعنةً … نَجْلاء تُوغِر[10] مثل غطّ المُنْخُر

(١) كذا فى ن والأغانى . يريد أنه تيممه بجد ويقين ؛ يقال : فعلت كذا على عين ، وفعلته عمد عين ، أى بجد ويقين . والذى فى سائر الأصول : « على عينى » .
(٢) علوى : فرس خفاف بن عمير . والذى فى الأغانى (١٣ : ١٣٩) : « رفعت له ما جر إذ جر موته » .
(٣) فى ن : « قام » . وفى بعض الأصول : « حام » بالحاء المهملة .
(٤) يأطر : يثنى ويعطف . وانظر خزانة الأدب للبغدادى (٢ : ٤٣٠) ففيها هذه الأبيات وغيرها مع شرحها .
(٥) فى الحماسة : « وقالوا ... « ومالى وإهداء الخنا ثم ماليا »
(٦) فى الحماسة : « الهجر » .
(٧) فى بعض الأصول . « سما نيا » .
(٨) فى الحماسة : « وطيب نفسى » .
(٩) أقران بينهم : وصل بينهم . والأقران الحبال ؛ الواحد قرن .
(١٠) توغر : تصوت فى جلبة . وفى ن : « توغل » .

واقد قتلتُكمْ ثُناءً ومَوْحداً وتركتُ مُرّةَ مِثلَ أمسِ الدّابرِ ٧٤/٣

قال أبو عبيدة : وأما هاشم بن حَرملة فإنه خَرج مُنتجعا ، فلقيه عمرُو بن قيس الجشميّ فتَبِعه ، وقال : هذا قاتلُ مُعاوية ، لا وَأَلتْ نفسى إن وَأَل . فلما نزل هاشمٌ كَمَن له عمرو بن قَيس بين الشّجر ، حتى إذا دنا منه أرسل عليه مِقبلة ففَلق قَحفه فقتله ، وقال فى ذلك :

لقد[1] قتلتُ هاشمَ بن حَرْملة إذ المُلوك حوله مُغَــرْبله

يقتل ذا الذّنب ومن لا ذنَب له

يوم ذات الأَثل

قال أبو عُبيدة : ثم غزا صخرُ بن عمرو بن الشّريد بنى أسد بن خُزيمة واكتسح إبلهم . فأتى الصريخُ بنى أسد ، فركبوا حتى تلاحقوا بذات الأَثل[2] . فاقتتلوا قتالا شَديدا ، فطعن ربيعةُ بن ثَور الأسديّ صخرًا فى جَنبه ، وفات القَوم بالغَنيمة . وجرى صخرٌ من الطعنة ، فكان مريضاً قريبا من الحَوْل حتى مَلّه أهلُه ، فسمع امرأةً من جاراته تسأل سَلْمى امرأته : كيف بعلُكِ ؟ قالت : لا حَيّ فيُرجى ، ولا مَيْت فيُنسَى ، لقد لقينا منه الأمرّين . وكانت تُسأل أمه: كيف صخر ؟ فتقول : أرجو له العافية إن شاء الله . فقال فى ذلك :

أرى أمَّ صَخْر لا تَملّ عِيادتى ومَلّت سُلَيمى مَضْجعى ومَكانِى
فأىّ امرىء ساوَى بأُمّ حَليلةً فلا عاش إلا فى شَقًى وهَوان
وما كنتُ أخشَى أنْ أكونَ جِنازة عليكِ ومَن يَغتَرّ بالحَدثان[3]
لَعمرى لقد نَبّهتُ مَن كان نائما وأسمعتُ مَن كانت له أُذنان

(١) فى بعض الأصول : «لئن» .

(٢) ذات الأثل : فى بلاد تيم الله بن ثعلبة . (انظر معجم البلدان) .

(٣) يقال للمريض إذا أثقل على قومه : هو جنازة عليهم . وفى بعض الأصول : « أن تكون جنازة » .

أَهُمُّ بأَمرِ الحَزْمِ لو أستطيعه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزوانِ

فلما طال عليه البلاء وقد نَتَأَت قِطْعة من جَنبه مثلُ اليد فى موضع الطعنة ، قالوا له : لو قطعْتَها لرجونا أن تَبرأ . فقال : شأنكم . فقطعوها فمات . فقالت الخنساء أُخته تَرثيه :

فما بالُ عَينِىَ ما بالُها ... لقد أَخْضل الدمعُ سِرْبالَها
أمِن فَقدِ صَخْرٍ من آل الشَّريـ ... ـد حَلّت به الأَرضُ أثقالَها(١)
فآليت أَبْكِى على هالكٍ ... وأسأل نائحةً ما لَها
هممتُ بنفْسىَ كُلَّ الهموم(٢) ... فأولَى لنفسىَ أولى لَها
سأَحمل نَفْسى على آلة(٣) ... فإمّا عَليها وإمّا لَها

وقالت ترثيه :

وقائلةٍ والنَّعشُ قد فات خَطْوَها ... لتُدرِكَه يا لهفَ نفسى على صَخْرِ
ألا ثَكِلَت أمُّ الذين غَدَوا به ... إلى القَبر ماذا يَحملون إلى القَبرِ

يوم عَدْنِيّة

وهو يوم مِلْحان(٤)

قال أبو عُبيدة : هذا اليوم قَبل يوم ذات الأثْل ، وذلك أن صخراً غزا بقومه وترك الحىّ خِلْوًا ، فأغارت عليهم غطفان ، فثارت إليهم غِلْمانهم ومَن كان تخلّف منهم ، فقُتل من غَطفان نَفر وانهزم الباقون ، فقال فى ذلك صَخر :

---

(١) حلت ، من الحلية . والأثقال : أجساد بنى آدم . أى إن الأرض زينت موتاها بهذا الرجل الشريف الذى لا مثل له . وقيل إن المعنى أن الأرض سقط بموته عنها ثقل ، وكانت العرب تقول : الفارس الجواد ثقل على الأرض فإذا قتل أو مات سقط به عنها ثقل . ورواية صدر هذا البيت فى اللسان (ثقل) : « أبعد ابن عمرو من آل الشريد » .

(٢) فى ن : « بعض الهموم » .

(٣) الآلة : الشدة ، والخطة والحالة .

(٤) ملحان : جبل فى ديار بنى سليم بالحجاز . (انظر معجم البلدان) .

جَزَى اللهُ خيراً قومَنا إذ دعاهُمُ ... بعَدْنيَّةَ الحىُّ الخُلوف المصبَّحُ

وغلمانُنا كانوا أُســود خَفيَّة ... وحَقٌّ علينـا أن يُثابوا ويُمدحوا

هُمُ نَفَّــروا أقرانَهم بمُضَرِّس ... وسَعْرٍ وَذادوا الجَيش حتى تَزَحزحوا(١)

كأنهم إذ يُطردون عَشيَّة ... بقُنَّة مِلْحان نَعــامٌ مُرَوّح(٢) ٥٧ / ٣

يوم اللوى(٣)

لغطفان على هوزان

قال أبو عُبيدة : غزا عبدُ الله بن الصِّمة — وأسم الصِّمَّة معاوية الأصغر ، من بنى غزِيّة بن جُشَم بن مُعاوية بن بكر بن هوزان ، وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاثُ كُنى ، فاسمه عبدُ الله وخالد ومَعبد ، وكُنيته أبو فُرغان وأبو ذُفافة وأبو وفاء(٤) ، وهو أخو دُريد بن الصِّمة لأبيه وأُمه — فأغار على غَطفان فأصاب منهم إبلاً عظيمة فأطردها . فقال له أخوه دُريد : النجاة ، فقد ظَفرت . فأبى عليه وقال : لا أبرح حتى أنتقع نَقيعتى — والنقيعة : ناقة يَنحرها من وَسط الإبل فيَصنع منها طَعاما لأصحابه ويَقْسم ما أصاب على أصحابه — فأقام وعَصى أخاه ، فتتبعته فَزارة فقاتلوه ، وهو بمكان يقال له اللِّوى ، فقُتل عبدالله ، وأُرتُثَّ دُريد(٥) فبقى فى القَتلى . فلما كان فى بعض الليل أتاه فارسان ، فقـال أحدُهما لصاحبه : إنى أرى عينيه تَبِصّ(٦) ، فأنزل فانظُر إلى سُبَّته(٧) . فنزل فكشف ثوبَه فإذا هى تَرمَزّ(٨) ، فطَعنه ، فخرج دم كان قد أحتقن . قال دُريد : فأفقتُ عندها ، فلما

(١) مضرس ، أى منجد حارب وقاتل . وسعر ، أى رمى بلهب الموت . (انظر معجم البلدان) .

(٢) ملحان : جبل فى ديار بنى سليم بالحجاز .

(٣) اللوى : واد من أودية بنى سليم .

(٤) فى الحماسة : « أبو أوفى » .

(٥) الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح .

(٦) تبص : تبرق وتلمع وتتلألأ .

(٧) السبة : الاست . وفى بعض الأصول : « نفسه » .

(٨) تَرمَزّ : تضطرب . وفى بعض الأصول : « ترمس » .

جاوزونى نهضتُ . قال : فما شعرت إلا وأنا عند عُرقوبَىْ جمل امرأة من هَوازن . فقالت : من أنت ؟ أعوذ بالله من شَرِّك . قلت : لا ، بل مَن أنت ؟ ويلك ! قالت : امرأة من هَوازن سيّارة . قلت : وأنا من هوازن ، وأنا دُريد ابن الصِّمّة . قال : وكانت فى قوم مُجتازين لا يشعرون بالوَقعة ، فضمّته وعالَجَته حتى أفاق . فقال دُريد يرثى عبدَ الله أخاه ويذكر عِصْيانه له وعِصْيان قومه بقوله :

أعاذِلَ إن الرُّزْء فى مِثْلِ خالدٍ[١] ولا رُزْءَ فيما[٢] أهلكَ المرءُ عن يَدِ
وقُلْتُ[٣] لعارضٍ وأصحابِ عارضٍ ورَهْطِ بنى السَّوداءِ والقومُ شُهَّدى[٤]
علانيةً ظُنُّوا بألْفَىْ مُدَجَّجٍ[٥] سَراتُهم فى الفارسىِّ المُسَرَّدِ[٦]
أمرتُهم أمْرِى بمُنقطَعِ[٧] اللِّوى فلم يَسْتَبِينوا الرُّشدَ إلاّ ضُحَى الغَدِ
فلما عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أرى غَوايتَهم وأنّنى غيرُ مُهْتَدى
وما[٨] أنا إلا من غَزِيّةَ إن غَوَتْ غويتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيّةُ أرْشُدِ[٩]
فإن تُعقِب الأيامُ والدهرُ تَعلموا بَنِى غالبٍ أنّا غِضابٌ لِمَعبَدِ
تنادَوْا فقالوا أرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعبدُ الله ذلكم الرَّدِى
فإنْ يكُ عبدُ الله خَلَّى مكانَه فما كان وقّافاً ولا طائشَ اليَدِ
ولا بَرِمًا[١٠] إذ ما الرياحُ تناوحتْ برَطْبِ العِضاهِ والضَّرِيعِ المُعَضَّدِ[١١]

(١) خالد ، من أسماء عبد الله كما مر . وفى الأغانى (٩ : ٤) . والحماسة : «أمثال خالد» .
(٢) فى الأغانى « مما » .
(٢) فى بعض الأصول والأغانى : « نصحت » . وعارض ، من أسماء عبد الله أيضا .
(٤) بنو السوداء : أصحاب أخيه عبد الله . وشهدى ، أى شهودى .
(٥) فى الأغانى : «فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج» . وظنوا ، أى أيقنوا ، أو ظنكم .
(٦) الفارسى المسرد : الدروع المتابعة الحلق فى نسجها . وفى بعض الأصول : « السابرى » مكان « الفارسى » .
(٧) فى الحماسة والأغانى : « بمنعرج » . (٨) فى الحماسة : « وهل » .
(٩) غزية : قبيلة من هوازن ، وهم رهط دريد .
(١٠) البرم : الضجر . وفى الأغانى : « ولا برماً إذا ما الرياح » .
(١١) المعضد : المكسر . وفى بعض الأصول والأغانى : « والهشيم المعضد » .

كَمِيشُ الإزارِ[١] خارجٌ نصفُ ساقه   صَبور على الضَّراء طلّاع أنجُدِ
قليل التشكِّى للمَصائبِ حافظٌ   من اليوم أعقاب الأحاديث فى غَدِ[٢]
وهَوَّن وَجْدِى أننى لم أقُل لَه   كَذَبْتَ ولم أبخَل بما مَلَكتْ يدِى

أبو حاتم عن أبى عُبيدة قال : خَرج دريدُ بن الصِّمة فى فوارسَ من بنى جُشَم ، حتى إذا كانوا فى وادٍ لبنى كِنانة يقال له الأَخْرم[٣] ، وهم يُريدون الغارةَ على بنى كنانة ، إذ رُفع له رجل فى ناحية الوادى معه ظَعينة[٤] ، فلما نَظر إليه قال لفارس من أصحابه : صِحْ به : خَلِّ عن الظَّعينة وانجُ بنفسك . فانتهى إليه الفارسُ وصاح به وألحَّ عليه . فألقى زمامَ الناقة وقال للظَّعينة :

سِيرِى على رِسْلك سَيْرَ الآمنِ   سيرَ رَداحٍ[٥] ذاتِ جأشٍ ساكنِ
٣/٧٦ إنّ انثنائى دون قِرْنى شائنى[٦]   أبلِى بلائى وأخْبُرِى وعاينِى

ثم حَمل عليه فصرعه وأخذ فرسَه فأعطاه للظَّعينه . فبعث دُريد فارساً آخر لينظرَ ما صَنع صاحبُه . فلما انتهى إليه ورأى ما صَنع صاح[٧] به . فتصامّ عنه كأن لم يَسمع . فظنّ أنه لم يَسمع ، فغَشيه . فألقى زِمامَ الرّاحلة إلى الظَّعينة ، ثم خَرج وهو يقول :

خَلِّ سبيلَ الحُرّة المَنيعه   إنكَ لاقٍ دونها رَبيعه
فى كَفّه خَطِّيّة مُطيعــه   أَوْ لا فخُذْها طعنةً سَريعه
والطَّعنُ منّى فى الوغَى شَريعه

ثم حَمل عليه فصرعه . فلما أبطأ على دُريد بعث فارساً لينظر ما صَنعا . فلما

(١) كَميش الإزار ، أى مشمر مجد .
(٢) كذا فى بعض الأصول . يريد أنه يحفظ من يومه ما يتعقب فى مقاله من أحاديث الناس فى غده . وفى سائر الأصول : «علم» . ورواية صدر البيت فى الأغانى : « صبور على وقع المصائب حافظ » .
(٣) الأخرم : جبل فى طرف الدهناء . (٤) الظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج .
(٥) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق .
(٦) فى بعض الأصول : « إن التأنى ... شائن » .
(٧) فى بعض الأصول : « فرآه صريعا فصاح » . مكان « فلما ... صاح » .

أنتهى إليهما وجدهما صريعَيْن ، ونظر إليه يقود ظعينته ويجُرّ رُمْحه . [فقال له الفارس : خل عن الظعينة] . فقال للظَّعينة : أُقصِدى قصدَ البيُوت ، ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تُريد من شَتيمٍ عابس[1] ألم تَرَ الفارسَ بعد الفارِس
أَرْداهما عاملُ رُمحٍ يابس

ثم حَمل عليه فصرعه وأنكسر رُمحه . وأرتاب دُريد فظنّ أنهم قد أخذوا الظَّعينة وقَتلوا الرجل . فلحق دريدٌ ربيعةَ ، وقد دَنا من الحيّ ، ووجد أصحابَه قد قُتلوا ، فقال : أيها الفارس ، إنّ مِثْلك لا يُقتل ، ولا أرى معك رُمحك والخيلُ ثائرةٌ بأصحابها ، فدونَك هذا الرُّمحَ فإنى مُنصرف إلى أصحابى ومُثبِّطهم عنك . فأنصرف إلى أصحابه ، فقال : إنّ فارس الظَّعينة قد حَماها وقَتل أصحابكم وأنتزع رُمحى ، ولا مَطْمع لكم فيه . فأنصرف القومُ . فقال دُريد فى ذلك :

ما إن رأيتُ ولا سَمِعتُ بمثله حامِى الظَّعينة فارساً لم يُقتلِ
أردَى فوارسَ لم يكونوا نُهْزةً[2] ثم أستمرّ كأنه لم يَفعَلِ
مُتهلِّلا تَبْدو أَسِرّةُ وجهه مثل الحُسام جَلَتْه كفُّ الصَّيْقل
يُزْجِى ظَعِينَته ويَسْحب رُمحه مُتوجِّهاً يُمناه نحوَ المَنزل
وتَرى الفوارسَ من مَهابة رُمحه مثلَ البُغاث خَشِين وَقْع الأَجْدل[3]
يا ليتَ شِعْرى مَن أبوه وأُمّه ياصاحِ مَن يَكُ مثلَه لا يُجْهل

وقال ابنُ مُكَدَّم :

إن كان يَنفعكِ اليقينُ فسائلِى عنّى الظعينةَ يومَ وادى الأَخْرم[4]
إذ هِى لأوّل مَن أتاها نُهبةٌ لولا طِعانُ رَبيعة بن مُكَدَّم

(١) الشتيم : الأسد العابس .
(٢) النهزة : الشىء الذى هولك معرض كالغنيمة
(٣) بغاث الطير (بالفتح والضم) : ألأمها وشرارها ، وما لا يصيد منها ؛ واحدتها بغاثة ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . والأجدل : الصقر .
(٤) انظر الحاشية (رقم٣ ص ١٧٠) من هذا الجزء .

إذ قال لى أدنى الفوارسِ منهمُ[١]   خَلِّ الظعينَةَ طائعاً لا تَندَمِ

فصرفتُ راحلة الظَّعينة نحوَه   عمداً ليعلمَ بعضَ مالمْ يَعلمِ

وهتكت بالرُّمح الطَّويل إهابه[٢]   فَهَوَى صريعاً لليَدين وللفمَ

ومَنحت آخرَ بعـدَه جَيّاشةً   نَجْلاء فاغرةً كشِدْقِ الأَضْجَمِ[٣]

ولقـــد شفعتُهما بآخَر ثالث   وأَبَى الفِرارَ عن العُداة تَكَرُّمى

ثم لم يَلبث بنو كنانة أن أغاروا على بنى جُشَم ، فقتلوا ، وأسروا دُريدَ بنَ الصِّمة ، فأخفى نَسبه . فبينما هو عندهم محبوس إذ جاءت نِسوة يتهادَيْن إليه ، فصاحت إحداهنَّ فقالت : هلكتم وأهلكتم ! ماذا جرَّ[٤] علينا قومنا ؟ هذا والله ٧٧/٣ الذى أعطى ربيعة رُمحه يوم الظَّعينة ، ثم ألقت عليه ثَوبَها ، وقالت : يا آل فراس ، أنا جارةٌ له[٥] منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادى . فسألوه : من هو ؟ فقال : أنا دُريد ابن الصِّمة ، فَمن صاحبى ؟ قالوا : رَبيعة بن مُكدَّم . قال : فما فَعل ؟ قالوا : قتلته بنو سُليم . قال : فما فعلتْ الظَّعينة ؟ قالت المرأة : أنا هى ، وأنا امرأته . فحَبسه القومُ وآمَروا أنفسهم ، فقال بعضُهم : لا ينبغى لدُريد أن تُكفر نعمتُه على صاحبنا . وقال الآخرون : لا [والله] لا يَخرج من أيدينا إلا برضا المُخارق[٦] الذى أسره . فانبعثت المرأة فى الليل . وهى رَيطة بنت جِذْل الطِّعان ، فقالت :

سَتَجزى دُريدًا عن ربيعة نِعمةً   وكُل امرىء يُجزى بما كان قدَّمَا

فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه   وإن كان شرًّا كان شرًّا مُذَمَّما

سَتَجزيه نُعمَى لم تَكن بصَغيرةٍ   بإهدائه[٧] الرُّمح الطَّويل المُقوَّما

(١) فى ن : « ميتة » .

(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « وهويت . . . إهابة » .

(٣) جياشة ، أى تندفق بالدم . يريد طعنة . ونجلاء : واسعة . والأضجم : الذى فى فمه عوج وميل .

(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « ما جرى » .

(٥) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « بكم منه » .

(٦) فى ن : « المختار » . (٧) فى ن : « بإعطائه » .

فلا تَـكفُروه حَقَّ نُعماه فيكمُ ولا تَرْكبوا تلك التى تَملأ الفَما[1]
فإنْ كان حَيًّا لم يَضِق بثَوابه ذِراعًا غَنِيًّا كان أو كان مُعْدِما
[ففُـكّوا دُرَيداً من إسار مُخارق ولا تجعلوا البُؤسَى إلى الشرّ سُلَّما]

فلما أصبحوا أطلقوه. فكسَتْه وجَهّزته ولحق بقومه. فلم يَزَل كافًّا عن حَرب بنى فراس حتى هلك[2].

يوم الصلعاء

لهوازن على غطفان

فلما كان فى العام المُقبل غزاهم دُرَيد بن الصِّمة بالصَّلعاء[3]، فخرجت إليه غطفان. فقال دُرَيد لصاحبه: ما ترى؟ قال: أرى خيلاً عليها رجالٌ كأنهم الصِّبيان، أسِنَّتها عند آذان خَيلها. قال: هذه فَزارة. ثم قال: انظُر ما ترى؟ قال: أرى قوماً كأن عليهم ثياباً غُمست فى الجاديّ[4]. قال: هذه أشجع. ثم قال: انظر ما ترى؟ قال: أرى قوما يَهزّون رماحَهم سُودا يخُدّون الأرضَ بأقدامهم. قال: هذه عَبْس، أتاكم الموت الزُّؤام، فاثبتُوا. فالتقوا بالصَّلعاء، فكان الظَّفَر لهوازن على غَطفان، وقَتل دُرَيدٌ ذُؤَابَ بن أسماء بن زيد بن قارب.

(١) التى تملأ الفما، أى يجعلكم حديث الناس.
(٢) انظر الأمالى والأغانى وسمط اللآلئ، فبين القصة هنا وهناك بعض خلاف فى الألفاظ والعبارات.
(٣) الصلعاء: رابية فى ديار غطفان حيث ذات الرمث بين النقرة والمغيثة، والجبل إلى جانب المغيثة يقال له ماوان، والأرض الصلعاء. (انظر معجم البلدان).
(٤) كذا فى ن. والجادى: الزعفران. والذى فى سائر الأصول: «فى الجاب المغرى».

حرب قيس وكنانة

يوم الكديد[1]

لسليم على كنانة

فيه قُتل ربيعةُ بنُ مُكَدَّم فارسُ كنانة . وهو من بنى فِراس بنِ غنْم بن مالك بن كِنانة ، وهم أنجد العرب ، كان الرجلُ منهم يُعدل بعشرة من غيرهم ، وفيهم يقول علىُّ بن أبى طالب لأهل الكوفة : وددتُ والله أنّ لى بجَميعكم ، وأنتم مائةُ ألف ، ثلثمائةٍ من بنى فراس بن غَنم . وكان ربيعه بن مُكَدَّم يُعقَر على قبره فى الجاهليّة ، ولم يُعقر على قبر أحد غيره ، ومرّ به حسّانُ بن ثابت . وقتلته بنو سُلَيم يومالكَديد . ولم يحضُر يوم الكَديد أحدٌ من بنى الشَّريد .

يوم بَرزة[2]

لكنانة على سليم

قال أبو عُبيدة : لما قَتلت بنو سُلَيم ربيعَة بن مُكَدَّم فارسَ كنانة ورجعوا ، أقاموا ما شاء الله . ثم إنّ ذا التاج مالكَ بن خالد بن صَخر بن الشَّريد — واسم الشَّريد عمرو ، وكانت بنوسُلَيم قد توّجوا مالكاً وأمَّروه عليهم — غزا بنى كنانة ، فأغار على بنىفِراس ببَرْزة[2] ، ورئيسُ بنىفِراس عبدُالله بن جِذْل . فدعا عبدُ الله إلى البِراز ، فبرز إليه هندُ بن خالد بن صَخْر بن الشَّريد ، فقال له عبدُ الله : مَن أنت ؟ قال : أنا هِندُ بن خالد بن صَخر . فقال عبدُ الله : أخوك أسنُّ منك ، يُريد مالكَ بن خالد . فَرجع فأحضر أخاه ، فبَرز له ، فجعل عبدُ الله ابن جِذْلَ يرتجز ويقول :

---

(١) الـكديد : موضع على موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة .

(٢) برزة (بالضم وقيل بالفتح) : شعبة تدفع على بئر الرويثة العذبة . وهما برزتان تصبان فى درج المضيق من يليل . (انظر معجم البلدان) .

ادنُ بنى قِرْف القِمَعْ(١) إنّى إذا الموتُ كَنَعْ(٢)

٧٧/٣ لا أستغيثُ(٣) بالجَزَعْ

ثم شَدّ على مالك بن خالد فقتله . فبرز إليه أخوه كُرز بن خالد بن صَخْر ، فشدّ عليه عبدُ الله بن جِذْل فقتله أيضا . فشدّ عليه أخوهما عمرو بنُ خالد بن صَخْر بن الشَّريد ، فتخالفا طَعْنتين ، فجرح كُلُّ واحد منهما صاحبَه وتحاجزا . وكان عمرو قد نهى أخاه مالكاً عن غَزو بنى فِراس ، فعصاه وانصرف الغَزْو عنهم . فقال عبدُ الله بن جِذْل :

تجنّبتُ هنداً رغبةً عنْ قتاله ... إلى مالكٍ أعْشُو إلى ضَوْء مالك(٤)

فأيقنتُ أنّى ثائرُ ابن مُكَدَّم ... غَداتئذ أو هالك فى الهَوالك

فأنفذتُه بالرُّمح حينَ طَعنتهُ ... مُعانقةً ليست بطَعْنة باتك(٥)

وأثنى لكُرز فى الغُبار بطَعْنة ... عَلَتْ جِلْدَه منها بأحمَر عاتك(٦)

قتلنا سُليماً غَثَّها وسَمينها ... فصبراً سُليما قد صَبرنا لذلك

فإن تك نِسوانى بَكَين فقد بَكت ... كما قد بَكَتْ أمُّ لكُرز ومالك

وقال عبدُ الله بن جِذل [أيضا] :

قَتلنا مالكاً فبَكَوْا عليهِ ... وهل يُغنِى مِن الجَزع البُكاء ؟

وكُرْزاً قد تَركناه صريعاً ... تَسيل على تَرائبه الدّماء(٧)

فإنْ تَجزع لذاك بنو سُلَيم ... فقد — وأبيهم — غُلب العَزاء

فصبراً يا سُليم كما صَبرنا ... وما فِيكم لواحدنا كِفاء

---

(١) كذا فى ن . والقرف : الوسخ الذى ينتج عن اللبن . والقمع : ما يوضع فى فم السقاء والزق . جعلهم كذلك المتخلف فى القمع قذارة ووسخا . وفى سائر الأصول « فرق القمع » . والرواية فى معجم البلدان « اقتربوا قرف » .

(٢) كنع : « دنا » .

(٣) فى بعض الأصول : « لا أتوق » .

(٤) أعشو : أقصد. (٥) الباتك : القاطع من السيوف .

(٦) أحمر عاتك : شديد الحمرة ، يريد الدم . (٧) الترائب : عظام الصدر .

فلا تَبْعَد ربيعةُ من نَديمٍ ... أخو الهُلاّك إنْ ذُمّ الشّتاء
وكم مِن غارة ورَعِيل خَيْل ... تَدَاركها وقد حَمِس اللِّقاء[1]

يوم الفيفاء[2]

لسليم على كنانة

قال أبو عُبيدة : ثم إنّ بنى الشّريد حَرّموا على أنفسهم النّساء والدُّهن ، حتى يُدركوا بثأرهم من بنى كِنانة . فغزا عمرو بن خالد بن صَخر بن الشّريد بقومه حتى أغار على بنى فِراس ، فقَتل منهم نَفراً : منهم عاصم بن المُعلَّى ، ونَضلة والمُعارِك ، وعمرو بن مالك ، وحِصْن ، وشُريح ، وسَبى سَبْيا فيهم ابنة مُكَدّم ، أخت ربيعة بن مُكَدّم . فقال عبّاس بن مِرْداس فى ذلك يَرُدّ على ابن حِذْل فى كلمته التى قالها يومَ بَرْزة .

ألاَ أبلغا عنّى أبنَ حِذْل ورَهْطَه ... فكيف طَلبناكُم بكُرْز ومالِك
غداةَ فَجَعْناكم بحِصْن وبابنه ... وبابن المُعلّى عاصمٍ والمُعارك
ثمانيـــة منهم ثأرناهُم به ... جميعاً وما كانوا بَوَاء بمالك[3]
نُذيقكم ، والموتُ يَبْنى سُرادقاً ... عليكم ، شَبا حدّ السّيوف البواتك
تَلُوح بأيدينا كما لاح بارقٌ ... تلألأ فى داجٍ من اللّيل حالك
صَبحناكم العُوجَ العَناجيج بالضُّحى ... تَمُر بنا مَرّ الرّياح السّواهك[4]
إذا خرجت من هَبْوة بعد هَبْوة ... سَمت نحو مُلتفّ من الموت شائكِ

(١) الرعيل : القطعة من الخيل .
(٢) الفيفاء (بالفتح) : الصحراء الملساء . وقد أضيفت إلى عدة مواضع ، منها فيفاء الخبار ، وهو بالعقيق ، وفيفاء رشاد ، وفيفاء غزال بمكة حيث ينزل منها إلى الأبطح ، وفيفاء خريم (انظر معجم البلدان) .
(٣) البواء : الكفء .
(٤) العوج : الخيل ، لقوائمها إذ العوج منها خلقة . والعناجيج : جمع عنجوج ، وهى الرائع من الخيل . والسواهك من الرياح : الشديدة المرور .

وقال هندُ بن خالد بن صَخر بن الشَّريد :

قتلتُ بمالكٍ عمراً وحِصْناً   وخَلَّيت القَتام على الخُدودِ
وكُرزاً قد أبأتُ[١] به شُرَيحاً   على أثر الفَوارس بالكَديد
٧٩/٣ جَزَيناهم بما أنتهكوا وزِدْنا   عليه ماوَجدنا من مَزِيد
جَلَبنامن جَنوب الفَرْدجُرْداً   كطَيْر الماء غَلَّس للوُرود[٢]

قال : فلما ذكر هندُ بن خالد يوم الكَدِيد وأفتخر به ، ولم يشهده أحدٌ من بنى الشَّريد ، غضب من ذلك نُبيشة بن حَبيب ، فأنشأ يقول :

تُبخِّل صُنْعَنا[٣] فى كُلِّ يوم   كَمَخْضوب البَنان ولا تَصيدُ
وتأكل مايَعاف الكلبُ منه   وتَزعم أن والدَك الشَّريد
أَبَى لى أن أُقِرَّ الضيمَ قيسٌ   وصاحبُه المَزُور[٤] به الكَديد

حرب قيس وتميم

يوم السُّوبان[٥]

لبنى عامر على بنى تميم

قال أبو عُبيدة : أغارت بنو عامر على بنى تميم وضَبّة فاقتتلوا . ورئيس ضَبّة حسّان بن وَبرة، وهو أخو النّعمان لأمه ، فأسره يزيدُ بن الصَّعِق، وأنهزمت تميم . فلما رأى ذلك عامرُ بن مالِك بن جَعفر حَسده ، فشدّ على ضِرَارَ بن عمرو

(١) أبأت به : قتلت به .
(٢) الفرد ، بالفتح : جبل من جبلين يقال لهما الفردان فى ديار سليم بالحجاز؛ وبالكسر : موضع عند بطن إياد من ديار يربوع بن حنظلة كانت به وقعة ، قال ياقوت : « كذا ضبطه نصر » . ولعل هذا الأخير هو المراد . والتغليس : ورد الماء أول ماينفجر الصبح .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « صعبنا » .
(٤) فى بعض الأصول : « المزار » .
(٥) السوبان (بضم أوله) : واد فى ديار العرب : (انظر معجم البلدان) .

الضَّبّى[1] ، وهو الرَّدِيم[2] . فقال لابنه أذْهم : أَغْنِه عنّى . فشدّ عليه فطعنه . فتحوّل عن سَرجه إلى جَنب أبدائه[3] . ثم لحقه ، فقال : لأحد بَنيه أغنه عنّى ، ففعل مثل ذلك . ثم لحقه ، فقال لابن له آخر : أغنه عنى ، ففعل مثل ذلك ، فقال : ماهذا إلاّ مُلاعب الأسنّة ، فسُمِّى عامرٌ من يومئذ ملاعبَ الأسنة . فلما دنا منه ، قال له ضِرار[4] : إنى لأعلم ما تريد، أتُريد اللبن[5] ؟ قال : نعم. قال: إنك لن تَصل إلىّ ومِن هؤلاء عينٌ تَطرف ، كلهم بنىّ[6] . قال له عامر . فأحلنى على غيرك . فدلّه على حُبيش بن الدُّلَف وقال : عليك بذلك الفارس . فشدّ عليه فأسره . فلما رأى سوادَه وقِصَره جعل يتفكّر. وخاف ابنُ الدُّلف أن يقتله ، فقال: ألست تُريد اللبن[5] ؟ قال: بَلى . قال : فأنا لك به . وفادَى حسّان بن وَبرة نفسَه من يزيد بن الصَّعِق بألف بعير فداء الملوك ، فكثُر مالُ يزيد ونما . ثم أغار بعد ذلك يزيدُ بن الصَّعق على عَصافير[7] النعمان بذى لِيان ، وذو ليان ، عن يمين القَرْيتين[8] .

يوم أقرن[9]

لبنى عبس على بنى دارم

غزا عمرو بن عمرو بن عُدَس من بنى دارم ، وهو فارس بنى مالك بن حَنظلة، فأغار على بنى عَبس وأخذ إبلاً وشاء ، ثم أقبل، حتى إذا كان أسفَل من ثَنيّة

(١) فى الأصول : « دارا بن عمرو القيسى » . وما أثبتنا من ابن الأثير والنقائض والاشتقاق .
(٢) فى بعض الأصول : الرويم » .
(٣) الأبداء : المفاصل .
(٤) فى الأصول : «دارا» . تحريف . انظر الحاشية الأولى من هذه الصفحة .
(٥) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « اللبب » .
(٦) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « بنو عامر » .
(٧) عصافير النعمان : نجائب كانت له .
(٨) القريتان : قرية من النباج فى طريق مكة من البصرة . (انظر معجم البلدان) .
(٩) أقرن ، بضم الراء : موضع .

أقْرُن نزل فابتَنى بجارية من السَّبْى . ولحقه الطلب ، فاقتتلوا . فقَتل أنسُ الفوارس بنُ زياد العَبْسىّ عَمراً ، وانهزمت بنو مالك بن حَنظلة . وقتلت بنو عبس أيضا حَنظلةَ بن عمرو — وقال بعضُهم : قُتل فى غير هذا اليوم — وارتدُّوا ما كان فى أيدى بنى مالك . فنعى ذلك جريرٌ على بنى دارم فقال :

هل تَذْكرون لَدَى[1] ثَنِيّة أقْرُن ... أنسَ الفَوارس حين يَهْوى[2] الأسْلعُ

وكان عمرو أسلعَ ، أى أبرص . وكان لسَماعة بن عمرو خالٌ من بنى عَبس ، فزاره يوماً فقتَله بأبيه[3] عمرو .

يوم المروت[4]

لبنى العنبر على بنى قشير[5]

أغار بَحِير[6] بن سَلمة بن قُشير[5] على بنى العَنبر بن عمرو بن تميم ، فأتى الصَّريخُ بنى عمرو بن تميم ، فاتبعوه حتى لحقوه ، وقد نزل المَرُّوت ، وهو يَقسم المِرْباع[7] ويُعطى مَن معه . فتلاحق القومُ واقتتلوا . فطَعن قَعنبُ بن عتّاب الهيثمَ بن عامر القُشيرىّ[8] فصَرعه فأسره ، وحَمل الكَدّام ، وهو يزيد بن أزهر[9] المازنىّ ، على بَحِير[6] بن سَلمة فطعنه فأرداه عن فرسه ، ثم نزل إليه فأسره . فأبصره قَعنب بن عتّاب ، فحمل عليه بالسَّيف فضَربه فقتله . فانهزم بنو عامر وقُتل رجالهم . فقال يزيدُ بن الصَّعِق يرثى بَحِيرا[6] :

(١) فى ن : « على » . وفى الديوان : « هل تعرفون على » .
(٢) فى الديوان : « شك » .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « يوما بابنه » . تحريف .
(٤) المروت (بالفتح ثم التشديد والضم) : نهر ، وقيل واد بالعالية . (انظر معجم البلدان) .
(٥) كذا فى ن ومعجم ما استعجم (ص ٤٢٤) . والذى فى سائر الأصول : « بشير » . تحريف .
(٦) كذا فى معجم البلدان (٤ : ٥٠٤) وابن الأثير والنقائض . وفى الأصول وبعض مواضع من الطبرى : « بجير » بالجيم .
(٧) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .
(٨) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « العنبرى » . وانظر البكرى (ص ٥٢٤) .
(٩) فى ن : « أزيك » .

أواردةٌ علىّ بنى رِياحٍ بفَخْرِهمُ وقد قَتلوا بَحِيرًا[١]

فأجابته العَوْراء، من بنى سَليط[٢] بن يَربوع[٣] :

قَعيدَك يا يزيدُ أبا قُبيس أتُنذر كى تُلاقينا النُّذورَا[٤]

وتُوضِع تُخبِر[٥] الرُّكبانَ أنّا وُجدنا فِي مِراسِ[٦] الحَرب خُورا

ألم تعلم قعيدَك يا يزيد[٧] بأنا نَقمع الشَّيخَ الفَخُورا[٨]

ونفقأ ناظرَيه ولا نُبالى ونَجعل فوق هامتَه الذُّرورا

فأَبلغ إن عَرضتَ بنى كلابٍ بأنا نحنُ أقْعَصْنا[٩] بَحِيرا[١]

وضرَّجنا عُبيدة بالعَوالِى فأَصبح مُوثَقاً فينا أَسِيرا

أَنخْراً فى الخلاء بغير فَخْرٍ وعند الحَرب خَوَّاراً ضَجُورا

يوم دارة مأسل[١٠]

لتميم على قيس

غزا عُتبة بن شُتَير بن خالد الكلابىّ بنى ضَبّة فاُستاق نَعَمهم، وقَتل حُصَيْن ابن ضِرار الضَّبى، أبا زَيد الفوارس[١١]، فجمع أبوه ضِرارٌ قومَه وخرج ثائرًا بابنِه

(١) فى بعض الأصول: «بجيرا» تصحيف. وانظر الحاشية (رقم ٦ ص ١٧٩) من هذا الجزء.
(٢) كذا فى ن. والنقائض والاشتقاق والكامل. والذى فى سائر الأصول: «سليطة»
(٣) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «يربوع وهى تقول».
(٤) قعيدك، أى قعيدك الله، أى كأنه قعيدك معك يحفظك. وقال ثعلب: أى نشدتك الله.
(٥) كذا فى ن والنقائض. وتوضع: من الإيضاع، وهو السير بين القوم. والذى فى سائر الأصول: «وتوضع تجر».
(٦) فى النقائض: «ضراس».
(٧) فى النقائض: «يابن عمرو».
(٨) فى بعض الأصول: «الفجورا».
(٩) الإقعاص: أن تضرب الشىء أو ترميه فيموت مكانه؛ ويقال: ضربه فأقعصه، أى قتله مكانه.
(١٠) دارة مأسل: ماء لعقيل.
(١١) فى بعض الأصول: «حصن بن ضرار الضبى زيد الفوارس». تحريف.

حُصين ، وزيد الفوارس يومئذ حَدَث لم يُدرك[(١)] ، فأغار على بنى عمرو بن كِلاب ، فأفلت منه عُتبةُ بن شُتَير بن خالد ، وأسر أباه شُتير بن خالد ، وكان شيخاً كبيراً أعور . فأتى به قومَه ، فقال : ياشُتير ، اختر واحدة من ثلاث . قال : أعرِضها على . قال : إما أن ترُدّ أبنى حُصينا . قال : فإنى لا أنشر الموتى . قال : وإما أن تدفع إلىّ أبنك عُتبة أقتله به . قال : لا تَرضى بذلك بنو عامر أن يدفعوا فارسَهم شابًّا مقتبلا بشَيخ أعورَ هامةِ[(٢)] اليوم أو غد . قال : وإما أن أقتلك . قال : أمّا هذه فنعم . قال : فأمر ضِرارٌ ابنَه أدهم أن يَقتله ، فلما قدّمه ليضربَ عُنقه نادى شُتَير : ياآل عامر ، صَبْراً[(٣)] بصبىّ . كأنه أنِف أن يُقتل بصبىّ. فقال فى ذلك شَمعلة[(٤)] فى كلمة له طويلة :

وخيَّرْنا شُتيراً فى[(٥)] ثلاثٍ وما كان الثلاثُ له خِيارَا
جعلتُ السيفَ بين اللِّيت منه وبين قِصاص لِمَّته عِذَارا[(٦)]

وقال الفرزدق يفخر بأيام ضَبّة :

ومَغبوقة قبل القِيان كأنّها جَرادٌ إذا أجلى عن القَزَع الفجرُ[(٧)]
عوابسُ ما تَنفكُّ تحت بطُونها سَرابيلُ أبطال بنائقُها حُمْرُ[(٨)]
تَركْن ابنَ ذى الجدَّين يَنْشِج مُسْنَدا وليس له إلّا ألاءته قَبْرُ[(٩)]

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « يذكر » .
(٢) الهامة : الرأس ؛ ويقال : فلانة هامة اليوم أو غد ، أى يموت اليوم أو غد .
(٣) صبراً ، أى أقتل صبرا . والصبر : نصب الإنسان للقتل .
(٤) هو شمعلة بن الأخضر بن هبيرة بن المنذر ابن ضرار الضبى .
(٥) فى بعض الأصول: « من » . وقصاص ، بالكسر : جمع قصة ، بالضم ، وهى الناصية.
(٦) الليت (بالكسر) : صفحة العنق . والعذار : جانب اللحية ، وهما عذاران .
(٧) المغبوقة : الخيل تؤثر بالغبوق ، وهو شرب العشى . وأجلى : وضح . والقزع : السحاب المتفرق ؛ واحدتها قزعة . وفى بعض الأصول : « على » مكان « عن » . ورواية الديوان : « ومغبوقة دون العيال . . . أجلى مع »
(٨) البنائق : جمع بنيقة ، وهى طوق الثوب الذى يضم النحر وما حوله .
(٩) ابن ذى الجدين : بسطام بن قيس بن مسعود ، والألاءة : شجرة تشبه الآس لا تغير فى القيظ ، ولها ثمرة تشبه سنبل الذرة ، ومنبتها الرمل والأودية .

وهُنّ على خَدَّى شُتَير بن خالد   أُثير عَجاج من سَنابكها كُدْر
إذا سُوِّمت(١) للبأس يَغشَى ظُهورَها   أُسودٌ عليها البِيض(٢) عادتها الهَصْر
يَهزّون أرماحًا طِوالاً مُتونُها   بِهنّ(٤) الغِنَى يومَ الكَريهة(٣) والفَقْر

أيام بكر على تميم(٥)

يوم الوقيط

قال فِراسُ بن خِنْدف : تجمَّعت اللهازمُ(٦) لتُغير على تَميم وهم غارُّون . فرأى ذلك ناشبُ الأعور(٧) بن بَشامة العَنبرىّ ، وهو أسير فى بنى سَعد بن مالك ابن(٨) ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة ، فقال لهم : أعطونى رسولاً أُرسله إلى بنى العَنبر أُوصيهم بصاحبكم خيراً ، ليولوه مثلَ الذى تولونى من البرّ به والإحسان إليه . وكان حَنظلة بن الطُّفيل المَرثدى(٩) أسيراً فى بنى العَنبر . فقالوا له : على أن تُوصيه ونحن حُضور . قال نعم . فأتوه بغُلام لهم . فقال : لقد أتيتمونى بأحمقَ وما أراه مُبلِّغًا عنى . قال الغلام : لا والله ما أنا بأحمق ، وقُل ما شئت فإنى مُبلِّغه . فملأ الأعورُ كفَّه من الرمل ، فقال : كم هذا الذى فى كفِّى من الرمل ؟ قال الغلام : شىء لا يُحصى كَثرة . ثم أومأ إلى الشمس ، وقال : ما تلك ؟ قال : هى الشمس .

٨١/٣

(١) فى بعض الأصول : « لبست » .
(٢) فى الديوان : « الموت » .
(٣) فى ن : « لديها » .
(٤) فى الديوان : « الوقيعة » .
(٥) فى بعض الأصول : « أيام تميم على بكر » .
(٦) اللهازم ، فى الأصل : أصول الحنكين ، ثم تستعار لمتوسط النسب والقبيلة . واللهازم : هم عنزة بن أسد بن ربيعة ، وعجل بن لجيم ، وتيم الله وقيس ابنا ثعلبة ، من بكر ابن وائل ، وقد كانوا جميعا حلفاء . وانظر ص ١٨٥
(٧) فى بعض الأصول : « ناشب بن الأعور » . وما أثبتنا من سائر الأصول وابن الأثير .
(٨) هذه الكلمة من ن والنقائض .
(٩) فى بعض الأصول : « الزيدى » تحريف . (انظر النقائض) .

قال : فاذهب إلى قومى فأبلغهم عنّى التحيةَ وقل لهم يُحسنوا إلى أسيرهم ويُكرموه ، فإنى عند قوم مُحسنين إلىّ مُكرمين لى ، وقل لهم يَقروا جملى الأحمر ، ويَرْكبوا ناقتى العَيْساء[1] ، [بآية ما أكلت معهم حَيْساً][2] ، وَيرْعوا حاجتى فى أُبَيْنِى[3] مالك . وأخبرهم أنّ العوسجَ[4] قد أوْرق ، وأنّ النّساء قد أشتكت . وليعصوا هَمّام بن بَشامة ، فإنه مَشْئوم [محدود][5] ، ويُطيعوا [هُذَيل] بن الأخْنس ، فإنه حازم مَيمون . قال : فأتاهم الرسولُ فأبلغهم . فقال بنو عمرو بن تميم : مانعرف هذا الكلام ، ولقد جُنّ الأعورُ بعدنا ، فوالله ما نعرف له ناقةً عَيْساء ، ولاجملاً أحمر . فشخص الرسولُ ، ثم ناداهم هُذيل :يا بنى العنبر ، قد بيّن لكم صاحبُكم : أما الرمل الذى قبض عليه ، فإنه يُخبركم أنه أتاكم عددٌ لا يُحصى ؛ وأما الشمس التى أومأ إليها ، فإنه يقول : إن ذلك أوضحُ من الشّمس ؛ وأما جمله الأحمر ، فإنه هو الصَّمّان[6] يأمركم أن تَعْروه[7] ؛ وأما ناقتهُ العَيساء ، فهى الدَّهناء[8] يأمركم أن تَحترزوا فيها ، وأما أُبناء مالك ، فإنه يأمركم أن تنذروا بنى مالك [بن حنظلة ابن مالك] بن زَيد مناة [ما حَذركم] وأن تُمسكوا الحِلف بينكم وبينهم ؛ وأما العَوسج الذى أورق ، فيُخبركم أنّ القوم قد لَبسو السلاح ؛ وأما تشكّى النساء ، فيُخبركم بأنهن قد عَملنَ شِكاء[9] يغزون به . قال :[وقوله بآية ما أكلت معكم حَيساً ، يريد أخلاطاً من الناس قد غزوكم] . فتحرّزت عمرو فركبتَ الدَّهناء ، وَأنذروا بنى مالك ، فقالوا : لسنا ندرى ما يقول بنو عمرو ولسنا متحوّلين لمَا

(١) العيساء : الناقة يخالط بياضها شقرة .
(٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وأقط .
(٣) يقال فى تصغير بنين : أبينون وأبينين ؛ كأن واحده إبن ، مقطوع الألف ، فصغره فقال : أبين ، ثم جمعه .
(٤) العوسج : شوك .
(٥) المحدود : الممنوع من الخير . (٦) الصمان : جبل أحمر فى أرض بنى تميم .
(٧) أن تعروه ، أى ترتحلوا عنه .
(٨) الدهناء : سبعة أجبل من الرمل ، وهى ديار لبنى تميم .
(٩) الشكاء : جمع شكوة ، بالفتح ، وهو وعاء من أدم فيه الماء ويحبس فيه اللبن . وفى بعض الأصول : « عملا » .

قال صاحبُكم : قال فصبّحت الهازمُ بنى حنظلة ، فوجدوا بنى عمرو قد أجْلت ، و إنما أرادوهم على الوَقيط ، وعلى الجيش أبجر بن جابر العِجْلى . وشهدها ناسٌ من تيم اللات[1] ، وشهدها الفِزْر[2] بن الأسود بن شَريد ، من بنى سِنان . فاقتتلوا ، فأسر ضِرارُ بن القَعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وتَنازع فى أسره بِشرُ بن العوراء[3] ، من تيم اللات[1] ، والفِزْر بن الأسود ، فجزّا ناصيتَه وخَلّيا سِرْبه[4] من تحت الليل . وأسر عمرو بن قيس ، من بنى ربيعة ، عَشْجَلَ بن المأموم بن شَيبان بن عَلقمة ، من بنى زُرارة ، ومَنّ عليه . وأُسرت غَمامةُ بنت طوق[5] بن عُبيد بن زُرارة ، واشترك فى أسرها الحطيم بن هلال ، وظَرِبان[6] بن زياد ، وقيس بن خالد ، وردُّوها إلى أهلها . وعيَّر جريرٌ الخطفى بنى دارم بأَسْر ضِرارٍ وعَشْجل وغَمامة ، فقال :

أغَمام لو شَهِد الوقيطَ فوارسى   ما قِيد يُقتل عَشْجل وضِرَارُ

وأسر حنظلةَ بن المأموم بن شيبان بن عَلقمة ، أسره طَيْسلة[7] بن زياد ، أحد بنى ربيعة . وأُسر جُويرية[8] بن بَدر ، من بنى عبد الله بن دارم ، فلم يزل فى الوثاق حتى قال أبياتا يَمدح فيها بنى عِجل ، وأنشأ يتغنّى بها رافعًا عقيرته :

وقائلةٍ ما غالَه أن يَزُورها   وقد كنتُ عن تلك الزِّيارة فى شُغل
وقد أدركتْنى والحوادثُ جَمّةٌ   مَخالبُ قومٍ لا ضِعافٍ ولا عُزْل
سِراعٍ إلى الدّاعى بِطاءٍ عن الخنا   رِزَانٍ لدى النّادىّ مِن غير ما جَهْل
لعلّهمُ أن يُمْطرونى بنِعْمةٍ   كما طاب ماءُ المُزن فى البلَد المَحْل

(١) فى بعض الأصول : « تيم الله » .
(٢) فى بعض الأصول : « القرز » . وما أثبتنا من سائر الأصول والنقائض .
(٣) فى بعض الأصول : « القرما » . وما أثبتنا من سائر الأصول والنقائض .
(٤) السرب : السبيل . وفى بعض الأصول : « وحلا أسره » .
(٥) فى النقائض : « الطود » .
(٦) كذا فى بعض الأصول والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « دربان » .
(٧) فى بعض الأصول : « طليسة » . وما أثبتنا من سائر الأصول والنقائض .
(٨) فى بعض الأصول : « حوثرة » .

فقد يُنعش اللهُ الفتى بعد عُسرة ... وقد يَبتدى الحسنَى سَراةُ بنى عِجْل

فلما سَمّوه أطلقوه . وأُسر نُعيم بن القعقاع بن معبد بن زرارة ، وعمرو ابن ناشب ، وأُسر سنان بن عمرو ، أخو بنى سلامة بن كِندة ، من بنى دارم ، وأُسر حاضر بن ضَمْرة ، وأُسر الهيثم بن صَعصعة ، وهَرب عوفُ بن القَعقاع ٨٢/٣ عن إخوته ، وقُتل حكيم النَّهشلى ، وذلك أنه لم يَزل يُقاتل وهو يَرتجز ويقول :

كُلّ أمرىء مُصَبَّح فى أهـله ... والمـوتُ أدنى مِن شِراكِ نَعْلِهِ

وفيه يقول عَنترة الفوارس :

وغادَرْنا حـكيماً فى مجَال ... صَريعاً قد سَلَبناه الإزارَا

يوم النِّباج وثَيْتَل[1]

لتميم على بكر[2]

الخُشنى[3] قال: أخبرنا أبوغسّان[4] العَبْدىّ — واسمه رفيع — عن أبى عُبيدة مَعمر بن المُثنى قال : غدا قيسُ بن عاصم فى مُقاعس، وهورئيس عليها — ومُقاعس هم : صُريم ، ورَبيع ، وعُبيد ، بنوالحارث بن عمرو بن كعب بنَ سعد بن زَيدمَناة ابن تَميم — ومعه سَلَامة بن ظَرِب بن نَمِر الحِمّانى فى الأجارب ، وهم حِمّان ، ور بيعة ، ومالك ، والأعرج ، بنو كعب[5] بن سَعد بن زيدمَناة بن تميم . فغزَوْا بكر بنَ وائل . فوجدوا بنى ذُهل بن ثَعلبة بن عُكابة واللّهازم — وهم قَيس وتيم اللّات ، ابنا ثَعلبة ، وعِجْل بن لُجيم ، وعَنَزة بن أسد بن ربيعة — بالنِّباج وثَيْتَل ، وبينهما رَوْحة . فتنازع قيسُ بن عاصم وسَلامة بن ظَرِب فى الإغارة ،

(١) ثيتل : ماء على عشرة مراحل من البصرة ، ويسمى يوم النباج ، بكسر النون ، وهو موضع قريب من ثيتل .
(٢) فى بعض الأصول : « لبكر على تميم » . تحريف .
(٣) فى بعض الأصول : « الحسنى » . تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « أبو حسان » تحريف .
(٥) فى بعض الأصول : « كلب » . تحريف . وانظر النقائض .

ثم اتفقا على أن يُغير قَيس على أهل النِّباج ، ويُغير سلَامة على أهل الثَّيتل . قال : فبعث قيسُ بن عاصم [سنانَ بنَ سُمَىّ] الأهتم شيِّفَةً له — والشَّيفة : الطَّليعة — فأتاه الخبرُ . فلما أصبح قيسُ سقى خَيله ، ثم أطلق أفواه الرَّوايا ، وقال لقومه : قاتلوا فإن الموت بين أيديكم ، والفلاةَ مِن ورائكم[١] . فلما دنوا من القوم صُبحاً سمعوا ساقياً [من بكر] يقول لصاحبه : ياقيس ، أَوْرد . فتفاءلوا به . فأغاروا على النِّباج قبل الصُّبح ، فقاتلوهم قتالاً شديدا .

ثم إن بكر انهزمت وأسر الأهتمُ حُمْرانَ بن بِشْر بن عمرو بن مَرْثد ، وأصابوا غنائم كثيرة . فقال قيسُ لأصحابه : لا مُقام دون الثَّيتل[٢] ، فالنجاء النجاء . فأبوا . ولم يُغِزْ سَلَامة ولا أصحابه بعدُ[على من بثَيْتَل] . فأغار عليهم قيس بن عاصم ، فقاتلوه ثم انهزموا . فأصاب إبلاً كثيرة . فقال سلامة : إنكم أغرتُم على ما كان أمره إلىّ . فتلاحَوْا فى ذلك ، ثم اتفقوا على أن سلّموا إليه غنائم ثَيتل . ففى ذلك يقول ربيعة بن طَرِيف[٣] .

فلا يُبعِدَنْك اللهُ قيسَ بنَ عاصمٍ فأنتَ لنا عِزٌّ عزيزٌ وَمَوْئلُ
وأنت الذى حَرَّبْت بكر بنَ وائل وقد عَضَّلَتْ منها النِّباجُ وثَيتل[٤]
غداةَ دَعت[٥] يا آل شَيبان إذ رأت كراديسَ يَهْدِيهنّ[٦] وَرْدٌ مُحَجّل
وظَلّت عُقاب الموت تَهْفو عليهمُ وشُعْثُ النواصى لُجْمهنّ تُصَلصل
فما منكمُ أبناء[٧] بكر بن وائل لغارتِنا إلا رَكوبٌ مُذلَّل

(١) فى بعض الأصول : » بين أيديكم ومن ورائكم » .
(٢) فى النقائض : « لا نقيل دون إخواننا بثيتل » .
(٣) فى بعض الأصول : «ظرب» . وما أثبتنا من سائر الأصول والنقائض ومعجم البلدان. وهو ربيعة بن ظريف بن تميم العنبرى.
(٤) حربت : سلبت . وفى بعض الأصول : «خويت» وعضلت : ضاقت ؛ يقال : عضلت الأرض بأهلها ، إذا ضاقت بهم لكثرتهم .
(٥) فى بعض الأصول : « غدا وغدت » .
(٦) كذا فى بعض الأصول والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « يزجيهن » .
(٧) فى النقائض : « أفناء » .

وقال جريرٌ يصف ما كان من إطلاق قَيس بن عاصم أفواه المَزاد بقوله :

وفى[١] يوم الـكُلاب ويوم قَيْسٍ … هَرَاق على مُسلِّحةَ[٢] المَزادَا

وقال قُرة[٣] بن قَيس بن عاصم :

أنا ابنُ الذى شَقَّ المَزاد وقد رأى … بثَيْتل أحيـاء اللَّهازم حُضَّرَا
وصَبَّحهم بالجيش قيسُ بن عاصم … فلم يجدُوا إلا الأسـنةَ مَصْـدَرا
على الجُزد يَعلُـكْن الشـكيمَ عَوابساً … إذا الماء من أعطافهنّ تَحدَّرا[٤]
فـلم يَرها الرَّاءون إلا فُجـاءةً … يُثِرنَ عَجاجا بالسَّنابك أكْدرا
٨٣/٣ سَقاهم بها الذِّيفانَ قيسُ بن عاصم … وكان إذا ما أوْرَدَ الأمرَ أصْدرا[٥]
وحُمـرانُ أدَّته إلينا رماحُنا … فنازَع غُلاًّ مِن[٦] ذِرَاعيه أسمَرا
وجَشّامة الذُّهـلىّ قُدْناه عَنوةً … إلى الحىّ مَصْفود اليدَيْن مُفـكّرا[٧]

يوم زرود[٨]

لبنى يربوع على بنى تغلب

أغار خُزيمة بن طارق التَّغلبىّ على بنى يَرْبوع ، وهم بزَرود ، فنَذِروا به[٩]. فالتقَوا فاقتتلوا قتالاً شديدا ، ثم أنهزمت بنوتَغلب . وأُسر خُزيمة بن طارق ،

---

(١) فى الديوان واللسان (سلح) : « لهم يوم » .

(٢) مسلحة ، بكسر اللام وفتحها : موضع .

(٣) فى بعض الأصول : مرة» . تحريف . وانظر ابن الأثير والبكرى ومعجم البلدان .

(٤) الجرد : جمع أجرد ، وهو الفرس القصير الشعر . والشكيم : جمع شكيمة ، وهى من اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس ، وفيها الفأس . وعلك الشكيم : تحريكه فى أفواهها .

(٥) الذيفان : السم الناقع .

(٦) فى بعض الأصول : « فى » . وزرود : رمال بطريق الحاج من الكوفة .

(٧) فى بعض الأصول : « مكفرا » . وفى بعض آخر : « منكرا » .

(٨) فى بعض الأصول : « يوم زرود الثانى » .

(٩) نذر بالشىء ، من باب فرح : علمه فحذره .

أسره أُنيف بن جَبلة الضّبىّ ، وهو فارس الشَّيِّط[١]، وكان يومئذ مُمتلاً[٢] فى بنى يَربوع ، وأَسيدُ بن حِنَّاءة[٣] السّليطى ، فتنازعا فيه ، فحَكّما بينهما الحارث بن قُراد ، وأم الحارث أمرأة من بنى سَعد بن ضَبّة ، فحكم بناصية خُزيمة لأنيف بن جَبلة ، على أنّ لأَسيد على أنيف مائةً من الإبل . قال : ففدا خُزيمةَ نفسَه بمائتى بعير وفَرس . وقال أُنيف :

أخذتُك قَسراً ياخُزيمَ بنَ طارقٍ ولاقيتَ منّى الموتَ يوم زَرُودِ
وعانقتُه والخيلُ تَدْمَى نُحُورُها فأنزلتُه بالقـاع غـيرَ حَميد

[أيام يربوع على بكر]

وهذه أيامٌ كُلها لبنى يَربوع على بنى بكر ، من ذلك : يوم ذى طُلوح ، وهو يوم أَوْد ، ويوم الحائِر ، ويوم مَلْهَم ، ويوم القُحْقُح ، وهو يوم مالّة ، ويوم رأس عَين ، ويوم طِخْفة ، ويوم الغَبيط ، ويوم مُخطّط ، ويوم جَدُود ، ويوم الجِبابات ، ويوم زَرُود الثانى .

يوم ذى طلوح[٤]

لبنى يَربوع على بكر

كان عَميرة بن طارق بن حُصينة بن أَرِيم بن عُبيد بن ثَعلبة تَزوّج مُرَيَّة[٥] بنت جابر ، أُخت أبجر بن جابر العِجْلىّ ، فَخرج حتى أبتنى بها فى بنى عِجْل . فأتى أبجرُ أُختَه مُرَيَّة ، أمرأة عَميرة يزورها ، فقال لها : إنى لا أرجو أنْ آتيك

(١) الشيط ، كسيد : فرس أنيف . وفى بعض الأصول : « السليط » . تحريف . انظر الاشتقاق والقاموس (شيط) .

(٢) فى بعض الأصول : « ثقيلا » .

(٣) كذا فى بعض الأصول والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « جبلة » .

(٤) ذو طلوح : موضع فى حزن بنى يربوع بين الكوفة وفيد .

(٥) فى بعض الأصول : : « مزنة » . تحريف . وانظر النقائض وابن الأثير .

بنت النَّطِف أمرأة عَميرة التى فى قومها . فقال له عَميرة : أترضى أن تُجار بى وتَسْبيني ؟ فنَدِم أبجر ، وقال لعَميرة : ما كنتُ لأغزُو قومك . ثم غزا أبجر والحَوْفزان مُتساندين . هذا فيمن تَبعه من بنى شَيبان ، وهذا فيمن تَبعه من بنى اللَّهازم[1] ، وساروا بعَميرة معهم، قد وكَّل به أبجرُ أخاه حُرْفصة[2] بن جابر . فقال له عَميرة : لو رجعْتُ إلى أهلى فاحتملتُهم ؟ فقال حُرْفصة[2] : افعل . فكَرَّ عَميرة على ناقته ، ثم نكل[3] عن الجيش ، فسار يومين وليلة حتى أتى بنى يربوع فأنذرهم الجيش . فاجتمعوا حتى التقوا بأسفل ذى طُلوح . فأوّل ما كان فارس طَلَع عليهم عَميرة ، فنادى : يا أبجر ، هَلُمّ . فقال : مَن أنت ؟ قال : أنا عَميرة . فكذّبه ، فَسفر عن وجهه ، فعرفه فأقبل إليه . والتقت الخيلُ بالخيل . فأُسر الجيشُ إلا أقلَّهم ، وأُسر حَنظلةُ بن بشر بن عمرو بن عُدس بن زَيد بن عبد الله ابن دارمَ . وكان فى بنى يَربوع الحوفزانَ بن شَريك ، وأخذه معه مُكَبَّلا . وأُخذ [ابنُ] طارق سَوادَةَ بن[يزيد بن] بُجير بن غَنْم ، عَمّ أبجر[4] . وأُخذ ابن عَنَمة الضَّبى الشاعر ، وكان مع بنى شيبان ، فافتكه مُتَمّم بن نويرة . فقال ابن عَنَمة يَمدح مُتمّم بن نُويرة :

جَزى اللهُ ربُّ الناس عنّى مُتَمِّماً ... بخَيرِ جزاء ما أعفَّ وأمجدَا
أُجيرتْ به آباؤنا وبَناتُنا[5] ... وشارَك فى إطلاقنا وتفرَّدا
أبا نَهْشَل إنّى لكم غيرُ كافرٍ ... ولا جاعلٌ من دونك المالَ مُوْصدا[6]

وأُسر سُويد بن الحوفزان ، وأُسر أسود وفَلْحس[7] ، وهما من بنى سَعد[8] بن

(١) انظر الحاشية (رقم٢ ص١٨٢) من هذا الجزء ، و (ص ١٨٥) .
(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « حرفشة » .
(٣) فى بعض الأصول : « مطل » . وفى بعض آخر : « بكر على » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « أخوه » . أو « أخاه » . والعبارة فى النقائض : « أخذه ابن أرقم فانتزعه عميرة بن طارق » .
(٥) فى النقائض : « أبناؤنا ودماؤنا » .
(٦) كذا فى ن والنقائض . والذى فى سائر الأصول : «مرصدا» .
(٧) فى النقائض : « سعد بن فلحس » . (٧) فى بعض الأصول : «سعيد» .

همّام . فقال جرير فى ذلك يذكر يوم ذى طُلوح :

ولمّا لَقِينا خيلَ أبجرَ يَدّعى[١] بدَعْوى لُجيم غيرَ[٢] مِيل العوَاتقِ
صَبرنا وكان الصبرُ منّا سَجِيّةً بأسيافنا تحت الظِّلال الخَوافق ٨٤/٣
فلما رَأَوا أن لا هوادةَ عِنْدنا[٣] دَعَوْا بعد كَربٍ يا عُميرَ بن طارق

يوم الحائر

وهو يوم مَلْهَم[٤] . لبنى يربوع على بكر

وذلك أن أبا مُليل[٥] عبدالله[٦] بن الحارث بن عاصم بن حُميد[٧] وعَلْقمة أخاه ، انطلقا يطلبان إبلاً لهما حتى وردا مَلْهم ، من أرض اليمامة . فخرج عليهما نَفر من بنى يَشْكر ، فقتلوا علقمة وأخذوا أبا مُليل[٨] . فكان عندهم ماشاء الله ، ثم خلّوا سبيلَه وأخذوا عليه عهداً وميثاقا أن لا يُخبر بأمر أخيه أحداً . فأتى قومَه فسألوه عن أمر أخيه فلم يُخبرهم . فقال وَبَرة بن حمزة : هذا رجل قد أُخذ عليه عَهد وميثاق . فخرجوا يَقُصّون أثرَه ، ورئيسُهم شِهاب بن عبد القيس ، حتى وردوا مَلْهم . فلما رآهم أهلُ مَلْهم تحصّنوا . فحرقت بنو يَربوع بعضَ زرعهم وَعقروا بعضَ نَخلهم . فلما رأى ذلك القوم نزلوا إليهم فقاتلوهم ، فهُزمت بنو يشكر ، وقُتل عمرو بن صابر[٩] صَبْراً ، ضَربوا عُنقه ، وقَتل عُتَيبة بن الحارث بن

(١) فى الديوان : « أعلنوا » .
(٢) فى الأصول : « قبل » . وما أثبتنا من الديوان .
(٣) فى الديوان : « بيننا » .
(٤) ملهم (بالفتح ثم السكون وفتح الهاء) : قرية باليمامة لبنى يشكر وأخلاط من بنى بكر ، وهى موصوفة بكثرة النخل . والحائر : الحوض يصب إليه مسيل الماء من الأمطار ؛ وهذا حائر ملهم . (انظر معجم البلدان) .
(٥) كذا فى ن والأغانى والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « أبا مليك » .
(٦) فى بعض الأصول : « عبيد » .
(٧) فى ن : « عبيد » .
(٨) انظر الحاشية (رقم ٥) من هذه الصفحة .
(٩) فى بعض الأصول : « عمرو بن ضابىء » .

شهاب(١) مُثَلَّمَ بن عُبيد(٢) بن عمرو ، رجلاً آخر منهم ، وقتل مالكُ بن نُويرة حُمرانَ بن عبد الله ، وقال :

طَلبنا بيومٍ مثلِ يومك عَلقَماَ ... لَعمرى لمَن يَسعى بها كان أكرمَا
قَتلنا بجَنب العِرْض(٣) عمرَو بن صابر ... وحُمْران أقصدناهما والمُثلَّما
فلله عَينا مَن رأى مثلَ خَيْلنا ... وما أدركت من خَيلهم يوم(٤) مَلْهما

يوم القحقح(٥)

وهو يوم مالة . لبنى يربوع على بنى بكر

أغارت بنو [أبى] ربيعة بن ذُهل بن شَيبان على بنى يربوع ، ورئيسهم المَجَبَّة ابن [أبى] ربيعة بن ذُهل ، فأخذوا إبلاً لعاصمِ بن قُرط ، أحد بنى عُبيد(٦) ، وانطلقوا . فطلبهم بنو يربوع فناوشوهم ، فكانت الدائرة على بنى [أبى] ربيعة . وقَتل المِنْهالُ بن عِصْمة المَجَبَّةَ بن [أبى] ربيعة . فقال فى ذلك أبن نَمْران(٧) الرِّياحىّ :

وإذا لقيتَ القومَ فاطعَن فيهمُ ... يومَ اللقــاء كطَعنة المِنْهالِ
تَرك المَجَبَّةَ للضِّباع مُنكَّساً ... والقومُ بين سَوافلٍ وعَوالى

يوم رأس العين

لبنى يربوع على بكر

أغارت طوائفُ من بنى يربوع على بنى أبى رَبيعة برأس العَيْن ، فاطردوا

(١) فى بعض الأصول : « عيينة بن الحارث بن شهاب بن مثلم » .
(٢) فى بعض الأصول : « عبدعمرو » .
(٣) فى أكثر الأصول : « العرمى » . وما أثبتنا من ن والبكرى (ص ٦٥٤) . ومعجم البلدان . والعرض (بالكسر) : واد باليمامة .
(٤) كذا فى ن . والتى فى سائر الأصول : « مثل » .
(٥) قحقح ، بالقافين المضمومتين .
(٦) فى أكثر الأصول : حيد » . وما أثبتنا من ن والنقائض والطبرى .
(٧) هو حشيش (فى النقائض : جشيش) . بن نمران ، كما فى معجم البلدان لياقوت (٤ : ٣٨) . والتى فى أكثر الأصول : «ابن نمراز » .

النَّمِر . فاتبعهم مُعاوية بن فِراس في بني أبي ربيعة فأدركوهم ، فقُتل معاويةُ ابن فِراس وفاتوا بالإبل . وقال سُحيم في ذلك :

أليس الأكرمونُ بنو رِياحٍ   نَمَوْني منهمُ عمّي وخالِي
همُ قتلوا المَجَبّه وابنَ تَيمٍ   تَنوح عليهما سُود الليالي[1]
وهُم قتلوا عَميد بني فِراسٍ   برأس العَين في الحِجَج الخَوالي
وذادوا يومَ طِخْفةَ[2] عن حِماهم   ذِيادَ غَرائبِ الإبل النِّهالِ

يوم المُظالي[3]

لبني يربوع على بكر

قال أبو عُبيدة : وهو يوم أعشاش[4] ، ويوم الأُفاقة[5] ، ويوم الإياد[6] ، ويوم مُليحة[7] .

قال : وكانت بكر بن وائل تحت يدِ كسرى وفارس ، وكانوا يُجيرونهم ويُجهزونهم ، فأقبلوا من عند عامل عَين التَّمْر[8] في ثلاثمائة فارسٍ مُتساندين يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن ، وكانوا يَشْتُون[9]

(١) في ن : « اللآلي » .
(٢) طخفة (بالكسر ، ويروى بالفتح) : موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة . (انظر معجم البلدان) .
(٣) المظالي ، بعين مضمومة غير معجمة والظاء المنقوطة ، سمي بذلك لأن الناس فيه ركب بعضهم . وقيل بل ركب الاثنان والثلاثة فيه الدابة الواحدة . انظر معجم البلدان)
(٤) أعشاش : موضع في بلاد بني تميم ، لبني يربوع بن حنظلة : (انظر معجم البلدان).
(٥) الأفاقة ، بضم الهمزة : ماء لبني يربوع .
(٦) الإياد ، بالكسر : موضع بالحزن لبني يربوع ، بين الكوفة وفيد .
(٧) مليحة : موضع في بلاد بني تميم .
(٨) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، بقربها موضع يقال له شفاثا . منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد ، وهو بها كثير جدا . (انظر معجم البلدان) .
(٩) في ن : « يتشتون » ، وهما بمعنى . يقال : شتا بالبلد وشتى (بالتضعيف) وتشتى ، إذا أقام به شتاء .

خُفافا[١] ، فإذا انقطع الشتاء انحدروا إلى الحَزْن . قال : فاحتمل بنو عُتيبة[٢] وبنو عُبيد و بنو زُبيد، من بنى سَليط ،من أول الحىّ حتى أسهلوا[٣] ببطن مُليحة[٤]، ٨٥ / ٣ فطلعت بنو زُبيد فى الحَزن حتى حَلّوا[٥] الحُدَيقة[٦] والأُفاقة[٧]، وحلّت بنو عُتيبة و بنو عُبيد بيَمين بروضة الثَّمَد[٨] . قال : وأقبل الجيشُ حتى نزلوا هَضْبة الخَصِىّ[٩]، ثم بعثوا رئيسَهم . فصادفوا غلاماً شابًّا من بنى عُبيد ، يقال له : قُرط بن أَضبط ، فعرفه بِسْطام ، وقد كان عرف عامة غلمان بنى ثعلبة حين أسره عُتيبة — قال : وقال سَلِيط : بل هو المُطَوَّح بن قِرْواش — فقال له بسطام : أخبرنى ماذاك السواد الذى أرى بالحُديقة ؟ قال : هم بنو زُبيد . قال : أفيهم أَسِيد بن حِنَّاءة[١٠] ؟ قال: نعم . قال : كم هُم ؟ قال : خمسون بيتاً ، قال: فأين بنو عُتيبة وأين بنو أَزْنم[١١] ؟ قال : نَزَلوا رَوْضة الثَّمَد . قال: فأين سائر الناس ؟ قال : هم مُحتجزون بخُفاف . قال : فمن هُناك من بنى عاصم ؟ قال : الأُحيمر ، وقَعنب ومَعْدان ، ابنا عِصْمةُ . قال : فمن فيهم من بنى الحارث بن عاصم ؟ قال : حُصَين بن عبد الله . فقال بِسطام لقومه[١٢] : أَطيعونى تَقْبضوا على هذا الحىّ من بنى زُبيد وتُصبحوا سالمين غانمين . قالوا : وما يُغنى عنّا بنو زُبيد ، لا يَرُدّون رِحْلتنا .

---

(١) كذا فى الأصول ومعجم مااستعجم . وخفاف ، بضم أوله : من مياه عمرو بن كلاب بحمى ضرية . (انظر معجم البلدان) . والذى فى النقائض : « جفاف » ، بالجيم المضمومة ، وهو ماء لبنى جعفر ، وصقع فى بلاد بنى أسد .

(٢) فى الأصول هنا : « بنو عيينة وبنو عبيدة » . وما أثبتنا مما سيأتى بعد والنقائض وابن الأثير .

(٣) فى بعض الأصول : « استهلوا » .

(٤) انظر الحاشية (رقم ٧ ص ١٩٢) من هذا الجزء .

(٥) فى ن : « وخلوا » .

(٦) الحديقة : موضع فى قلة الحزن .

(٧) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ١٩٢) من هذا الجزء . والذى فى ن : بالأفاقة » .

(٨) روضة الثمد : ببطن مليحة .

(٩) الخصى : موضع فى أرض بنى يربوع بين أفاق وأفيق . (انظر معجم البلدان) .

(١٠) كذا فى ن والنقائض . والذى فى الأغانى (١٦ : ٨٧) : « جنادة » . والذى فى ابن الأثير : « جبأة » .

(١١) كذا فى ن والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « ريم » .

(١٢) فى ن : « لأصحابه » .

قال : إن السلامة إحدى الغَنيمتين . فقال له مَفْروق : انتفخ سَحْرك[١] يا أبا الصَّهباء . وقال له هانىء : أَجُبْناً ! فقال لهم : ويلكم ، إن أَسيدا لم يُظِلّه بيتٌ قطُّ شاتياً ولا قائظا ، إنما بيته القفر ، فإذا أحسَّ بكم أحال على الشَّقراء فرَكض حتى يُشرف على مُليحة ، فينادي : يااليربوع ، فتركب ؛ فيلقاكم طَعن يُنسيكم الغنيمة ، ولا يُبصر أحدُكم مصرعَ صاحبه ، وقد جَبَّنْتُمونى ، وأنا أتابعكم ، وقد أَخبرتُكم ما أنتم لاقون غداً . فقالوا : نَلتقط بنى زُبيد ثم نَلتقط بنى عُبيد وبنى عُتيبة ، كما تُلتقط الكَمْأة ، ونَبعث فارسين فيكونان بطريق أَسيد فيحولان بينه وبين يَرْبوع ، ففعلوا . فلما أحسَّ بهم أَسيد رَكب الشَّقراء ، ثم خَرج نحو بنى يَربوع . فابتدره الفارسان ، فطعن أحدَهما ، فألقى نفسه فى شِقّ فأخطأه ، ثم كَرّ راجعاً حتى أشرف على مُليحة ، فنادى : يا صباحاه ، يااليربوع ، غُشيتم . فتلاحقت الخَيلُ حتى توافَوْا بالعُظَالى ، فاقتتلوا ، فكانت الدائرة على بنى بكر ، قُتل منهم : مَفروق بن عمرو ، فدُفن بثَنيّة يقال لها ثَنيّة مَفروق ، والمُقاعس الشَّيبانى ، وزُهير بن الحَزَوّر[٢] الشَّيبانى ، وعمرو بن الحَزَوّر[٢] الشَّيبانى ، والهَيْثم بن المِقعاس[٣] ، وعُمير بن الوَدّاك[٤] ، والضُّريس . وأما بِسْطام ، فألحّ عليه فارسان من بنى يَربوع ، وكان دارعاً[٥] على ذات النُّسوع[٦] ، وكانت إذا أَجدَّت[٧] لم يتعلّق بها شىء من خيلهم ، وإذا أَوْعثت[٨] كادوا يَلْحقونها ، فلما رأى ثِقل دِرْعه وَضعها بين يديه على

(١) السحر : ما التزق بالحلقوم والمرىء من أعلى الرئة ، يقال للجبان : ملأ الخوف جوفه فانتفخ السحر .
(٢) فى بعض الأصول والنقائض : « الحرور » .
(٣) كذا فى النقائض . وفى ن : « والرمس بن المقعاس » . والذى فى سائر الأصول : « والنمس بن القاعس » .
(٤) فى بعض الأصول : « الوراك » . (٥) دارع : عليه درعه .
(٦) ذات النسوع : فرس بسطام .
(٧) أجدت : سلكت الجدد ، وهى الأرض الغليظة المستوية . وفى بعض الأصول : « أجردت » .
(٨) أوعثت : سلكت الوعث ، وهو المكان السهل تغيب فيه الأقدام .

القَرَبُوس[١] وكَرِه أن يَرْمى بها، وخاف أن يُلحق فى الوَعث. فلم يزل ديدَنَه وديدنُ طالبيه[٢] حتى حَمِيت الشمسُ وخاف اللَّحاق، فمرّ بوِجار ضَبُع، فرمى الدِّرع فيه[٣]، فدَّ بعضُها بعضا حتى غابت فى الوِجار. فلما خفّف عن الفرس نَشِطت ففاتت الطَّلب، وكان آخر مَن أتى قومَه، وكان قد رَجع إلى دِرعه لمّا رجع عنه القومُ فأخذها. فقال العوّام [بن شَوْذب الشيبانى] فى بِسْطام وأصحابه:

إنْ يكُ فى يومِ[٤] الغَبيط مَلامَةٌ ... فيومُ[٥] العُظالى كان أخزَى وألْوما

أناخُوا يُريدون الصَّباح فصَبَّحوا ... وكانوا[٦] على الغازين دَعْوة أشْأما[٧]

فررتُم ولم تُلْووا على مُجْحَريكم ... لو الحارثُ الحرَّاب[٨] يُدّعى لأقْدَما

ولو أنّ بِسْطاما أُطيع لأمره ... لأدّى[٩] إلى الأحياء بالحِنْو[١٠] مَغْنَما

فَفَرّ أبو الصَّهباء إذ حَمِى[١١] الوَغى ... وألْقَى بأَبدان السِّلاح وسَلَّما

وأَيقن أنّ الخيلَ إنْ تَلْتبس به ... يَعُد غانماً[١٢] أو يَمْلأ البيتَ مأتَما

٨٦/٣ ولو أنها عُصفورة لحسبتَها ... مُسوَّمة تدعو عُبَيْداً وأزْنَما[١٣]

---

(١) القربوس: حنو السرج.

(٢) فى ن: «القوم».

(٣) فى بعض الأصول: «فيها».

(٤) فى بعض الأصول: «فى جيش».

(٥) فى بعض الأصول: «لجيش».

(٦) فى بعض الأصول: «فكانت على الغادين عدوة».

(٧) رواية البيت فى اللسان (عظل وغبط):

إن تك فى يوم الغبيط ملامة ... فيوم العظالى كان أخزى وألوما

وقد جاء فى تعليق على المخصص (١٥: ٢٠٢): «وأخطأ أيضا كخطأ الميدانى فى رواية بيت العوام المذكور». ثم أورد البيت كما أورده اللسان. ثم قال: «فقدم المتأخر وأخر المتقدم».

(٨) كذا فى ن. وفى بعض الأصول: «المقدام» مكان «الحراب» وهو الحوفزان. والذى فى سائر الأصول: «كرائحة الحرات».

(٩) فى بعض الأصول: «لا دعى» تحريف.

(١٠) كذا فى ن والنقائض. وفى بعض الأصول: «بالنحو». والذى فى سائر الأصول: «بالحور».

(١١) فى بعض الأصول: «حس».

(١٢) فى النقائض: «ثم عرسه». (١٣) أزنم: بطن من بنى يربوع.

أَبَى لك قَيدٌ بالغَبيط لقاءهم ويومُ العُظالى إن فخرتَ[1] مُكلَّما
فأفلتَ بسطامٌ جَريضاً بنفسه وغادَر فى كَرْشاء لَدْناً مُقوّما[2]
وفاظ أسـيراً هانئٌ وكأنما مَفارِقُ مَفْرُوقٍ تَغشَّين عَنْدَما[3]

قال : ثم إن هانئاً فَدَى نفسَه وأسرى قومِه ، فقال العوّام فى ذلك :

إنّ الفَتى هانئاً لاقَى بشِكّته ولم يَخِم عن قِتال القَوْم إذ نَزَلا
ثُمت سارَع فى الأَسْرى ففَكّهمُ حامِى الذّمار حقيقٌ بالذى فَعلا

يوم الغبيط[4]

لبنى يربوع على بنى بكر

قال أبو عُبيدة : يقال لهذا اليوم : يوم الغبيط ويوم الثَّعالب . والثعالب : أسْماء قبائل اجتمعت فيه ، ويقال له : يوم صَحْراء فَلْج[5] ، وقال أبو عُبيدة: حدّثنى سَليط بن سَعْد وزَبّان[6] الصُّبيرىّ وجَهْم بن حَسّان السَّليطىّ ، قالوا[7] : غزا بِسْطام بن قَيس ، ومَفْروق بن عَمرو ، والحارث بن شَريك ، وهو الحَوْفزان ، بلادَ بنى تَميم — وهذا اليومُ قبلَ يوم العُظالى[8] — فأغاروا على بنى ثَعلبة بن يَرْبوع ، وثعلبة بن سَعد بن ضبة ، وثعلبة بن عدىّ بن فزارة ، وثعلبة بن سعد بن ذُبيان . فلذلك قيل له يوم الثَّعالب ، وكان هؤلاء جميعا مُتجاورين بصَحراء فَلج ، فاقتتلوا ، فانْهزمت الثعالبُ فأصابوا فيهم واستاقوا إبلاً من نَعمهم . ولم يَشهد عُتيبةُ بن الحارث بن شِهاب هذه الوَقْعة ، لأنّه كان نازلاً يومئذ فى بنى

(١) فى بعض الأصول : « إذ نجوت » .
(٢) جريضا بنفسه ، أى قد بلغت روحه الحلق . وكرشاء : هو كرشاء بن عمرو الشيبانى .
(٣) مفروق ، هو مفروق بن عمرو الشيبانى . والعندم : صبغ أحمر . يريد دما .
(٤) الغبيط ، ويسمى غبيط المدرة : أرض لبنى يربوع .
(٥) فلج : واد لبنى العنبر بن عمرو بن تميم ، يقع أول الدهناء . (انظر معجم البلدان) .
(٦) كذا فى ن والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « رباب » .
(٧) فى بعض الأصول : « قال » .
(٨) انظر الحاشية (رقم ٣ ص ١٩٢) من هذا الجزء .

مالك بن حَنظلة ، ثم أمترُّوا[١] على بنى مالك ، وهم بين صحراء فَلج و بين الغَبيط ، فا كتسحوا إبلَهم . فركبتْ عليهم بنومالك ، فيهم عُتيبة بن الحارث بن شِهاب ، ومعه فُرسان من بنى يَربوع تأثَّفَهُم — أى صاروا لهم مثل الأثافى للرَّماد[٢] — وتألّف إليهم الأُحيمر بن عَبدالله ، والأَسيد بن حِنَّاءة[٣] ، وأبو مَرْحب ، وجَزْء بن سعد الرِّياحى ، وهو رئيس بنى يَربوع ، ور بيع والحُلَيس وعُمارة ، بنو عُتيبة ابن الحارث ، ومَعْدان وعِصْمة ، ابنا قعنب ، ومالك بن نُويرة ، والمِنهال بن عِصْمة ، أحد بنى رِياح بن يَربوع ، وهو الذى يقول فيه مُتمِّم بن نويرة فى شعره الذى يَرثى فيه مالكاً أخاه :

لقد غَيَّب المنهالُ تحت لِوائه فتًى غيرَ مِبطان العَشيَّة أرْوعَا[٤]

فأدركوهم بغَبيط المَدَرة[٥] ، فقاتلوهم حتى هزَموهم . وأدركوا ما كانوا أستاقوا من أموالهم . وألحّ عُتيبة وأَسيد والأُحيمر على بسطام ، فلحقه عُتيبة ، فقال : أسْتأْسِر لى يا أبا الصَّهباء . فقال : ومَن أنت ؟ قال : أنا عُتيبة ، وأنا خيرٌ لك من الفَلاة والعَطش . فأسره عُتيبة ، ونادى القومُ بِجَادا[٦] ، أخا بسطام : كُرَّ على أخيك ، وهم يرجون أنْ يأسروه . فناداه بِسْطام : إن كَرَرت فأنا حَنيف[٧] .

وكان بِسْطام نَصْرانيًّا ، فلحق بِجَادٌ بقومه . فلم يزل بسطام عند عُتيبة حتى فادى نَفْسه .

قال أبو عُبيدة : فزعم أبو عمرو بن العلاء أنه فَدى نفسَه بأربعمائة بَعير

(١) كذا فى ن واللسان (مر) . وامتر به وعليه ، كر . والذى فى سائر الأصول : « انتزوا » .
(٢) فى ى : « تتبعهم وتحوطهم مثل ما تحوط الأثافى الرماد » .
(٣) انظر الحاشية رقم ١٠ ص١٩٣ من هذا الجزء .
(٤) المبطان : الضخم البطن من كثرة الأكل . ورواية البيت فى ن : « لقد كفن ... تحت ردائه : ... مبطان العشيات » . وهى رواية الأغانى (١٤ : ٦٨) والمفضليات .
(٥) غبيط المدرة : أرض لبنى يربوع .
(٦) كذا فى ن والنقائض والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « نجاد » بالنون .
(٧) الحنيف : الذى يتحنف فى الأديان .

وثلاثين فرساً — ولم يكن عربىٌّ عُكاظىّ أعلى فداء منه — على أنْ جزَّ ناصيَته وعاهده أنْ لا يغزو بنى شِهاب[١] أبدا . فقال عُتيبة بن الحارث بن شِهاب :

أبْلغ سَرَاة بنى شَيْبان مألُكةً أنّى أبأتُ بعَبد الله بِسْطاما[٢]
قاظَ الشَّرَبَّةَ فى قَيْد وسِلْسلة[٣] صوتُ الحـديد يُغنِّيه إذا قاما

٨٧ / ٣

يوم مخطط

لبنى يربوع على بكر

قال أبو عُبيدة : غزا بِسْطام بن قيس والحَوْفزان، و [هو] الحارث، مُتساندين يقودان بكر بن وائل حتى وَردوا على بنى يَرْبوع بالفِرْدَوس[٤] ، وهو بَطْن لإياد ، وبينه وبين مُخطّط ليلة ، وقد نذرتْ بهم بنو يَربوع ، فالتقوا بالمُخطّط فاقتتلوا. فانْهزمت بكرُ بن وائل وهَربَ الحَوفزان وبِسطام فقاتا رَكْضًا . وقُتل شريكُ ابن الحوفزان ، قتَله شِهابُ بن الحارث أخو عُتيبة ، وأُسر الأُحيمرُ بن عبد الله ابن الضُّريس الشَّيبانى . فقال فى ذلك مالكُ بن نُويرة ، ولم يَشهد هذا اليوم :

إلاّ أكُن لاقيتُ يومَ مُخطّط فقد خَبَّر الرُّكبان ما أتودَّدُ
بأفناء[٥] حَىّ مِن قبائلِ مالكٍ وعَمرو بن يَربوع أقامُوا فأَخْلدوا
فقال الرئيسُ الحَوفزان تَبيَّنوا[٦] بنى الحِصْن قدشارفتم ثم حَرِّدوا[٧]

(١) بنو شهاب : قوم عتيبة .
(٢) المألكة : الرسالة : وأبأته به ، أى عاقبته به ؛ يقال : أبأت فلانا بفلان ، إذا قتلته به .
(٣) كذا فى ن والنقائض . وقاظ الشربة : أقام بها زمن القيظ . والشربة : موضع بين السليلة والربذة . والذى فى سائر الأصول : « إنى أسرته » مكان : « قاظ الشربة » .
(٤) فردوس : روضة دون اليمامة فى بلاد بنى يربوع . (انظر معجم البلدان) .
(٥) كذا فى ن . والذى فى سائر الاصول : « بأبناء » .
(٦) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « تكتبوا » .
(٧) حردوا : اقصدوا .

فما فَتِئوا حتى رَأَوْنا كأنّنا   مع الصُّبح آذِيٌّ من البحر مُزْبِد[١]
بمَلْمومة شَهْباء يُبرق خالُها   ترى الشمس فيها حين دارتْ تَوَقَّدُ[٢]
فما بَرِحوا حتّى عَلَتْهم كتائبٌ   إذا طُعنت فرسانُها لا تُعَرِّدُ[٣]
فأقررتُ عينى يومَ ظَلُّوا كأنَّهم   ببَطْن الغَبيط خُشْبُ أَثْل مُسَنَّد
صَريعٌ عليه الطيرُ يَحْجِل فوقَه   وآخرُ مَكبولُ اليَدين مُقَيَّد
وكان لهم فى أهلهم ونِسائهم   مَبِيتٌ ولم يَدْرُوا بما يُحدث الغَد
وقد كان لابن الحوفزان لو انتهى   شَريكٌ وبِسطام عن الشر مَقْعد

يوم جدود[٤]

غزا الحوفزان، وهو الحارث بن شريك، فأغار على مَن بالقاعة[٥] من بنى سَعد بن زَيد مناة، فأخذ نَعَما كثيرا؛ وسَبى فيهنّ الزَّرقاء، من بنى ربيع بن الحارث، فأُعجب بها وأعجبت به، وكانت خَرقاء، فلم يَتَمالك أن وَقع بها. فلما انتهى إلى جَدود مَنعتهمْ بنو يربوع بن حَنظلة أن يَرِدُوا الماء، ورئيسُهم عُتيبة بن الحارث بن شهاب، فقاتلوهم. فلم يكن لبنى بكر بهم يدٌ، فصالحوهم على أن يُعطوا بنى يربوع بعضَ غنائمهم، على أن يُخلوهم يَردوا الماء، فقَبلوا ذلك وأجازوهم.

فبلغ ذلك بنى سَعد، فقال قيسُ بن عاصم فى ذلك:

جَزَى اللهُ يَرْبوعاً بأسوأ سَعْيها[٦]   إذا ذُكرت فى النّائبات أُمورُها

(١) الآذى: الموج الشديد.
(٢) ملمومة، أى كتيبة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. وشهباء، لما فيها من بياض السلاح، والحديد فى حال السواد.
(٣) لا تعرد: لا تفر.
(٤) جدود، بالفتح: اسم موضع فى أرض بنى تميم قريب من حزن بنى يربوع على سمت اليمامة، فيه الماء الذى يقال له الكلاب. وكانت فيه وقعتان مشهورتان من أعرف أيام العرب. (انظر معجم البلدان).
(٥) القاعة: من بلاد سعد بن زيد مناة بن تميم، قبل يبرين.
(٦) فى معجم البلدان: «صنعها».

ويوم جَــدُود قد فَضَحتم أباكمُ ... وسالمتمُ والخيلُ تَدْمى نُحورُها

فأجابه مالك :

سأسألُ مَن لاَقى فوارسَ مُنْقذٍ ... رِقابَ إماء كيف كان نَــكيرُها

ولما أتى الصريخُ بنى سعد رَكب قيسُ بن عاصم فى إثْر القوم حتى أدْركهم بالأَشْيَمَيْن[١]، فألحّ قيسٌ على الحَوْفزان ، وقد حمل الزَّرقاء . وكان الحَوْفزان قد خرج فى طَليعةٍ ، فلقيه قيسُ بن عاصم فسأله : مَن هو ؟ فقال : لا تَــكاتَم اليوم ، أنا الحَوْفزان ، فمن أنت ؟ قال: أنا أبو علىّ ، ومَضى . ورجع الحوفزان إلى أصحابه ، فقال : لقيتُ رجلًا أزرق كأنّ لحْيته ضَريبة صُوف[٢] ، فقال : أنا أبو علىّ . فقالت عجوز من السَّبى : بأَبى أبو علىّ ، ومَن لنا بأَبى علىّ ؟ فقال لها : ومن أبو علىّ ؟ قالت : قَيس بنُ عاصم . فقال لأصحابه : النَّجاء ، وأردف الزَّرقاء خلفه وهو على فرسه الزَّبِد ، وعَقد شَعرها إلى صَدره ونجا بها . وكانت فرسُ قيس إذا أَوْعثت[٣] قَصَّرت[٤] وتَمطَّر عليها الزَّبد . فلما أجدَّت[٥] لحقت بحيث تكلّم الحوفزان . فقال ٨٨/٣ قيس له : يا أبا حِمار[٦] ، أنا خيرٌ لك من الفلاة والعَطَش . قال له الحوفزان : ما شاءت الزَّبد . فلما رأى قيس أنّ فرسه لا تَلحقه نادى الزرقاء ، فقال : مِيلى به ياجَمار . فلما سَمِعه الحوفزان دَفعها بمرفقه وجَزّ قُرونها بسيفه . فلما ألقاها عن عَجز فرسه . وخاف قيس ألاّ يَلحقَه ، فنَجله بالرُّمح فى خُرابة[٧] وَرِكه ، فلم

(١) كذا فى ن . والأشيمان : فى بلاد بنى سعد بالبحرين دون هجر . (انظر معجم البلدان) . والذى فى سائر الأصول : بالأشمسين » .
(٢) الضريبة : القطعة .
(٣) أوعثت : وقعت فى الوعث ، وهو المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام .
(٤) فى بعض الأصول : « وتضرب » .
(٥) أجدت : سلكت الجدد ، وهو ما استرق من الرمل .
(٦) فى ن : « يا أبا حاد» .
(٧) نجله : طعنه . وخرابة الورك ، بالضم وقد تشدد : ثقب رأس الورك . وفى بعض الأصول : « خزانة » .

يُقْصِده وعرّج عنها . وردّ قيس الزرقاء إلى بنى الرّبيع . فقال سَوّار[١] بن حَيّان الْمِنقرىّ :

ونَحن حَفَزنا الحَوفزانَ بطَعْنةٍ ... تَمُجُّ نَجيعاً من دم الجوف أشكلَا[٢]

يوم سفوان[٣]

قال أبو عُبيدة : اُلتقت بنو مازن وبنو شَيبان على ماء يقال له سَفَوَان ، فزعمت بنو شَيبان أنه لهم ، وأرادوا أن يُجْلوا تميماً عنه ، فاقتتلوا قتالاً شديدا ، فظهرتْ عليهم بنو تَميم وذادوهم[٤] حتى وردوا المُحْدَث[٥] ، وكانوا يتواعدون بنى مازن قبلَ ذلك ، فقال فى ذلك وَدّاك[٦] المازنىّ :

رُوَيْداً بنى شَيْبان بعضَ وَعيدكم ... تُلاقُوا غـداً خَيْلى على سَفَوَانِ
تُلاقُوا جياداً لا تَحيد عن الوَغَى ... إذا الخيلُ جالت فى القَنا المُتدانِى[٧]
عَليها الـكُماة الغرُّ من آل مازنٍ ... لُيوث[٨] طِعان كُلَّ يوم[٩] طِعان
تُلاقُوهمُ فتَعْرِفوا كيف صَـبْرُهم ... على ما جَنت فيهم يدُ الحَدَثان
مَقاديم وصّالون فى الرَّوْعِ خَطْوَهم ... بكُل رَقيق الشَّفْرتين يَمانِى

(١) كذا فى ن والنقائض والأغانى . والذى فى سائر الأصول : « سويد » .
(٢) حفزنا : طعنا . وأشكل : أحمر . وقد نسب البيت فى اللسان (حفز) لجرير . وقال : « وأما قول الآخر :
ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف آنيا
فهو للأهتم بن سمى المنقرى » .
(٣) سفوان (بفتح أوله وثانيه) : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة . (انظر معجم البلدان) .
(٤) فى ن : « وشأوهم » .
(٥) المحدث (بضم الميم ، وقبل بفتحها) : ماء .
(٦) كذا فى ن وشرح الحماسة للتبريزى . وهو وداك بن ثميل المازنى . وفى معجم ما استعجم (ص٧٨٨) : « وراد » . والذى فى سائر الأصول : «الودان» .
(٧) فى شرح الحماسة : « إذا ما غدت فى المأزق المتدانى » .
(٨) فى بعض الأصول : «أولات» . وما أثبتنا من سائر الأصول والحماسة .
(٩) فى الحماسة : «عند كل» .

إذا استُنجدوا لم يَسألوا مَن دعاهمُ لأية حَرْب أم لأىّ[١] مَكان

يوم السلى[٢]

قال أبو عُبيدة : كان من حديث يوم السُّلَىّ أن بنى مازن أغارت على بنى يَشكُر فأصابوا منهم ، وشدّ زاهرُ بن عبد الله بن مالك على تَيم بن ثعلبة اليَشْكرى فقتله ، فقال فى ذلك :

لله تَيمٌ أىُّ رُمحِ طِرَادِ لاقى الحِمَامَ وأىُّ نَصْلِ جِلَادِ
ومِحَشّ حَرْب مُقدم متعرّض للموت غَيرِ مُعرِّد حَيَّادِ[٣]

وقال حاجب بن ذُبْيان[٤] المازنى :

سَلِى يَشْكُراً عنّى وأبناء وائل لَهَازِمَها طُرًّا وجَمْعَ الأراقِمِ
ألم تَعلمى أنّا إذا الحربُ شمّرت يَمامٌ على أعدائنا فى الحلاقِمِ
عُتاةٌ قُراةٌ فى الشّتاء مَساعِرٌ حُماةٌ كُماةٌ كالليوث الضّراغمِ
بأيديهمُ سُمْرٌ من الخطّ لَدْنةٌ و بيضٌ تُجَلّى عن فِراخ الجماجمِ
أولئك قومٌ إن فخرتُ بعزّهم فخرتُ بعزٍّ فى اللّهى والغَلاصمِ[٥]
همُ أنزلوا يومَ السُّلَىّ عزيزَها بسُمْرِ العَوالِي والسُّيوف الصّوارمِ

يوم نقا[٦] الحسن

وهو يوم الشّقيفة — لبنى ضبة على بنى شيبان

قال أبو عُبيدة : غزا بسطامُ بن قيس بن مَسعود بن قيس بن خالد ، وقيسُ بن مسعود ، وهو ذو الجدَّين ، وأخوه السّليلُ بن قيس بن ضَبّة بن أدّ

(١) فى الحماسة : « بأى » .
(٢) السلى ، بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد يائه ، وقيل غير ذلك . (انظر معجم البلدان) .
(٣) محش حرب : موقد نارها ومؤرثها . والمعرد : الذى ينكل عن قرنه ويحجم ويفر .
(٤) كذا فى ن والبكرى (ص ٧٧٧) : والذى فى سائر الأصول : « دينار » .
(٥) اللهى : جمع لهاة ، وهى لحمة حمراء فى الحنك معلقة على عكدة اللسان . والغلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع الناتئ فى الحلق . ويريد بهما السمو فى الشرف والرفعة .
(٦) كذا فى ن ومعجم البلدان . والنقا : القطعة من الرمل محدودبة . والحسن (بفتحتين) : جبل رمل . ونقا الحسن : فى بلاد بنى ضبة . والذى فى سائر الأصول : بلقاء » .

ابن طابخة ، فأغار على ألف بعير لمالك بن المُنْتَفق فيها فَحْلُها قد فَقَأ عينَه ، وفى الإبل مالكُ بن المُنتفق . فركب فرساً له ونجا رَكْضاً ، حتى إذا دنا من قومه نادى : ياصباحاه . فركبتْ بنو ضَبّة ، وتداعت بنو تميم ، فتلاحقوا بالنَّقا[1] . فقال عاصمُ بن خَليفة لرجل من فُرسان قومه : أيّهم رئيس القوم ؟ قال : حاميتُهم صاحبُ الفرس الأدهم — يعنى بِسْطاما — فعلا عاصمٌ عليه بالرُّمح ، فعارضه، حتى إذا كان بحذائه رَمى بالقوس وجمعَ يَدَيه فى رُمحه فطَعنه ، فلم تُخطىء صِماخَ أذنه ، حتى خرج الرمحُ من الناحية الأخرى ، وخرّ على الألاءة — والألاءة : شجرة — فلما رأى ذلك بنو شَيبان خَلَّوا سبيل النَّعم وولّوا الأدبار ، فمِن قَتيل وأَسير . وأسر بنو ثعلبة بِجادَ[2] بن قيس بن مَسعود ، أخا بِسطام، فى سَبعين من بنى شَيبان . فقال ابنُ عَنَمة الضَّبى : وهو مجاور يومئذ فى بنى شَيبان ، يرثى بسطاما ، وخاف أن يقتلوه ، فقال :

لِأُمِّ الأرْضِ ويلٌ ماأَجنَّتْ … بحيثُ أضرَّ بالحَسَن السَّبيلُ[3]
يُقسِّم مالَه فينـــا ويَدْعو … أبا الصَّهباء إذ جَنح الأصيلُ[4]
كأنكِ لم تَرَيْه ولن نَراه … تَخُب به عُـــذافِرةٌ ذَمُول[5]
حَقيبـــة رَحْلها بَدنٌ وسَرْج … تُعارِضها مُربَّبـــة دَءُول[6]
إلى مِيعادِ أرعنَ مُكفهرّ … تُضمَّر فى جوانبـــه الخُيول[7]

(١) فى أكثر الأصول : « بالبلقاء » . تحريف . وما أثبتنا من ن . وانظر الحاشية السابقة (٦ ص ٢٠٢) من هذا الجزء .
(٢) كذا فى ن والنقائض . والذى فى سائر الأصول : « نجاد » .
(٣) الحسن : جبل رمل . وانظر الحاشية (٦ ص ٢٠٢) من هذا الجزء .
(٤) أبو الصهباء : كنية بسطام .
(٥) كذا فى ن . والعذافرة : الغليظة . والذمول : السريعة . والذى فى سائر الأصول : « ولم تريه تخب ... ذيول » .
(٦) الحقيبة : ما يجعل وراء الرحل . والبدن : الدرع . والمربية : السمينة . والدءول ، من الدألان ، وهو نوع من السير .
(٧) الأرعن : الجيش الكثيف كأنه أنف فى الجبل . وتضمر : تعلف القوت القليل .

لكَ المِرْباع منها والصَّفَايَا وحُكْمُكَ والنشيطةُ والفُضول[١]
لقدضَمِنت[٢] بنو زيد بن عمرو ولا يُوفِي بِبِسْطام قَتِيل
نخرٌّ على الآلاءة لم يُوسَّد كأن جَبينه سيفٌ صَقِيل
فإن تَجزع عليه بنو أبيه فقد فُجعوا وحلّ بهم جليل
بمِطْعام إذا الأَشوالُ راحت إلى الحُجَرات ليس لها فَصِيل[٣]

وقال شَمعلة بن الأخضر بن هُبيرة :

ويوم شقائق الحَسَنَيْن لاقتْ بنو شَيبان آجالاً قِصارًا[٤]
شَكَكْنا بالرِّماح وهُن زُور صِمَاخي كَبْشهم حتى استدارا[٥]
وأَوْجرناه أسمرَ ذا كُعوب يُشبِّه طولُه مَسَداً مُغارا[٦]

وقال مُحرز بن المُكَعبر الضَّبي :

أطلقتُ من شَيبان سبعينَ راكباً فآبُوا جميعاً كُلّهم ليس يَشكُر
إذا كنتَ في أَفْناء شَيبان مُنعِماً فجُزّ اللِّحى إنّ النَّواصِيَ تَكفُر
فلا شُكرَهم أبغِي إذا[٧] كنتُ مُنعِما ولا وُدَّهم في آخر الدَّهر أُضمِر

أيام بكر على تميم

يوم الزُّوَيْرين

قال أبو عُبيدة : كانت بكر بن وائل تَنتجع أرضَ تميم في الجاهليّة تَرعى

(١) المرباع : ربع الغينمة ، وكان من حظ الرئيس . والصفايا : جمع صفية ، وهى ما يصطفيه الرئيس من خيار مايغنم . والنشيطة : ما أصابه الجيش فى طريقه قبل أن يصل إلى مقصده . والفضول : ما فضل ولم يقسم .
(٢) فى النقائض : « أفاتته » .
(٣) الأشوال : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها ، وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية فلم يبق فى ضروعها إلا شول من اللبن ، أى بقية .
(٤) الحسنان : كثيبان معروفان فى بلاد بنى ضبة ، يقال لأحدهما الحسن وللآخر الحسين . (انظر معجم البلدان والحاشية رقم ٦ ص ٢٠٢ من هذا الجزء) . والذى فى اللسان (حسن) : « ويوم شقيقة » . (٥) زور : مائلة .
(٦) أوجره الرمح : طعنه به فى فيه . ومغارا : مفتولا . (٧) فى بعض الأصول : « وإن » .

بها إذا أجدبوا . فإذا أرادوا الرُّجوع لم يَدعوا عورةً يُصيبونها ولا شيئا يَظفرون به إلا اكتسحوه. فقالت بنو تميم : أمنعوا هؤلاء القوم من رَعْى أرضكم وما يأتون إليكم . فحُشدت تميم وحُشدت بكر واجتمعت ، فلم يتخلّف منهم إلا الحوفزان ابن شَريك فى أُناس من بنى ذُهل بن شَيبان ، وكان غازيا . فقدّمتْ بكرُ عليهم عَمراً الأصمّ أبا مَفْروق — قال: وهو عمرو بن قيس بن مَسعود، أبو عمرو ابن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان — فحسد سائرُ ربيعة الأصمَّ على الرِّياسة ، فأتوه فقالوا : يا أبا مَفْروق ، إنا قد زَحفنا لتميم وزَحفوا لنا أكثرَ ما كُنا وكانوا قطُّ . قال : فما تريدون ؟ قالوا : نُريد أن نجعل كُلَّ حيٍّ على حِياله ونَجعل عليهم رجلاً منهم فنَعْرفَ غناء كل قبيلة ، فإنه أشدُّ لاجتهاد الناس . قال : والله إنى لأُبغض الخلاف عليكم ، ولكن يأتى مَفْروق فينظر فيما قلتم . فلما جاء ٩٠ / ٣
مَفْروق شاوره أبوه — وذلك أوّل يوم ذُكر فيه مَفروق بن عمرو — فقال له مفروق : ليس هذا أرادوا ، وإنما أرادوا أن يَخْدعوك عن رأيك وحَسدوك على رِياستك ، والله لئن لقيتَ القومَ فظفرتَ لا يزال الفضلُ لنا بذلك أبدا ، ولئن ظُفِر بك لا تزال لنا رياسةٌ نُعرف بها . فقال الأصم : ياقوم ، قد استشرتُ مَفروقا فرأيتُه مخالِفاً لكم ، ولستُ مخالفا رأيه وما أشار به . فأقبلتْ تميم بجمَلين مجلَّلين مقرونين مُقيَّدين وقالوا : لا نُولِّى حتى يُولِّى هذان الجملان ، وهما الزَّوَيْران . فأُخبرت بكرٌ بقولهم الأصم . فقال : وأنا زُوَيركم ، إن حَشَوهما فحُشونى[1] ، وإن عقروهما فاعقِرونى . قال : والتقى القومُ فاقتتلوا قتالاً شديدا . قال : وأسرت بنو تميم حَرَّاث بن مالك ، أخا مُرة بن همّام[2] ، فركَض به رجلٌ منهم وقد أردَفه ، وأتبعه ابنُه قتادة بن حَرَّاث حتى لحق الفارسَ الذى أسر أباه ، فطَعنه فأرداه عن فرسه وأستنقذ أباه . ثم استحرّ بين الفريقين القتالُ ، فانهزمت بنو تميم ، فقُتل منهم مَقتلة عظيمة ، فمن قُتل منهم : أبو الرئيس النَّهْشلى . وأخذت

(١) حش الدابة : علفها الحشيش .

(٢) فى ن : « أخا بنى مرة بن همام » .

بكر الزّوِيرين ، أخذتهما بنو سَدوس بن شَيبان بن ذُهل بن ثعلبة ، فنحروا أحدَهما فأكلوه وأفتحلوا الآخر ، وكان نَجِيباً ، فقال رجل من بنى سَدوس :

يا سَلْم إن تَسْألى عنّا فلا كُشُفٌ ... عند اللّقاء ولسنا بالمَقاريفِ
نحن الذين هَزَمْنا يومَ صبَّحنا ... جيشَ الزّوَيْرين فى جَمع الأحاليف
ظَلُّوا وظَلْنا نَكُرّ الخيلَ وَسْطَهمُ ... بالشِّيب منّا وبالمُرْد الغَطاريف

وقال الأغلب بن جُشَم[1] العِجْلِيّ :

جاءوا بزُوَيْرِهمُ وجِئْنا بالأصَمّْ ... شَيخ لنا قد كان من عَهد إرَمْ[2]
فكَرَّ بالسَّيف إذا الرُّمح انحطم ... كهِمّة اللَّيث إذا ما الليثُ هَمّْ
كانت تميمُ معشراً ذوى كَرَم ... مُخلِصة من القَلاصم العُظُم[3]
قد نَفَخوا لو يَنفُخون فى فَحَمْ ... وصَبَروا لو صَبروا على أمَمْ
إذ ركبتْ ضَبَّةُ أعجازَ النَّعم ... فلم تَدَعْ ساقاً لها ولا قَدَم

يوم الشَّيِّطين[4]

لبكر على تميم

قال أبو عُبيدة : لما ظَهر الإسلامُ ، قبل أن يُسلم أهلُ نجد والعراق ، سارت بكر بن وائل إلى السّواد ، وقالت : نُغير على تميم بالشَّيطين ، فإن فى دين ابن عبد المطلب : إنه مَن قَتل نفساً قُتل بها. فنُغيرهذا العام ، ثم نُسلم عليها. فأرتحلوا مِن لَعلع[5] بالذّرارى والأموال ، فأتوا الشَّيطين فى أربع ، وبينهما مسيرةُ ثمان أميال ، فسبقوا كُلّ خَبَر حتى صَبّحوهم وهم لا يشعرون ، ورئيسُهم يومئذ

(١) كذا فى ن والأغانى (١٨ : ١٦٤) والشعر والشعراء . والذى فى سائر الأصول : « جعشم » .
(٢) فى اللسان : « زور » : « شيخ لنا كالليث من باقى إرم » .
(٣) فى بعض الأصول : « العصم » .
(٤) الشيطان : واديان .
(٥) لعلع : موضع ؛ وقيل : جبل .

بشرُ بن مَسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدّين ، فقتلوا بنى تميم قتلاً ذريعا وأخذوا أموالهم . واستحرّ القتلُ فى بنى العَنبر و بنى ضَبّة و بنى يَربوع ، دون بنى مالك بن حَنظلة .

قال أبو عُبيدة : حدّثنا أبو الحَناء[1] العَنبرىّ ، قال : قُتِل من بنى تميم يوم [الشَّيطين ولعلع] ستُّمائة رجل . قال : فوفد وفدُ بنى تميم على النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : ادع اللهَ على بكر بن وائل . فأبى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم. فقال رُشيد بن رُمَيض[2] العَنبرىّ :

وما كان بين الشَّيِّطين ولَعْلع ... لِنسوتنا إلا مراجِع[3] أربعُ
فجئنا بجَمْع لم يَرَ الناسُ مثلَه ... يكاد له ظَهْر الوريعة[4] يَظْلَع
بأرعن دَهْم تُنْشَد البلْقُ وَسْطَه ... له عارضٌ فيه الأسنّةُ[5] تلمع ٩١/٣
صَبحنا به سعداً وعَمراً ومالـكا ... فـكان لهم يومٌ من الشرّ أشنع
تخلّوا لنا صَحْن العِراق فإنّه ... حِمًى منهمُ لا يُستطاع ممنّع

يوم صَعْفُوق[6]

لبكر على تميم

أغارت بنو [أبى] ربيعة على بنى سَليط بن يَرْبوع يوم صَعْفوق فأصابوا منهم أسرى . فأتى طريفُ بن تميم العَنبرىّ فروةَ بن مَسعود ، وهو يومئذ سيدُ بنى [أبى] ربيعة ، ففدَى منهم أسرى بنى سَليط و رَهنهم ابنَه . فأبطأ عليهم ، فقتلوا ابنَه ، فقال :

(١) فى ن : « أبو الخنساء » .
(٢) كذا فى النقائض والبكرى (٤٩٢) . والذى فى سائر الأصول : « زهير » .
(٣) فى ن والنقائض : « مراحل » .
(٤) الوريعة : فرس . وفى بعض الأصول : « الوديقة » .
(٥) فى النقائض : « المنية » .
(٦) صعفوق (بفتح أوله ، وقيل بضمه ، وسكون ثانيه وفاء مضمومة وقاف) : قرية باليمامة .

لا تأمنَنّ سُلَيمى أنْ أفارِقَها صُرْمى الظّمائنِ بعد اليوم صَفْفوقِ
أعطيت أعداءه طوعاً بُرمّته ثم انصرفتُ وظنّى غير مَوْثوقِ

يوم مُبايض

لبكر على تميم

قال أبو عُبيدة : كانت الفُرسان إذا كانت أيامُ عُـكاظ فى الشهر الحرام وأمن بعضُهم بعضا تقنّعوا كيلا يُعرفوا ، وكان طَريف بن تميم العَنْبرى لا يَتقنّع كما يَتقنّعون ، فوافى عُكاظَ وقد كشفت بكر بن وائل ، وكان طريفُ قد قتل شَراحيل الشَّيبانى ، أحد بنى عمرو بن [أبى] ربيعة بن ذُهل بن شيبان . فقال حَصِيصة[١] : أرونى طريفاً . فأروه إياه . فجعل كُلما مرّ به تأمّله ونَظر إليه . ففَطِن طَريف ، فقال : مالك تنظر إلىّ ؟ فقال : أتوسّمك لأعرِفك . فللّه علىّ إن لَقِيتُك أن أقتلكَ أو تَقْتلنى . فقال طريفٌ فى ذلك :

أوَكُلما وردتْ عُـكاظَ قَبيلةٌ بَعثوا إلىّ عريفَهم يتوسَّمُ
فتوسَّمونى إنّنى أنا ذلـكم شاكِى سلاحى فى الحوادث مُعْلَمَ
تحتى الأغرُّ وفوق جِلْدِى نَثْرةٌ زَغْفٌ تَرُدُّ السيفَ وهو مُثَلَّمُ[٢]
حولى أُسَيِّدُ والهُجيم ومازنٌ وإذا حللتُ فحولَ بيتىَ خَضَّمُ[٣]

قال : فمضى لذلك ماشاء الله . ثم إن بنى عائذة ، حُلفاء بنى [أبى] ربيعة ابن ذهل بن [أبى] شيبان . وهم يزعمون أنهم من قريش ، وأن عائذة ابنُ

(١) كذا فى أكثر الأصول ومعجم ما استعجم . والذى فى ن : « حنصيصة » .
(٢) النثرة : الدرع . والزغف : اللينة الواسعة المحكمة من الدروع ، وقيل الدقيقة الحسنة السلاسل .
(٣) خضم : اسم العنبر بن عمرو بن تميم ، وقد غلب على القبيلة . وقيل : الخضم : الجمع الكثير من الناس . وقد أورد اللسان هـذا البيت غير منسوب شاهداً على هذا المعنى . ثم ساق المعنى الأول نقلا عن الصحاح وذكر البيت منسوباً لطريف برواية أخرى ، وهى :
حولى فوارس من أسيد شجعة وإذا نزلت فحول بيتى خضم

لُؤَىّ بن غالب — خرج منهم رجلان يَصِيدانِ فَعَرض لهما رجلٌ من بنى شَيبان فذَعَر عليهما صيدَهما ، فوثبا عليه فقتلاه . فثارت بنو مُرّة بن ذُهل بن شَيبان يريدون قَتلهما . فأبت بنو [أبى] ربيعة عليهم ذلك . فقال هانىء بن مَسعود : يا بنى [أبى] ربيعة ، إن إخوتَكم قد أرادوا ظُلمكم ، فانمازوا[١] عنهم . قال : ففارقوهم وساروا حتى نَزَلوا بمُبايض ماء ، — ومُبايض: عَلَم من وراء الدهناء — فأبق عبدٌ لرجل من بنى [أبى] ربيعة فسار إلى بلاد تَميم ، فأخبرهم أنّ حيًّا جديدا من بنى بكر بن وائل نزول على مُبايض ، وهم بنو [أبى] ربيعة ، أو الحىّ الجديد المُنتقى من قومه . فقال طَريف العَنبرىّ : هؤلاء ثأرى يا آل تَميم ، إنما هم أَكَلة رأس[٢] . وأقبلَ فى بنى عمرو بن تميم ، وأقبل معه أبو الجَدْعاء[٣] ، أحد بنى طُهيّة ، وجاءه فَدَكىُّ بن أعْبد[٤] المِنْقرى فى جَمْع من بنى سعد بن زيد مَناة ، فنَذِرت بهم بنو [أبى] ربيعة ، فانحاز بهم هانىء بن مَسعود ، وهو رئيسهم ، إلى عَلَم مُبايض ، فأقاموا عليه . وَشرَّقوا بالأموال والسَّرْح[٥] ، وصَبّحتهم بنو تميم . فقال لهم طَريف : أطيعونى وافرغوا من هؤلاء الأَكلب يَصْفُ لكم ما وراءهم . فقال له أبو الجَدْعاء[٣] رئيس بنى حَنظلة ، وفدكىّ رئيسُ بنى سعد بن زيد مناة : أنُقاتل أَكلبا أحرزوا نفوسهم ونَترك أموالهم ! ما هذا برأى ، وأبَوْا عليه . فقال هانىء لأصحابه : لا يُقاتل رجل منكم . ولحقت تميم بالنَّعم والبغال ، فأغاروا عليها .
٩٢/٣ فلما ملئوا أيديهم من الغَنيمة ، قال هانىء بن مسعود لأصحابه : احملوا عليهم . فهزموهم وقتلوا طَريفا العَنبرى ، قتله حَمَيصِيصَة[٦] الشَّيبانى ، وقال :

ولقد دعوتُ طَريفَ دعوةَ جاهلٍ سَفَهًا وأنت بمَعْلَم قد تَعلمُ

(١) فى بعض الأصول : « فانحازوا » .
(٢) أكلة رأس : أى قليل يشبعهم رأس واحد .
(٣) فى بعض الأصول : « أبو الجدعاء » . وما أثبتنا من سائر الأصول وابن الأثير .
(٤) فى أكثر الأصول : « عـدد » : وما أثبتنا من ن والاشتقاق (١٥٣) والنقائض (٢٤ ، ١٠) .
(٥) السرح : المال الراعى .
(٦) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٠٨) من هذا الجزء .

وأتيتُ حيًّا فى الحُروب محلُّهم والجيشُ بأسم أبيهم يُستقدم[1]
فوجدتُ قوماً يمنعون ذِمارهم بُسْلاً إذا هاب الفوارسُ أقْدموا
وإذا دُعُوا أبنى رَبيعة[2] شمّروا بكتائبٍ دون السَّماء تَلَمْلَمُ
حَشَدوا عليك وعَجّلوا بِقراهمُ وحَمَوْا ذِمار أبيهم أنْ يُشتموا
سَلبوك دِرْعك والأغرّ كليهما وبنو أُسَيّد أسْلموك وخَضَّمُ[3]

يوم فيحان[4]

لبكر على تميم

قال أبو عُبيدة: لما [فَدى] نفسَه بِسْطامُ بن قَيس من عُتيبة[5] بن الحارث، إذ أُسر يوم الغَبيط، بأر بعمائة بعير، قال: لأدركنّ عَقْل[6] إبلى. فأغار بفَيْحان، فأخذ الربيعَ بن عُتَيبة[7] وأستاق مالَه. فلما سار يومين شُغل[8] عن الربيع بالشراب، وقد مال الربيع على قِدّه حتى لان، ثم خَلَعه وانحلّ منه، ثم جال فى مَتن ذات النُّسوع — فرس بِسطام — وهرب. فركبوا فى إثره، فلما يَئسوا منه ناداه بِسطام: يا ربيع، هلُمّ طليقاً، فأبَى. قال: وأبوه فى نادِى قومه يُحدثهم، فجعل يقول فى أثناء[9] حديثه: إيهاً يا ربيع، انجُ يا ربيع، وكان معه رَئِىّ.
قال: وأقبل ربيع حتى أنتهى إلى أدنى بنى يَرْبوع، فإذا هو براعٍ، فاستسقاه، وضربت الفرس برأسها فماتت، فسُمى ذلك المكان إلى اليوم: هَبير[10] الفرس.

(١) فى ن: «يستهزم».
(٢) فى ابن الأثير (٢: ٢٧٨): «بأبى ربيعة».
(٣) خضم: هو العنبر بن عمرو بن تميم. (انظر معجم البلدان فى رسم خضم).
(٤) فيحان: موضع فى بلاد بنى سعد. (انظر معجم البلدان).
(٥) فى بعض الأصول: «بن عيينة». تحريف. وانظر الطبرى والنقائض.
(٦) فى بعض الأصول: «عقر».
(٧) فى بعض الأصول: «عيينة».
(٨) فى بعض الأصول: «شغلوا». (٩) فى ن: «فى أضعاف».
(١٠) الهبير من الأرض: أن يكون مطمئنا وما حوله أرفع منه.

فقال له أبوه عُتَيبة : أمّا إذ نجوتَ بنفسك فإنى مُخْلف لك مالَك .

يوم ذى قار الأول

لبكر على تميم

قال أبو عبيدة : فخرج عُتَيبة فى نحو خمسةَ عشر فارسا من بنى يربوع ، فكَمن فى حِمى ذى قار حتى مَرّت به إبل بنى الحُصين بالفَداويّة[1] ، اسم ماء لهم ، فصاحوا بمن فيها من الحامية والرِّعاء ، ثم أستاقوها . فأخلف للربيع ما ذهب له ، وقال :

ألم تَرَنى أفأتُ على رَبيعٍ جِلاداً فى مَباركها وخُورَا[2]
وأنى قد تركتُ بنى حُصين بذى قارٍ يَرمُّون الأمورا

يوم الحاجر[3]

لبكر على تميم[4]

قال أبو عُبيدة : خرج وائل بن صُريم اليَشكرى من اليمامة ، فلقيه بنو أسيِّد ابن عمرو بن تميم فأخذوه أسيراً ، فجعلوا يغْمسونه فى الركيّة ويقولون :

* يأيها الماتحُ دَلْوى دُونكا *

حتى قتلوه . فغزاهم أخوه باعث بن صُريم يوم حاجر ، فأخذ ثُمامة بن باعث ابن صُريم رجلاً من بنى أُسيِّد ، كان وجيهاً فيهم ، فقتله وقتل على بَطنه مائةً منهم . فقال باعثُ بن صُريم :

(١) فى ن : « بالعدوانة » . وظاهر أن كلتيهما محرف عن « العذوان » ماء فى ديار بنى الحسين . (انظر البكرى ٧٢٧) .

(٢) الجلاد من الإبل : التى لا أولاد لها ولا ألبان . والخور : الغزيرات اللبن ، جمع خوارة ، على غير قياس .

(٣) الحاجر : موضع قبل معدن النقرة . (انظر معجم البلدان) .

(٤) الماتح : الذى ينزل فى البئر اذا قل الماء فيملأ الدلو . وانظر الرجز مع بقية له فى الأمالى (٢ : ٢٤٤) .

سائلْ أُسَيِّد هل ثأرتُ بوائل ... أم هل شَفيتُ النَّفسَ من بَلبالها
إذ أرسلونى ماتحاً لدلائهم ... فملأتُها عَلَقاً إلى أسْبالها[1]
إنّ الذى سَمك السماءَ مكانَها ... والبدرَ ليلةَ نِصْفها وهِلالها
آليتُ أنقُف منهُم ذا لحْية ... أبداً فتَنْظُر عينُه فى مالِها[2]

وقال :

سائل أسَيِّد هل ثأرتُ بوائل ... أم هل أتيتهمُ بأمرٍ مُبْرمِ
إذ أرسلونى ماتحاً لِدلائهم ... فملأتهنّ إلى العَراقى بالدمِ

يوم الشَّقِيق[3]

٩٣/٣

لبكر على تميم

قال أبو عُبيدة : أغار أبجر بن جابر العِجْلىّ على بنى مالك بن حَنظلة ، فسَبى سُلَيمى[4] بنت مِحْصَن ، فولدت له أبجر . ففى ذلك يقول أبو النَّجم :

ولقد كررتُ على طُهيّة كَرّةً ... حتى طرقتُ نساءَها بمَساء[5]

(١) العلق : الدم . وأسبال الدلو : شفاهها . يقول : بعثونى طالبا لتراتهم فأكثرت من القتل . وفى بعض الأصول : « علقا إلى أشبالها » . تصحيف .

(٢) النقف : كسر الهامة .

(٣) الشقيق ، بفتح أوله وكسر ثانيه وتكرير القاف : ماء لبنى أسيد بن عمرو ابن تميم . (انظر معجم البلدان) .

(٤) فى بعض الأصــول : « سلمى » .

(٥) فى بعض الأصول بعد هذا الشعر : « تم الجزء الأول من كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم ، بعون الله تعالى ومنه . والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » .

حرب البَسوس[1]

وهى حرب بكر وتغلب ، ابنى وائل

أبو المُنذر هشام بن محمد بن السائب قال : لم تجتمع مَعدٌّ كلها إلا على ثلاثة رَهط من رؤساء العرب ، وهم : عامر و ربيعة وكُليب .

فالأول : عامر بن الظَّرب بن عمرو بن بكر بن يَشكر بن الحارث ، وهو عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عَيلان ، وهو النَّاس[2] بن مُضر . وعامر بن الظَّرب هو قائد معدّ يوم البَيداء[3] ، حين تَمَذْحجت مَذْحج ، وسارت إلى تِهامة ، وهى أول وَقعة كانت بين تهامة واليمن .

والثانى : ربيعة بن الحارث بن مُرّة بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيب بن كعب[4] ، وهو قائد معدّ يوم السُّلان[5] ، وهو يوم كان بين أهل تِهامة واليمن .

والثالث : كُليب بن ربيعة ، وهو الذى يُقال فيه : أعزّ من كليب وائل . وقاد معدًّا كلها يوم خَزاز[6] ، ففضّ جُموع اليمن ، وهَزمهم . فاجتمعت عليه معدّ كُلها ، وجعلوا له قَسم الملك ، وتاجَه وتحيّته وطاعته . فغَبر بذلك حيناً من دهره ، ثم دخله زهوٌ شديد ، وبَغى على قومه لما هو فيه من عِزّة وانقياد معدّ له ، حتى بلغ من بَغيه أنه كان يَحمى مواقع السحاب ، فلا يُرعى حِماه ، ويُجير

(١) فى بعض الأصول قبل هذا العنوان : « الجزء الثانى من كتاب الدرة الثانية . فى أيام العرب ووقائعهم » ثم « بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين » .

(٢) فى الأصول : « اليأس » تحريف . (انظر القاموس وشرحه « نوس » والاشتقاق وابن الأثير ١ : ٢٤١) .

(٣) البيداء : اسم لأرض ملساء بين مكة والمدينة ، وهى إلى مكة أقرب . (انظر معجم البلدان) .

(٤) فى ن : « بن كلب » . وانظر ابن الأثير (١ : ٢٣٧) والطبرى .

(٥) السلان (بضم أوله وتشديد ثانيه) : مما يلى الحجاز واليمن . (انظر معجم البلدان) .

(٦) خزاز (بفتح أوله وتكرير الزاى ، ويقال فيه : خزازى أيضا) : جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة . (انظر معجم البلدان) .

على الدّهر فلا تُخفر ذمّته ، ويقول : وَحش أرض كذا فى جوارى فلا يُهاج ، ولا تورد إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا تُوقد نارٌ مع ناره ، حتى قالت العرب : أعزُّ من كُليب وائل . وكانت بنو جُشَم وبنو شَيبان فِى دار واحـدة بتهامة ، وكان كُليب بن وائل قد تزوّج جَليـلة بنت مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، وأخوها جسّاس ابن مُرة . وكانت البَسوس بنت مُنقذ التميميّة خالةَ جسّاس بن مُرة ، وكانت نازلةً فى بنى شَيبان مجاورةً لجسّاس ، وكانت لها ناقة يقال لها سَراب ، ولها تقول العرب : أشأم من سَراب ، وأشأم من البَسوس . فمرّت إبل لـكُليب بسَراب ، ناقة البسوس ، وهى مَعقولة بفناء بيتهاقى جوارجَسّاس بن مُرة . فلما رأت سرابُ الإبلَ نازعت عِقالهَاحتى قطعتْه ، وتَبعت الإبل واختلطت بها حتى انتهت إلى كُليب ، وهو على الحوض معه قوسٌ وكِنانة . فلما رآها أنكرها ، فانتزع[(١)] لها سهمًا ، فخَرم ضَرعها ، فنفرت الناقة وهى تَرْغو . فلما رأتها البسوس قَذفت خِمارَها عن رأسها وصاحت : واذُلّاه ! واجاراه ! وخرجت .

فأحمست[(٢)] جسّاسا . فركب فرساً له مُعْرَورِيًا ، فأخذ آلته ، وتَبعه عمرو ابن الحارث بن ذُهل بن شَيبان على فرسه ومعه رُمحه ، حتى دخلا على كُليب الحمى ، فقال له : يا أبا الماجدة ، عمدتَ إلى ناقة جارتى فعقرتها . فقال له : أتُراك مانِعى إن أذُبّ عن حِماى ؟ فأحمسه الغضبُ ، فطعنه جسّاس فقَصم صُلبه ، وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بَطنه ، فوقع كُليب وهو يَفحص برجله ، وقال لجساس : أغِثْنى بشربة من ماء . فقال : هيهات ، تجاوزت شُبَيثًا والأَحَصّ[(٣)] . ففى ذلك يقول عمرو بن الأهتم :

(١) انتزع لها سهما : رماها به . وفى بعض الأصول : «فاستند عليها بسهم» .
(٢) زيد فى بعض الأصول قبل هذه الـكلمة هذا العنوان : مقتل كليب بن وائل» .
(٣) شبيث ، بالتصغير ، والأحص : غديران فى منازل ربيعة بنجد . يعنى : ليس هذا الوقت لجلب الماء . انظر الميدانى فقد ساق المثل مع خلاف قليل . وانظر معجم البلدان والأغانى .

وإنّ كُليبا كان يَظلم قومَه[1] ... فأدركه مثلُ الذى تَريان
فلما حَشاه الرُّمحَ[2] كفُّ ابنِ عمّه ... تذكّر ظُلم الأهل أىّ أوان
وقال لجسّاسٍ أغِثْنى بشَربة ... وإلا فخبِّر مَن رأيتَ مكانى
فقال تجاوزتَ الأحصَّ وماءه ... وبَطن شُبيثٍ وهو غير دِفَان[3]

٩٤/٣ وقال نابغة بنى جَعدة :

أبلغ عِقالاً أنّ خُطة داحسٍ ... بكفَّيك فاستأخر لها أو تقدّمِ[4]
كُليب لعمرى كان أكثرَ ناصراً ... وأيسرَ ذَنباً[5] منك ضُرِّج بالدّمِ
رَمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطَعْنة ... كحاشية البُرد اليَمانى المُسهَّمِ[6]
وقال لجسّاس أغِثْنى بشَرْبة ... تَداركْ بها مَنًّا علىّ وأنعِمِ[7]
فقال تجاوزتَ الأحصّ وماءه ... وبَطن شُبيث وهو ذو مترسَّمِ[8]

فلما قُتل كُليب ارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النِّهى . وتشمّر المُهلهل أخو كليب ، واسمه عَدِىّ بن ربيعة ، وإنما قيل له المُهلهل لأنه أول مَن هَلهل الشعر ، أى أرقّه ، واستعدّ لحرب بكر ، وترك النِّساء والغَزَل ، وحَرّم القِمار والشَّراب ، وجَمع إليه قومَه ، فأرسل رجالاً منهم إلى بنى شَيبان يُعذر إليهم فيما وَقع من الأمر . فأتوا مُرّة بن ذهل بن شَيبان ، وهو فى نادى قومه ، فقالوا له : إنكم أتيتُم عظيما بقَتلكم كُليباً بناب من الإبل ، فقطعتم الرحم ، وانتهكتم الُحرمة ، وإنا كرهنا العَجلة عليكم دون الإعذار إليكم . ونحن نَعرض عليكم خِلالاً أربع لكم فيها مَخرج ، ولنا مَقنع . فقال مُرة : وما هى ؟ قال

(١) فى معجم البلدان (شبيث) : « رهطه » .
(٢) فى معجم البلدان : « فلما سقاه السم » .
(٣) يقال : ركية دفين ودفان ، إذا اندفن بعضها .
(٤) داحس : فرس ، وبها كانت حرب داحس . وقد تقدم الكلام على ذلك .
(٥) فى الأغانى : « جرما » . (٦) المسهم : المخطط بصور على شكل السهام .
(٧) فى الأغانى : « تفضل بها طولا على وأنعم » .
(٨) المترسَّم : موضع الماء لمن طلبه . (انظر معجم ما استعجم فى رسم شبيث) . وفى ن : « متوسم » .

له : تُحْيِى لنا كليباً ، أو تدفع إلينا جسّاسا قاتلَه فنقتله به ، أو همّاما فإنه كُفء له ، أو تُمكننا من نفسك فإنّ فيك وفاء من دمه ؟ فقال : أما إحيائى كُلَيبا فهذا ما لا يكون ؛ وأمّا جسّاس فإنه غلام طعن طعنةً على عَجَل ثم ركب فرسَه فلا أدرى أىّ البلاد احتوى عليه ؛ وأمّا همّام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة كلهم فرسان قومهم ، فلن يُسلموه لى فأدفعه إليكم يُقتل بجَريرة غيره ؛ وأما أنا فهل هو إلا أنْ تجول الخيلُ جولةً غداً فأكونَ أوّلَ قتيل بينها ، فما أتعجّل من الموت ؟ ولكن لكم عندى خصْلتان : أمّا إحداهما ، فهؤلاء بنىّ الباقون فعلّقوا فى عُنق أيّهم شئتم نِسْعةً فانطلقوا به إلى رحالكم فاذبحوه ذَبْح الجزور ، وإلا فألف ناقة سوداء المُقَل أُقيم لكم بها كفيلاً من بنى وائل . فغضب القومُ وقالوا : لقد أسأتَ ، تَرْذل[1] لنا ولدك وتَسومنا اللبنَ من دم كُليب . ووقعت الحربُ بينهم .

ولحقت جليلةُ زوجةُ كُليب بأبيها وقومها . ودعت [تغلب] النمرَ بن قاسط[2] فانضمّت إلى بنى كُليب وصاروا يداً معهم على بكر ، ولحقت بهم غُفَيلة[3] ابن قاسط ، واعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مُجامعة بنى شَيبان ومُساعدتهم على قتال إخوتهم ، وأعظموا قتلَ جسّاس كُليبا رئيسهم بناب من الإبل . فظعنت لُجيم عنهم ، وكفّت يَشْكر عن نُصرتهم ، وانقبض الحارث بن عُباد فى أهل بيته . وهو أبو بُجير وفارس النّعامة . وقال المُهلهل يرثى كُليبا :

بتُّ ليلى بالأنْعَمين[4] طويلاَ ... أرقُب النجمَ ساهراً أنْ يَزُولاَ
كيف أهدا[5] ولا يزال قتيلٌ ... مِن بَنى وائل يُنَسّى قتيلا
غَنِيت دارنا تهامةَ فى الدّهـ ... ـر وفيها بنو مَعدٍّ حُلولا

---

(١) ترذل : أى تعطينا الرذل من ولدك . وفى بعض الأصول : « تبذل » .
(٢) النمر بن قاسط : بطن فى ربيعة .
(٣) فى الأصول : « عقيلة » تصحيف . وانظر الطبرى والقاموس وشرحه (غفل) .
(٤) الأنعمان : واديان ؛ وقيل : موضع بنجد .
(٥) أهدا ، أصله أهدأ ، بالهمز وسهل للشعر .

فتساقَوْا كأساً أمِرّت عليهم ... بينهم بقتلِ العـزيز الذّليلا
فَصَبحْنا بنى لُجيم[١] بضربٍ ... يترك الهامَ وقْضَــه مَفْلولا
لم يُطيقوا أنْ ينزلوا ونَزَلنا ... وأخو الحرْب مَن أطاق النُّزولا
أنتضَوْا مَعْجِس القِسىّ[٢] وأبْرَقْـ ... ـنا[٣] كما تُوعد الفُحول الفُحولا
٩٥/٣ قَتَـلوا ربّهم كُليبا سَفاهاً ... ثم قالوا ما إنْ نَخاف عَويلا
كَذَبوا والحـرامِ والحِلِّ حتى ... نَسلب الخِـدرَ بيضَه المَحْجولا
ويموت الجنين فى عاطفِ الرّحْــم ونُرْوِى رماحَنـا والخُيولا

وقال أيضا يرثيه :

كُليبُ لا خيرَ فى الدّنيا ومَن فيها ... إذ أنت خَلّيتها فيمن يُخلّيهـا
كُليب أىّ فتىً عزٍّ ومَكْرُمـةٍ ... تحت السّقائف إذ يَعْلوك سافيها[٤]
نَعى النُّعاةُ كُليباً لى فقلتُ لهم ... مالت بنا الأرضُ أو زالت رَواسيها
الحزم والعزْمُ كانا من صَنيعته ... ما كُلُّ آلائه يا قومُ أحْصِيها
القائدُ الخيْل تَرْدَى فى أعنّتها ... زَهْواً إذا الخيلُ لَجّت فى تَعاديها
من خيـل تَغلبَ ما تُلقَى أسنّتها ... إلاّ وقد خَضبوها من أعاديها
يُهزْهزُون[٥] من الخَطّىّ مُدْمَجةً ... كُمْتاً أنابيبها زُرْقاً عواليها[٦]
تَرى[٧] الرِّماحَ بأيدينا فنُوردها ... بيضاً ونُصْـدِرها حُمراً أعاليها
ليت السماء على مَن تحتها وقعتْ ... وانشقّت الأرضُ فانجابت بمَن فيها
لا أصلح الله منّا مَن يُصـالحكم ... ما لاحت الشمسُ فى أعلى مَجاريها

(١) فى أكثر الأصول : بنى نجيم » . وما أثبتنا من ن .
(٢) معجس القوس : مقبضها الذى يقبض الرامى منه .
(٣) فى ن : « وانتضيناها » .
(٤) السقائف ، يريد حجارة القبر . والسافى : التراب .
(٥) فى ن : « ويزهزهون» .
(٦) فى بعض الأصول : « أعاليها » .
(٧) فى بعض الأصول : « تروى » .

[يوم النّهى]

قال أبو المُنذر: أخبرني خِرَاش أنّ أوّل وَقعة كانت بينهم بالنّهى يوم النّهى. فالتقوا بماء يقال له النّهى كانت بنو شَيبان نازلةً عليه . ورئيسُ تغلب المُهلهل ، ورئيس شَيبان الحارثُ بن مُرّة . فكانت الدائرةُ لبنى تَغلب ، وكانت الشّوكة فى شَيبان ، واستحرّ القتل فيهم ، إلا أنّه لم يُقتل فى ذلك اليوم أحد من بنى مُرّة .

يوم الذّنائب[1]

ثم التقوا بالذّنائب ، وهى أعظم وَقعة كانت لهم ، فظفرت بنو تَغلب وقُتلت بكر مَقتلة عظيمة . وفيها قُتــل شَراحيل بن مُرّة بن هَمام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان[2] ، وهو جدّ الحَوْفزان ، وهو جَدّ مَعْن بن زائدة . والحوفزان هو الحارث ابن شَريك بن عمرو بن قيس بن شَراحيل ، قتله عَتّاب بن سَعد بن زُهير بن جُشَم . وقُتل الحارث بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، قتله كعب بن زُهير بن جُشَم . وقُتل من بنى ذُهل ثَعلبة : عمرو بنُ سَدوس بن شَيبان بن ذُهل بن ثعلبة . وقُتل من بنى تَيم الله : جميلُ بن مالك بن تَيم الله ، وعبدُ الله بن مالك بن تَيم الله . وقُتل من بنى قيس ابن ثعلبة: سعدُ بن ضُبيعة بن قيس ، وتَميم بن قيس بن ثعلبة ، وهو أحد الخَرِفين . وكان شيخاً كبيراً يُحمل فى هودج ، فلَحِقه عمرو بن مالك بن الفَدَوْكس بن جُشم ، وهو جدّ الأخطل ، فقتله . هؤلاء مَن أُصيب من رؤساء بكر يوم الذنائب .

يوم واردات[3]

ثم التقوا بواردات ، وعلى الناس رؤساؤهم الذين سمّينا . فظفرتْ بنو تَغلب

(١) الذنائب : ثلاث هضبات بنجد . (انظر معجم البلدان) .
(٢) انظر الطبرى وابن الأثير ، ففى نسب شراحيل خلاف .
(٣) واردات : عن يسار مكة . (انظر معجم البلدان) .

وأستحرّ القتلُ فى بنى بكر ، فيومئذ قُتِل الشَّعْثمان ، شَعْثم وعبد شمس ، أبنا معاوية بن عامر بن ذُهل بن ثعلبة ؛ وسيّار بن الحارث بن سيّار. وفيه قُتل همّام ابن مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، أخو جسّاس لأمه وأبيه ، فمرّ به مُهلهل مقتولا ، فقال : والله ما قُتِل بعد كُليب قَتيلٌ أعزُّ علىَّ فقداً منك ، وقتله ناشرة . وكان همّام ربّاه وكفَله ، كما كان ربَّى حُذيفةُ بن بَدْر قِرْواشا ، فقتله يومَ الهَباءة .

يوم عُنيزة[1]

ثم التقو بعُنيزة ، فظَفِرت بنو تَغلب . ثم كانت بينهم مُعاودة ووقائع كثيرة ، كُل ذلك كانت الدائرةُ فيه لبنى تَغلب على بنى بكر . فمنها : يوم الِحنو ، ويوم ٩٦/٣ عُوَيْرضات ، ويوم أنيق[2] ، ويوم ضَرِيّة[3] ، ويوم القُصيبات[4] . هذه الأيام لتَغلب على بكر . أُصيبت فيها بكر حتى ظنّوا أن ليس يَسْتقبلون أمرهم .

وقال مُهلهل يصف هذه الأيّام وبَنعاها على بكر فى قَصيدة طويلة أولها :

أليلَتنا بذى حُسُم أنيرى إذا أنتَ انقضَيت فلا تَحُورى[5]
فإن يكُ بالذّنائب طال ليلى فقد أبكى من الليل القَصير

وفيها يقول :

فلو نُبش المَقابِرُ عن كُليب لأُخبِر بالذّنائب أىّ زِيرِ
كأنّا غــدوةً وبنى أبينا بجَنب عُنَيزة رَحَيا مُــدِير[6]
وإنّى قد تَركتُ بواردات بجُــيرًا فى دَمٍ مِثــل العَبير
هتكتُ به بيوتَ بنى عُبَاد وبعضُ القَتل أشْفى للصُّــدور

(١) عنيزة : موضع بين البصرة ومكة . (انظر معجم البلدان) .
(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى بعض الأصول : «أنين» . وفى بعض آخر : «أبين» .
(٣) كذا فى ن « البكرى . والذى فى سائر الأصول : « ضربة » .
(٤) كذا فى ن والبكرى . والذى فى سائر الأصول : « القصيات » .
(٥) ذو حسم : موضع . ولاتحورى : لاترجعى .
(٦) الرحيان من معدن واحد ، وإذا أديرت أثرت إحداهما فى الأخرى ؛ وكذلك هم من أصل واحد ويقتتلون .

على أنْ ليس عَدْلاً من كُليب إذا بَرزت مُخبّأة الخُـدورِ[(١)]
ولولا الريح أُسمع مَنْ بِحَجْر صَليلَ البِيض تُقرع بالذَّكور

وقال مهلهل لما أسرف فى الدماء :

أكثرتُ قتلَ بنى بكر بِرَبّهم حتى بكيتُ وما يَبْكى لهم أحدُ
آليتُ بالله لا أرضَى بِقَتْلهم حتى أُبهرج بكراً أينما وُجدوا[(٢)]

قال أبو حاتم : أُبهرج : أدعهم بَهرجا لا يُقتل بهم قتيل ولا تُؤخذ لهم دية . قال : والبَهْرج من الدراهم ، مِن هذا . وقال المُهلهل :

يا لَبَكر أنشرُوا لى كُلَيبا يا لَبَكر أينَ أينَ الفِرارُ ؟
تلك شَيبان تقول لبكر[(٣)] صرّح الشرُّ وبان السِّرار
وبنو عِجْل تقـول لقَيس ولِتَيْم اللات سِيرُوا فساروا

وقال :

قَتلوا كُليباً ثم قالوا ارْبعوا كَذبوا وربِّ الحِلّ والإِحْرامِ
حتى تبيـدَ قبائلٌ وقبيلةٌ ويَعَضّ كُلٌّ مُثقّف بالهَام
وتقومَ ربّاتُ الخُدور حواسراً يَمْسحن عُرْض ذَوائب الأَيْتام
حتى يَعضّ الشيخُ بعدَ حَميمه ممـا يَرى نَدماً على الإبهام

يوم قِضَـــــة[(٤)]

ثم إنّ مُهلهلا أسرف فى القتل ولم يُبال بأىّ قَبيلة من قبائل بكر أوقع ، وكان أكثرُ بكر قعدت عن نُصرة بنى شَيبان لقَتْلهم كُليب بن وائل ، فكان الحارث بن عُباد قد اعتزل تلك الحُروب . حتى قُتل ابنُه بُجير بن الحـارث ، ويقال إنه كان ابنَ أخيه ، فلما بلغ الحارثَ قتلُه ، قال : نِعْمَ القتيلُ قتيلٌ أصلح

(١) فى الأغانى : * على أن ليس يوفى من كليب *
(٢) حجر ، بالفتح : قصبة اليمامة . والصليل : الصوت . والذكور : السيوف .
(٣) ويروى : * يالبكر فاظعنوا أو فحلوا *
(٤) قضة ، بكسر أوله وتخفيف ثانية : عقبة بعارض اليمامة . (انظر معجم البلدان) .

بين أبنى وائل ، وظنّ أنّ المُهلهل قد أدرك به ثأر كُليب وجعله كُفئًا له . فقيل له : إنما قتله بشِسْع نَعْل كُليب . وذلك أنّ المهلهل لما قَتَل بُجيرا قال : بُؤْ بشِسْع نَعل كُليب . فغضب الحارثُ بن عُباد ، وكان له فرس يقال له النَّعامة ، فركبها وتولَّى أمرَ بكر ، فقَتل تَغلب حتى هَرب المُهلهل وتفرّقت قبائل تغلب ، فقال فى ذلك الحارث بن عُباد :

قرِّبا مَرْبط النَّعامــة مِنّى لَقحتْ حربُ وائل عَن حِيالِى[1]
لم أكُن من جُناتِها علم اللــهُ وإنّى بِحرّها اليــومَ صالى

٩٧/٣ وكان أول يوم شهده الحارث بنُ عباد يومَ قِضَة ، وهو يوم تَحْلاق اللِّمم ، وفيه يقول طَرفة بن العَبْد :

سائلوا عنّا الذى يَعْرِفنا مالَقُوا[2] فى يوم تَحْلاق اللِّممْ
يوم تُبْدى البيضُ عن أَسْوُقها وتَلُفّ الخيــلُ أفواجَ النَّعمْ[3]

وفيه أسر الحارثُ بن عباد المهلهلَ وهو لا يَعرفه ، واسمُه عدىّ بن ربيعة ، فقال له : دُلّنى على عدىّ بن ربيعة وأُخــلِّى عنك . فقال له عدىّ : عليك العهود بذلك إن دللتُك عليه ؟ قال : نعم . قال : فأنا عدىّ . فجزَّ ناصيتَه وتركه ، وقال فيه :

لَهفَ نفسى على عَــدِىّ ولم أَعْــــرِف عَدِيًّا إذا أمكَنتنى اليدانِ

وفيه قُتل عمرو وعامر التَّغلبيّان . قتلهما جَحدر بن ضُبيعة . طَعن أحدهما بسنان رُمحه والآخــر بزُجّه . ثم إن المُهلهل فارق قومَه ونزل فى بنى جَنْب ،

(١) لقحت ، أى حملت . وعن ، أى بعد . والحيال : مصدر حالت الأنثى ، إذا لم تحمل . يريد : هاجت الحرب بعد سكون

(٢) فى الأغانى . « بقوانا » .

(٣) أسوق : جمع ساق ، همزت الواو فيه لتحمل الفتحة . أى يوم تكشف النساء عن سيقانها فزعا ورعبا . وتلف : تجمع . والأفواج : الجماعات . وفى الأغانى : « أمراج » : جمع مرج . بالفتح ويكسر ، وهو القطيع من الإبل نحو الثمانين أو منها إلى التسعين ، وقيل غير ذلك . والنعم : الإبل .

وجَنب فى مَذْحج ، فخطبوا إليه أبنته فمنعهم . فأجبروه على تزْويجها وساقوا إليه فى صداقها جُلودا من أدَم ، فقال فى ذلك :

أعزِز على تَغلب بما لَقِيتْ   أُختُ بنى الأكرمين من جُشَمِ
أنكحها فقدُها الأراقمَ فى   جَنْب وكان الحِباء من أدَم
لو بأبانَين جاء يَخطبها(١)   زُمِّل(٢) ما أنفُ خاطبٍ بدَم

الكلاب الأول(٣)

قال أبو عُبيدة : لما تَسافهت بكرُ بن وائل وغَلبها سفهاؤها ، وتقاطعت أرحامُها ، أرتأى رؤساؤهم فقالوا : إن سُفهاءنا قد غَلبوا على أمرنا فأكل القوىُّ الضعيفَ ، ولا نَستطيع تغييرَ ذلك ، فنرى أن نُملِّك علينا ملكاً نُعطيه الشاةَ والبعير ، فيأخذ للضَّعيف من القوىّ ، ويردُّ على المظلوم من الظالم ، ولا يُمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون ، فتفسُد ذاتُ بيننا ، ولكنَّا نأتى تُبَّعاً فنُملِّكه علينا . فأتوْه فذكروا له أمرهم ، فملَّك عليهم(٤) الحارث بن عمرو آكلَ المُرار الكِنْدىّ ، فقَدِم فنزل بطنَ عاقل(٥) ، ثم غزا ببكر بن وائل حتى أنتزع عامّة ما فى أيدى ملوك الحيرة اللَّخميّين ، وملوك الشام الغسّانيين ، وردّهم إلى أقاصى أعمالهم . ثم طُعن فى نَيْطه(٦) ، أى مات ، فدُفن ببطن عاقل. وأختلف

---

(١) أبانان : جبلان ، قيل لأحدهما أبان الأبيض ، وللآخر أبان الأسود . وقيل هو تثنية أبان ومتالع غلب أحدهما . (انظر معجم البلدان) .
(٢) فى الأغانى : « خرج » . وفى معجم الشعراء للمرزبانى : « خضب » ونسب الشعر فى هذا الأخير لأبى الأخنس .
(٣) الكلاب : ماء بين الكوفة والبصرة . وقيل : ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة . (انظر معجم البلدان) .
(٤) فى بعض الأصول : « فملكهم » .
(٥) عاقل : جبل ، وقيل واد بنجد . (انظر معجم البلدان) .
(٦) النيط ، بالفتح : نياط القلب ، وهو العرق الذى القلب متعلق به . وقيل غير ذلك . (انظر اللسان نيط) .

أبناه : شُرَحْبِيل وسَلَمَة[1] ، فى المُلك ، فتواعدا الـكُلاب . فأقبل شُرَحبيل فى ضَبّة والرِّباب كُلها ، وبنى يَربوع وبكر بن وائل . وأقبل سَلَمة[1] فى تغلب والنَّمر وبَهراء ، ومَن تَبعه مِن بنى مالك بن حَنظلة ، وعليهم سُفيان بن مُجاشع ، وعلى تغلب السفّاح — إنما قيل له السفّاح ، لأنه سَفح أوعية قَومه — وقال لهم : أبدرُوا إلى ماء الـكلاب ، فسبقوا ونزلوا عليه . وإنما خرجتْ بكرُ بن وائل مع شُرحبيل لعداوتها لبنى تغلب . فالتقوا على الـكُلاب ، واستحرّ القتلُ فى بنى يَربوع ، وشدّ أبو حَنَش على شُرحبيل فقتله ، وكان شُرحبيل قتل ابنه حَنَشا ، فأراد أبو حَنَش أن يأتى برأسه إلى سَلمة[1] فخافه ، فبعثه مع عَسيف[2] له . فلما رآه سَلمة[1] دَمعت عيناه ، وقال له : أنت قتلتَه ؟ قال : لا ، ولـكنّه قتله أبو حَنَش . فقال : إنما أدفع الثوابَ إلى قاتله . وهَرب أبو حَنَش عنه . فقال سَلَمة[1] :

ألا أَبْلغ أبا حَنَش رسـولاً ... فما لك لا تَجىء إلى الثَّوابِ

تعـلم أنّ خير الناس مَيْتا[3] ... قَتيلٌ بين أحجار الـكُلاب

٩٨/٣ تداعت حَوله جُشَم بن بَكر ... وأسلمه جَعاسيسُ الرِّباب[4]

ومما يَدُل على أنّ بكرا كانت مع شُرحبيل قولُ الأخطل :

أبا غسّان[5] إنّك لم تُهِنّى ... ولـكن قد أهنتَ بنى شِهابِ

تَرَقّوْا فى النَّخيل وأَنسئونا ... دِماءَ سَراتكم يومَ الـكُلابِ[6]

(١) فى بعض الأصول : « مسلمة » ، وما أثبتنا من سائر الأصول النقائض . وابن الأثير والبكرى .

(٢) العسيف : الأجير ، وقيل العبد المملوك . (٣) فى رواية : « طرا » .

(٤) الجعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم . والرباب : أحياء ضبة . وقد روى اللسان هذا البيت (جعس) لعمرو بن معديكرب ، كما روى الشعر لمعد يكرب أخى شرحبيل .

(٥) فى معجم ما استعجم : « أبا حسان » . تحريف . وانظر ديوان الأخطل (ص ١٦٧) . وبنو شهاب ، هم بنو شهاب بن عباد بن قلع بن جحدر .

(٦) يقول : دعوا دماء من قتلنا منكم نسيئة علينا لاتطلبوها فإنكم لاتدركونها . والرواية فى معجم مااستعجم : « وأنظرونا دماء » .

يوم الصَّفْقة

و يوم[1] الكلاب الثانى

قال أبو عُبيدة : أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال : كان يوم الكُلاب مُتّصلا بيوم الصَّفْقة ، وكان من حديث الصَّفقة أن كِسرى الملك ، كان قد أوقع ببنى تميم ، فأخذ الأموالَ وسَبى الذَّرارى بمدينة هَجر ، وذلك أنّهم أغاروا على لَطيمة له فيها مِسك وعَنبر وجَوهر كثير ، فسُمِّيت تلك الوَقعة يوم الصَّفقه ، ثم إنّ بنى تميم أداروا أمرهم ، وقال ذو الحِجا منهم : إنكم قد أغضبتم الملك ، وقد أوقع بكم حتى وَهنتم ، وتسامعتْ بما لقيتم القبائل فلا تأْمنون دَوران العرب . فجَمعوا سَبعة رؤساء منهم وشاوروهم فى أمرهم ، وهم : أكْثم بن صيفىّ الأُسيِّدىّ[2] ، والأُعيمر بن يَزيد بن مُرّة المازنىّ ، و قَيس بن عاصم المِنقرىّ ، وأُبير بن عِصْمة التَّيمىّ ، والنُّعمان ابن الحسْحاس[3] التَّيمى ، وأُبيْر[4] بن عمروا السَّعدى ، والزِّبْرقان بن بَدر السَّعدىّ . فقالوا لهم : ماذا تَروْن ؟ فقال أكْثم بن صَيفىّ ، وكان يُكنى أباحَنش[5] : إنّ الناس قد بلغهم ما قد لقينا ، ونحن نخاف أن يَطمعوا فينا ، ثم مَسح بيده على قَلبه ، وقال : إنّى قد نَيّفت على التِّسعين ، و إنما قلبى بَضْعة من جِسْمى ، وقد نَحل كما نحل جِسْمى ، و إنّى أخاف أن لا يُدرك ذهنى الرأىَ لكم ، وأنتم قومٌ قد شاع فى النّاس أمرُكم ، و إنما كان قوامكم أُسيفا وَعَسيفا — يُريد العَبد والأَجير — وصِرْتم اليوم إنما تَرعى لكم بناتكم ، فليعرض علىّ كُل رجل منكم رأْيَه

(١) فى أكثر الأصول : « وهو يوم » والكلام بعد على أنهما ليسا شيئا واحدا . وانظر ابن الأثير (١ : ٢٨٦) .

(٢) فى بعض الأصول . « الأسدى » تحريف . وانظر النقائض والاشتقاق لابن دريد (١٢٣) .

(٣) فى بعض الأصول : « وأبين » .

(٤) فى بعض الأصول والأغانى وابن الأثير : « جساس » .

(٥) فى ابن الأثير (١ : ٢٦٧) : « أبو حيدة » .

وما يَحضُره ، فإنى متى أسمع الحزم أعرفه . فقال كُل رجل منهم ما رأى ، وأكثمُ ساكتٌ لا يتكلّم ، حتى قام النعمان بن الحَسحاس [(١)] ، فقال : يا قوم ، انظُروا ماء يجمعكم ، ولا يعلم الناسُ بأىّ ماء أنتم حتى تَنفرج الحلْقة عنكم وقد جَممتم [(٢)] ، وصلُحت أحوالُكم ، وانجبر كسيرُكم ، وقَوِى ضعيفُكم . ولا أعلم ماء يجمعكم إلا قِدَّة [(٣)] ، فارتحلوا وانزلوا قِدَّة . وهو موضع يُقال له الكُلاب . فلما سمع أكثمُ ابن صيفىّ كلامَ النعمان ، قال : هذا هو الرأى . فارتحلُوا حتى نزلوا الكُلاب . وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وأعلاه مما يلى اليمن ، وأسفله مما يلى العراق . فنزلت سعدُ والرِّباب بأعلى الوادى ، ونزلتْ حَنظلة بأسفله .

قال أبو عُبيدة : وكانوا لا يخافون [(٤)] أن يُغزَوا فى القَيْظ ، ولا يسافر فيه أحد ، ولا يَستطيع أحدٌ أن يَقطع تلك الصَّحارى لبُعْد مَسافتها ، وليس بها ماء ، ولشدّة حرّها . فأقاموا بقيّة القَيظ لا يعلم أحدٌ بمكانهم ، حتى إذا تَهوّر القيظ — أى ذهب — بَعث الله ذا العَينين [(٥)] ، وهو من أهل مدينة هَجَر ، فمرّ بقِدّة وصَحرائها ، فرأى ما بها من النَّعم ، فانطلق حتى أتَى أهل هَجر ، فقال لهم : هل لكم فى جارية عَذراء ، ومُهرة شَوهاء [(٦)] ، وَبكْرة حَمْراء ، ليس دونها نَكبة ؟ فقالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قال : تلكم تَميم ألقاء [(٧)] مطروحون بقِدّة . قالوا : إى والله . فمشى بعضُهم إلى بعض ، وقالوا : اغتنمُوها من بنى تَميم . فأخرَجوا منهم أربعةَ أملاك ، يقال لهم اليزَيدِيّون : يزيد بن هوْبر ، ويزيد بن عبد المَدَان ، ويزيد بن المأمور [(٨)] ، ويَزيد بن المُخَرّم [(٩)] ، وكلهم حارثيّون ، ومعهم عبد يغوث الحارثىّ . فكان

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٢٢٤) من هذا الجزء .
(٢) جم : عفا من تعبه . (٣) قدة (بالكسر والتشديد) : ماء بالكلاب .
(٤) فى ن : « يخافون » . (٥) فى ن : « ذا العينتين » .
(٦) الشوهاء : الطويلة الرائعة .
(٧) ألقاء : مطروحون على الأرض ، الواحد : لقى .
(٨) فى ن : « المأمون » .
(٩) فى بعض الأصول : « المحرم » ، وما أثبتنا من سائر الأصول والنقائض (١٥٠) والأغانى (١٤ : ٧٤)

كُل واحـد منهم على ألفين، والجماعة ثمانية آلاف . فلا يُعلم جيش فى الجاهلية كان أكبرَ منه ، ومن جيش[1] كسرى يومَ ذى قَار ويوم شِعْب جَبلة . فضَوا حتى إذا كانوا ببلاد باهلةَ ، قال جَزْء بن جَزْء الباهلىّ لأبنه : يا بُنى ، ٩٩/٣ هل لك فى أُكرومة لا يُصاب أبدًا مثلُها؟ قال : وما ذاك ؟ قال : هذا الحىّ من تميم قد وَلجوا هناك مخافةً[2]، وقد قصصتُ أثرَ الجيش يريدونهم ، فاركب جَملى الأرْحبىّ[3] وسِرْ سيراً رُويدا ، عُقْبةً من الليل — يعنى ساعة — ثم حُل عنه حَبْليه وأنْخه وتوسّد ذراعه ، فإذا سمعته قد أفاض بجرّته وبال فاستنقعتْ ثَفِناته[4] فى بَوْله فشُدّ عليه حَبْله ، ثم ضَعْ السوط عليه فإنك لا تَسأل جملَك شيئاً من السَّير إلا أعطاك ، حتى تُصبح القوم . ففعل ما أمره به . قال الباهلىّ : فحللتُ بالكُلاب قبل الجيش وأنا أنظرُ إلى ابن ذُكاء — يعنى الصُّبح — فناديتُ : يا صَباحاه ! فإنهم لَيثبون إلىّ ليسألونى[5] مَن أنت ، إذ أقبل رجلٌ [منهم] من بنى شَقيق على مُهر[6] قد كان فى النَّعم ، فنادى : يا صباحاه ! قد أُتى على النَّعم . ثم كَرّ راجعا نحو الجيش . فلقيه عبدُ يغوث الحارثىّ ، وهو أول الرَّعيل ، فطَعنه فى رأس مَعدته ، فسبق اللبنُ الدمَ ، وكان قد أصطبح . فقال عبد يغوث : أطيعونى وامضُوا بالنَّعم وخلُّوا العَجائز من تميم ساقطةً أفواهُها . قالوا : أمّا دون أن نَنْـكح بناتِهم فلا . وقال ضَمرة[7] بن لَبيد الحِماسىّ [ثم المَذْحِجىّ الـكاهن] : انظُروا إذا سُقتم النَّعم ، فإن أتتكم الخيلُ عُصَباً ، العُصبة تنتظر الأخرى حتى تلحق[8] بها ، فإنّ أمر القوم هيّن ؛ وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضُهم بعضا حتى يردّوا وُجوه النَّعم ، فإن أمرَهم شديد . وتقدّمت سعد والرِّباب فى أوائل الخيل ، فالتقَوْا بالقوم فلم يَلتفتوا إليهم . واستقبلوا

(١) فى أكثر الأصول : « ويوم جيش » . والظاهر أن كلمة « يوم » مقحمة .
(٢) فى ن : « قد لجئوا ها هنا مخافة كسرى » .
(٣) الأرحبي : نسبة إلى بنى أرحب بطن من همدان تنسب إليهم النجائب الأرحبية . قال الأزهرى : ويحتمل أن يكون « أرحب » فحلا تنسب إليه النجائب لأنها من نسله .
(٤) الثفنات : ما يقع على الأرض من أعضاء البعير والناقة إذا استناخ .
(٥) فى ا ، ن : « ليثوبون إلى يسألونى » .
(٦) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « وبل » .
(٧) فى ن : « ضبيرة » . (٨) فى ن : « تلتحق » .

النَّعم ولم يَنتظر بعضُهم بعضا . ورئيس الرِّباب النُّعمان بن الحَسْحاس(١) ، ورئيس بنى سعد قَيسُ بن عاصم . وأجمع العُلماء أنّ قيسَ بن عاصم كان رئيسَ بنى تميم . فالتقى القوم، فكان أولَ صريع النعمانُ بن الحسحاس(١) . واقتتل القومُ(٢) بقيّة يومهم، وثبَت بعضُهم لبعض حتى حَجز الليلُ بينهم . ثم أصبحوا على راياتهم، فنادى قيسُ بن عاصم : يا لَسعد ، ونادى عبدُ يغوث : يالَسعد . قيسٌ يدعو سعدَ بنَ زيد مَناة ، وعبدُ يغوث يدعو سعدَ العشيرة. فلما سمع ذلك قيسٌ نادى : يا لَكعب . فنادى عبدُ يغوث : يالَكعب . قيسٌ يدعو كعبَ بن سعد ، وعبدُ يغوث يدعو كعبَ بن مالك . فلما رأى ذلك قيسٌ نادى : يا لَكعب مُقاعس . فلما سمعه وَعْلة بن عبد الله الجَرْمى ، وكان صاحبَ لواء أهل اليمن ، نادى : يا لَمُقاعس ، تفاءل به ، فطَرح اللواء(٣) ، وكان أولَ من انهزم . فحملت عليهم بنو سعد والرِّباب فهزموهم . ونادى قيسُ بنى عاصم : يا لَتميم ، لا تقتلوا إلّا فارساً ، فإن الرَّجالة لكم . ثم جعل يرتجز ويقول :

لما تولَّوا عُصَبًا هوارِبَا أقسمتُ لا أطعن إلّا راكباَ

* إنّى وجدتُ الطَّعن فيهم صائبا *

وقال أبو عُبيدة : أمر قيس بن عاصم أن يَتبعوا المُنهزمة ويقطعوا عُرقوبَ مَن لحِقوا، ولا يَشتغلوا بقتلهم عن اتِّباعهم . فجزُّوا دوابرَهم. فذلك قولُ وَعْلة :

فِدًى لكمُ أهلى وأمّى ووالدى غداةَ كُلاب إذ تُجز الدَّوابرُ

— وسنكتب هذه القصيدة على وَجهها(٤) — . وحَمى عبدُ يغوث أصحابَه فلم يُوصل إلى الجانب الذى هو فيه ، فألظّ(٥) به مَصاد بن ربيعة بن الحارث . فلما لحقه مَصاد طعنه فألقاه(٦) عن الفرس فأسره . وكان مَصاد قد أصابته طعنة فى

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٢٢٤) من هذا الجزء
(٢) فى ن : « الفريقان » .
(٣) فى بعض الأصول : « فطرح له اللواء » .
(٤) انظر (ص ٢٣١) من هذا الجزء .
(٥) ألظ به : لازمه . (٦) فى ن : « فأزاله » .

مَأْبِضه[١] ، وكان عِرْقُه يَهْمِى — أى يَسيل — فَعصبه ، وكَتَفه — يعنى عبدَ يغوث — ثم أردفه خلفه فنزفه الدمُ ، فمال عن فرسه مَقْلوبا[٢] . فلما رأى ذلك عبدُ يغوث قطع كِتافَه وأجهز عليه وأنطلق على فرسه ، وذلك أولَ النهار . ثم ظُفِر به بعدُ فى آخره ، ونادى مُنادٍ : قُتِل اليزيديُّون . وشَدَّ قَبيصة بن ١٠٠/٣ ضِرار الضَّبىّ على ضَمرة بن لَبيد الحِماسىّ الكاهن ، فطَعنه فخرّ صريعاً . فقال له قَبيصةُ : ألا أخبرك[٣] تابعُك بمَصرعك اليوم ؟ وأُسر عبد يغوث ، أسره عِصْمة ابن أُبير التَّيمى .

قال أبو عُبيدة : انتهى عِصْمة بن أُبير إلى مَصَاد ، وقد أمعنوا فى الطلب ، فوَجده صريعاً ، وقد كان قبل ذلك رأى عبد يَغوث أسيراً فى يديه فعرف أنه هو الذى أجهز عليه ، فاقتصّ أثرَه ، فلما لحقه قال له : ويحك ! إنِّى رجل أُحب اللّبن وأنا خيرٌ لك من الفَلاة والعَطش . قال عبد يغوث : ومن أنت ؟ قال : عصمة بن أُبير . قال عبد يغوث : أوَ عندك مَنَعة ؟ قال : نعم . فألقى يدَه فى يده . فانطلق به عِصْمة حتى خَبأه[٤] عند الأهتم على أن جَعل له من فدائه جُعلا . فوَضعه الأهتم عند امرأته العَبْشمية . فأعجبها جمالُه وكمالُ خَلْقه . وكان عِصْمةُ الذى أسره غلاماً نَحيفاً . فقالت لعبد يغوث : مَن أنت ؟ قال : أنا سيِّد القوم . فضحكت وقالت : قَبَّحك الله سيِّد قوم حين أسرك مثلُ هذا ! . ولذلك يقول عبدُ يغوث :

وتَضْحك منِّى شيخةٌ عَبْشميّة ... كأنْ لم تَرىْ قَبْلى أسيرًا يَمانيَا[٥]

فاُجتمعت الرِّباب إلى الأهتم ، فقالت : ثأرُنا عندك ، وقد قُتل مَصاد والنُّعمان ، فأخرجه إلينا . فأبى الأهتم أن يُخرجه إليهم ، فكاد أن يكون بين الحيَّين ، الرِّباب وسعد ، فِتْنة . حتى أقبل قيسُ بن عاصم المِنْقرىّ ، فقال : أيؤتى

(١) المأبض (كمجلس) : باطن الركبة .
(٢) فى ا ، ن : « مغلوبا » . (٣) فى ا ، ن : « ألا أنبأك » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « جثاه » .
(٥) انظر شرح البيت (ص ٢٣٠) من هذا الجزء .

قطع[1] حِلف الرِّباب مِن قِبَلنا[2] ؟ وضَرب فَمه بقَوس فهتمه ، فَسُمّى الأهتم. فقال الأهتم : إنما دَفعه إلىّ عِصْمة بن أُبير ولا أدفعه إلاّ إلى مَن دَفعه إلىّ ، فليجيء فليأخذه . فأتوا عِصْمة فقالوا : يا عِصْمة ، قُتل سيِّدنا النعمان وفارسنا مَصاد ، وثأرنا أسيرُك وفى يدك ، فما ينبغى لك أن تَستحييه . فقال : إنى مُمْحل وقد أصبت الغِنى فى نفسى ، ولا تَطيب نفسى عن أسيرى . فاشتراه بنو الحَسْحاس[3] بمائة بعير — وقال رُؤْبة بن العجّاج : بل أرْضوه بثلاثين من حواشِى النَّعم[4] — فدفعه إليهم ، فخَشُوا أن يهجوهم، فشدُّوا على لسانه نِسْعة . فقال : إنكم قاتلى ولا بد[5]، فَدعُونى أذُم أصحابى وأنوح على نفسى . فقالوا : إنك شاعر ونخاف أن تَهجوَنا . فعقد لهم ألاّ يفعل . فأطلقوا لسانَه وأمهلوه حتى قال قصيدته التى أولها :

ألاَ لا تلومانى كَفى اللّومُ ما بِيا ... فما لكما فى اللّوْم خيرٌ ولا لِيَا
ألم تَعلما أنّ الملامةَ نَفعُها ... قليلٌ وما لَوْمى أخِى مِن شِماليا[6]
فيارا كبا إمَّا عَرضْتَ فبلِّغنْ ... نَداماىَ مِن نَجْران أنْ لا تَلاقيا[7]
أبا كَرِبٍ[8] والأيْهمين[9] كليهما ... وقيسٍ بأعلى حَضْرموتِ اليمانيا[10]
جَزى الله قومى بالكُلاب مَلامةً ... صَرِيحَهم والآخِرين المَواليا[11]

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « أترى أقطع » .
(٢) فى ن : « قبلها » . (٣) فى ن : «جساس» .
(٤) فى ن : «المال» . (٥) فى ن : «لامحالة » .
(٦) كذا فى ن والأغانى (١٥ : ٧٦) والأمالى (٣ : ١٣٢) . والشمال : الخلق . والذى فى سائر الأصول : « سماتيا » .
(٧) فيارا كبا ، قال أبو عبيد : أراد : فيارا كباه ، الندبة فحذف الهاء . ولا يجوز « يارا كبا » بالتنوين ، لأنه قصد بالنداء را كباً بعينه . وعرضت : أتيت العروض ، وهى مكة والمدينة وماحولهما .
(٨) أبو كرب ، هو بشر بن علقمة بن الحارث . (انظر ابن الأثير) .
(٩) كذا فى بعض الأصول والنقائض (١٥٣) وابن الأثير (١ : ٢٨٨) والأغانى (١٥:٧٦) والأمالى (٣: ١٣٢). والأيهمان ، هما الأسود بن علقمة بن الحارث والعاقب، وهو عبد المسيح بن الأبيض. والذى فى سائر الأصول : «والأهتمين» .
(١٠) قيس ، هو قيس بن معد يكرب أبو الأشعث بن قيس الكندى .
(١١) الصريح : الخالصة . والموالى: الحلفاء الملتمون إليهم .

ولو شئتُ نجّتْني من القوم نَهدة (١) ... ترى خلفها الجُردَ الجِياد تَواليا (٢)
ولكنّني أحمِي ذِمارَ أبيكمُ ... وكاد الرِّماح يَخْتطِفْنَ المُحاميا (٣)
أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ سَامِعاً ... نَشِيدَ الرِّعاء المُعزِبين المَتاليا (٤)
أقولُ وقد شدُّوا لساني بنِسْعة ... أمَعشَرَ تَيْمٍ أطْلِقوا عَن لِسانيا (٥)
وتَضْحك منّي شَيخةٌ عبشميّة ... كأنْ لم تَرَىْ قَبْلي أسيراً يمانيا (٦)
أمعشَرَ تَيْمٍ قد مَلَكتم فأسْجِحوا ... فإنَّ أخاكم لم يكن من بَوائيا (٧)
وقد عَلمتْ عِرْسى مُليكةُ أنّني ... أنا الليثُ مَعْدوًّا عليه وعاديا (٨)
وقد كنتُ نحّارَ الجَزور ومُعْمل المَطِيّ وأمْضِي حيثُ لاحيٌّ ماضِيا ١٠٣/١

(١) النهدة : المرتفعة الخلق . ويروى : * ولو شئت نجتنى كميت رجيلة * والرجيلة : القوية الشديدة .
(٢) الجرد : القصار الشعر ، مدح . والرواية فى غير العقد : « الحو » . والحو : التى تضرب إلى الخضرة . وخص الحو لأنها أصبر الخيل وأخفها عظاما إذا عرقت لكثرة الجرى . وتواليا : أى تتبعها ، لأن فرسه خفيفة تقدمت الخيل .
(٣) الذمار : ما يجب حفظه من منعة جار أو طلب ثأر . قال القالى : « وقوله : * وكان الرماح يختطفن المحاميا * هذا مثل . ويروى : وكان العوالى يختطفن » .
(٤) كذا رواية هذا العجز فى بعض الأصول والأغانى والأمالى وابن الأثير والنقائض . والرعاء : جمع راع . والمعزب : المتنحى بإبله . والمتالى : التى نتج بعضها وبقى بعض . والذى فى سائر الأصول : * بشر الوغى والقربين المتاليا *
(٥) النسعة : القطعة من النسع ، وهو سير يضفر من جلد . يقول : افعلوا بى خيرا ينطلق لسانى بشكركم ، فإن لم تفعلوا فلسانى مشدود لا يقدر على مدحكم . وقد يكون الشد على الحقيقة ، مخافة أن يهجوهم ، كما ذهب إليه أبو الفرج فى الأغانى والجاحظ فى البيان والتبين .
(٦) عبشمية : نسبة إلى عبد شمس . « وكأن لم ترى » ، رجوع من الإخبار إلى الخطاب . ويروى « لم ترأ » بسكون الهمزة فى آخر الفعل . (وانظر المغنى فى الكلام على لم) .
(٧) أسجحوا : سهلوا أو يسروا فى أمرى . وأخاكم ، هو النعمان بن الجساس . والبواء : السواء . يريد : إن أخاكم لم يكن نظيرا لى فأكون بواء له . ورواية عجز هذا البيت فى بعض أصول العقد :
* فإن أسارى لم يكن من توانيا *
(٨) فى الأمالى : « معديا » مكان « معدوا » (وانظر الخزانة ١ : ٣١٦ وشرح شواهد الشافية ٤٠٠ — ٤٠١ وسيبويه ٢ : ٣٨٢) .

وأعقِرُ للشَّرْب الكِرام مَطِيَّتى وأصدَعُ بين القَيْنَتين رِدائيا[١]
وكُنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصها القَنا لَبيقاً بتَصْريف القَناة بَنانيا[٢]
وعاديةٍ سَوْمَ الجَرادِ وزعتُها بِرُمْحِى وقد أنحَوْا إلىّ العواليا[٣]
كأنّىَ لم أرْكب جواداً ولم أقُل لِخَيْلِىَ كُرِّى قاتِلى[٤] عن رِجاليا
ولم أسْبأ الزِّقَّ الرَّوِىَّ ولم أقُلْ لأيْسارِ صِدْقٍ أعْظِموا ضَوْءَ ناريا[٥]

قال أبو عُبيدة : فلما ضُربت عنقه قالت ابنةُ مَصاد : بُؤْ بمَصَاد . فقال بنو النعمان : يالَكاع ، نحن نَشْتريه بأموالنا ويبوء بمَصاد ! فوقع بينهم فى ذلك الشرّ ، ثم اصطلحوا . وكان الغَناء كُله يوم الكُلاب من الرِّباب لتيم[٦] ، ومن بنى سَعد لمُقاعس .

وقال وَعْلة الجَرْمىّ ، وكان أول مُنهزم أنهزم يوم الكُلاب ، وكان بيده لواء القَوم :

ومَنْ ّ علىّ الله مَنَّا شَكرتُه غَداةَ الكُلاب إذ تُجزّ الدَّوابرُ
ولما رأيتُ الخيلَ تَتْرَى أثابجاً[٧] علمتُ بأنّ اليومَ أحْمَسُ[٨] فاجر
نجوتُ نجاءً ليس فيه وَتِيرة[٩] كأنّى عُقابٌ عند تَيْمن[١٠] كاسر[١١]

---

(١) فى غير العقد : «وأعر» مكان «وأعقر» . والشرب : جمع شارب . وأصدع : أشق . والقينة : الأمة مغنية كانت أو غير مغنية . يريد أنه يعطى كلا منهما شطر ردائه .

(٢) شمصها : نفرها . واللبيق : الحاذق .

(٣) عادية : يريد خيلا عادية . وسوم الجراد : انتشاره فى طلب المرعى . يريد أن الخيل كالجراد فى كثرتها . ووزعتها : كففتها . وأنحوا إلى : وجهوا إلى .

(٤) فى غير العقد : «نفس» .

(٥) لم أسبأ : لم أشتر الخمر . والروى ، أى الممتلىء . والأيسار : الذين يضربون القداح .

(٦) فى بعض الأصول : «لتيم» .

(٧) كذا فى ن . وأثابجا : جماعات عظيمة . وثبج كل شىء : معظمه . والذى فى سائر الأصول : «تبرى أنا بجا» تصحيف .

(٨) فى الأغانى (١٥ : ٧٧ بلاق) : «أغبر» . (٩) الوتيرة : الفتور أو الظلم .

(١٠) كذا فى معجم البلدان (تيمن) والخزانة (١ : ١٩٩) . وتيمن : بلاد بنى تميم ونجران . والذى فى الأصول : «تياء» . وتيماء : فى وادى القرى . ولم ينشد ياقوت البيت فى رسم (تياء) .

(١١) الكاسر : التى تكسر جناحيها وتضمهما إذا أرادت السقوط .

خُدَارِيَّةٌ صَقْعاء لَبَّدَ رِيشَها ... بطَخْفة يومٌ ذو أهاضيبَ ماطرُ(١)
لها ناهضٌ في الوَكْر قد مَهَدت له ... كما مَهدت للبَعْل حَسْناء عاقر
كأنا وقد حالت حذُنةُ(٢) دوننا ... نعــامٌ تَلاه فارسٌ مُتواتر
فمن يكُ يَرْجو في تميم هوادة ... فليس لجَرْم في تميم أواصر
ولما سمعتُ الخَيل تدعو مُقاعساً ... تَنازعنى من ثُغْرة النَّحر ناجِرُ(٣)
فإن أستطع لا تَبْتئس بى مُقاعِس ... ولا تَرَنى بيداوُهم(٤) والمحاضر
ولا أكُ في جَرَّارة(٥) مُضَرِيّة ... إذا ما غدتْ قُوتَ العِيال تُبادر
وقد قُلت للنَّهدىّ(٦) هل أنت مُرْدِفى ... وكيف رِدافُ الفَلّ أُمُّك عاثر(٧)
يُذَكِّرنى بالآل بينى وبينــه ... وقد كان فى جَرم ونَهْد تَدابُر

وقال مُحرز بن المُكَعْبر الضّبى، ولم يَشهدها، وكان مُجاوراً فى بنى بكر بن وائل لما بلغه الخبر:

فِدًى لقومِى ما جَمّعتُ من نَشَبٍ ... إذ ساقت الحربُ أقواماً لأقوامِ(٨)

---

(١) خدارية: سوداء. وصقعاء: على رأسها بياض: «والأهاضيب: جلبات القطر بعد القطر. قال الجوهرى: «والأهاضيب: واحدها هضاب. وواحد الهضاب هضب». وتكون جمع أهضوبة أيضا.

(٢) كذا فى النقائض (١٥٦) والمفضليات (٣٢٩ ليل) ومعجم البلدان. وهى موضع قرب اليمامة. والذى فى الأصول: «جدية».

(٣) فى ن: «من نقرة النحر». والرواية فى الخزانة: «تطلع منى ثغرة النحر حائر».

(٤) فى الأغانى: «باديهم. وفى ن: «ولا يرنى مبد لهم».

(٥) جرارة، أى كتيبة جرارة، وهى الثقيلة السير التى لا تقدر عليه إلا رويدا من كثرتها. وفى ن: «حرادة».

(٦) كذا فى الخزانة والأغانى. والذى فى الأصول: «يقول لى النهدى». ولا يستقيم بها الكلام. فالذى طلب من صاحبه أن يردفه هو وعلة.

(٧) الفل: المنهزم، يستوى فيه الواحد والجمع، ومنه قول الجعدى:

* وأراه لم يغادر غير فل *

أى المفلول.

(٨) النشب: المال الأصيل.

إذ حُدِّثت[1] مَذْحِجٌ عنّا وقد كُذِبتْ ... أنْ لا يُذبِّبَ[2] عن أحسابنا[3] حامى

دارت رحانا[4] قليلاً ثم واجههم[5] ... ضربٌ تَصدَّعُ[6] منه جِلْدة[7] الهام

ظلّت ضِباع مُجَيْراتٍ تُجرِّرُهم ... وأَلْحُمُوهنّ[8] منهم أىَّ إلحام

حتى حُذُنّة[9] لم نَترك بها ضَبُعا ... إلا لها جَزَرٌ من شِلْو مِقْدام[10]

ظلّت تَدوس[11] بنى كَعب[12] بكَلْكَلها[13] ... وَهَمَّ يومُ بنى نَهْدٍ[14] بإظْلام

قال أبو عُبيدة: حدّثنى المُنتجع بن نَبهان قال: وَقَف رُؤْبة بن العجّاج على التّيم بمسجد الحروريّة فقال: يا معشر تيم، إنى سَمَرت عند الأمير البارحة[15] الليلة فتذاكرنا يومَ الكُلاب فقال: يا معشر تَيم، إنّ الكُلاب ليس كما ذكرتم، فأعفُونا من قصيدتَىْ صاحبَيْنا — يعنى عبد يغوث وَوَعْلة الجَرمىّ — ومن قصيدة ابن المُكعبر صاحبكم وهاتوا غيرَ ذلك، فأنتم أكثر الناس كلاماً وهجاء. قال رؤبة: فأنشدناه فى ذلك اليوم شعرًا كثيرًا. فجعل يقول: هذه إسلاميّة كلّها. ١٠٢/٣

(١) فى المفضليات: «خبرت».
(٢) فى المفضليات والأغانى (١٥: ٧٧): «لن يورع»، أى لن يكف عنها.
(٣) فى الأغانى: «نسواننا».
(٤) كذا فى المفضليات ومعجم البلدان فى رسم (حذنة). ودوران الرحى: كناية عن بدء الحرب. والتى الأصول والأغانى: «رحام».
(٥) فى المفضليات ومعجم البلدان: «صبحهم».
(٦) فى المفضليات والأغانى: «تصيح». وقيل فى معناه «تصوت» مع خلو المعاجم من الإشارة إليه.
(٧) فى المفضليات: «جلة». وفى الأغانى: «مسكن».
(٨) مجيرات: هضبات حمر تنسب إليها الضباع. وألحموهن. أطعموهن اللحم. والرواية فى المفضليات ومعجم البلدان: «يلذنبهم» مكان «تجررهم».
(٩) فى الأصول: «جدبة». وانظر الحاشية (٨: ٢٣١) من هذا الجزء
(١٠) الجزر: ماجزر. والشلو: بقية المقتول والميت.
(١١) فى الأصول: «رءوس». وما أثبتنا من الأغانى والمفضليات ومعجم البلدان.
(١٢) فى النقائض: «بنى عمرو».
(١٣) الكلكل: الصدر. أراد: تدوسهم الحرب وتطحنهم.
(١٤) فى الأصول: «بدر». وما أثبتنا من الأغانى والمفضليات ومعجم البلدان.
(١٥) فى ن: «بلال».

يوم طِخَفَة[1]

كانت الرِّدافة[2]، رِدافة المَلِك[3]، لعتّاب بن هَرْمِىّ[4] بن رِياح، ثم كانت لقَيس بن عَتّاب، فسأل حاجبُ بن زُرَارة النُّعمان أن يجعلها للحارث بن قُرْط بن سُفيان بن مُجاشع، فسألها النعمانُ بنى يَربوع، وقال: أعقبوا إخوتكم فى الرِّدافة. قالوا: إنهم لا حاجةَ لهم فيها، وإنما سألها حاجبٌ[5] حسداً لنا، وأبَوْا عليه. فقال الحارث بن شِهاب، وهو عند النعمان: إنّ بنى يَربوع لا يُسلمون رِدافتهم إلى غيرهم. وقال حاجب: إن بعث إليهم الملك جيشاً لم يَمنعوه ولم يَمتنعوا[6]، فبعث إليهم النعمانُ قابوسَ ابنَه، وحسّانَ بن المنذر. فكان قابوس على الناس وكان حسّان على المُقدّمة، وبَعث معهم الصَّنائع والوَضائع — فالصنائع: مَن كان يأتيه من العرب، والوضائع: المُقيمون بالحِيرة — فالتقوا بطِخفة، فانهزم قابوسُ ومَن معه، وضَرب طارقُ بنُ عُميرة فرسَ قابوس فعقره، وأخذه ليجزّ ناصيته. فقال قابوس: إن الملوك لا تُجز نواصيها، فجهّزه وأرسله إلى أبيه. وأما حسّان بن المُنذر، فأسره بشرُ بن عمرو الرِّياحىّ، ثم مَنّ عليه وأرسله. فقال مالك بن نُويرة:

ونحن عَقرنا مُهر قابوسَ بَعدما رَأى القومُ منه الموتَ والخيل تُلْحَبُ[7]
عليه دِلاَصٌ ذاتُ نَسْج وسَيفُه جُرازٌ من الهِندىّ أبيضُ مُقْضَبُ[8]

(١) طخفة (بالكسر، ويروى بالفتح): موضع بعد النباج وبعد إمرة فى طريق البصرة إلى مكة. (انظر معجم البلدان).
(٢) الردافة: فعل ردف الملك، وهو جليسه،
(٣) فى ن: «الملوك».
(٤) فى بعض الأصول: «هرم». وانظر الأغانى والنقائض والاشتقاق.
(٥) فى بعض الأصول: «صاحب».
(٦) فى بعض الأصول: «لم يمنعوا ولم يمنعوا».
(٧) كذا فى النقائض. وتلحب، أى تجهد وتلق ما يؤذيها. وفى بعض الأصول: «رأى القوم منه والخيول تلهب». وفى سائرها: «رأى القوم منه الموت والخيل تلهب».
(٨) الدلاص من الدروع: اللينة البراقة الملساء. والجراز من السيوف: الماضى النافذ. ومقضب: قطاع.

طَلَبْنا بهــا إنَّا مَداريكُ قبلَها إذا طَلَبَ الشَّأْوَ البعيــدَ المُغَرِّبُ(١)

يوم فيف الريح(٢)

قال أبو عُبيدة : تجمّعت قبائل مَذْحِج ، وأكثرُها بنوالحارث بن كعب ، وقبائلُ من مُراد وجُعْفِيّ وزَبِيدوخَثْعم ، وعليهم أنسُ بنُ مُدْركة ، وعلى بنى الحارث الُحصين . فأغاروا على بنى عامر بن صَعْصعة بفَيف الرِّيح ، وعلى بنى عامر عامرُ بن مالك مُلاعب الأسنّة.قال:فاقتَتل القومُ ، فكَثَّروهم(٣).وأرفضّت قبائلُ من بنى عامر . وصَبرت بنونُمير،فما شُبِّهوا إلا بالكِلاب المُتعاظلة(٤) حولَ اللّواء . وأقبل عامر بن الطُّفيل ، وخَلْفه دعىّ(٥) بن جعفر . فقال : يا معشر الفتيان ، مَن ضَرب ضَربةً أو طعن طعنةً فليُشْهِدنى . فكان الفارس إذا ضَرب ضربةً أو طَعن طعنة قال عندذلك : أبا علىّ . فبينما هو كذلك إذ أتاه مُسْهِر بن يزيد الحارثىّ ، فقال له مِن ورائه : عندك يا عامر ، والرمحُ عند أذنه .فوَهَصه — أى طَعنه — فأصاب عينَه . فوثب عامرٌ عن فَرسه ونجا على رِجْليه ، وأخذ مُسْهِر رُمحَ عامر . ففى ذلك يقول عامرُ بن الطُّفيل بن مالك بن جَعفر :

لَعَمْرى وما عَمْرى على بهيِّن لقد شان حُرَّ الوَجْه طَعنةُ مُسْهِرِ
أعاذل لو كان البِداد(٦) لَقُوتلوا ولكن تَزَاوَرْنا للمديد(٧) المُجمهَر
ولو كان جمعٌ مِثْلُنا لم يَبُزَّنا(٨) ولكن أتتنا أُسْرة(٩) ذاتُ مَفْخر

(١) فى بعض الأصول : « المقرب » .
(٢) فيف الريح : بأعالى نجد .
(٣) كذا فى ا ، ن ، وكثروهم : أى غلبوهم بكثرتهم . والذى فى سائر الأصول : « فكسروهم » .
(٤) الكلاب المتعاظلة : التى لزم بعضها بعضا فى السفاد. (٥) كذا فى الأصول .
(٦) كذا فى ن . والبداد ، أى فرادى واحدا واحدا . والذى فى سائر الأصول : « البذاذ » تصحيف .
(٧) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « بالعديد » .
(٨) فى معجم البلدان فى رسم (فيف الريح) : « لم ينالهم » .
(٩) كذا فى معجم البلدان . والذى فى الأصول : « ثروة » .

أتونا ببَهراء(١) ومَذْحج كُلها وأكْلُبَ طُرًّا فى جِنَان(٢) السَّنَوَّرِ(٣)

وقال مُسْهِر ، وقد زعم أنهم أخذوا أمرأة عامر بن الطفيل :

رَهصتُ بخُرْص الرُّمح(٤) مُقلةَ عامر فأضحَى بَخيصا فى الفَوارس أعْوَرَا

وغادر فينا رُمحَه وسِــــــلاحَه وأدْبر يَدْعو فى الهَوالكِ جَعْفرا

وكُنّا إذا قَيسيّة دُهيت بنا(٥) جَرى دَمْعُها مِن عَينها فتحدَّرا

مخــــافةَ ما لاقتْ حليلةُ عامر من الشرّ إذ سِرْبالهــا قد تَعفَّرا ١٠٣/٣

قال : وامتنَّت بنو نُمير على بنى كلاب بصَبرهم يوم فَيف الرِّيح ، فقال عامر:

تَمُنُّون بالنُّعمى ولولا مَكَرُّنا بمُنعرج الفَيفا لـكنتم مواليَا

ونحن تدارَكْنا فوارسَ وَحْوحٍ عشيّةَ لاقينَ الُحصين اليَمانيا

وحوح ، من بنى نُمير، وكان عامر استنقذهم. وأُسر حَنظلة بن الطُّفيل يومئذ.

قال أبو عُبيدة : كانت وقعة فيف الريح وقد بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة، وأدرك مُسهِرُ بن يزيد الإسلامَ فأسلم .

يوم تِيَاس(٦)

كانت أفناء قبائل من بنى سَعد بن زَيد مَناة وأفناء قبائل من بنى عمرو بن تميم(٧) التقت بِتَياس ، فقطع غيلانُ بن مالك بن عمرو بن تميم(٧) رِجْلَ الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة ، فطلبوا القِصاص ، فأقسم غيلان أن لا يَعْقِلَها

(١) فى ن : « بسهوان » . وفى معجم البلدان وديوان عامر بن الطفيل : « بشهوان العريضة » .
(٢) كذا فى ن . وفى الديوان : « فى جياد » . وفى معجم البلدان : « فى لباس » . والذى فى سائر الأصول : « فى جباب » .
(٣) كذا فى معجم البلدان والديوان . والسنور : لبوس يلبس فى الحرب كالدرع ، أو هو جملة السلاح .
(٤) خرص الرمح : سنانه . وبخيصا : غائر العين . وفى بعض الأصول : « نحيفا » .
(٥) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « فرقت لنا » .
(٦) تياس : ماء للعرب بين الحجاز والبصرة . (انظر معجم البلدان) .
(٧) فى ن : « تيم » .

ولا يُقْصِّ بها حتى تُحشى عيناه تُرابا ، وقال :

لا تَنقِل الرِّجلَ ولاَ نديها حتى تَروْا داهيــةً تُنْسيها

فالتقوا فاقتتلوا ، فجرحوا غيلان حتى ظَنّوا أنهم قد قتلوه . ورئيسُ عمرو كعب بن عمرو ، ولواؤه مع أبنه ذُؤيب ، وهو القائل لأبيه[1] :

يا كعبُ إنّ أخاكَ مُنحَمِقٌ إنْ لم يكن بكَ مرّةً كعبُ

جانيك مَن يَجنِى عليك وقد تُعْدِى الصحاحَ مَباركُ الجُربِ[2]

والحربُ قد تضطرّ صاحبَها نحو المَضيق ودونه الرُّحْبُ

يوم زرود الأول[3]

غَزا الحوفزان حتى أنتهى إلى زَرود خلفَ جبـل من جبالها ، فأغاروا على نَعم كثير صادر عن الماء لبنى عَبْس فاُحتازوه . وأتى الصريخُ بنى عَبس فركبوا . ولحق عُمارة بن زِيَاد العَبْسىّ الحَوْفزان فعرفه ، وكانت أمُّ عُمارة قد أرضعتْ مُضَرَ بنَ شَريك ، وهو أخو الحوفزان . وقال عُمارة : يا بنى شَريك ، قد علمتُم ما بيننا و بينكم . قال الحوفزان ، وهو الحارث بن شَريك : صدقتَ يا عُمارة ، فانظرُ كُل شيء هو لك فخُذْه . فقال عُمارة : لقــد علمتْ نساء بنى بكر بن وائل أنّى لم أملأ[4] أيدى أزواجهنّ وأبنائهنّ شفقةً عليهن من المَوت . فحمل عُمــارة ليُعارض النَّعم ليردّه ، وحال الحوفزانُ بينه و بين النَّعم ، فعثرت بعُمارة فرسُه ، فطَعنه الحوفزان . ولحَق به نَعامةُ بنُ عبد الله بن شَريك فطعنه أيضا . وقال نَعامة : ما كرهتُ الرُّمح فى كَفَل رجــل قط أشدّ من كَفَل عُمارة . وأُسِر ابنا عُمارة : سِنان وشَدّاد . وكان فى بنى عَبس

(١) فى بعض الأصول : « لابنه » . وانظر النقائض (ص ٢٥ — ٢٦) .
(٢) فى البيت إقواء . ونسب فى المرزبانى (ص٢٧٦) لعوف بن عطية بن الخرع التيمى .
(٣) زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمة بطريق الحاج من الكوفة . (انظر معجم البلدان) .
(٤) فى ن : « لن أملأ » .

رجلان من طيئ ابنان لأوس بن حارثة مُجاوِرَيْن لهم ، وكان لهما أخٌ أسير فى بنى يَشْكر ، فأصابا رجلاً من بنى مُرّة يقال له : مَعْدان بن مِحْرب ، فذَهبا به فدَفناه(١) تحت شجرة ، فلمّا فقدتْه بنو شَيبان نادَوْا : يا ثاراتِ مَعدان . فعند ذلك قَتَلوا أبنى عُمارة . وهَرب الطائيّان بأسيرهما . فلما بَرأ عُمارة من جراحه أتى طيّئاً فقال : ادفعوا إلىّ هذا الكَلْب الذى قُتِلنا به . فقال الطائىّ لأوس : أدفَع إلى بنى عَبس صاحبَهم . فقال لهم أوس : أتأمرُوننى أنْ أعطِىَ بنى عَبْس قطرةً من دمى ، وإن أبنى أسيرٌ فى بنى يَشْكر ؟ فوالله ما أرجو فَكا كَه إلا بهذا . فلما قَفل الحوفزانُ من غَزْوه بَعث إلى بنى يَشْكر فى أبن أوْس . فبعثوا به إليه ، فافتكّ به مَعْدان . وقال نَعامة بن شَريك :

أستَنْزلت رماحُنا سِنأنَا وشيخَه بطَخْفة عِيأنا(٢)
ثم أخوه قدرَأى هَوانا(٣) لما فَقَدْنا بيننا مَعْدانا ١٠٤/٣

يوم غَوْل الثانى(٤)
وهو يوم كِنْهِل(٥)

قال أبو عُبيدة : أقبل أبنا هُجَيمة ، وهما من بنى غَسّان ، فى جَيْش ، فنزلا فى بنى يَرْبوع فجاورا طارقَ بن عَوْف بن عاصم بن ثعلبة بن يَرْبوع ، فنزلا معه على ماء يقال له كِنْهل ، فأغار عليهما أناسٌ من ثَعلبة بن يَربوع ، فاستاقوا نَعَمهما وأسروا مَن كان فى النَّعم ، فركب قيسُ بن هُجيمة بخَيله حتى أدرك بنى ثَعلبة ، فكَرّ عليه عُتيبة بن الحارث . فقال له قَيس : هل لك يا عُتيبة إلى البِرَاز ؟ فقال : ما كنتُ لأَسْأله وأدعه . فبارزه . قال عُتيبة : فما

(١) الدفن : الستر والمواراة .
(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « وشيخنا بطخفة عنانا » .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول « عيانا » .
(٤) غول : ماء معروف للضباب بجوف طخفة . (انظر معجم البلدان) .
(٥) كنهل ، بالكسر : ماء لبنى تميم . (انظر معجم البلدان) .

رأيتُ فارساً أملأ لعينى منه يومَ رأيتُه . فرَمانى بقوسه ، فما رأيتُ شيئاً كان أكرهَ إلىّ منه . فطَعننى فأصاب قَربوسَ سَرْجى[١] ، حتى وجدتُ مَسّ[٢] السِّنان فى باطن فَخِذى ، فتجنّبتُ[٣] . قال: ثم أرسل الرُّمح وقَبض بيدى ، وهو يَرى أنْ قد أثبتنى ، وانصرف . فأتبعتُه الفرس . فلما سَمع زَجَلها رَجع جانحاً على قَرَبوس سَرْجه ، وبدا لى فَرْج الدِّرع ، ومَعى رُمح مُعلَّب[٤] بالقِدّ والعَصَب كُنّا نَصطاد به الوَحش ، فرميتُه بالقَوس وطعنتُه بالرمح ، فقتلتُه وانصرفت ، فلحقتُ النَّعم . وأقبل الهِرْماس بن هُجيمة فوقف على أخيه قتيلاً ثم أتْبعنى ، وقال : هل لك فى البِراز ؟ فقلتُ : لعلّ الرجعةَ لك خير . قال : أبعد قَيس ؟ ثم شدّ علىّ فضَربنى على البَيضة ، فخَلَص السيفُ إلى رأسى . وضربتُه فقتلتُه . فقال سُحيم بن وَثِيل يُعيّر طارقاً بقتل جارَيْه :

لقد كنتَ جارَ ابْنى هُجيمة قبلهَا فلم تُغْن شَيئاً غيرَ قَتْل المُجاور

وقال جرير :

وساق أبنى هُجَيمة يومَ غَوْلٍ إلى أشْـــيافنا قَدَرُ الِحمام

يوم الْجُبَّات[٥]

قال أبو عُبيدة : خَرج بنو ثَعلبة بن يَرْبوع فمرّوا بناسٍ من طوائف بنى بَكْر بن وائل بالجُبّات ، خرجوا سِفاراً ، فنزلوا وسرّحوا إبلهم تَرْعى ، وفيها نَفرمنهم يَرْعونها ، منهم سَوادة بن يَزيد بن بُجير[٦] العِجْلىّ ، ورجل من بنى شَيبان ، وكان مَحْمُوما ، فمرّت بنو ثَعلبة بن يَرْبوع بالإبل فأطْرَدوها ،

(١) قربوس السرج (كحلزون ، ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر) : حنوه ، وهما قربوسان .
(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « من » .
(٣) فى ن : « لحنيت » .
(٤) معلب: حز مقبضها بعلباء البعير ، وهى ممدود عصب العنق .
(٥) الجبات : موضع قريب من ذى قار . (عن معجم البلدان) .
(٦) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « بجيل » .

وأخذوا الرَّجلين فسألوهما : مَن مَعكما ؟ فقالا : معنا شيخُ بن يزيد بن بُجير العِجْليّ فى عصابة من بنى بَكْر بن وائل خَرجوا سِفارا يُريدون البَحْرين . فقال الربيعُ ودُعْموص ابنا عُتيبة بن الحارث بن[1] شِهاب : لن[2] نذهب بهذين الرجلين وبهذهِ الإبل ولم يَعلموا مَن أخذها ، ارجعوا بنا حتى يَعلموا مَن أخذ إبلهم وصاحبَيْهم ليعنِيَهم ذلك . فقال لهما عُميرة : ما وراءكما إلا شَيْخ ابن يَزيد قد أخذتما أخاه وأطْردتُما مالَه ، دعاه . فأبَيا ورَجعا ، فوقفا عليهم وأخبراهم وتسمَّيا لهم . فركب شيخُ بن يزيد فأتْبعهما وقد وَلّيا ، فلَحِق دُعْموصاً فأسره . ومَضى ربيعٌ حتى أتى عُميرة فأخبره أنّ أخاه قد قُتل . فرجع عُميرة على فرس يقال له الخَنْساء ، حتى لَحِق القَوْم فافتكّ منهم دُعْموصاً على أن يردّ عليهم أخاهم وإبلهم . فردّها عليهم . فكفر ابنا عُتيبة ولم يَشكُرا عُميرة . فقال :

ألم تَرَ دُعْموصاً يصُدّ بوَجْهه[3] إذا ما رآنى مُقْبِلاً لم يُسَلِّمِ
ألم تَعْلما يا بْنَى عُتَيبة مَقْدَمِى على ساقطٍ بين الأسنّة مُسْلَمِ
فعارضتُ فيه القومَ حتى انتزعتُه جِهاراً ولم أنظُر له بالتلوُّمِ

يوم إرَاب[4]

غزا الهُذيل بن [هُبيرة بن][5] حَسّان التّغلبىّ فأغار على بنى يَربوع بإراب ، فقَتل فيهم قَتْلا ذَريعاً وأصاب نَعَماً كثيرة وسَبى سَبْياً كثيراً ، فيهم زينب بنت حِمْير بن الحارث بن همّام بن رِياح بن يَرْبوع ، وهى يومئذ عَقِيلة نساء بنى تَميم . ١٠٥/٣

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « أبن » .
(٢) فى بعض الأصول : « أين » . (٣) فى ن : « لوجهه » .
(٤) إراب . بالكسر : من مياه البادية . (عن معجم البلدان) .
(٥) التكملة من النقائض (٢٠٣) ومعجم البلدان (إراب) وابن دريد (٢٠٣) .

وكان الهُذيل يُسمَّى مُجدِعا[1] ، وكان بنو تميم يُفزعون به أولادهم[2] . وسَبى أيضاً طابية[3] بنت جَزْء بن سَعد الرِّياحى، ففَداها أبوها . ورَكب عُتيبة بن الحارث فى أسراهم ففكّهم أجمعين .

يوم الشِّعْب

غزا قيسُ بن شَرْقَاء التَّغلبىّ ، فأغار على بنى يَرْبوع بالشِّعب فاقتتلوا ، فأُنهزمت بنو يَربوع . فزَعم أبو هُدْبة أنها كانت أختطلفا . فأُسر سُحيم ابن وَثِيل[4] الرِّياحى ، ففى ذلك يقول سُحيم :

أقول لهم بالشِّعْب إذ يأسرُونَنى[5] ... ألم تَعلموا أنّى ابنُ فارس زَهْدَمِ[6]

ففدا نَفسه . وأُسر يومئذ مُتمِّم بن نُويرة . فوفد مالكُ بن نُويرة على قَيس ابن شَرْقاء فى فِدائه ، فقال :

هل أنت يا قيسُ بن شَرْقاء مُنْعِمٌ ... أو الجَهْدَ إن أعطيْتهُ أنت قابله[7]

فلما رأى وَسامته وحُسن شارته ، قال : بل مُنعم . فأطلقه له .

يوم غَول الأول[8]

فيه قُتل طَريف بن شَراحيل وعمرو بن مَرثد المحلِّمى[9] . غزا طَريف بن تميم[10] فى بنى العَنبر وطوائف من بنى عمرو بن تَميم ، فأغار على بنى بَكْر بن

(١) فى بعض الأصول : « المجدع » . (٢) فى ا ، ن . « ولدانهم » .
(٣) فى ن : « طابة » . وفى النقائض : « كابة » .
(٤) كذا فى ا ، ن ولسان العرب (زهدم) . والذى فى سائر الأصول : « واصل » .
(٥) فى لسان العرب : « ييسرونى » .
(٦) زهدم : فرس لوالد سحيم .
(٧) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « قائلة » .
(٨) غول : ماء معروف للضباب بجوف طخفة . والذى فى الأصول : « عول » بالعين المهملة . وما أثبتنا من معجم البلدان والكامل للمبرد (٥٢) .
(٩) فى أكثر الأصول : « اللحمى » . وما أثبتنا من ا ، ن ، و من معجم البلدان (غول) .
(١٠) فى الأصول : « هشيم » . وما أثبتنا من معجم البلدان (غول) والنقائض

وائل بغَوْل فاقتتلوا . ثم إن بكراً انهزمتْ ، فقُتل طَرِيف بن شَراحيل ، أحدُ بنى [أبى] رَبيعة ، وقُتل أيضاً عمرو بن مَرْثَد المُحلِّى (١) وقُتِل المُحسِّر (٢) . فقال فى ذلك رَبيعة بن طَرِيف :

يا راكباً بَلِّغن عنِّى مُغَلْغلة ... بنى الخَصيب وشرُّ المَنْطق الفَنَدُ
هَلاَّ شَراحيل إذا مالَ الحِزامُ به ... وسْطَ العَجَاج فلم يَغْضب له أحد
أو المُحسِّر (٢) أو عمرٌو تَحيَّفَهم (٣) ... منّا فوارسُ هَيْجا نَصْرُهم حَشَدُ (٤)
إنْ يَلحظوني بزُرْق من أسنّتنا ... يُشْفَى بهنّ الشَّنا (٥) والعُجب والكَمَد (٦)
وقد قَتلناكُمُ صَبرًا ونأسِركم ... وقد طَرَدْناكم لو يَنْفع الطَّرد
حتى استغاث بنا أدنَى شَريدكم ... مِن بَعد ما مَسّه الضَّرّاء والنَّكد

وقال نَضلة السُّلمى فى يوم غَوْل ، وكان حقيراً دَميما ، وكان ذا نَجدة [و بأس] :

ألم تَسَلِ الفَوارسَ يوم غَوْل ... بنَضْلة وهو مَوْتور مُشِيحُ
رأوْه فازْدَروه وهو حُرٌّ ... ويَنفع أهله (٧) الرجلُ القَبيح
فشدَّ عليهمُ بالسَّيف صَلْتاً ... كما عَضّ الشَّبا الفرسُ الجَموح
فأطْلق غُلَّ صاحبه وأرْدَى ... قَتيلاً منهمُ ونَجا جَريح
ولم يَخشَوا مَصَالته (٨) عليهم ... وتحتَ الرَّغْوة اللبنُ الصَّريح

يوم الخَنْدَمة (٩)

كان رجلٌ من مُشرِكى قُرَيش يَحُدّ حَرْبةً يومَ فَتح مكّة ، فقالت له

(١) فى بعض الأصول : « المحكى » وانظر الحاشية (٨ ص ٢٤١) من هذا الجزء .
(٢) فى ا : « المحصر » . وفى ن : « المحصم » .
(٣) تحيفهم : تنقصهم .
(٤) فى بعض الأصول : « جسد » .
(٥) الشنا ، أصله الشناء ، بالهمز ، وهو البغض والكراهية .
(٦) فى ن : « الكد » . وفى ا : « الكبد » .
(٧) فى ن : « ويحسن فعله » .
(٨) كذا فى ا ، ن . ومصالة ، أى صولة ، يقال : صال على قرنه صولا ومصالة . والذى فى سائر الأصول : « مصاليتا » .
(٩) الخندمة : جبل بمكة . (عن معجم البلدان) .

أمرأته : ما تَصنع بهذه ؟ قال : أعددتُها لمحمّد وأصحابه . قالت : والله ما أرى يقُوم لمُحمد وأصحـابه شيء . قال : والله إنّى لأرجو أن أُخْدِمَك بعضَ نسائهم . وأنشأ يقول :

إن تُقبلوا اليومَ فمابى[١] عِلّه — هــذا سلاحٌ كاملٌ وألّه[٢]
وذو غِرَارين[٣] سريعُ السَّلّه

فلما لَقيهم خالدُ بن الوليد يوم الخَندمة أنهزم الرجلُ لا يُلوى على شيء . فلامتْه أمرأتُه ، فقال :

إنك لو شَهِدتِ يوم الخَنْدمه — إذ فَرّ صَفوانُ وفَرّ عِكْرمه
١٠٦/٣ ولقيتْنا[٤] بالسُّـيوف المُسْـلمه — يَفلقن كُلّ سـاعد وجُمجمه
ضَرْبًا فلا تَسمع إلا غَمْغمه — لم تَنْطِق فى اللّوم أدْنى كَلِمه

يوم اللُّهَباء[٥]

قال أبو عُبيدة : كان سبب الحرْب التى كانت بين عَمرو بن الحارث ابن تميم بن سَعد بن هُذيل ، و بين بنى عَبْد[٦] بن عَدىّ بن الدِّيل بن بَكر بن عَبْد مَناة ، أن قَيْس بنَ عامر بن عَريب ، أخا بنى عبد[٦] بن عَدىّ ، وأخاه سالمًا ، خَرجا يُريدان بنى عمرو بن الحارث على فَرَسين ، يقال لإحداهما اللّعّاب والأخرى عَفْزر . فباتا عند رجل من بنى نُفاثة . فقال النُّفاثىّ لقَيس وأخيه : أطيعانى وأرجِعا ، لا أعرِفَنّ رماحَكما تُـكْسرفى قَتاد نُعمان[٧] . قالا : إنّ رماحنا لا تُـكسر إلا فى صُدور الرِّجال . قال : لا يَضرّكما ، وستَحْمدان أمرى . فأصبحا

(١) فى بعض الأصول : « لى » .
(٢) الألة : الحربة .
(٣) ذو غرارين ، يعنى سيفا .
(٤) فى الكامل (٧٤٥) : « ولحقتنا » .
(٥) اللهباء : موضع بنعمان الأراك بين الطائف ومكة .
(٦) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « وبين عمر بن عدى » » .
(٧) نعمان ، يريد نعمان الأراك . والقتادة شجر صلب له شوك . يحذرهم ألا تطيش رماحهم .

غادِيَيْن، فلما شارفا مَتْن اللُّهباء من نَمان ، و بنو عمرو بن الحارث فويق ذلك بموضع يقال له أُدَيعة[1] ، أغارا على غَنَم لجُندب بن أبى عُمَيس[2] ، وفيها جُندب ، فتقدَّم إليه قَيس ، فرماه جُندب فى حَلَمة ثَدْيه ، و بَعَجه[3] قيسٌ بالسَّيف، فأصابت ظُبَةُ السَّيف وجه جُندب ، وخرَّ قَيس . ونفرت الغنم نحو الدار وأتْبعها . وحمل سالمٌ على جُندب بفرسه عَفْزر ، فضرب جُندب خَطْمَ عَفْزر بالسَّيف فقطعه ، وضربه سالمٌ ، فاتّقاه بيده ، فقطع أحدَ زَنْدَيه ، فخرَّ جُندب وذَفَّف عليه سالم . وأدرك العشىُّ سالماً فخرج وترك سيفَه فى المعركة وثوبُه بحقْويه لم ينج إلا بجفْن سيفه ومِئْزره ، فقال فى ذلك حَمَّاد[4] بن عامر :

لعمرُكَ ما وَنَى ابنُ أبى عُمَيس[5] وما خانَ القتـالَ وما أضاعاَ
سَماَ بقُـرانِه حتّى إذا ما أتاه قِرْنُه بَذَلَ المِصَـاعا[6]
فإنْ أكُ نائياً عنــه فإنّى سُررت بأنّه غُبِنَ[7] البِيَـاعا
وأفلتَ سالمٌ[8] منها جَرِيضاً[9] وقد كُلِمَ الذُّبابَة[10] والذِّراعا
ولو صَـادَفْتَ له يُمنى يدَيْه لعَمْرُ أبيك أطْعَمَك السِّباعا

وقال حُذيفة بن أنس[11] :

ألاَ بَلِّغَا جِلّ السَّوارى[12] وجابِراً وَبلِّغ بنى ذِى السَّهم عَنّا ويَعْمُرا[13]

(١) أديعة ، على صيغة التصغير : جبل بالحجاز . عن معجم البلدان . والذى فى البكرى : « أريعة » بالراء . (٢) فى ا ، ن هنا : « خندف بن أبى عبيس »
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « ونفحه »
(٤) فى ا ، ن : « جنادة » . (٥) فى ا ، ن « أنيس »
(٦) القران : النبال والسيوف جمع قرن ، بالتحريك . والمصاع : المقاتلة والمجالدة .
(٧) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « عين » .
(٨) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « سالما » تحريف .
(٩) جريضا : يبتلع ريقه على جهد من الهم .
(١٠) ذبابة السيف : حده أو طرفه المتطرف . والذى فى أكثر الأصول : « والذراية » . وما أثبتناه من ا ، ن . (١١) انظر الحاشية (٥ ، ٨) من هذه الصفحة .
(١٢) كذا فى ن ، وشرح أشعار الهذليين طبعة ليدن . والسوارى : قوم يقال لهم بنو سارية ، من بنى عبد بن بكر بن كنانة . والذى فى سائر الأصول : « السوادى »
(١٣) يعمر : قبيلة من بنى نفاثة بن كنانة .

كَشفتُ غِطاء الحَرْب لما رأيتُها ... تَميل على صِغوٍ[١] من اللّيل أَكْدرا[٢]
أخو الحَرْب إن عَضَّت به الحربُ عَضَّها ... وإن شَمَّرت عن ساقِها الحربُ شَمَّرا[٣]
ويَمْشِى إذا ما الموتُ كان أمامَه ... كذى الشِّبْل يَحْمِى الأنفَ أن يَتأخَّرا[٤]
نَجا سالمٌ والنفسُ منه بشِدْقه[٥] ... ولم يَنْجُ إلا جَفْنَ سيفٍ ومِئْزرا[٦]
وطاب عن اللَّعّاب نفساً وربَّه[٧] ... وغادر قيساً فى المَكَرّ وَعَفْزرا

يوم خَزَاز[٨]

قال أبو عُبيدة: فنازع عامرٌ ومِسْمع أبنا عبد الملك، وخالدُ بن جَبلة، وإبراهيم بن مُحمّد بن نُوح العُطارديّ، وغسّان بن عبد الحميد، وعبدُ الله بن سَلْمٍ[٩] الباهليّ، ونَفَر من وجوه أهل البَصْرة كانوا يتجالسون يوم الجمعة ويتفاخرون ويَتنازعون فى الرِّياسة يومَ خَزاز، فقال خالدُ بن جَبلة: كان الأحوص بن جعفر الرئيس. وقال عامر ومِسْمع: كان الرئيسَ كليبُ بن وائل. وقال ابن نُوح: كان الرئيسَ زرارةُ بن عُدَس. وهذا فى مجلس أبى عمرو بن العَلاء. فتحاكموا إلى أبى عَمرو، فقال: ما شَهِدها عامرُ بن صَعْصعة، ولا دارمُ بن مالك، ولا جُشَم بن بكر، اليومُ أقدمُ من ذَلك، ولقد سألت عنه منذ ستّين سنة فما

(١) على صغو، أى على ميل. يقال: صغو فلان مع فلان، أى ميله. ويروى: «على ضغو». والضغو: الجانب.
(٢) فى أشعار الهذليين: * تنوء على صغو من الرأس أصعرا *. والأصعر: الذى فيه ميل. والذى فى ن: «أعسرا» مكان «أكدرا».
(٣) عضها، أى لم يفتر لغمزها إن غمزته. وشمرت: قلصت ولقحت واشتد أمرها، وشمر هو أيضا ولم يكسره ذلك.
(٤) يحمى الأنف، أى يأنف من التأخر. أى لا يهرب. والرواية فى أشعار الهذليين: «لدى الموت». مكان «كذى الشبل».
(٥) كذا فى ن وأشعار الهذليين. أى كادت نفسه تخرج فبلغت شدقيه. والذى فى سائر الأصول: بشرفة».
(٦) نصب «مئزرا» على طرح الخافض. أى نجا بجفن سيف ومئزر.
(٧) كذا فى ا، ن وأشعار الهذليين. والذى فى سائر الأصول: «ورمة».
(٨) سيعرض المؤلف للتعريف بهذا المكان قريبا.
(٩) كذا فى ا، ن. والذى فى سائر الأصول: «سالم».

١٠٧/٣ وجدتُ أحداً من القوم يعلم مَن رئيسُهم ومَن المَلِك ، غير أنّ أهل اليمن كان الرجلُ منهم يأتى ومعه كاتب وطنفسة يقعدعليها، فيأخذ من أموال نِزار ما شاء، كعُمّال صَدقاتهم اليوم ، وكان أوّل يوم امتنعت معدٌ عن المُلوك ملوك حِمْير ، وكانت نِزَار لم تَكثُر بعد ، فأوقدوا ناراً على خَزَاز ثلاثَ ليال ، ودخّنوا ثلاثةَ أيام . فقيل له : وماخَزَاز ؟ قال : هو جَبَل قريب من إمَّرَعلى يَسار الطريق، خلفه صَحْراء مَنْعِج[1] ، يُناوحه كُور وكُوير[2] إذا قطعتَ بطنَ عاقل. فى ذلك اليوم امتنعت نِزار من أهل اليمن أنْ يأكلوهم ، ولولا قولُ عمرو بن كُلثوم ماعُرف ذلك اليوم ، حيث يقول :

ونحنُ غَدَاةَ أُوقد فى خَزَارٍ   رَفَدْنا فوق رِفْد الرافدينَا[3]

فكُنّا الأيْمنين إذا التقَيْنا   وكانَ الأيْسرِين بنو أبينا[4]

فصالُوا صَولةً فيمن[5] يَليهم   وصُلْنا صولةً فيمن[5] يَلينا

فآبوا بالنِّهاب وبالسَّبايا   وأُبْنا بالمُلوك مُصفَّدينا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جدّه كُليب وائل فأنَّدَم ورئيسَهم ما ادَّعى الرِّفادة وتَرك الرياسة ، وما رأيتُ أحداً عرَف هذا اليومَ ولا ذكره فى شِعْره قبله ولا بعده .

يوم المَا[6]

قال أبو عُبيدة : أغار المُنبطح الأسديُّ على بنى عُبَاد بن ضُبَيعة ، فأخذ

---

(١) منعج : وادبأخذ بين حفر أبي موسى والنباج ويدفع فى بطن فلج. (عن معجم البلدان).

(٢) كور وكورين : جبلان . وفى ن : « كير » مكان « كور » . وكذا ورد فى معجم البلدان فى ثنايا الكلام على خزار . وفيه : « فتالع عن يمين الطريق للذاهب إلى مكة وكير عن شماله » .

(٣) الأبيات من معلقته . ورفدنا فوق رفد الرافدين ، أى أعنا فوق من أعان .

(٤) الأيمنون ، أي المتقدمون . والأيسرون ، أي المتخلفون .

(٥) فى بعض الأصول : « فيها » . وما أثبتنا من سائر الأصول وشرح القصائد العشر .

(٦) المما : جانب من الصمان . (عن معجم البلدان) .

نَعَمًا لبنى الحارث بن عُبَاد ، وهى ألفُ بعير ، فرّ بنى سَعد بن مالك بن ضُبيعة، وبنى عِجْل بن لُجيم ، فتَبعوه حتى أنتزعوها منه ، ورئيسُ بنى سعد حُمران ابن عَبد عمرو ، فأسر أفْتلُ بن حَسَّان[1] العِجْلى المُنبطحَ الأسدىَّ ، ففداه قومه ، ولا أدرى كم كان فداؤه ، واستنقذوا[2] السَّبى . فقال حُجر بن خالد بن محمود فى يوم المِعَا :

ومُنْبَطحِ الفواضِر[3] قد أذَقْنا ... بناعِجةِ المِعَـا حرَّ الجِلاَد[4]
تَنقذنا أخاذيذاً فرُدّت ... على سَكَن وجَمْع بنى عُبَاد

سكن ، ابن باعث بن الحارث بن عُباد. والأخاذيذ . مَن أخذ من النساء .

وقال حُمران بن عبد عمرو :

إنّ الفوارس يومَ ناعِجـة المِعَا ... نِعْمَ الفوارسُ مِن بنى سَيَّارِ
لم يُلهِم عَقْد الأصِرّة خَلْفهم[5] ... وَحنينُ مُنْهَـلة الضُّروع عِشَار[6]
لَحِقوا على قُبِّ الأياطل كالقَنا[7] ... شُعْث تَعدّ لـكلّ يوم عَوَار
حتى حَبَوْن أخا الفَواضِر[4] طَعْنةً ... وفَـكَكن منه القِدَّ بعدَ إسَار
سالتْ عليه من الشِّعاب خوانِف[8] ... وِرْد القَطَاط تبلَّجَ الأسْحار[9]

---

(١) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول . « فاسره وأقبل ابن حسان » .
(٢) فى أكثر الأصول : « واستنقذ » . وما أثبتنا من ا ، ن .
(٣) كذا فى ن ومعجم ما استعجم (ص ٥٥٥) ومعجم البلدان (٢ : ٥٠٠) والذى فى سائر الأصول : « الفواخر » .
(٤) الناعجة : الأرض المستوية السهلة .
(٥) الأصرة : جمع صرار ، وهو ماتشدبه أخلاف النوق . وكانت من عادة العرب أن تصر ضروع الحلوبات إذا أرسلوها . فإذا راحت عشيا حلت تلك الأصرة .
(٦) كذا فى ا، ن . والذى فى سائر الأصول : « عقار » .
(٧) قب: جمع . أقب ، وهو الضامر . والأياطل: جمع أيطل، وهو المتقطع الأضلاع من الجبة. وقيل الخاصرة كلها .
(٨) كذا فى ن . وخوانف: جمع خانف. والخانف: الذى يميل رأسه إلى الزمام ، ويفعل ذلك من نشاطه . والذى فى سائر الأصول : « خوائف » .
(٩) القطاط . القطا .

يوم النِّسَار[١]

قال أبو عُبيدة : تحالفت أسدٌ وطيٌ وغَطفان ولَحقت بهم ضَبَّة وعديّ ، فغزَوْا بنى عامر ، فقتلوهم قتلا شديدا، فغضبتْ بنو تميم لقَتل بنِى عامر ، فتجمَّعوا حتى لحقوا طيِّئا وغَطَفان وحُلفاءهم من بنى ضَبَّة وعَدِيّ يوم الجِفَار[٢]، فقُتلت تميمُ أشدَّ مما[٣] قُتلت عامرٌ يومَ النِّسار . فقال فى ذلك بِشْر بن أبى خازم[٤] :

غضبتْ تميمٌ أن تقتَّلَ عامرٌ   يوم النِّسار فأُعْتِبوا بالصَّيْلَمِ[٥]

يوم ذات الشُّقوق[٦]

فلف ضَمرة [بن ضَمْرة] النَّهشليّ فقال : الخمر على حرامٌ حتى يكونَ له[٧] يومٌ يُكافئه . فأغار عليهم ضَمرة يوم ذات الشُّقوق فقَتلهم، وقال فى ذلك :

الآنَ ساغَ لى الشَّرابُ ولم أكُن   آتى التِّجارَ[٨] ولا أشُدّ تكلُّمى
حتى صَبحتُ على الشقوق بغارة[٩]   كالتَّمر ينثر فى حَرِير الحُرَّم
وأبأتُ يوماً بالجِفَار بمثله   وأجرتُ نِصْفاً مِن حَديث المَوْسم ١٠٨
ومشتْ نساء كالظباء[١٠] عواطلاً   من بين عارفة السباء[١١] وأيِّم

(١) النسار : جبال صغيرة ، وقيل: ماء لبنى عامر بن صعصعة . (انظر معجم البلدان).
(٢) كذا فى ا، ن والبكرى (٥٠٠) وابن الأثير (١: ٢٨٥) ومعجم البلدان (فى رسم الجفار). وهو ماء لبنى تميم وتدعيه ضبة . والذى فى سائر الأصول : « القبار » .
(٣) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « فقتلت تميم طيئا أشد مما » .
(٤) فى بعض الأصول : « حازم » ، تصحيف .
(٥) الصيلم : السيف . ويروى : « فأعقبوا بالصيلم » أى كانت عاقبتهم الصيلم . كما يروى : « فأغضبوا بالصيلم » . وانظر اللسان (صلم).
(٦) الشقوق : من مياه ضبة بأرض اليمامة . (انظر معجم البلدان) .
(٧) فى ا : « لها » . وفى ن : « لنا » .
(٨) كذا فى ا، ن ، والذى فى سائر الأصول : « الفجار » .
(٩) كذا ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « بصدة » .
(١٠) فى بعض الأصول : « كالنساء » .
(١١) فى بعض الأصول : « النساء » .

ذَهب الرِّماح بزَوْجها فترَكْنَه فى صَـدْرِ معتدل القَناة مُقوَّم

يوم خَوٍّ[١]

قال أبو عُبيدة : أغارت بنو أسد على بنى يَرْبوع فا كتَسحوا إبلهم ، فأتَى الصَّرِيخُ الحىَّ ، فلم يَتلاحقوا إلا مساء بمَوضع يُقال له خَوّ . وكان ذُؤاب بن ربيعة الأشتر على فرس أنثى ، وكان عُتَيبة[٢] بن الحارث بن شِهاب على حِصان، فجعل الحصانُ يَستنشق ريح الأُنثى فى سواد اللّيل ويَتبعها ، فلم يعلم عُتَيبة إلا وقد أقحم فرسَه على ذُؤاب بن رَبيعة الأشتر، وعتيبة غافل لا يُبصر ما بين يديه فى ظلمة اللّيل ، وكان عُتيبة قد لَبس دِرْعه وغَفل عن جُرُبّانها[٣] حتى أتى[٤] الصَّريخ فلم يشدُّه ، ورآه ذُؤاب ، فأقبل بالرُّمح إلى ثُغرة[٥] نَحره . فخرّ صريعاً قتيلا . ولحق الربيعُ بن عُتيبة فشدَّ على ذُؤاب فأسره وهو لا يَعلم أنه قاتلُ أبيه ، فكان عنده أسيراً حتى فاداه أبوه ربيعةُ بإبل مَعلومة قاطَعه عليها ، وتواعدا سُوقَ عُـكاظ فى الأشهر[٦] الُحرم أن يأتىَ هذا بالإبل ويأتىَ هذا بالأسير . وأقبلَ أبو ذُؤاب بالإبل ، وشُغل الربيعُ بن عُتيبة فلم يحضُر سُوقَ عُـكاظ . فلما رأى ذلك ربيعة أبو ذؤاب لم يشُك أن ذُؤابا قد قَتلوه بأبيهم عُتيبة ، فرثاه وقال :

أبلغ قبائلَ جَعْفر مَخصـوصةً ما إن أحاول جعفرَ بنَ كِلاَبِ
إنّ المودَّة والهــــوادة بيننا خَلَقٌ كسَحْق الرَّيْطة المِنْجاب
ولقد علمتُ على التجلّد والأسَى أنْ الرزيّة كان يومَ ذُؤاب
إنْ يَقتلوك فقد هتكتَ بيوتَهم بعتيبة بن الحـارث بن شِهاب

(١) خو : واد لبنى أسد . (عن معجم البلدان) .
(٢) كذا فى ا ون ومعجم البلدان فى رسم (خو) . والذى فى سائر الأصول : «عيينة» .
(٣) كذا فى ا ، ن . والجربان . بالكسر والضم : الجيب .
(٤) فى ن : « أتاه » .
(٥) فى ن : « فاقبل الرمح ثغرة فقتله » .
(٦) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « والأشهر » .

بأحبتهم فقداً إلى[1] أعدائه   وأشدِّهم فقداً على الأصحاب

فلما بلغهم[2] الشعرُ قتلوا ذُؤاب بن ربيعة . وقالت آمنةُ[3] بنتُ عتيبة تَرثي أباها :

على مِثْل ابن مَيّة فانْعَيَاه   بشَقٍّ[4] نواعِمِ البَشَر الجُيُوبا
وكان أبي عُتيبة سَمْهريًّا   فلا تَلْقاه يَدَّخر النَّصيبا
ضَرُوباً للكَمِيّ إذا اشمعلّت   عَوانُ الحرب لا وَرِعاً هَيُوبا

(١) كذا في ا ، ن . والذي في سائر الأصول : « على » .
(٢) في ن : « بلغ إليهم » .
(٣) في ن : « أمية » .
(٤) في ن : « تشق » .

أيام الفجـار

الفجار الأول

قال أبو عُبيدة : أيّام الفِجار عدّة وهذا أولها . وهو بين كِنانة وهَوازن ، وكان الذى هَاجَه أنّ بَدر بن مَعْشر ، أحدَ بنى غفار[١] بن مُلَيل[٢] بن ضَمرة بن بكْر بن عَبد مَناة بن كِنانة . جُعل له مجلسٌ بسوق عكاظ ، وكان حَدَثا مَنيعا فى نَفْسه ، فقام[٣] فى المَجلس وقام على رأسه قائم ، [وأنشأ يقول] :

نحن بنو مُدْرِكة بن خِنْـدِفْ ... مَن يَطْعنوا فى عَيْنه لم يَطْرِفْ[٤]
ومَن يكونوا[٥] قومَه يُغَطْرِف ... كأنّهم لُجة بحر مُسْــدِف

قال : ومدّ رجلَه وقال : أنا أعزُّ العرب فمن زَعم أنه أعزُّ منّى فَلْيضربها .
فضربها الأُحَيمر[٦] بن مازن ، أحدُ بنى دَهْمان بن نَصر بن مُعاوية ، فأنْدرها[٧] من الرُّكبة، وقال :

خُذْها إليك أيها المُخَنْدِف

وقال أبو عبيدة : إنما خَرصها[٨] خُريصه يسيرة ، وقال فى ذلك[٩] :

نحن بنو دُهْمان ذو التغطرُف ... بحرٌ لبَحر زاخرٍ لم يُنزَفِ
نَبنىَ على الأحياء بالمُعرّفِ

(١) فى الأصول : « عقال » . انظر الطبرى وابن الأثير .
(٢) كذا فى ا ، ن . والتى فى سائر الأصول : « مليك » تحريف .
(٣) كذا فى ن . والتى فى سائر الأصول : « فقال » .
(٤) فى ا ، ن : « من تطعنوا عينه لايطرف » .
(٥) فى ن : «ومن تكونوا » .
(٦) فى الأغانى (١٩ : ٧٤) : « الأحمر » .
(٧) أندرها : أسقطها .
(٨) الخرصه : الشجة تشق الجلد قليلا .
(٩) نسب الشعر فى الأغانى مع خلاف فى ألفاظه لرجل من هوازن .

قال أبو عُبيدة : فتحاور الحيّان عند ذلك حتى كاد أن يكون بينهما الدماء، ثم تراجعوا ، ورَأَوْا أنّ الخطبَ يسير . ١٠٩ / ٣

الفجار الثانى

كان الفجار الثانى بين قُريش وهوازن ، وكان الذى هاجه أنَّ فِتيةً من قُريش قَعدوا إلى أمرأة من بنى عامر بن صَعصعة ، وضيئةٍ حُسَّانة بسُوق عُكاظ . وقالوا : بل أطاف بها شبابٌ من بنى كنانة وعليها بُرقع وهى فى دِرْع فُضُل ، فأعجبهم ما رأوا من هَيئتها ، فسألوها أن تُسفر عن وجهها . فأبت عليهم . فأتى أحدُهم من خَلفها فشدَّ دُبُر دِرْعها[1] بشَوْكة إلى ظهرها ، وهى لا تدرى ، فلما قامت تقلّص الدرعُ عن دُبرها . فضحكوا وقالوا : مَنعتْنا النظرَ إلى وجهها فقد رأينا دُبرها . فنادت المرأة : يا لعامر . فتحاور الناسُ ، وكان بينهم قتالٌ ودماء يسيرة ، فحملها حربُ بن أُمية وأصلح بينهم .

الفجار الثالث

وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذى هاجه أنَّ رجلاً من بنى كنانة كان عليه دَين لرجل من بنى نَصر بن مُعاوية ، فأعدم الكِنانىّ . فوافى النصرىُّ بسُوق عُكاظ بقِرْد فأوقفه فى سوق عُكاظ ، وقال : مَن يَبيعنى مثلَ هذا بمالى على فلان ؟ حتى أكثر فى ذلك . وإنما فعل ذلك النَّصرىُّ تعييراً للكنانىّ ولقومه . فمرّ به رجلٌ من بنى كنانة فضرب القِرْد بسَيفه فقتله . فهتَف النصرىُّ : يا لَهوازن ، وهتَف الكنانىّ : يا لكنانة . فتهايج الناسُ حتى كاد أن يكونَ بينهم قتال ، ثم رأوا الخطبَ يسيرًا فتراجعوا ، ولم يَتفقم الشر بينهم .

قال أبو عبيدة : فهذه الأيام تسمى فِجاراً لأنها كانت فى الأشهر الحُرم ،

(١) فى أ كثر الأصول : « ذيلها » . وماأثبتنا من ا ، ف .

وهى الشهور التى يُحرِّمونها ، فَفجروا فيها ؛ فلذلك سُمِّيت فِجاراً . وهذه يقال لها : أيام الفجار الأول[1] .

الفجار الآخر

وهو بين قُريش وكِنانة كلها و بين هوازن ، و إنما هاجها البرّاض بقتله عُرْوة الرَّحال بن عُتبة بن جعفر بن كلاب ، فأبت أن تقتل بعُرْوةَ البرّاض ، لأنّ عُروة سيّد هوازن والبرّاض خليع من بنى كِنانة ، أرادوا أن يَقتلوا به سيّدا من قُريش . وهذه الحروب كانت قبل مَبعث النبىّ صلّى الله عليه وسلّم بستّ وعِشرين سنة ، وقد شَهدها النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم وهو ابنُ أربعَ عشرةَ سنة مع أعمامه . وقال النبىُّ عليه الصلاة والسلام : كنت أنبُل على أعمامى يومَ الفِجار وأنا ابنُ أربعَ عشرةَ سنة — يعنى أناولهم النَّبل — وكان سببُ هذه الحرب أنَّ النُّعمان بن المُنذر ملك الحِيرة كان يَبعث بسُوق عُكاظ فى كُل عام لطيمةً فى جِوار رجل شريف مِن أشراف العرب يُجيرها له حتى تُباع هناك ، ويَشْترى له بثَمنها من أَدَم الطائف ما يحتاج إليه . وكانت سوقُ عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القِعدة ، فيتسوّقون إلى حُضور الحج ثم يَحُجّون . وكانت الأشهر الحرم أربعةَ أشهر : ذا القعدة وذا الحجّة والمُحرم ورجب . وعكاظ : بين نخلة والطائف ، وبينها و بين الطائف نحوٌ من عشرة أميال . وكانت العربُ تَجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحجّ من أول ذى القعدة إلى وقت الحج ، ويأمن بعضُها بعضاً . فجهّز النُّعمان عِيرَ اللَّطيمة ، ثم قال : من يُجيرها ؟ فقال البرّاض ابن قيس النَّمرىُّ : أنا أُجيرها على بنى كنانة . فقال النُّعمان : ما أُريد إلاّ رجلاً يُجيرها على أهل نجد وتِهامة . فقال عُروة الرحّال ، وهو يومئذ رجلُ هوازن : أكَلْبٌ خليع يُجيرها لك ؟ أبيتَ اللعن ، أنا أُجيرها لك على أهل الشِّيح

(١) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : «الثالث» .

والقَيْصوم[١] من[٢] أهل نَجد وتهامة. فقال البرّاض: أعلى بنى كِنانة تُجيرها ياعُروة؟ قال: وعلى الناس كلِّهم. فدفعها النُّعمان إلى عُروة. فخرج بها وتبعه البرّاضُ، وعُروة لا يَخشى منه شيئاً، لأنه كان بين ظَهرانى قومه من غَطَفان إلى جانب فَدك[٣] إلى أرض يقال لها أُوارة[٤]. فنزل بها عروةُ فشرب من الخمر وغنّته قَيْنة ١١٠/٣
ثم قام فنام. فجاء البرّاض فدخل عليه، فناشده عُروة، وقال: كانت منى زلّة، وكانت الفَعلة منى ضلّة. فقتله وخَرج يرتجز[٥] ويقول:

قد كانت الفَعلة منى ضَلّه هلاّ على غيرى جعلتَ الزلّه فسوف أعلو بالحُسام القُلّه

وقال:

وداهيــةٍ يُهال الناسُ منها شددتُ لها[٦] بنى بَكْرٍ ضُلوعِى
هَتكتُ بها بيوتَ بنى كِلابٍ وأرضعتُ الموالى بالضُّروع
جمعتُ له يدىَّ بنَصل سَيف أفلّ[٧] فخرّ كالجِذْع الصَّريع[٨]

وأستاق اللَّطيمة إلى خَيبر. وأتبعه المُساور بن مالك الغَطَفانى وأسدُ بن خَيْثم[٩] الغَنَوى حتى دخل خَيبر. فكان البرّاض أولَ مَن لَقِيهما، فقال لهما: مَن الرجلان؟ قالا: من غَطفان وغَنِىّ. قال البرّاض: ما شأن غَطَفان وغنِىّ بهذه البلدة؟ قال: ومَن أنت؟ قال: من أهل خَيبر. قالا: أَلكَ عِلْمٌ بالبرّاض؟ قال: دَخل علينا طريداً خليعاً فلم يُؤْوِه أحدٌ بخَيبر ولا أدخله

(١) الشيح: نبات سهلى يتخذ من بعضه المكانس، وهو من الأمرار له رائحة طيبة وطعم مر، وهو مرعى للخيل والنعم ومنابته القيعان والرياض. والقيصوم: من الأمرار أيضا، وهو طيب الرائحة من رياض البر. وورقه هدب وله نورة صفراء وهى تنهض على ساق. ويريد بأهل الشيح والقيصوم العرب جميعا.
(٢) فى بعض الأصول: «فى».
(٣) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة.
(٤) أوارة، بالضم: فى بلاد بنى تميم.
(٥) فى بعض الأصول: «يزتجر». (٦) فى بعض الأصول: «على».
(٧) كذا فى ا، ن. وأفل، أى ذو فلال. وهو كسور فى حده من كثرة الضرب به.
(٨) فى ن: «المنيع».
(٩) فى ن: «خثيم». وفى ابن الأثير (١: ٢٧١). «جذين».

بيتاً . قالا : فأين يكون ؟ قال : وهل لكما به طاقةٌ إن دللتُكما عليه ؟ قالا : نعم . قال : فأنزلا . فنزلا وعَقلا راحلتَيهما . قال : فأيّكما أجرأ عليه ، وأمضى مَقْدما ، وأحدّ سيفاً ؟ قال الغطفانى : أنا . قال البرّاض : فانطلقْ أدلّك عليه ، ويحفظ صاحبُك راحلتيكما . ففَعل . فانطلق البرّاض يَمشى بين يدى الغَطفانىّ حتى أنتهى إلى خَرِبة فى جانب خَيبر خارجة عن البُيوت . فقال البرّاض : هو فى هذه الخَرِبة وإليها يَأوى ، فأنظرنى حتى أنظرُ أنائمٌ هو أم لا . فوقف له ودخل البرّاض ، ثم خرج إليه وقال : هو نائم فى البَيت الأقصى خلفَ هذا الجدار عن يمينك إذا دخلت ، فهل عندك سيفٌ فيه صَرامة ؟ قال : نعم . قال : هاتِ سَيفك أنظرُ إليه أصارمٌ هو ؟ فأعطاه إياه . فهزّه البرّاض ثم ضَربه به حتى قَتله ، ووضع السيفَ خلفَ الباب ، وأقبل على الغنوىّ ، فقال : ما وراءك ؟ قال : لم أرَ أجبنَ من صاحبك ، تركتُه قائماً فى الباب الذى فيه الرجل ، والرجلُ نائم لا يتقدم إليه ولا يتأخّر عنه . قال الغنوىّ : يا لَهفاه ، لو كان أحدٌ ينظرُ راحلتَينا ؟ قال البرّاض : هما علىّ إن ذهبت . فانطلق الغنوىُّ والبرّاض خلفه ، حتى إذا جاوز الغنوىّ بابَ الخَرِبة أخذ البرّاض السيفَ من خلف الباب ، ثم ضَربه حتى قتله وأخذ سِلاحَيهما وراحلتيهما ، ثم انطلق .

وبلغ قريشاً خبرُ البرّاض بسُوق عكاظ ، فخلَصوا نَجِيًّا . وأتبعتهم قَيس لما بلغهم أنّ البرّاض قتل عُروة الرحّال ، وعلى قيس أبو بَراء عامر بن مالك . فأدركوهم ، وقد دخلوا الحرم ، ونادَوْهم : يا معشر قريش ، إنّا نُعاهد الله أن لا نُبطل دم عُروة الرحّال أبداً ، ونقتل به عظيماً منكم ، وميعادنا وإياكم هذه الليالى من العام المُقبل. فقال حرب بنُ أُمية لأبى سفيان أبنه : قل لهم : إنّ موعدكم قابلٌ فى هذا اليوم . فقال خِداشُ بن زُهير . فى هذا اليوم ، وهو يوم نَخلة :

يا شِدّةً ما شَدَدْنا غيرَ كاذبةٍ   على سَخِينةَ لولا البيتُ[1] والحَرَمُ

(١) فى بعض الأصول : « الليل » .

لما رأوْا خيلَنا تُزْجَى أوائلُها ... آسادُ غِيلٍ حمَى أشبالَها الأجَم
وأستُقبلوا بضِرابٍ لا كِفاءَ له ... يُبدِي من العُزّلِ الأكفالِ ما كَتموا
ولَّوا شلالا وعُظْمُ الخيلِ لاحقةٌ ... كما تَخُبُّ إلى أوطانها النَّعَم[1]
ولَّت بهم كل مِحْضارٍ مُلَمْلَمةٌ ... كأنها لِقْوةٌ[2] يَحْتثها[3] ضَرَم ١١١/٣

وكانت العرب تسمى قريشاً سَخِينة ، لأكلها السُّخن .

يوم شَمْطَة[4]

وهى من الفِجار[5] الآخر ، ويوم نخلة منه أيضاً .

قال : جمعت كنانة قُريشها وعبد مَنافها والأحابيش[6] ومَن لحق بهم من بنى أسد بن خُزَيمة . وسلَّحَ يومئذ عبدُ الله بن جُدعان مائة كَمِىّ بأداة كاملة سِوى من سُلِّح من قومه . والأحابيشُ بنو الحارث بن عبد مَناة بن كِنانة .
قال : وجمعت سُليم وهوازن جموعَها وأحلافها غير كِلاب وبنى كعب ، فإنهما لم يشهدا يوماً الفِجار غيرَ يوم نَخلة ، فاجتمعوا بشَمطة من عُكاظ فى الأيام التى تواعدوا فيها على قَرن الحَول ، وعلى كل قَبيلة من قُريش وكِنانة سيِّدها ، وكذلك على قبائل قيس ، غير أن أمر كِنانة كلها إلى حَرْب بن أمية ، وعلى إحدى مُجَنِّبَتيها عبد الله بن جُدعان . وعلى الأُخرى كُرَيز بن ربيعة وحَرب بن أمية فى القلب ، وأمرُ هوازن كُلها إلى مسعود بن معتب الثَّقفى . فتناهض الناسُ وزَحف بعضُهم إلى بعض ، فكانت الدائرةُ فى أول النهار لكِنانة على

(١) الشلال : القوم المتفرقون . ويقال : ذهب القوم شلالا ، أى انشلوا مطرودين .
(٢) ململمة ، أى صلبة . واللقوة (بالفتح والكسر) : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف .
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : «يجنبها» .
(٤) شمطة : موضع قريب من عكاظ . قال ياقوت : ورواه الأزهرى بالظاء المعجمة . وبهذه الرواية الأخيرة رواه البكرى فى معجم ما استعجم .
(٥) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « من يوم الفجار » .
(٦) الأحابيش : وسموا كذلك لأنهم تحالفوا بالله أنهم يد على غيرهم ما سجا ليل أو ما وضح نهار أو ما رسا حبيش ، وهو جبل أسفل مكة .

هَوازن ، حتى إذا كان آخرُ النهار تداعت هَوازن وصابرت وأنقشعت كنانة ، فاستحرّ القتلُ فيهم ، فقُتل منهم تحت رايتهم مائة رجل ، وقيل ثمانون . ولم يُقتل من قُريش يومئذ أحدٌ يذكر . فكان يوم شَمطة لهوازن على كنانة .

يوم العَبْلاء[1]

ثم جمع هؤلاء وأولئك فالتقوا على قَرن الحَوْل فى اليوم الثالث من أيام عُكاظ ، والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا فى يوم شمطة ، وكذلك على المُجَنَّبتين ، فكان هذا اليوم أيضاً لهَوازن على كنانة ، وفى ذلك يقول خِداش بن زُهير :

ألم يَبْلغك ما لقيتْ قُريش … وحىّ بنى كِنانة إذ أُبيروا
دَهمناهم بأرعَنَ مُكفهرّ … فظلّ لنا بِعَقْوتهم زَئير[2]

وفى هذا اليوم قُتل العوّام بن خُويلد ، والد الزُّبير بن العوّام ، قتله مُرّة ابن مُعتّب الثقفىّ ، فقال رجل من ثَقيف :

منّا الذى ترك العوّام مُنْجدلاً … تَنتابه الطيرُ لحماً بين أحجارِ

يوم شَرِب[3]

ثم جمع هؤلاء وأولئك ، فالتقوا على قَرن الحَوْل فى الثالث من أيام عُكاظ فالتقوا بشَرِب ، ولم يكن بينهم يومٌ أعظم منه . والرؤساء على هؤلاء وأولئك الذين ذكرنا ، وكذلك على المُجنَّبتين . وحمَل ابنُ جُدْعان يومئذ مائة رجل على مائة بعير ، ممّن لم تكن له حَمولة ، فالتقوا . وقد كان لهوازن على كِنانة

(١) العبلاء : علم على صخرة بيضاء ، جانب عكاظ . (عن معجم البلدان) .
(٢) الأرعن : أنف الجبل . يشبه به الجيش . يقال : جيش أرعن ، أى له فضول كرعان الجبل . والمكفهر : المسود لركوب بعضه بعضا . والعقوة : الساحة والمحلة .
(٣) شرب (بفتح أوله وكسر ثانيه) : موضع قرب مكة . (انظر معجم البلدان)

يومان مُتواليان : يوم شمطة و يوم العَبْلاء . فحميت(١) قُريش وكنانة . وصابرت بنو مخزوم و بنو بكر ، فانهزمت هوازن وقُتلت قتلاً ذريعاً . وقال عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى يمدح بنى المُغيرة :

ألاَ للهِ قومٌ وَ ۞ لدتْ أُختُ بنى سَهْمِ(٢)
هشامٌ وأبو عَبــد ۞ مَنافٍ مِدْرَه الخَصْمِ
وذو الرُّمحين أشبال ۞ مِن القُوَّة والحَزْمِ
فهذان يذُودان ۞ وذا مِنْ كَثَب يَرْمِى

وأبو عبد مناف : قُصىّ ؛ وهشام(٣) : ابن المُغــيرة ؛ وذو الرُّمحين : أبو ربيعة(٤) بن المُغيرة ، قاتل يوم شَرِب برُمحين ؛ وأُمهم رَيطة بنت سَعيد بن سَهْم . فقال فى ذلك جَذْل الطعان :

جاءت هوازنُ أرسالاً و إخوتُها ۞ بنو سُلَيم فهابوا المَوتَ وانصرفوا
فاستُقبلوا بضِرابٍ فَضَّ جَمْعَهم ۞ مثلَ الحريق فما عاجُوا ولا عطَفوا

يوم الحُرَيرة(٥) ١١٢ / ٣

قال : ثم جمع هؤلاء وأولئك ، ثم التقَوْا على رأس الحَوْل بالحُريرة ، وهى حَرَّة إلى جَنْب عُكاظ . والرؤساء على هؤلاء وأولئك هم الذين كانوا فى سائر الأيام ، وكذلك على المُجنَّبتين ، إلا أنّ أبا مُسَاحِق بَلْعاء بن قَيس اليَعْمُرىّ

---

(١) فى بعض الأصول : «فحست» .
(٢) أخت بنى سهم ، هى ريطة بنت سعيد (أو سعد) . انظر الأمالى والاشتقاق .
(٣) فى بعض الأصول : «هاشم» . وهاشم وهشام ، أخوان . انظر السيرة لابن هشام (ج ١ ص ٢٧٧) طبعة الحلبى .
(٤) اسم أبى ربيعة عمرو .
(٥) الحريرة : موضع بين الأبواء ومكة ، قرب نخلة . قال ياقوت بعد هذا : « وبه كانت الوقعة الرابعة من وقعات الفجار » . وأورد البيت الثالث من أبيات خداش مع اختلاف فى روايته . وقبل ذلك ذكر ياقوت « جزيرة عكاظ » ، وقال : « هى جزيرة إلى جنب عكاظ » . كما عرفها المؤلف هنا ، ثم قال ياقوت: «وبها كانت الوقعة الخامسة من وقائع حرب الفجار » . ثم ساق ثلاثة أبيات لخداش أولها البيت الذى ساقه هناك .

قد كان مات . فكان من بعده على بكر بن عبد مَناة بن كِنانة أخوه حُثامة بن قَيس . فكان يوم الحُريرة لهوازن على كِنانة ، وكان آخر الأيام الخمسة التى تزاحفوا[1] فيها . قال : فقُتل يومئذ أبو سفيان بن أمية ، أخو حَرْب بن أمية . وقُتل من كِنانة ثمانيةُ نفَر ، قتلهم عثمانُ بن أُسَيْد[2] بن مالك ، من بنى عامر ابن صَعْصعة . وقُتل أبو كَنَف وأبنا إياس وعمرو بن أيوب[3] . فقال خِداشُ بن زُهير :

إنّى مِن النَّفَر المُحْمَرِ أعيُنهم ... أهلِ السَّوام وأهل الصَّخر واللُّوبِ[4]

الطاعِنين نُحورَ الخيل مُقْبِلةً ... بكل[5] سَمْراء لم تُعْلَب ومَعْلوب[6]

وقد بلوتم فأبلوكم بلاءهم[7] ... يوم الحُريرة[8] ضرباً غير مَكْذوب[9]

لا قَيْتُهُمْ منهمْ آسادُ مَلْحمةٍ ... ليسوا بزارعة عُوج العَراقيب[10]

فالآن إن تُقْبلوا نأخذ نُحورَكم ... وإن تُباهُوا فإنى غيرُ مَغْلوب[11]

وقال الحارث بن كَلَدة الثقفىّ :

تركتُ الفارسَ البَذّاخ منهم ... تَمُجّ عروقُه عَلَقاً عَبيطاً

---

(١) فى بعض الأصول : «تراجعوا» .

(٢) فى الأغانى (١٦ : ٨٠) : «أسد» .

(٣) انظر الحاشية (رقم ١١ من هذه الصفحة) .

(٤) اللوب : الحرات ، الوحدة لوبة .

(٥) فى أكثر الأصول : «من كل» . وما أثبتنا من ا ، ن .

(٦) سمراء ، أى قناة . ومعلوب ، أى رمح . والعلب : حزم مقبض الرمح ونحوه بعلباء البعير ، وهو عصب .

(٧) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : «فأبلاكم بلاؤهم» . وفى معجم البلدان : «لقد بلاكم فأبلاكم بلاءهم» .

(٨) فى معجم البلدان فى رسم «جزيرة عكاظ» : «يوم الجزيرة» .

(٩) فى معجم البلدان فى «تكذيب» .

(١٠) فى ا ، ن : «بزراعة عوج العراقيب» .

(١١) زيد فى معجم البلدان فى رسم (جزيرة) :

إن توعدونى فإن لابن عمكم ... وقد أصابوكم منى بشؤبوب

وإن ورقاء قد أردى أبا كنف ... ابنى إياس وعمرا وابن أيوب

فهو قد جعل عمرا وابن أيوب رجلين .

دعستُ لَبانَه[١] بالرُّمح حتى ... سمعتُ لمَتْنه فيه أطِيطا
لقد أرديتَ قومَك يابنَ صَخر ... وقد جَشَّمتهم أمراً سَلِيطا[٢]
وكم أسلمتُ منكم من كمىّ ... جريحاً قد سمعتُ له غَطِيطا

مضت أيام الفجار الأخر، وهى خمسةُ أيام فى أربع سنين، أولها يوم نَخلة، ولم يكن لواحد منهما على صاحبه؛ ثم يوم شَمطة، لهوازن على كنانة، وهو أعظم أيامهم؛ ثم يوم العَبْلاء؛ ثم يوم شَرِب، وكان لكِنانة على هوازن؛ ثم يوم الحُريرة، لهوازن على كنانة.

قال أبو عبيدة: ثم تداعى الناسُ إلى السلم على أن يَذروا[٣] الفضلَ ويتعاهدوا ويتواثقوا.

يوم عين أباغ

وبعده يوم ذى قار

قال أبو عُبيدة: كان ملكَ العرب المُنذر الأكبر بنُ ماء السماء، ثم مات. فملك ابنُه عمرو بن المُنذر، وأُمّه هند وإليها يُنسب. ثم هلك فَملك أخوه قابوس. وأُمه هِنْدأيضا، فكان مُلْكه أربعَ سنين. وذلك فى مَملكة كِسْرى ابن هُرمز. ثم مات فملك بعده أخوه المُنذر بن المُنذر بن ماء السماء، وذلك فى مملكة كِسرى بن هُرمز. فغزاه الحارث الغسّانىّ، وكان بالشام من تحت يد قَيصر، فالتقوا بعَيْن أُباغ، فقُتل المنذر. فطلب كسرى رجلاً يجعله مكانَه. فأشار إليه عدىّ بن زيد — وكان من تَراجمة كِسْرى — بالنّعمان بن المنذر، وكان صديقاً له، فأَحبّ أنْ يَنفعه، وهو أصغر بنى المُنذر بن ماء السماء، فولاّه

(١) فى بعض الأصول: «بنانه».
(٢) فى بعض الأصول: «سليطا».
(٣) فى ن: «يدوا».

كِسْرى على ما كان عليه أبوه . وأتاه عدىّ بن زيد ، فَـكّنه النُّعمان . ثم سَعى بينهما فَحبسه حتى أتى على نَفسه ، وهو القائل :

أبلغ النُّعمان عنى مَأْلُـكا أنّه قد طال حَبْسى وأنتظارى
لو بغير المـاء حَلْقى شَرِقٌ كنتَ كالغصّان بالماء اعتصارى
وعِـــداتى شُمَّتٌ أعْجَبهم أننى غُيِّبت عنهم فى إسـارِى
لأمرىء لم يَبْل منى سَقْطةً إن أصابَتْـه مُلِمّـات العِثارِ
فلئن دَهْرٌ تولّى خَـيرُه وجَرت بالنَّحس لى منه الجَوارى
لَبِما مِنـــه قَضَينا حاجـةً وحياةُ المرء كالشىء المُعار

فلما قَتل النعمانُ عدىّ بن زَيد العبادىّ ، وهو من بنى أمرىء القيس بن سَعد بن زيد مَناة بن تميم،سار ابنُه زيد بن عدىّ إلى كسرى ، فكان من تَراجمته. فكاد النعمانُ عند كِسرى حتى حمله عليه . فهرب النعمانُ حتى لحق ببنى رَواحة من عَبْس ، واستعمل كِسرى على العرب إياسَ بنَ قَبِيصة الطائى . ثم إنّ النعمان تحوّل[1] حيناً فى أحياء العرب ، ثم أشارت عليه أمرأته المُتجرّدة أنْ يأتى كسرى و يعتذرَ إليه ، ففعل . فَحبسه بساباط[2] حتى هلك ، و يقال : أوْطأه الفيلة . وكان النعمانُ إذا شَخص إلى كسرى أودع حَلْقته ، وهى ثمانمائة دِرْع وسلاحاً كثيرا ، هانىء بنَ مسعود الشّيبانى ، وجعل عنده أبنته هندَ التى تُسمّى حُرَقة . فلما قُتل النعمان قالت فيه الشعراء . فقال فيه زُهير بن أبى سُلْمى المزنىّ :

ألم تَر للنُّعمان كان بنَجْوةٍ من الشرّ لو أنّ أمرأً كان باقياَ[3]
فلم أرَ مَخذولاً[4] له مثلُ مُلْكه[5] أقلّ صـديقاً أو خليلا مُوافيا[6]

(١) فى ن : « تجول » .   (٢) ساباط : بالمدائن .
(٣) فى شرح ديوان زهير طبعة دار الكتب : « ناجيا » . وقال فى تفسيره : النجوة : الارتفاع عن الأرض . وإنما أراد أنه كان فى ارتفاع من الشرف والمنعة .
(٤) فى شرح الديوان : « مسلوبا » .
(٥) فى شرح الديوان : « قرضه » والقرض : الصنع والإحسان إلى الناس .
(٦) فى ن : « مواسيا » . وفى شرح الديوان : « أقل صديقا معطيا أو مواسيا » .

خلا أنّ حيًّا من رَوَاحة حافظوا وكانوا أُناساً يَتّقون المَخازيا[(١)]
فقال لهم خيراً وأثنى عليهمُ ووَدّعهم تَوْديعَ أنْ لا تَلاقيا

يوم ذي قار

قال أبو عُبيدة : يوم ذي قار هو يوم الحِنْو[(٢)] ، ويوم قُراقِر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذات العَجرم ، ويوم بَطحاء ذي قار ، وكُلُّهن حَوْل ذي قار ، وقد ذكرتْهن الشعراء .

قال أبو عُبيدة : لم يكن هانىء بن مَسعود المُستودع حلقة النُّعمان ، وإنما هو ابنُ ابنه ، واسمه هانىء بن قَبيصة بن هانى بن مَسعود ، لأن وَقعة ذى قار كانت وقد بُعث النبيّ صلى الله عليه وسلم وخَبّر أصحابَه بها ، فقال : اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نُصروا . فكتب كسرى إلى إياس بن قَبيصة بأمره أن يَضُم ما كان للنُّعمان . فأبى هانىء بن قَبيصة أن يُسلم ذلك إليه ، فغضب كسرى وأراد استئصال بَكْر بن وائل . وقَدِم عليه النُّعمانُ بن زُرْعة التَّغلبيّ ، وقد طمع فى هلاك بكر بن وائل ، فقال : يا خير الملوك ، ألا أدلّك على غِرّة بكر ؟ قال : بلى . قال أقِرّها وأظْهر الإضراب عنها حتى يُجْليها القَيظ ويُدنيها منك ، فإنهم لو قاظُوا تساقطوا[(٣)] بماء لهم ، يقال له ذو قار ، تَساقطَ الفَراش فى النار . فأقرّهم ، حتى إذا قاظوا جاءت بكرُ بن وائل حتى نزلوا الحِنْو حِنْو ذى قار ، فأرسل إليهم كِسْرى النعمانَ بن زُرعة يُخيّرهم بين ثلاث خصال : إما أن يُسلموا الحَلْقة ، وإما أن يُعروا الدِّيار . وإما أن يَأْذنوا بحَرب . فتنازعتْ بكرُ بينها . فهَمّ هانىء بن قَبيصة برُكوب الفلاة ، وأشار به على بَكْر ، وقال : لا طاقةَ لكم بجُموع الملك . فلم تُرَ من هانىء سقطةٌ قبلها . وقال حَنظلةُ

(١) رواحة : من عبس . وفى شرح الديوان : « سوى أن حيا من رواحة أقبلوا » . وأشير فيه إلى رواية الأصول هنا .
(٢) فى بعض الأصول : «أى الحنو» تحريف . وانظر معجم البلدان فى رسم «الحنو» .
(٣) فى بعض الأصول : « تساقطوا عليك » .

ابن ثَعلبة بن سيّار العِجْلىّ : لا أرى غيرَ القتال ، فإنا إن رَكبنا الفلاة مِتْنا عَطشا ، وإن أعطينا بأيدينا تُقتل مُقاتلتُنا وتُسبى ذرارينا . فراسلت بكر بينها وتوافت بذى قار ، ولم يَشْهدها أحدٌ من بنى حَنيفة . ورؤساء بنى بكر يومئذ ثلاثة نفر : هانىء بن قَبيصة ، ويزيد بن مُسْهِر الشَّيبانى ، وَحنظلة بن ثَعلبة العِجْلى — وقال مِسْمع بن عبد الملك العِجْلى بن لُجيم بن صَعْب[1] بن علىّ بن بكر بن وائل : لا والله ما كان لهم رئيس وإنما غُزوا فى ديارهم — فثار الناسُ إليهم من بيوتهم . وقال حَنظلة بن ثعلبة لهانىء بن قَبيصة : يا أبا أُمامة ، إنّ ذمّتنا عامّة ، وإنه لن يُوصل إليك حتى تَفنى أرواحُنا ، فأخْرج هذه الحلقة ففرّقها فى قومك ، فإن تَظفر فستردّ عليك ، وإن تَهلِك فأهونُ مَفقود . فأمر بها فأُخرجت وفُرّقت بينهم ، وقال للنعمان : لولا أنك رسولٌ ما أُبتَ إلى قومك سالماً .

قال أبو المُنذر : فعقد كِسْرى للنعمان بن زُرعة على تَغلب والنَّمِر ، وعقد لخالد بن يزيد البَهرانىّ على قُضاعة وإياد ، وعَقد لإياس بن قَبيصة على جَميع العَرب ، ومعه كَتيبتاه[2] الشَّهباء والدَّوْسر ، وعقد للهامَرْز التُّسْتَرىّ ، وكان على مسلّحة كِسرى بالسواد ، على ألف من الأساورة . وكتب إلى قَيس بن مَسعود ابن قَيس بن خالد ذى الجَدّين ، وكان عامله على الطَّف[3] طفّ سَفَوان . وأمره أن يُوافىَ إياس بن قَبيصة ، ففعل . وسار إياس بمَن معه من جُنده من طيىء ، ومعه الهامَرْز والنّعمان بن زُرعة وخالد بن يَزيد وقَيْس بن مَسْعود ، كُل واحد منهم على قومه . فلما دنا من بَكر أنسلّ قيسٌ إلى قومه ليلاً ، فأتى هانئاً فأشار عليهم كيف يصنعون ، وأمرهم بالصَّبر ثم رجع . فلما التقى الزَّحْفان وتقارب القومُ قام حنظلةُ بن ثعلبة بن سيّار العِجْلى ، فقال : يا معشر بكر ، إنّ النُّشّاب التى

(١) فى بعض الأصول : « مصعب » .
(٢) الضمير لكسرى . وانظر الأغانى (٢٠ : ١٣٤) طبعة بلاق .
(٣) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

مع هؤلاء[1] الأعاجم تفرقكم، فعاجلوا اللقاء وأبدءوا بالشدّة. وقال هانىء بن مَسعود: يا قوم، مَهلك مَعْذور، خير من مَنْجى مَغرور. إن الجزع لا يردّ القَدر، وإن الصبر من أسباب الظّفر. المنيّة خير من الدنيّة، واستقبال الموت خيرٌ من أستدباره. فالجدّ الجد، فما من الموت بُد. ثم قام حنظلة بن ثعلبة فقطع وُضُن النّساء فسقطنَ إلى الأرض، وقال: ليقاتل كُل رجل منكم عن حَليلته، فسُمّى مُقَطّع الوُضُن. قال: وقَطع يومئذ سبعمائة رجل من بنى شَيبان أيدىَ أَقْبيتهم من مناكبها لتخفّ أيديهم لضَرب السُّيوف. وعلى ميمنتهم بكرُ ابن يزيد بن مُسهر الشّيبانى، وعلى مَيْسرتهم حَنظلة بن ثعلبة العِجْلى وهانىء ابن قَبيصة. ويقال: ابنُ مَسعود فى القَلب. فتجالد القومُ، وقَتل يزيدُ بن حارثة اليشكرى الهامَرز مُبارِزه، ثم قُتل يزيد بعد ذلك. ويقال إنّ الحوفزان بن شَريك شد على الهامَرْز فقتله. وقال بعضُهم: لم يُدرك الحوفزان يوم ذى قار وإنما قتله يزيدُ بن حارثة. وضرب الله وُجوه الفُرس فانهزموا، فأتبعهم بكر حتى دخلوا السّواد فى طلبهم يقتلونهم. وأُسر النّعمان بن زُرعة التّغلبى، ونجا إياسُ ابن قبيصة على فرسه الحمامة، فكان أولَ من أنصرف إلى كسرى بالهزيمة إياسُ بن قَبيصة، وكان كِسرى لا يأتيه أحدٌ بهزيمة جيش إلا نَزَع كَتِفه. فلما أتاه ابنُ قَبيصة سأله عن الجيش. فقال: هزَمنا بكر بن وائل وأتيناك ببناتهم. فأعجب بذلك كِسْرى وأمر له بكُسوة، ثم استأذنه إياس، وقال: إن أخى قيس ابن قبيصة مريضٌ بعين التّمر، فأردتُ أن آتيَه. فأذن له. ثم أتى كِسْرى رجلٌ من أهل الحِيرة وهو بالخَوَرْنق، فسأل: هل دَخل على الملك أحدٌ؟ فقالوا: إياس، فظَنّ أنه حدّثه الخبر، فدَخل عليه وأخبره بهزيمة القوم وقَتْلهم. فأمر به فنُزِعت كَتِفاه.

قال أبو عُبيدة: لما كان يوم ذى قار كان فى بَكْر أَسْرى من تَميم قريباً من مائتى أسير، أكثرهم من بنى رِيَاح بن يَرْبوع. فقالوا: خَلّوا عنّا نُقاتلْ

(١) فى ن: «هذه».

معكم فإنما نَذُب عن أنفسنا . قالوا : فإنا نخاف ألاّ تناصحونا . قالوا : فدعونا نُعلِم حتى تَروا مكاننا وغَناءنا . فذلك قولُ جرير :

مِنّا فوارسُ ذى بهْدَى[1] وذى نَجَب[2] والمُعْلِمون صباحاً يوم ذِى قار

قال أبو عُبيدة : سُئل عمرو بن العلاء ، وتَنافر إليه عِجْلىّ ويَشكرى ، ١١٥/٣ فزَعم العِجْلىّ أنه لم يَشهد يومَ ذى قار غيرُ شيبانىّ وعِجْلى . وقال اليَشكرىّ : بل شهدتْها قبائلُ بكر وحُلفاؤهم . فقال عمرو : قد فَصل بينكما التّغلَبىّ[3] حيث يقول :

ولقد أمرتُ أخاك عمراً أمْرةً[4] فعصى وضَيّعها بذات العُجْرُمِ[5]
فى غَمرة الموتِ التى لا تَشتكى غمراتِها الأبطـالُ غير تَغَمْغُم[6]
وكأنمـا أقدامُهم وأكفُّهم سِربٌ تَساقَط فى خَليج مُفْعَم
لمّـا سمعتُ دُعاء مُرّةَ قد عَلا وأبنى رَبيعة فى العَجاج الأقتم
ومُحلِّمٍ يَمْشون تحت لِوائهم والموتُ تحت لواء آل مُحلّم
لا يَصْدِفون عن الوغى بوجوههم فى كُل سابغةٍ كلون العِظْلِم[7]
ودَعَت بنو أُم الرّقاع فأقبلوا عنـد اللّقاء بكل شاكٍ مُعْلِم
وسمعتُ يَشْكر تدّعى بخُبَيّب[8] تحت العجَاجة وهى تَقْطُر بالدّم

(١) كذا فى ديوان جرير . وذو بهدى : قرية ذات نخل باليمامة . ويوم ذو بهدى ، من أيامهم . (انظر معجم البلدان) . والذى فى الأصول : «ذى نهد» . تحريف
(٢) ذو نجب : موضع كانت فيه وقعة لبنى تميم على بنى عامر . (عن معجم البلدان) .
(٣) هو بشير بن سوادة التغلبى ، ويعرف بابن شكوة . (انظر المرزبانى). وذكره ياقوت فى رسم (العجرم) باسم سوادة بن سلوة .
(٤) كذا فى ا ، ن ومعجم البلدان . والأمرة ، بالفتح : المرة الواحدة من الأمر . ويقال : لك على أمرة وطاعة ، بالفتح لا غير ، أى لك على أمرة أطيعك فيها . والذى فى سائر الأصول : « ولقـد رأيت أخاك عمراً مرة » .
(٥) العجرم ، بضم أول وثالثه : موضع بعينه ويضاف إليه ذو . (عن معجم البلدان . والرواية فى أكثر الأصول : « فعصى وضيعه » .
(٦) هذا البيت والبيتان الرابع والخامس تروى لعنترة فى معلقته .
(٧) العظلم : عصارة شجر لونه كالنيل أخضر إلى الكدرة .
(٨) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « بحبيب » .

يَمْشون في حَلَق الحديد كما مَشت ... أُسْد العَرِين بيوم نَحْس مُظْلِم
والجمع من ذُهل كأنّ زُهاءهم ... جُرد الجِمال يَقودها أبنا قَشْم[1]
والخيل من تحت العجاج عوابسًا ... وعلى سنابكها مناسج[2] من دَم

وقال العُديل بن الفَرْخ العِجْليّ :

ما أوقد النـاسُ من نار لمَـكْرُمة ... إلا اصطَلينا وكُنّا مُوقدى النّارِ
وما يَعدُّون من يوم سمعتُ به ... للنـاس أفضلَ من يوم بذى قار
جِئْنا بأسلابهم والخيلُ عابسةٌ ... لمـا استلبنا لـكِسرى كل إسْوار[3]

قال : وقالت عِجْل : لنا يوم ذى قار . فقيل لهم : فمن المُستودع ومن المَطلوب؟ ومن نائب[4] الملك ومن الرئيس؟ فهو إذا كان لهم كانت الرياسة لهانىء ، وكان حَنظلة يُشير بالرأى . وقال شاعرهم[5] :

إنْ كُنت ساقيةً يوماً[6] ذوى كَرَمٍ ... فاسقى الفوارسَ من ذُهلِ بنِ شَيبانا
واسقى فوارسَ حامُوا عن ذِمارهم[7] ... واعلِى مفارقَهم مِسْكاً ورَيْحانا

وقال أعشى بكر :

أمّا تميمٌ فقـد ذاقتْ عداوتَنا ... وقيسَ عَيلانَ مَسَّ الخِزْىُ والأسَفُ
وجُند كِسْرى غـداةَ الحِنْو صَبَّحهم ... منّا غَطاريفُ تُرْجى[8] الموتَ فانْصرفوا
لَقُوا مُلَمْلَمَةً شَهْبَاء يَقْـدُمها ... للموتِ لا عاجـزٌ فيهـا ولا خَرِفُ
فَرْعٌ نَمَتْهُ فُروعٌ غيرُ ناقصـةٍ ... مُوفَّق حازمٌ فى أمره أُنُف
فيهـا فوارسُ محمودٌ لقاؤهمُ ... مِثْل الأسنَّة لا مِيل ولا كُشُف

(١) فى ا ، ن : «شتم» .
(٢) فى ا ، ن : «مناسجها سبائب» . وفى بعض الأصول : «مناسجها سحائب» .
(٣) الأسوار ، بالضم والكسر : الفارس المقاتل من فرسان الفرس . وقيل هو القائد ، أو الجيد الرمى بالسهام ، أو الجيد الثبات على ظهر الفرس .
(٤) فى أكثر الأصول : «ناصب» .
(٥) هو الدهان بن جندل . (انظر الأغانى ٢٠ : ١٣٨) .
(٦) فى ا ، ن : «قوما» .
(٧) فى الأغانى : «ديارهم» .
(٨) فى ديوان الأعشين : «كتائب تزجى» .

بِيضُ الوُجوهِ غداةَ الرَّوعِ تَحْسَبهم   جِنَّان عَبْس[1] عليها البَيْض والزَّغَف
لمـا التقينا[2] كَشَفْنا عن جَماجِمنا   لِيَعْلَموا أننـــــا بَكْرٌ فينصَرِفوا
قالوا البقيَّةَ والهِنْدِىُّ يحْصــدُهم   ولا بقيَّةَ إلا السيفُ[3] فانكَشفوا
لو أنَّ كلَّ معدٍّ كان شارَكَنَا   فى يَوْم ذى قار ما أخطأهُمُ الشَّرَف
لما أمالوا إلى النُّشَّاب أيديَهم   مِلْنا بِبِيض فَظَل[4] الهام يُخْتَطف
١١٦/٣ إذا عَطفْنا عليهم عَطْفَةً صَبَرَتْ   حتى تولَّت وكاد اليومُ يَنْتَصف
بطـــــارقٌ و بنو مُلْك مرازبةٌ   من الأعاجم فى آذانهـا النُّطف[5]
مِنْ كل مَرْجانة فى البحر أحرَزَها   تيَّارُها[6] ووقاها طينَها الصَّــدَف
كأنما الآلُ فى حافاتِ جَمْعهم   والبِيض بَرْقٌ بدا فى عارضٍ يَكِف
ما فى الخُدود صـدودٌ عن سُيوفهم   ولا عن الطَّعْنِ فى اللَّبَّات مُنْحَرَف[7]

وقال الأعشى يلوم قَيسَ بنَ مسعود :

أقَيسَ بنَ مَسْعود بنِ قيس بنِ خالد   وأنت أمرؤٌ تَرْجو شبابك وائل[8]
أطوْرَيْن فى عامٍ : غزاة ورحـــلة   ألا ليت قيساً غَرَّقَتْه القـوابل[9]
لقد كان فى شَيبان لو كنتَ راضيا   قِبابٌ وحىٌّ حِـــلَّةٌ وقَنابل[10]
ورَجْراجة تُغشى النواظرَ فَخْمةٌ   وجُرْد على أكتافهنَّ الرَّواحل[11]

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : «جنان عين» .
(٢) كذا فى الديوان . والذى فى الأصول : «رأونا» . (٣) فى الديوان : «النار» .
(٤) كذا فى ا ، ن والديوان . والذى فى سائر الأصول : «لمثل» .
(٥) كذا فى ا ، ن والديوان . والنطف : جمع نطفة ، بالتحريك ، وهى القرط . والذى فى سائر الأصول : «الشنف» . والشنف ، بالفتح : الذى يلبس فى أعلى الأذن ، والجمع أشناف وشنوف . وما أثبتنا أولى بالقافية .
(٦) فى شرح الديوان : «أخرجها : غواصها» .
(٧) لم يرد من أبيات هذه المقطوعة فى شرح الديوان إلا أقلها .
(٨) قيل : كان قيس كل يوم يطعم على مائة نطع ، وله مائة ناقة للضيافة يسقى ألبانها ، فإذا احتاج إلى واحدة منها نحرها ووضع مكانها أخرى . (انظر شرح الديوان ١٣٨) .
(٩) يقال للصبى إذا مات فى بطن أمه : غرقته القوابل .
(١٠) كذا فى الديوان ، والذى فى الأصول : * قباب وفيهم رجلة وقبائل * .
(١١) فى الديوان : «تنفى النواضر ..... الرحائل» .

رحلتَ ولم تَنْظُر وأنت[1] عميدُهم فلا يَبْلُغنِّى عنك ما أنت فاعل
وعُرِّيتَ من أهلٍ[2] ومالٍ جمعتَه كما عُرِّيَتْ مما تُمِرُّ المَغازل
شَفَى النفسَ قَتْلى لم تُوسَّد خُدُودُها وِسادًا ولم تُغْضَض عليها الأنامل
بعَيْنيك[3] يومَ الحِنْوِ إذ صَبَّحَتْهمُ كتائبُ موتٍ لم تَعُقْها العواذل

ولما بلغ كسرى خبرُ قيس بن مَسعود إذ أنسلَ[4] إلى قومه، حَبسه حتى مات فى حَبْسه . وفيه يقول الأعشى :

وعُرِّيت من أهل ومال جَمعتَه كما عُرِّيت مما تُمِرّ المغازلُ

وكتب لَقيطٌ الإيادىّ إلى بنى شَيبان فى يوم ذى قار شعرًا يقول فى بَعضه :

قُوموا قياماً على أمشاط أرجلِكم ثم أفزعوا قد يَنالُ الأمنَ من فَزِعا
وقَلِّدوا أمرَكم لله دَرُّكم رَحْبَ الذِّراع بأمر الحرب مُضطلعا
لا مُترَفاً إنْ رخاء العيش ساعدَه ولا إذا عَضَّ مكروهٌ به خَشَعا
ما زال يَحْلُب هذا الدهرَ أشْطُرَه يكون مُتَّبَعاً طوراً ومُتَّبِعا
حتى أستمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتُه مُستحكمَ الرأى لا قَحْماً ولا ضَرِعا

وهذه الأبيات نظير قول عبد العزيز بن زُرَارة :

قدعشتُ فى الدهر أطواراً على طُرق شتَّى فصادفت منه اللينَ والفَظَعا
كُلاًّ بلوتُ فلا النعماء تُبطِرنى ولا تَخشَّعت[5] من لأوائه جَزَعا
لا يملأُ الأمرُ صدرى قبلَ موقعه ولا أضيق به ذَرْعاً إذا وَقَعا[6]

(١) فى الديوان : « تركتهم جهلا وكنت » .
(٢) فى الديوان : « من وفر » .
(٣) فى الأصول : « لملك » . وما أثبتنا من الديوان .
(٤) فى بعض الأصول : « نقل » .
(٥) فى بعض الأصول : «ولا تخشيت » .
(٦) فى ا بعد هذا : « تم الجزء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما » .

الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومخارجه[١]

فرش كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر

المؤلف

قال الفقيه أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه. رحمه الله: قد مَضى قولُنا فى أيام العرب ووقائعها وأخبارها، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى فضائل الشعر ومَقاطعه ومَخارجه، إذ كان الشعر ديوانَ العرب خاصة والمنظومَ من كلامها، والمقيِّدَ لأيامها، والشاهد على أحكامها. حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به وتَفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب فى القَباطىّ المُدرجة، وعلّقتها بين[٢] أستار الكعبة. فمنه يقال: مُذهَّبة امرىء القيس، ومُذهَّبة زُهير. والمذهَّبات سبع، وقد يقال لها المُعلَّقات. قال بعضُ المحدثين يصف قصيدةً له ويُشبهها ببعض هذه القصائد التى ذكرت[٣]: ١١٧/٣

بَرْزةٌ تُذكر فى الحُسـ ... ـن من الشِّعر المُعلَّق[٤]

كل حَرْف نادرٍ منـ ... ـها له وجهٌ مُعشَّق

المعلقات

لامرىء القَيس: * قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل *.

ولزهير: * أمن أمّ أوْفى دِمْنة لم تَكلّم *.

ولطَرَفة: * لِخَوْلة أطلالٌ بِبُرقة ثَهمد *.

---

(١) فى ا قبل هذا العنوان: «الجزء الثامن عشر من كتاب العقد. وهو كتاب الزمردة الثانية فى فواصل الشعر ومقاطعه. بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين». وفى ن قبل هذا: «بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم عونك».

(٢) فى بعض الأصول: «فى».

(٣) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «ذكرناها».

(٤) برزة، أى بارزة المحاسن.

ولعَنترة : * يا دارَ عَبْلة بالجواء تكلَّمى * .

ولعمرو بن كُلْثوم : * ألا هُبِّى بصحنك فاصْبحينا * .

وللَبيد : * عفَت الدِّيار محلها فمُقامها * .

وللحارث بن حِلِّزة : * آذَنَتْنا ببَيْنها أسماء * .

اختلاف الناس فى أشعر الشعراء

النبى صلى الله عليه وسلم ثم بين عمر وقوم وفدوا عليه فى أشعر الشعراء

قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم ، وذُكر عنده امرؤ القيس بن حُجْر : هو قائد الشعراء وصاحبُ لوائهم . وقال عمرُ بن الخطّاب للوَفد الذين قَدِموا عليه من غَطفان : من الذى يقول :

حلفتُ فلم أترُكْ لنَفْسك رِيبةً ... وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ

قالوا : نابغة بنى ذُبيان . قال لهم : فمن الذى يقول هذا الشعر :

أتيتُك عارياً خَلَقاً ثيابى ... على وَجَلٍ تُظَنُّ بىَ الظُّنونُ

فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنها ... كذلك كان نُوحٌ لا يخون

قالوا : هو النابغة . قال : هو أشعرُ شُعرائكم . وما أحسب عُمر ذهب إلاّ إلى أنه أشعرُ شُعراء غَطفان . ويَدُل على ذلك قولُه : هو أشعرُ شُعرائكم .

بين عمر وابن عباس فى زهير

وقد قال عمر لابن عَباس : أنشدنى لأشعر الناس ، الذى لا يُعاظِل[1] بين القوافى ولا يَتتبّع حُوشىَّ الكلام . قال : مَن ذلك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : زُهير بن أبى سُلْمى . فلم يَزل يُنشده من شعره حتى أصبح . وكان زُهير لا يَمدح إلا مُستحقًّا ، كمدحه لسنان بن أبى حارثة وهَرِم بن سِنان ، وهو القائل :

وإنّ أشعر بيتٍ أنتَ قائلُه ... بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه صَدَقا

وكذلك أحسنُ القول ما صدّقه الفعلُ .

بين تميم وابن جندل ثم لبيد فى أشعر الشعراء

قالت بنو تَميم لسَلامة بن جَندَل : مَجِّدْنا بشعرك . قال : افعلوا حتى أقول . وقيل للبيد : مَن أشعر الشُّعراء ؟ قال : صاحبُ القُروح — يريد

(١) لا يعاظل ، أى لا يعقده ولا يوالى بعضه فوق بعض .

أمرأ القيس — قيل له : فبعده مَن ؟ قال : ابن العِشرين — يعنى طَرفة — قيل له : فبعده من ؟ قال : أنا .

الحطيئة وابن العلاء ثم النبى صلى الله عليه وسلم فى طرفة

وقيل للحُطيئة : من أشعرَ الناس ؟ قال : النابغة إذا رَهب ، وزُهير إذا رَغب ، وجَرير إذا غَضِب . وقال أبو عمرو بن العلاء : طرفة أشعرُهم واحدةً ، يعنى قصيدته :

* لِخولة أطلالٌ ببُرقة ثَهْمَد *

وفيها يقول :

سَتُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلًا ... ويَأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ

وأُنشدالنبى صلّى الله عليه وسلّمهذا البيتَ ، فقال: هذا من كلام النُّبوة .

لابن عمر فى بيت الحطيئة

وسمع عبدُ الله بن عمر رجلاً ينشد بيت الحُطيئة :

مَتى تَأْتِه تَعْشُو إلى ضَوء نارِهِ ... تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

فقال: ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إعجاباً بالبيت . يعنى أنّ مثل هذا المَدح لا يَستحقّه إلا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم .

للأصمعى وغيره فى خير الشعر

وسُئل الأصمعىّ عن شعر النابغة ، فقال : إنْ قلت ألينُ من الحرير صدقتَ ، وإن قلتَ أشدّ من الحديد صدقت . وسُئل عن شعر الجَعدىّ ، فقال : مُطْرف بآلاف ، وخِمار بواف[1] . وسُئل حمّاد الراوية عن شعر ابن أبى رَبيعة ، فقال : ذلك الفُستق المُقشَّر الذى لا يُشبع منه . وقالوا[2] فى عمرو بن الأهتم : كان شعره حُللاً مُنَشَّرة . وسُئل عمرو بن العلاء عن جَرير والفَرزدق ، فقال : هما بازيان يَصيدان ما بين الفِيل والعَنْدبيل. وقال جرير : أنا مدينةُ الشعر والفَرزدقُ نَبعته . وقال بلالُ بن جرير : قلت لأبى : يا أبت ، إنك لم تَهْجُ قوماً قطُّ إلا وضعتَهم إلا بنى لجأ . قال : إنّى لم أجد شرفاً فأضعه ولا بناء فأهدمه .

١١٨/٣

(١) الواف : درهم وأربعة دوانق .

(٢) فى بعض الأصول : «وقال» .

أشعر نصف بيت

واختلف النـاسُ فى أشعر نصف بَيت قالته العربُ . فقال بعضهم : قولُ أبى ذُؤيب الهُذلى :

* والدهرُ ليس بمُعتب من يَجْزَع *

وقال بعضهم : قول حُميد بن ثَور الهلالىّ :

* نوكّل بالأدنى وإن جَلّ ما يَمضى *

وقال بعضهم قول زُميل[١] :

* ومَن يَكُ رهناً للحوادث يَغلق[٢] *

شهادة مروان لامرىء القيس

وهذا مالا تُدرك غايته ، ولا يُوقف على حده . والشـعر لا يفوت به أحد ، ولا يأتى له بديع إلا أتى ما هو أبدعُ منه ، ولله دَرّ القائل : أشعر الناس مَن أبدع فى شعره . ألا ترى مَروان بن أبى حَفصة ، على موضعه من الشعر وبُعدصيته فيه ، ومَعرفته بغَثّه وسَمينه ، أنشدوه لأمرىء القَيس فقال : هذا أشعرُ الناس .

أحكم بيت وأفخره لحسان

وقد قالوا : إن لحسّان بن ثابت أفخرَ بيت قالته العرب ، وأحكمَ بيت قالته العرب . فأما أفخر بيت قالته العرب ، فقوله :

وبيوم[٣] بَدرٍ إذ يَرُدّ وجوهَهم جِـبريلُ تحت لِوائنا[٤] ومحمدُ

وأما أحكم بيت قالته العرب ، فقوله :

وإن أمرأً أمسى وأصبح سالمًا مِن النّـاس إلا ما جَنى لسعيدُ[٥]

---

(١) كذا فى ا ، ن . وهو زميل بن أبرد الفزارى ، قاتل سالم بن دارة ، وكان هجاه فقتله . (وانظر التنبيه ص ٩٤) . والذى فى سائر الأصول : « زهير » .

(٢) صدر البيت :

* أجارتنا من يجتمع يتفرق *

(٣) فى ا ، ن : « ويثر » .

(٤) فى بعض الأصول : « لوائهم » .

(٥) روى هذا البيت فى البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩٦) لسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى .

أهجى بيت لجرير

وقالوا[1] : أهجى بيت قالته العرب قولُ جرير :

والتَّغْلبىّ إذا تَنَحْنح للقِرَى ... حكّ اُسْتَه وتمثَّلَ الأمْثالاَ

ولمـا قال جرير هذا البيت قال : والله لقد هجوتُ بنى تَغلب ببيت لو طُعنوا فى أستاههم بالرِّماح ما حكّوها .

أبدع بيت لأبى ذؤيب

ويقال : إن أبدع بيت قالته العرب قولُ أبى ذُؤيب الهُذَلىّ :

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبتها ... وإذا تُرَدُّ إلى قَليـلٍ تَقْنعُ

أصدق بيت للبيد

ويقال : إنّ أصدق بيت قالته العرب قولُ لَبيد :

ألاَ كُلّ شىء ما خلا اللهَ باطلُ ... وكُل نَعيم لا محـالةَ زائلُ

لعبد الملك بن مروان فى جيد الشعر

وذُكر الشعر عند عبـد الملك بن مَروان فقال : إذا أردتُم الشعر الجيِّد فعليكم بالزُّرق من بنى قيس بن ثعلبة ، وهم رهط أعشى بَكْر ؛ وبأصحاب النَّخل من يَثْرب ، يريد الأوس والخَزْرج ؛ وأصحاب الشَّعف من هُذيل ، والشَّعف : رءوس الجبال .

فضائل الشعر

للمؤلف فى معنى هذا العنوان

ومن الدليل على عِظَم قَدْر الشِّعر عند العرب ، وجليلِ خَطْبه فى قلوبهم ، أنّه لمـا بُعث النبىُّ صلّى الله عليـه وسلّم بالقرآن المُعجِز نظمه ، المُحكَم تأليفه ، وأعجب قريشاً ما سمعوا منه قالوا : ما هـذا إلا سِحْر . وقالوا فى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : (شاعِرٌ نَتربَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُون) . وكذلك قال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم فى عمرو بن الأهتم لمّا أعجبه كلامُه : إنّ من البيان لَسِحْرا .

وقال الراجز :

(١) فى بعض الأصول : « وقال » .

لقد خشيتُ أن تكون ساحرًا روايةً مرًّا ومرًّا شاعرًا

النبي صلى الله عليه وسلم وكعب وعمر فى الشعر والشعراء

وقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّ من الشعر لحكمة . وقال كعبُ الأحبار : إنّا نجد قوماً فى التوراة أناجيلُهم فى صُدورهم ، تَنطق ألسنتهم بالحكمة ، وأظنّهم الشُّعراء . وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه : أفضلُ ١١٩/٣ صِناعات الرّجل الأبيات من الشّعر ، يُقدّمها فى حاجاته ، يَستعطف بها قلبَ الكريم ، ويَستميل بها قلب اللئيم .

بين الحجاج والمساور ثم لعبد الملك يوصى مؤدب ولده

وقال الحجّاج للمُساور بن هند(١) : مالك تقول الشعرَ وقد بلغتَ من العُمر مابلغتَ ؟ قال . أرْعى به الكلأ ، وأشرب به الماء ، وتُقضى لى [به] الحاجة ؛ فإن كفيتَنى ذلك تركتُه . وقال عبدُ الملك بن مروان لمؤدّب ولده : روّهم الشّعر يَمجدوا ويَنجدوا .

لعائشة ثم بين ابن زياد ومعاوية

وقالت عائشة : روّوا أولادَكم الشعرَ تعذُب ألسنتهم . وبعث زيادٌ بولده إلى معاوية ، فكاشفه عن فنون من العِلم ، فوجده عالماً بكل ما سأله عنه . ثم استنشده الشعر ، فقال : لم أروِ منه شيئا . فكتب معاويةُ إلى زياد : مامَنعك أن تُروّيه الشعر؟ فوالله إن كان العاقّ ليَرْويه فيبرّ ، وإن كان البخيل ليَرْويه فيسخُو ، وإن كان الجبان ليَرْويه فيقاتل .

ما كان ينشده على فى مبارزته

وكان على رضى الله عنه إذا أراد المُبارزة فى الحرب أنشأ يقول :

أىّ يوميّ من المَوتِ أفرّ يومَ لا يُقدر أم يوم قُدِرْ

يومَ لا يُقدر لا أرْهَبه ومن المَقدور لا يَنْجو الحَذِر

للمقداد

وقال المِقداد بن الأسود : ما كنتُ أعلم أحداً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعلم بشِعر ولا فَريضة من عائشة رضى الله عنها . وفى رواية الخُشَنى

(١) فى بعض الأصول : « عبد » . تحريف .

عن أبى عاصم عن عبد الله بن لاحق[1] عن ابن أبى مُليكة[2] قال : قالت عائشة : رحم الله لَبيداً كان يقول :

قَضِّ اللُّبانةَ لا أبالك واذهبِ ... والحقْ بأسرتك الكرام الغُيَّبِ
ذهب الذين يُعاش فى أ كنافهم ... و بقيتُ فى خَلف كجِلْدِ الأجْرب

فكيف لو أدرك زَماننا هذا ! ثم قالت : إنى لأروى ألفَ بيت له ، وإنه أقلُّ ما أروى لغيره .

من حفظ الشعبي للشعر ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة فى شعر لابن جناب

وقال الشّعبيّ : ما أنا لشىء من العِلم أقلّ منى روايةَ الشّعر ، ولو شئتُ أن أنشد شعرا شهراً لا أعيد بيتاً لفعلت . وسمع النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم عائشة وهى تُنشد شعر زُهير بن جَناب :

أرفعْ ضعيفَك لا يَحُرْ بك ضَعْفهُ ... يوماً فتُدركَه عواقبُ ما جَنَى
يَجزيك أو يُثنى عليك فإنّ مَن ... أثنى عليك بما فعلتَ كمن جَزَى

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : صَدق ياعائشة ، لا يشكر اللهُ مَن لا يشكر النـاس .

النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع شعرا لسويد

يزيد بن عمرو بن مسلم الخُزاعى ، عن أبيه عن جَدّه قال : دخلتُ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومُنشد يُنشده قول سُويد[3] بن عامر المُصْطلق :

لا تأمَنَن وإن أمسيتَ فى حَرَمٍ ... إنّ المَنـايا بجَنْبى[4] كُلّ إنْسانِ
فاسلُك طريقَك تَمشّى غير مُخْتَشعٍ ... حتى تلاقِى الذى مَنَّى لك المانى
فكل ذى صاحب يوماً مُفارقُهُ ... وكُلّ زادٍ وإنّ أبقيْتَه فانى
والخيرُ والشرُّ مَقْرونان فى قَرَن ... بكُل ذلك يأتيك الجَديدان

---

(١) كذا فى ا ، ج ، ن ، والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « الأحق » .
(٢) فى بعض الأصول : «عن أبى مليكة» . وما أثبتنا من ا ، ج ، ن ، والطبرى .
(٣) كذا فى ا ، ج ، ن ، والخزانة (٤ : ٥٣٧) والذى فى سائر الأصول : « شريك » .
(٤) فى بعض الأصول : « تحمى » . وفى الخزانة : « تواق » . والأبيات فى الخزانة تختلف عنها هنا .

فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم .

بين النبي صلى الله عليه وسلم ورجل أنشده

أبو حاتم ، عن الأصمعيّ قال : جاء رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم فقال : أُنشدك يا رسول الله ؟ قال : نعم . فأنشده :

تَركتُ القِيان وَعزْفَ القِيان ... وأدمنتُ تَصليةً وأبتهالاَ

وكَرِّى المُشقَّر فى حَوْمة ... وشَنِّى على المُشْركين القِتالا

فيا ربّ لا أُغبنَنْ صَفْقَتِى ... فقد بِعْتُ مالِى وأهلِى بدالا

١٢٠/٣ فقال النبيّ صلى الله وسلم : رَبح البَيع ، رَبح البيع .

بين النبي صلى الله عليه وسلم والنابغة الجعدى

وقدم أبو ليلى النابغة الجَعدىّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده شعرَه الذى يقول فيه :

بَلَغنا السماء مجدنا وسناؤنا[(١)] ... وإنا لَنرجو فوق ذلك مَظْهَرَا

فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : إلى أين يا أبا ليلى ؟ فقال : إلى الجنة يارسول الله بك . فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إلى الجنة إن شاء الله . فلما أنتهى إلى قوله :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ إذا لم تَكُن له ... بوادرُ تَحْمِى صَفْوه أن يُكَدَّرا

ولا خيرَ فى جَهل إذا لم يكن له ... حَلِيم إذا ما أَوْرد الأمرُ أصدرَا

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : لاَ يفضُض الله فاك . فعاش مائةً وثلاثين سنة لم تَنْغُض[(٢)] له ثنيّة .

لابن عباس فى بيت شعر

سفيان الثّورى عن لَيث عن طاووس عن ابن عباس قال : إنها لكلمة نبيّ . يعنى قولَ الشاعر :

ستُبدى لك الأيامُ ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزوِّدِ

لكعب فى بيت الحطيئة

وسمع كعبٌ قولَ الحُطيئة :

مَن يفعل الخَيرَ لاَ يَعْدَم جَوازيَه ... لاَ يذْهبُ العُرف بين الله والناسِ

(١) فى بعض الأصول : « مجدنا وجدودنا » .

(٢) تنغض ، بضم الغين وكسرها : تتحرك .

قال : إنه فى التوراة حرفاً بحرف : يقول الله تعالى : « مَن يفعل الخير يجدْه عندى ، لا يذهب الخيرُ بينى وبينَ عبدى » .

النبى صلى الله عليه وسلم وقد أنشد أبياتا لأمية

وقال عبد الله بن عبّاس : أنشدت النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أبياتاً لأمية بن أبى الصّلت يذكر فيها حملة العرش ، وهى :

رَجُلٌ وثورٌ تحت رِجْل يمينه   والنَّسر للأخرى وليثٌ مُرْصَدُ[1]
والشمسُ تَطْلُع كُلَّ آخر ليلةٍ   حمراءَ ويُصبح لونُهـــا يتوقد[2]
تبدو فما تبدو لهم[3] فى وَقْتها   إلاّ معُذَّبة وإلاّ تُجْـــلَدَ

فتبسم النبىّ صلى الله عليه وسلم كالمُصدِّق له .

النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمع شعرا لأمية

ومن حديث ابن أبى شَيْبة : أن النبىّ صلّى الله عليه وسلم أردف الشَّرِيد[4] ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : تَرْوِى من شِعر أمية بن أبى الصّلت شيئا ؟ قلتُ : نعم . قال : فأنشِدنى . فأنشدته . فجعل يقول بين كل قافيتين : هيه ، حتى أنشدتُه مائة قافية . فقال : هذا رجلٌ آمَن لسانه وكَفَر قلبُه .

الشعر واستعانة الرسول صلى الله عليه وسلم به على المشركين

ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظمُ جُند يجنّده رسول الله صلى الله عليه وسلم على المُشركين ، يدل على ذلك قوله لحَسان : شُنَّ الغَطاريف على بنى عبد مناف ، فوالله لشعرك أشدُّ عليهم من وقع السهام فى غلس[5] الظلام . وتَحفظْ

(١) قال الجاحظ فى كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٦٨) : « وقد جاء فى الخبر أن من الملائكة من هو فى صورة الرجال ، ومنهم من هو فى صورة الثيران ومنهم من هو فى صورة النسور . ويدل على ذلك تصديق النبى صلى الله عليه وسلم لأمية ابن أبى الصلت » . ثم ذكر البيت . وفى بعض الأصول : « والتيس . . . ملبد » . وانظر الأغانى (٤ : ١٢٨) طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) رواية هذا العجز فى الأغانى :

* حمراء مطلع لونها متورد *

(٣) فى الأغانى : « * تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها * وفى بعض الأصول : « تأبى فما تطلع » .

(٤) فى بعض الأصول : « الرشيد » . تحريف .

(٥) فى بعض الأصول : « غبش » .

بِبَيْتى فيهم[١] . قال : والذى بعثك بالحق نبيًّا ، لأَسُلَّنَّك منهم سَلَّ الشَّعرة من العجين . ثم أخرج لسانه فضرب به أرنبة أنفه ، وقال : والله يا رسولَ الله إنه ليخيّل لى أنّى لو وضعته على حَجر لفَلقه ، أو على شَعَر لحلقه . فقال النبىُّ صلّى الله عليه وسلّم : أيّد الله حسّانا فى هَجْوه برُوح القُدس .

إسلام دوس بشعر كعب

وقال ابن سيرين : بلغنى أنّ دَوْسا إنما أسلمتْ فَرَقاً من كعب بن مالك صاحب النبىّ صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

قَضينا مِن تِهامةَ كُلَّ نَحْبٍ وخَيْبر ثم أغمَدنا السُّيوفَا[٢]
نُخبِّرها ولو نَطقت لقالت قواضبهُنّ دَوْساً أو ثَقِيفا

بين النبى صلى الله عليه وسلم وحسان فى بيت له

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم [لحسان بن ثابت] : لقد شكر الله لك قولَك حيثُ تقول :

١٢١/٣

زعمتْ سَخينةُ أنْ ستغلب رَبَّها وليُغْلبنّ مُغالب الغَلّابِ

بين النبى صلى الله عليه وسلم وابن رواحة

ولو لم يكن من فضائل الشّعر إلا أنّه أعظمُ الوسائل عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رَواحة : أخبرنى ما الشعرُ يا عبد الله ؟ قال : شىء يَختلج فى صَدْرى فينطق بِه لسانى . قال : فأنْشِدنى . فأنشده شعره الذى يقول فيه :

فثبّت الله[٣] ما آتاك مِنْ حَسَنٍ تَثبيتَ عيسى بإذْن الله والقَدَرِ

فقال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : وإياك ثَبّت الله[٣] ، وإياك ثَبّت الله[٣] .

النبى صلى الله عليه وسلم وشعر قتيلة

ومِن ذلك ماروواه ابنُ إسحاق صاحبُ المَغازى وابنُ هشام . قال ابن إسحاق : لما نَزل رسولُ الله صلّى الله عليه الصفراء[٤] — قال ابنُ هشام : الأُثيل[٥] — أمر عليًّا فضَرب عُنق النَّضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف ، صَبْراً

(١) فى بعض الأصول : « وتخبط معى فيه » . تحريف .
(٢) النحب : النذر ، أى وقضنا ما ألزمنا به أنفسنا من أن نصد لهم فى الحرب .
(٣) فى بعض الأصول : « قبلت قلة » .
(٤) الصفراء : واد من ناحية المدينة فى طريق الحاج . (عن معجم البلدان) .
(٥) الأثيل : موضع قرب المدينة .

بين يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالت أختُه قُتيلة بنت الحارث ترثيه :

يا راكباً إنّ الاثيل مَظنّة ... من صُبح خامسة وأنت مُوفقُ

أبلغ بها مَيْتاً بأنّ تحيةً ... ما إن تَزال بها النجائبُ تخفق

منّى عليك[1] وعَبرة مَسْفوحة ... جادت بواكِفها وأخرى تخنُق

هل يَسمعَنى النضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يَسمع مَيّتٌ لا يَنطق

أمحمد ياخيرَ ضِنْءٍ[2] كريمة ... فى قومها والفحلُ فحلٌ مُعرق

ما كان ضرّك لو مَننت وربما ... مَنّ الفتى وهو المَغيظ المُحنق

فالنّضر أقربُ مَن أسرت قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتْق يُعتق

ظلّت سيوفُ بنى أبيه تَنوشه ... لله أرحامٌ هناك تَمزّق[3]

صبراً يُقاد إلى المنيّة مُتعباً ... رَسْفَ المُقيّد وهو عانٍ مُوثَق

قال ابن هشام : قال النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، لما بلغه هذا الشعر : لو بلغنى قبلَ قتله ما قتلتُه .

بين النبى صلى الله عليه وسلم وأبى جرول يوم حنين

من[4] حديث زياد بن طارق الجُشمىّ قال : حدّثنى أبو جَرْول الجُشمى ، وكان رئيس قومه ، قال : أسرَنا النبىّ صلّى الله عليه وسلم يوم حُنين ، فبينما هو يُميز الرجال من النساء إذ وثبتُ فوقفتُ بين يديه وأنشدتُه :

امنُن علينا رسولَ الله فى حُرَم[5] ... فإنك المرء نَرجوه ونَنتظرُ

امنُن على نِسْوة قد كنتَ تَرضعها ... يا أرجح الناس حِلْماً حين يُختبر

إنا لَنشكر للنُّعمى إذا كُفِرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مُدّخر

فذكّرته حين نشأ فى هوازن وأرضعوه . فقال عليه الصلاةُ والسلام : أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم . فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو

(١) فى بعض الأصول : « عليه » : وفى معجم البلدان (أثيل) : « إليه » .
(٢) فى بعض الأصول : « نسل » .
(٣) فى بعض الأصول ومعجم البلدان : « تشقق » .
(٤) فى بعض الأصول : « وقال : من حديث ... الخ » .
(٥) فى بعض الأصول : « فى كرم » .

لله ولرسوله . فردّت الأنصار ما كان فى أيديها من الذّرارى والأموال .

فإذا كان هذا مَقام الشعر عند النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأى وسيلة تَبلغه أو تَشْرُه .

النبى صلى الله عليه وسلم وشعر عمرو بن مالك بعد فتح مكة

وكان الذى هاج فَتْح مكة أنّ عمرو بن مالك[1] الخُزاعِيّ ، أحدَ بنى كَعب ، خَرج من مكة حتى قَدم على رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم المدينة ، وكانت خُزاعة فى حِلْف النبيّ صلَّى الله عليه وسلم وفى عهده وعَقْده ، فلما أنتقضت عليهم قُريش بمكة وأصابوا منهم ما أصابوا ، أقبل عمرو بنُ مالك الخُزاعىّ بأبيات قالها .

١٢٢/٣ فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فقال :

يارب إنّى ناشدٌ مُحمــدَا ... حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدَا
قد كنتمُ وُلْداً[2] وكُنّا وَلدا ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
[إنّ قريشا أخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكّدا
وجعلوا لى فى كَداء رَصدا[3] ... وزعموا أن لست أدعو أحدا]
وهم أذلّ وأقل عــددا ... هُم بيّتونا بالوتير[4] هُجّدا
وقَتَلونا رُكّعا وسُجّدا ... فانصُر هَداك الله نصْرا أيِّدا
وادْع عبادَ الله يأتوا مَدَدا ... فيهم رسولُ الله قد تجرّدا
إنْ سِيم خَسْفا[5] وجهُه تَربدا ... فى فَيْلق كالبَحر يجْرى مُزْبدا

قال ابن هشام : فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ، نُصرت يا عمرو بن مالك[1] . ثم عَرَض عارضٌ من السماء ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : إن هذه السحابة تستهلّ بنَصْر بنى كَعب .

(١) فى بعض الأصول : « سالم » . وما أثبتنا من سائر الأصول والاشتقاق (٢٨٠) والبكرى (٨٣٧) والإصابة .

(٢) كذا فى ا ، ج ، ن . والذى فى سائر الأصول : « قد كنت والدا » .

(٣) كداء ، بالفتح والمد : بأعلى مكة عند المحصب . (عن معجم البلدان) .

(٤) الوتير : ماء بأسفل مكة . (عن معجم البلدان) .

(٥) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « سيما خلقا » .

لعمر بن الخطاب وابن عباس فى الشعر

وقال عمر بن الخطّاب : الشعر جَزل من كلام العرب ، يُسكَّن به الغَيظ ، وتُطفأ به الثائرة ، ويتبلّغ(١) به القومُ فى ناديهم ، ويُعطى به السائل . وقال ابن عبّاس : الشعر عِلْم العرب وديوانها فتعلّموه ، وعليكم بشعر الحجاز . فأحسبه ذَهب إلى شعر الحجاز ، وحَضّ عليه ، إذ لغتهم أوسط اللّغات .

نصيحة معاوية لابن الحكم ثم لابن أنس عن مشاطرة عمر لعماله

وقال معاويةُ لعبد الرحمن بن الحكم : يابن أخى ، إنك شُهرت بالشعر ، فإياك والتشبيبَ بالنّساء ، فإنك تغرّ الشريفة فى قومها ، والعفيفة فى نفسها ؛ والهجاء ، فإنك لا تَعْدو أن تُعادى كريما أو تَستثير به لئيما . ولكن أفخر بمآثر(٢) قومك ، وقُل من الأمثال ما تُوَقّر به نفسك ، وتؤدّب به غيرك . وسُئل مالك بن أنس : من أين شاطر عمرُ بن الخطاب عُمّاله ؟ فقال : أموال كثيرة ظهرت عليهم ، وإنّ شاعرا كتب إليه يقول :

نَحجُّ إذا حَجُّوا و نَغْزو إذا غَزَوْا ... فأنّى لهم وَفْر ولَسنا بذى وَفْر

إذا التاجرُ الهِنْدىّ جاء بفَارةٍ ... من المِسْك راحت فى مَفارقهم تَجْرِى

فُدونك مالَ الله حيثُ وجدتَه ... سَيرضَون إن شاطرتَهم منك بالشَّطْر

قال : فشاطَرهم عُمر أموالهم .

لعمر حين أنشد لزهير ثم لابن الطبيب

وأنشد عمر بن الخطّاب قولَ زُهير :

فإنّ الحقّ مَقْطعه ثلاثٌ ... يَمين أو نفَارٌ أو جَلاء

فجعل يعجب بمعرفته بمقاطع الحُقوق وتفصيلها . وإنما أراد : مَقطع الحقوق يَمين أو حُكومة أو بيِّنة . وأنشد عُمر قول عَبَدة بن الطَّبيب :

* والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ(٣) وتأميلُ *

فقال : على هذا بُنيت الدنيا .

النبى وأصحابه فى وباء المدينة

ولما هاجر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة وهاجر أصحابُه ، مسّهم وباء

(١) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « يبلغ » .
(٢) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « ببيت » .
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « وإعناق » .

المدينة ، فرض أبو بكر وبلال . قالت عائشة : فدخلتُ عليهما ، فقلت : يا أبت ، كيف تَجدك ؟ ويا بِلال ، كيف تَجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول :

كُلّ أمرئ مُصَبَّح فى أهله والموتُ أدْنى من شِراك نَعْله

قالت : وكان بلال إذا أقلعت عنه يَرفع عقيرَته ويقول :

ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً بوادٍ وحَوْلى إذْخر وجَليلُ(١)

وهل أرِدَنْ يوماً مِياه مَجَنّةٍ وهل يبدوَنْ لى شامَة وطَفِيل(٢)

قالت عائشة : وكان عامر بن فُهيرة يقول :

١٢٣/٣ وقد رأيتُ الموتَ قبل ذَوْقه إنّ الجَبان حَتْفه مِن فَوْقه

كالثّور يَحْمى جِلده بِرَوْقه

قالت عائشة : فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرتُه . فقال : اللهم حبِّب إلينا المدينة كحُبنا مكة وأشد ، وصَحّحها وبارك لنا فى صاعها ومُدها ، وانقُل حُماها فاجعلها بالجُحفة(٣) .

النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين

ومن حديث البَراء بن عازب ، قال : لما كان يوم حُنين رأيتُ النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، والعبّاس وأبا سُفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وهما آخذان بِلجام بغلته ، وهو يقول :

أنا النبيّ لا كَذِب ، أنا ابنُ عبد المُطّلبْ

النبى صلى الله عليه وسلم فى النار

ومن حديث أبى بكر بن أبى شَيبة عن سُفيان بن عُيينة يَرفعه إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلم ، أنه لما دخل الغار نُكِبَ(٤) ، فقال :

(١) الإذخر : حشيش طيب الريح . والجليل : الثمام .

(٢) مجنة : جبل لبنى الدئل خاصة ، بتهامة بجنب طفيل . وشامة وطفيل : جبلان قرب مكة . (عن معجم البلدان) .

(٣) الجحفة : كانت قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة . وهى ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة . (عن معجم البلدان) .

(٤) كذا فى ا ، ن . ونكب ، أى نالت الحجارة إصبعه . والذى فى سائر الأصول : «مكث» . تحريف .

هل أنتِ إلا إصْبع دَمِيت ، وفى سَبيل الله ما لَقيت

فهذا من المَنثور الذى يُوافِق المنظوم ، وإن لمَ يتعمّد به قائلهُ المنظوم .

ومثل هذا من كلام الناس كثير يأخذه الوَزن ، مثلُ قول عبدٍ مملوك لمواليه : اذهبوا بى إلى الطبيب ، وقولوا قد ا كتوى . ومثله كثير مما يأخذه الوزن ولا يُراد به الشعر . ولا يُسمّى قولُ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وإن كان موزونا ، شعرا ، لأنه لا يراد به الشّعر . ومثلُه فى آى الكتاب : (ومِن اللّيْل فَسَبّحْه وإدْبَار النُّجوم) . ومنه : (وجِفَان كالجَوَاب وقُدُور راسيات) . ومثله : (ويُخْزِم ويَنْصركم عليهم ويَشْفِ صدور قوم مُؤمنين) . ومنه : (فذَلكَ الّذى يَدُعّ اليَتيم) . ولو تطلّبت فى رسائل الناس وكلامهم لوجدت فيه ما يحتمل الوزن كثيرا ولا يُسمى شعرا . من ذلك قولُ القائل : مَن يشترى باذنجان . تقطيعه : مستفعلن مفعولات . وهذا كثير .

من قال الشعر

من الصحابة والتابعين والعلماء المشهورين

من شعراء الصحابة وشعر لعلى

كان شعراء النبىّ صلّى الله عليه وسلّم : حسان بن ثابت ، وكَعبَ بن مالك ، وعبدَ الله بن رواحة . وقال سعيد بن المُسيَّب : كان أبو بكر شاعراً ، وعُمر شاعرا ، وعلىّ أشعرَ الثلاثة . ومن قول علىّ كرّم الله وجهه بصِفّين :

لمن رايةٌ سَوداء يخفِق ظِلُّها ... إذا قِيل قَدّمها حُضين تَقَدّما

يُقدّمها فى الصّف حتى يُزيرها[1] ... حِياضَ المَنايا تَقطُر السّمّ والدّما

جَزى الله عنّى والجَزاء بكَفّه ... رَبيعةَ خيراً ما أعفَّ وأكرما

لأنس ثم شعر لابن العاص

وقال أنس بن مالك خادمُ النبىّ صلّى الله عليه وسلم : قَدِم علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وما فى الأنصار بيتٌ إلا وهو يقول الشعر . قيل له : وأنتَ أبا حمزة ؟ قال : وأنا . وقال عمرو بن العاص يوم صفين :

(١) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « فيوردها فى الصف حتى يردها » .

شَبَّت الحربُ فأعددتُ لها ... مُفْرِع الحارِكِ مَحْبوكَ الثَّبَجْ[(١)]

يَصِلُ الشدَّ بشدٍّ فإذا ... وَنَت الخيلُ عن الشدِّ مَعَج[(٢)]

جُرْشُعٌ أعظَمُه جُفْرَتُه ... فإذا أُبتلّ من الماء خَرَج[(٣)]

لعبدالله بن عمرو ابن العاص

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص :

فلو شَهِدتْ جُمل مُقامى ومَشْهدى ... بصفِّين يوماً شاب منها الذَّوائبُ

عشيّةَ جا أهلُ العِراق كأنهم ... سَحاب ربيعٍ زَعْزعتها الجَنائب

وجِئْناهمُ نَرْدِى كأنّ صُفوفنا ... من البحر مدٌّ موجُه مُتراكب

١٢٤/٣ إذا قلت قد ولّوا سِراعاً بدتْ لنا ... كتائبُ مِنهم وارجحنّت كَتائب

فدارتْ رَحانا واستدارت رَحاهمُ ... سراةَ النّهارِ ما تَوالى[(٤)] المناكب

وقالوا لنا إنا نَرى أنْ تُبايعوا ... عليًّا فقُلنا بل نَرى أن نُضارب

ومن شعراء التابعين

عبيد الله بن مسعود

عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مَسعود ، وهو ابن أخى عَبد الله بن مَسعود ، صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو أحد السّبعة من فُقهاء المدينة ، وله يقول سَعيد بن المُسيّب : أنت الفقيه الشاعر . فقال : لا بُدّ للمصدور أن يَنْفث . يعنى أنه من كان فى صَدره زُكام فلا بد من أن يَنفث زُكة صدره . يريد أن كل من اختلج فى صَدره شىء من شعر أو غيره ، ظهر على لسانه .

وقال عُمر بن عبد العزيز : وَدِدْت لو أنّ لى مجلسا من عُبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بن مَسعود بدينار[(٥)] . قال عُبيد الله بن عَبد الله بن عُتبة بن مسعود : ما أحسن الحسنات فى إثْر السيآت ، وأقبحَ السيآت فى إثْر الحَسنات ، وأحسن من هذا وأقبح من ذلك : الحسنات فى إثْر الحسنات ، والسيآت فى إثْر السيآت .

(١) الثبج : ما بين الكاهل والظهر .
(٢) الشد : الحضر والعدو . والمعج : سرعة المر . وقيل أن يعتمد الفرس على إحدى عضادتى العنان . مرة فى الشق الأيمن ومرة فى الشق الأيسر .
(٣) الجرشع : العظيم الصدر ، وقيل الطويل . والجفرة : جوف الصدر .
(٤) فى بعض الأصول : « ما تولى » . (٥) فى ا ، ن : « بدينى » .

ومن شعراء التابعين

عروة بن أذينة

عروة بن أذينة ، وكان من ثقات أصحاب حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، يَروى عنه مالك . وقال ابن شُبرمة : كان عُروة بن أُذينة يَخرج فى الثُّلث الأخير من الليل إلى سِكك البصرة فينادى : يأهل البصرة ، (أفأمِن أَهْلُ القُرَى أنْ يَأْتِيَهم بَأْسُنا بَيَاتاً وهُم نائِمُون . أوَ أَمِن أَهْلُ القُرى أنْ يأتيَهم بَأْسُنا ضُحًى وهُم يَلعَبون) . الصلاة الصلاة .

ومن شعراء الفقهاء المبرزين

عبدالله بن المبارك ثم بين عبيد الله وعمر بن عبد العزيز

عبد الله بن المُبارك صاحب الرّقائق[١] . وقال حِبّان[٢] : خرجنا مع ابن المُبارك مُرابطين إلى الشام ، فلما نَظر إلى ما فيه القومُ من التعبّد والغَزو والسرايا كل يَوم التفت إلىّ وقال : إنّا لله و إنّا إليه راجعون على أعمار أفنيناها ، وليال وأيام قطعناها فى عِلْم الخليّة والبَرِيّة[٣] ، وتركنا هاهنا أبوابَ الجنّة مفتوحة . قال : فبينما هو يمشى وأنا[٤] معه فى أزقة المَصِّيصة[٥] إذ لقى سَكرانَ قد رفع عَقيرته يتغنّى و يقول :

أذلَّنىَ الهوى فأنا الذليـلُ وليس إلى الذى أهوى سَبيلُ

قال : فأخرج برنامجا[٦] من كُمّه ، فكتب البيت . فقلنا له : أتكتب بيت شعر سمعتَه من سكران ؟ قال : أما سمعتم المَثل : رُبّ جوهرة فى مَزْبلة ؟ قالوا : نعم . قال : فهذه جَوْهرة فى مَزبلة . و بلغ عُبيدَ الله بن عبد الله بن عُتبة بن

(١) يريد : الرقائق من نسيبه . وانظر ماسيأتى من شعره (ص ٢٨٩) من هذا الجزء .
(٢) كذا فى ا . وهو حبان (بكسر الحاء) ابن موسى بن سوار السلمى ، أبو محمد المروزى الكشميهنى ، بالضمة والسكون والكسر وتحتانية ساكنة وفتح الهاء ونون ، نسبة إلى كشميهن قرية بمرو . وهو ممن يروون عن ابن المبارك . (تهذيب التهذيب ٢ : ١٧٤ ، ٥ : ٣٨٣) . والذى فى سائر الأصول : « حسان » تحريف .
(٣) كذا فى بعض الأصول . والخلية : كلمة تطلق بها المرأة ، يقال لها : أنت برية وخلية ؛ كناية عن الطلاق تطلق بها المرأة . وفى حديث ابن عمر : الخلية ثلاث . كان الرجل فى الجاهلية يقول لزوجته : أنت خلية . فكانت تطلق منه . وهى فى الإسلام من كنايات الطلاق ، فإذا نوى بها الطلاق وقع . والذى فى سائرها : « الخلية البرمة » تحريف .
(٤) فى ا ، ن : « ونحن » . (٥) المصيصة ، بالفتح ثم بالكسر والتشديد : مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام . (انظر معجم البلدان) .
(٦) البرنامج ، بفتح الموحدة والميم ، وقيل بكسر الميم ، وقيل بكسرهما : الورقة الجامعة للحساب .

مسعود عن عمر بن عبد العزيز بعضُ ما يكره فكتب إليه :

أتانى عنك هذا اليومَ قولٌ   فضِقْت به وضاق به جَوابى[١]

[أبا حفص فلا أدرى أرغمى   تريد بما تحاول أم عتابى

فإن تك عاتبا تُعْتَب وإلا   فما عودى إذًا بيَراع غاب]

وقد فارقتُ أعظمَ منك رُزءا   وواريتُ الأحِبّة فى التُّراب

وقد عَزّوا على إذ أسْلمونى   معاً فلبستُ بعدهُم ثِيابى

وقد ذكرنا شعر عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة وعُروة بن أُذينة فى الباب الذى يتلو هذا الباب ، وهو : « قولهم فى الغزل » .

لراشد بن عبد ربه

حدّث فرج بن سلّام قال : حدّثنا عبد الله بن الحَكم الواسطىّ عن بعض أشياخ أهل الشام قال : استعمل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أبا سفيان بن حَرب على نجران . فولّاه الصلاة والحرب . ووجّه راشدَ بن عبد ربّه السُّلمى أميراً على القضاء والمظالم . فقال راشدُ بن عبد ربّه :

صحا القلبُ عن سَلمى وأقْصَرَ شأْوُه   وردّت عليه ما نَعَتْه[٢] تُماضرُ

وحكّمه شيبُ القَذال عن الصّبا   وللشّيب عن بعض الغَواية زاجر

١٢٥/٣ فأقصر جَهْلى اليومَ وارتدّ باطلى   عن اللّهو لما أبيض منىّ الغدائر

على أنه قد هاجه بعد صَحْوه   بمَعْرض ذى الآجام عيسٌ بواكر

ولما دنت من جانب الغُوط أخْصبت   وحلّت ولاقاها سُلَيم وعامر

وخبّرها الرُّكبان أن ليس بَيْنها   وبين قُرى بُصرى ونَجران كافر

فألقت عَصاها واستقرت بها النّوى   كما قَرّ عيناً بالإياب المُسافر[٣]

لابن عمر فى ابنه سالم

وكان عبدُ الله بن عمر يُحب ولده سالمًا حبًّا مُفرطا ، فلامه الناس فى ذلك فقال :

يلومونني فى سالمٍ وألُومهم   وجِلْدَةُ بين العَين والأنف سالم

(١) فى ا ، ج ، ن :   أبا حفص أتانى عنك قول   قطعت به وضاق له جوابى

(٢) فى بعض الأصول : « ما بتته » .

(٣) هذا البيت للمعقر بن أوس بن حمار البارق . وقد مر الشعر عند الكلام على يوم شعيب جبلة (ص ١٤٤ من هذا الجزء) . وانظر اللسان « نوى » والأغانى (١٠ : ٤٧) .

وقال : إنّ ابنى سالمًا ليُحب الله حبًّا لو لم يَخَفه ما عصاه .

لعلى بن أبى طالب فى القتال

وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه إذا برز إلى القتال أنشد :

أىّ يومىَّ من الموتِ أفرّ ... يومَ لا يُقدر أم يوم قُدر
يوم لا يُقدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا يَنْجو الحَذِر

وكان إذا سار بأرض الكوفة يرتجز ويقول :

ياحبّذا السير بأرض الكُوفه ... أرضٍ سواء سَهْلة مَعروفه
تعرفها جِمالنا المَعْلوفه

لابن عباس وهو يحدو

وكان عبد الله بن عباس فى طريقه من البصرة إلى مكة يحدو بالإبل ويقول :

١٠ أولى إلى أهلك يارَبابُ ... أولى فقد هان لك الإيابُ

وله لما كف بصره

وقال ابن عباس لما كُفّ بصره :

إن يأخذ الله من عينىّ نُورَهما ... فنى لسانى وقَلبى منهما نُورُ
قلبى ذكىّ وعَقلى غير ذى دَخل ... وفى فمى صارمٌ كالسَّيف[1] مَأثور

قولهم فى الغزل

بين ابن سيرين وسائل عن الغزل ينشد فى المسجد

١٥ قال رجل لمحمد بن سيرين : ما تقول فى الغَزل الرّقيق يُنشده الإنسان فى المسجد . فسَكت عنه حتى أُقيمت الصلاة وتقدّم إلى المحراب فالتفت إليه ، فقال :

وتَبرد بَرد رداء العرو ... س[2] فى الصّيف رَقرقتَ فيه[3] العَبيرا
وَتسخن ليلةَ لا يَستطيع ... نُباحاً بها الكلبُ إلا هَريرا

٢٠ ثم قال : الله أكبر .

(١) فى بعض الأصول : « مستور » .
(٢) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « برد الفراديس » .
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « فيها » .

بين العجاج وأبى هريرة فى مثل ما سبق

وقال العجّاج(١) . دخلتُ المدينة فقصدتُ إلى مسجد النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، فإذا بأبى هُريرة قد أكبّ الناسُ عليه يسألونه ، فقلت : أفرجوا لى عن وجهه . فأفرج لى عنه . فقلت له : إنى إنما أقول :

طاف الخَيَالان فهاجَا سَقَمَا ... خيالُ أروَى وخيالُ تَكْتَمَا

تُريك وجهًا ضاحكاً ومِعْصما ... وساعداً عَبْلاً وكَعْباً أَدْرما(٢)

فما تقول فيه ؟ قال : قد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم يُنشَد مثلَ هذا فى المسجد فلا يُنكره .

النبي صلى الله عليه وسلم حين أنشده كعب بن زهير

ودخل كعب بن زهير على النبي صلّى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح فمثل بين يديه ، وأنشد :

بانت سعاد فقلبى اليوم مَتبولُ ... مُتيّمٌ إثرها لم يُفْد(٣) مَكْبُولُ

وما سُعاد غدَاة البَين إذ رَحلوا ... إلا أغنُّ غَضيض الطرف مَكْحول

هَيفاء مُقْبِــلة عَجْزاء مُدْبِرة ... لا يُشتكى قِصَر منها ولا طُول

ما إن تَدوم على حال تكون بها ... كما تلوّن فى أثوابها الغُول

١٢٦/٣ ولا تَمسّك بالوَعد الذى وَعدت ... إلا كما يُمسك الماء الغَرابيل

كانت مواعيدُ عُرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدُها إلا الأَباطيل

ولا يَغُرّنك ما مَنّت وما وَعدت ... إنّ الأمانىّ والأحلام تَضْليل

ثم خرج من هذا إلى مَدح النبيّ صلى الله عليه وسلّم . فكساه بُرداً ، اشتراه منه معاويةُ بعشرين ألفاً .

من غزل ابن مسعود

ومن قول عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود فى الغزل :

كتمتَ الهوى حتى أضرّ بك الكَتْم ... ولامَك أقــوامٌ ولومُهمُ ظُلْم

ونَمّ عليك الكاشِحون وقبل ذا ... عليك الهوَى قد نَمّ لو نَفع النّم

(١) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « الحجاج » .

(٢) الأدرم : الذى لا حجم لعظامه . والرواية فى اللسان « درم » :

* ساقا بخنداة وكعبا أدرما *

(٣) فى ا ، ن : « لم يشف » .

فيامَن لِنفس لا تمــوت فَيَنقضى عَناها ولا تَحْيا حَياةً لهـا طَعم
تجنّبت إتيانَ الحَبيب تأثّما ألا إن هِجران الحبيب هو الإثم

من غزل ابن أذينة

ومن شعر عُروة بن أذينة ، وهو من فقهاء المدينة وعُبّادها ، وكان من أرقّ الناس تشبيبا :

قالت وأبثثتها وَجْدى[1] و بُحت به قد كُنتَ عندى تحب السّتر فاستَتِرِ
ألست تُبصر من حولى فقلتُ لها غطَّى هواكِ وما أُلقى على بَصرى

بينه وبين امرأة

ووقفتْ عليه أمرأة ، فقالت له : أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وأنت تقول :

إذا وجدتُ أُوار الُحبّ فى كَبِدى غدوتُ نحو سِقاء المـاء أبتَرِدُ
هبنى[2] بردتُ بِبَرد المـاء ظاهرَه فمَن لنـار على الأحشاء تَتّقد

والله ما قال هذا رجل صالح . وكذبتْ عدوةُ الله عليها لعنة الله ، بل لم يكن مُرائيا ولـكنه كان مَصْدورا فنَفث .

بينه وبين هشام ابن عبد الملك

وقدم عُروة بن أذينة على هشام بن عبد الملك فى رجال من أهل المدينة ، فلما دخلوا عليه ذكروا حوائجهم فقضاها ، ثم التفت إلى عُروة فقال له : ألست القائل :

لقد علمتُ وخيرُ القول أصدَقُه بأنّ رزْقى و إن لم آتِ يَأْتينى
أسعَى له فيُعنّينى تَطَلُّبـــه ولو قعدتُ أتانى لا يُعَنّينى

قال : بلى . قال : فما أراك إلا قد سَعيت له . قال : سأنظر فى أمرى يا أمير المؤمنين ، وخَرج عنه ، فجعل وجهته إلى المدينة . وكَشف عنه هشام بن عبد الملك ، فقيل له : قد توجّه إلى المدينة . فبعَث إليه بألف دينار . فلما قدم عليه بها الرسولُ ، قال له : أبلغ أميرَ المؤمنين السلام ، وقل له : أنا كما قلت ، قد سَعيت وعُنيت فى طلبه ، وقعدتُ عنه فأتانى لا يُعنّينى .

(١) فى ا ، ج ، ن : « سرى » .
(٢) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « هفا » .

من شعر ابن المبارك

ومن قول عبد الله بن المبارك ، وكان فقيهاً ناسكا شاعرا رقيقَ النَّسيب ، مُعجب[1] التَّشْبيب، حيث يقول :

زعموها سألتْ جارتَها ... وتعرّت ذات يوم تَبْتَرِدْ
أ كما يَنْعتنى[2] تُبصرننى ... عَمْرَكن الله لِمْ لا يَقْتصد
فتضاحَكْن وقد قُلن لهـا ... حَسَنٌ فى كُل عَين من تودّ
حسَدًا حُمّلنه مِن شأنها ... وقديماً كان فى الحُب الحسد

من شعر شريح

وقال شريح القاضى ، وكان من جملة التابعين ، والعلماء المتقدمين ، استقضاه علىّ رحمه الله ومُعاوية ، وكان تزوّج أمرأة من بنى تميم تُسمى زَينب . فنَقِم عليها، فضَربها ثم نَدِم ، فقال :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ... فشُلّت يمينى يوم[3] أضرب زَيْنبا
أأضربها فى غير ذَنْب أتتْ به ... فما العدل منّى ضَرْبُ مَن ليس أذْنبا
فزينبُ شَمْسٌ والنساء كواكب ... إذا برزت لم تَبْدُ منهن كوكبا[4] ١٢٧/٣

قولهم فى المدح

بين الرشيد وشاعر مدحه

قال شَراحيل بن [مَعْن بن] زائدة : حجّ الرشيد وزميلُه أبو يوسف القاضى ، وكنت كثيرا ما أسايره : فبينما أنا أسايره إذ عرض له أعرابىّ من بنى أسد فأنشده شعرا مدحه فيه وقرّظه . فقال له الرشيد : ألم أَنهك عن مثل هذا فى شِعْرك يا أخا بنى أسد ؟ إذا أنت قلت فقل كما قال مَروان بن أبى حَفصة فى أبى هذا ، وأشار إلىّ ، يقول :

(١) فى ا ، ن . « يعجبه » .
(٢) فى بعض الأصول : « تنعتننى » .
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الاصول : « حين » .
(٤) زيد فى ا ، ن بعد هذا : « وقدم أبو ليلى النابغة الجعدى على النبى صلى الله عليه وسلم فأنشده شعره الذى يقول فيه :

ولا خير فى حلم إذا لم تكن له ... بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك . قال : فعمر مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية . » وقد مر هذا الخبر فى تفصيل (ص ٢٧٦) من هذا الجزء .

بنو مَطر يوم اللقاء كأنهم ... أُسودٌ لها فى غِيل خِفّان أشْبُلُ
همُ يَمْنعون الجار حتى كأنما ... لجارهمُ بين السِّماكين منزل
بهاليلُ فى الإسلام سادُوا ولم يكُن ... كأوّلهم فى الجاهليّة أوّل
هم القومُ إن قالوا أصابُوا وإن دُعوا ... أجابُوا وإنْ أُعطوا أطابوا وأجْزلوا
وما يَستطيع الفاعلون فَعالَهم ... وإنْ أحسنوا فى النائبات وأجملوا

لابن شماس فى عمر ابن عبد العزيز

وقال عُتبة بن شمّاس يَمدح عُمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :

إنّ أَوْلى بالحقّ فى كل حَقّ ... ثُمّ أحرى بأن يكون حَقِيقاً
مَن أبوه عبدُ العزيز بنُ مَرْوا ... ن ومَن كان جَدُّه الفاروقا
رَدّ أموالَنا علينا وكانت ... فى ذُرَا شاهق[١] تَفوت الأنوقا

الرسول صلى الله عليه وسلم وابن مرداس وكعب

مَدح عبّاس بن مِرْداس رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فكَساه حُلّة. ومَدحه كَعب بن زُهير فكَساه بُردًا اشتراه منه معاويةُ بعشرين ألف درهم ، وإن ذلك البُرد لعند الخلفاء إلى اليوم .

بين ابن عباس وابن الخطاب فى شعر زهير فى هرم

وقال ابنُ عبّاس : قال لى عُمر بن الخطّاب : أنشدنى قول زُهير . فأنشدتُه قولَه فى هَرِم بن سِنان بن حارثة حيثُ يقول :

قومٌ أبوهم سِنانٌ حين تَنْسُبهم ... طابُوا وطابَ من الأولاد ما ولَدوا
لو كان يُقعد فوق الشّمس من كَرم ... قومٌ بأوّلهم أو مَجْدهم قَعدوا
جِنٌّ إذا فَزِعوا إنْس إذا أَمِنوا ... مُرَزَّءون[٢] بها ليل إذا احتَشدوا
مُحسَّدون على ما كان مِن نِعَم ... لا يَنزع الله منهم مالَه حُسدوا

فقال له عمر : ما كان أحبَّ إلىّ لو كان هذا الشّعر فى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم . انظُر إلىّ ضنانة[٣] عُمر بالشّعر ، كيف لم يَرَ أحداً يَستحق مثل هذا المدح إلا أهلَ بيت محمد عليه الصلاة والسلام .

(١) كذا فى ا ، ن والكامل للمبرد (ص ٣٩٩). والذى فى سائر الأصول : «ثم داموا لنا علينا وكانوا * فى ذرا شاهق» .
(٢) فى بعض الأصول : «مزردون» .
(٣) فى بعض الأصول : «صناعة» .

بين عبد الله بن عمر ورجل فى بيت الحطيئة

وأسمع رجلٌ عبدَ الله بن عمر بيتَ الحُطيئة[1] :

مَتى تَأْتِه تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِه تَجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

فقال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلم يرَ أحداً يستحق هذا المدح غير رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عمر بن عبد العزيز ونصيب

واستأذن نُصيب بن رَبَاح على عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له ، فقال . أعْلموا أميرَ المؤمنين أنّى قلتُ شعرا ، أوله الحمد لله . فأعلموه . فأَذِن له فأُدخل عليه وهو يقول :

الحمدُ لله أما بعــدُ يا عُمر فقد أتتْنا بك الحاجاتُ والقَدرُ

فأَنت رأسُ قريش وابنُ سيِّدها والرأسُ فيه يكون السّمع والبَصر

فأمر له بحِلْية سَيفه .

عمر بن عبد العزيز وجرير ودكين

ومدَحه جريرٌ بشعره الذى يقول فيه :

هذِى الأَراملُ قد قَضَّيت حاجتَها فَمَنْ لحاجةِ هذا الأَرْمَل الذَّكرِ

فأمر له بثلثمائة دِرْهم . ومدحه دُكين الرّاجز ، فأمر له بخَمس عشرة ناقة . ١٢٨/٣

ابن جعفر وقد ليم فى إجزاله الصلة لنصيب

ومَدح نُصيب بن رَبَاح عبدَ الله بن جعفر ، فأمر له بمال كثير وكُسوة ورَواحل . فقيل له : تَفعل هذا بمثل هذا العَبدِ الأسود ؟ فقال : أمَا والله لئن كان عبداً إنّ شعره لَحُر ، وإن كان أسودَ إن ثناءه لأَبيض . وإنما أخذ مالاً يَفنى ، وثياباً تَبلى ، ورواحل تَنضى ، فأعطى مديحا يُروى ، وثَناءه يَبقى .

بين عمر ابن الخطاب وابن هرم

ودخل ابن هَرِم بن سِنان على عمرَ بن الخطاب ، فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا ابنُ هرم بن سنان . قال : صاحب زهير ؟ قال: نعم . قال : أما إنه كان يقول فيكم فيُحسن . قال : كذلك كنا نعطيه فنُجزل . قال : ذهب ما أعطيتموه وبَقى ما أعطاكم .

---

(١) فى ا ، ن : « وسمع ابن عمر رجلا ينشد بيت الحطيئة » .

أبو جعفر وطريح

وكان طُريح الثّقفى ناسكاً شاعرا ، فلما قال فى أبى جعفر المَنصور قولَه[١] :

أنت ابنُ مُسْلَنطِح[٢] البِطاح ولم تَعْطِف[٣] عليك الحُنِىُّ والوُلُجُ[٤]
لوقلتَ للسيل دَعْ[٥] طريقَكَ والمو جُ عليه كالهِيَــــل[٦] يَعتلج
لهمّ أو كاد[٧] أو لــكان له فى سائر الأرض عنك مُنعرج
[طُوبَى لفرعَيْكَ من هُنا وهُنــا طوبَى لأعراقك التى تَشج]

قال أبو جعفر : بلغنى عن هذا الرجل أنه يتألّه ، فكيف يقول للسّيل : دع طريقك . فبلغ ذلك طريحا ، فقال : الله يعلم أنى إنما أردت : يا رب لو قلت للسيل دع طريقك .

الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب

وقال الحُطيئة لمّا حَبسه عمرُ بن الخطاب فى هِجائه للزّبرقان بنَ بدر أبياتاً يمدح فيهـا عُمر ويَستعطفه . فلمـا قرأها عمرُ عَطف له ، وأمر بإطلاقه [وعفا عما سلف منه] . والأبيات :

ما ذا تقول لأفراخ بذى مَرَخ[٨] زُغْبِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسبَهم فى قَعر مُظلمة فاغفر عليك سلامُ الله يا عمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحِبه ألقَى إليك مقاليدَ النُّهى البَشر
ما آثروك بها إذ قدّموك لها لــكنْ لأنفسهم كانت بها الإثَر[٩]

(١) ذكر ابن منظور الأبيات فى اللسان (ولج) ناسبا إياها لطريح فى الوليد بن عبد الملك . ثم ذكر البيت الأول منهاق (مسلنطح) ناسبا أياه إلى ابن قيس الرقيات. وذكر أبو فرج الأصبهانى أبيات طريح هذه فى ترجمته وذكر أنها كانت فى الوليد .
(٢) فى بعض الأصول : « مستبطح » . (٣) فى الأغانى : « تطرق » .
(٤) الحنى والولج : الأزقة .
(٥) فى بعض الأصول : « ضع » .
(٦) فى اللسان (ولج) : « كالهضب » .
(٧) فى ا ، ج ن واللسان (ولج) : « لارتد أوساخ » .
(٨) ذو مرخ : واد بين فدك والوابشية . (عن معجم البلدان) .
(٩) الإثر ، أى الخيرة والإيثار . قال ابن منظور (أثر) : « وكان الإثر : جمع الإثرة — بكسر فسكون — وهى الأثرة — بفتحتين » . وفى بعض الأصول : « الخير » .

بين ابن دارة وعدى بن حاتم

ودخل ابن دارَة على عدىّ بن حاتم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنى مدحتُك. قال: أمسك حتى آتيك بمالى ثم أمدحنى على حَسبه، فإنّى أكره ألاّ أعطيك ثمن ما تقول، لى ألفُ شاة وألفُ دِرْهم وثلاثة أعبد وثلاث إماء وفرسى هذا حَبيس⁽¹⁾ فى سبيل الله، فامدَحْنى على حَسب ما أخبرتك. فقال:

تَحِنّ قَلوصى فى مَعدٍّ وإنما ... تُلاقِى الربيعَ فى ديار بنى ثُعَلْ
وأبقى الليالى مِن عَدىّ بن حاتم ... حُساماً كنَصل السَّيف سُلّ من الخِلَل[2]
أبوك جوادٌ لا يُشق غُباره ... وأنت جوادٌ ليس يُعذِر بالعِلل[3]
فإنْ تَفعلوا شرًّا فمثلكمُ اتّقى ... وإنْ تَفعلوا خيراً فمثلكمُ فَعل

قال عدىّ: أمسك لا يبلغ مالى إلى أكثر من هذا.

قولهم فى الهجاء

من كلام الله تعالى فى إرخاص الهجاء

قال الله تبارك وتعالى فى هَجو المُشركين: (والشُّعَراء يَتبعُهم الغَاوُون. ألم تَرَ أنّهم فى كلّ وادٍ يَهيمون. وأنّهم يَقُولون ما لا يفعلون. إلاّ الذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالحات وذَكَرُوا الله كثيراً وانْتَصروا مِن بَعد ما ظُلموا وسَيَعلَمُ الذين ظَلَموا أىَّ مُنْقَلَب يَنْقلبون). فأرْخَص الله للشعراء بهذه الآية فى هِجائهم لمن تعرّض لهم.

إباحة الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان فى هجاء أبى سفيان

يزيد بن عمرو بن تَميم الخُزاعىّ عن أبيه عن جدّه: أنّ رجلا أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أبا سفيان يهجوك. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه هَجانى وإنى لا أقول الشعر، فاهجُه عنى. فقام إليه عبدُ الله بن رَواحة فقال: يا رسول الله، إيذن لى فيه. قال: أنت القائل: ١٢٩/٣

* فثبّت الله ما آتاك من حسن *

قال: نعم. قال: وإياك فثبت الله. ثم قام إليه كعب بن مالك فقال:

---

(١) فى بعض الأصول: «حبس».
(٢) الخلل، بالكسر: جمع خلة، بالكسر أيضاً، أو هى جفن السيف بالأدم.
(٣) كذا فى ا، ن. وأعذر: أبدى عذره واعتذر اعتذاراً يعذر به. ويقال: أعذر فلان، إذا كان منه ما يعذر به. والذى فى سائر الأصول: «تعذر بالعدل».

يارسول الله ، إيذن لى فيه . فقال : أنت القائل « همت » ؟ قال : نعم . قال : لستَ له . ثم قام حسّان بن ثابت فقال : يا رسول الله ، إيذن لى فيه ، وأخرج لسانه فضَرب به أرْنبة أنفه ، وقال : والله يا رسول الله إنه ليخيَّل لى أنى لو وضعتُه على حجر لفَلقه ، أو على شَعر لحلقه . فقال : أنت له ، اذهب إلى أبى بكر يُخبرك بمثالب القوم ثم اهجهم وجبريل معك. فقال يرد على أبى سفيان :

ألاَ أبلغ أبا سُفيان عَنِّى   مُغَلْغَلَةً فقد بَرِح الخَفاء
هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه   وعند الله فى ذاكَ الجَزاء
أتهجوه ولستَ له بِنِدٍّ   فَشَرُّ كما لخَيركما الفِـدَاء
أمن يهجو رسولَ الله منـكم   ويُطريه ويَمدحه سَواء
لنا فى كُلِّ يوم من مَعدٍّ   سِباب أو قِتال أو هِجَاء
لسانى صارمٌ لا عيبَ فيه   وبَحْرى لا تُـكَدِّره الدِّلاء
فإنّ أبى ووالدَه وعِرْضى   لعِرْض محمـد منكم وِقَاء

عمار بن ياسر ويعنى فى الهجاء

وقال رجل من أهل اليمن : دخلتُ الـكوفة فأتيتُ المسجد فإذا بعَمَّار بن ياسر ورجل يُنشده هِجاء مُعاوية وعمرو بن العاص ، وهو يقول : أَلصق بالعجوزَيْن[1] . قلت له : سبحان الله ! أتقول هذا وأنتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : إن شئت فاجلس و إن شئت فاذهب . فجلست ، فقال : أتدرى ما كان يقول لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هجانا أهلُ مكة ؟ قلت : لا أدرى . قال : كان يقول لنا : قولُوا لهم مثل ما يقولون لـكم .

استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم بيتا لحسان

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم لحسّان بن ثابت : لقد شـكر اللهُ لك بيتاً قلته، وهو:

زعمتْ سَخينة أنْ ستغلب ربَّها   وليُغلبنَّ مُغـالب الغلاَّبِ

لحسان فى سؤال هذيل الرسول صلى الله عليه وسلم

وسألت هُذيل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يُحِل لها الزِّنا. فقال حسان فى ذلك :

(١) العجوزان ، هما معاوية وعمرو . وألصق بالعجوزين ، أى سدد هجاءك إليهما وألصقه بهما . ويقال : ألصق بالناب ، أى ألصق بها السيف واعقرها .

سالت هذيلٌ رسولَ الله فاحشةً ضلّت هذيل بما سالت ولم تُصب

لعبد الملك فى أوجع ماهجى به

وقال عبد الملك بن مروان: ما هجانى أحدٌ بأوجعَ من بيت هُجى[1] به ابن الزُّبير وهو:

فإن تُصِبْك مِن الأيام جائحةٌ لم نَبك[2] منك على دُنيا ولا دين

لابن علفة وغيره فى الهجاء

وقيل لعَقيل بن عُلّفة[3]: مالك لا تُطيل الهجاء؟ قال: يكفيك من القِلادة ما أحاط بالعنق. وقال رجل من ثَقيف لمحمد بن مُناذر: ما بالُ هجائك أكثر من مَدْحك؟ قال: ذلك مما أغرانى به قومُك واضطرّنى إليه لؤمك. وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت: لجرير: إنك لعَفيف الفَرج كثيرُ الصّدقة فلِم تَسُب الناس؟ قال: يبدءونى ثم لا أغفر لهم. وكان جرير يقول: لست بمُبتدىْ ولكننى مُعتدٍ[4] — يريد أنه يُسْرف فى القِصاص. ومثله قول الشاعر:

بَنى عمّنا لا تَنْطقوا[5] الشعرَ بعد ما دَفنتم بأفناء العُذَيب[6] القَوافيا
فلَسنا كَمن قد كنتمُ تَظْلِمونه فيقبل ضَيماً[7] أو يُحكّمَ قاضيا
ولكنّ حُكم السَّيف فيكم مُسلَّط فنرْضى إذا ما أصبح السيفُ راضيا
فإن قلتُم إنّا ظَلمنا فلم نكُن ظَلمنا ولكنّا أسأنا التّقاضيا

وكان عمر بن الخطّاب يقول: واحدة بأخرى والبادى أظلم.

بين جرير والأخطل فى حضرة عبد الملك

أبو الحسن المدائنى قال: وفد جرير على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك للأخطل: أتعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا جرير. قال: [الأخطل]: والذى أعمى رأيك[8] يا جرير ما عرفتُك. قال له جرير: والذى أعمى بصيرتك ١٣٠/٣

(١) فى بعض الأصول: «هجانا».
(٢) فى الأغانى (١٣: ١٦٨): «لا أبك».
(٣) فى بعض الأصول: «علقمة».
(٤) فى بعض الأصول: «لست عندى ولكنى بعيد».
(٥) فى بعض الأصول: «لا تنبثوا».
(٦) فى بعض الأصول: «بصحراء السير».
(٧) فى بعض الأصول: «فيلتل قسا».
(٨) فى بعض الأصول: «والذى عرفنى أعيار أمك».

وأدام خِزْيتك، لقد عرفتُك ، بسيماك سِيما أهلِ النار .

بين كثير والأخطل فى حضرة عبدالملك

أبنُ الأعرابىّ قال : دَخل كُثيّر عَزّة على عبد الملك فأنشده ، وعنده رجلٌ لا يعرفه . فقال عبدُ الملك للرجل : كيف تَرى هذا الشعر ؟ قال : هذا شعر حِجازىّ ، دعنى أضغَمه لك ضَغْمة[1] . قال كُثيّر : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الأخطل . قال : فألتفت إليه فقال له : هل ضَغمتَ الذى يقول :

والتَّغلبىّ إذا تَنحنح للقِرَى حكّ أستَه وتمثّل الأمثالاَ

تلقاهمُ حُلَماء عن[2] أعدائهم وعلى الصّديق تراهم جُهّالا[3]

بين حصين وصديق له

حدّثنا يحيى بن عبد العزيز قال : حدّثنا محمد بن عبد الحَكم[4] بمصر ، قال : كان رجل له صديق يقال له حُصين ، فَولى موضعاً يقال له السّابَيْن ، فطلب إليه حاجةً فاعتلّ عليه فيها ، فكتب له :

أذهبْ إليك فإنّ وُدّكَ طالقٌ منّى وليس طلاقَ ذات البَيْنِ

فإذا أرْعويتَ فإنها تَطْليقةٌ وتُقيم وُدّك لى على ثِنْتين

وإذا أبيتَ[5] شفعتُها بمثالها فيكون تَطليقان فى حَيْضين

وإنِ الثلاثُ أتتك منّى بَتّةً[6] لم تُغْن عنك ولايةُ السابَيْن

لم أرضَ أنْ أهجو حُصيناً وحدَه حتى أسوِّد وجهَ كل حُصين

بين دعبل وبعض الملوك

طَلب دِعبلُ بن علىّ حاجةً إلى بعض الملوك فصرّح بمَنعه . فكتب إليه :

أحسِبْتَ أرضَ الله ضيّقةً عنّى فأرضُ الله لم تَضِقِ

(١) الضغم : العض غير النهش . وقيل : هو أن يملأ فمه مما أهوى إليه .

(٢) فى بعض الأصول : « حلقا على » .

(٣) فى بعض الأصول : « أجفالا » .

(٤) فى بعض الأصول : « عبد الملك » . تحريف . وكان محمد بن عبد الحكم تلميذا الشافعى ، وعنه يروى يحيى بن عبد العزيز . (انظر الديباج المذهب ص ٢٣١ وتهذيب التهذيب ٩ : ٢٦) .

(٥) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « أتيت » .

(٦) فى بعض الأصول : « نية » .

وحَسِبْتنى فَقْعًا بِقَرْقرة فوطِئْتَنى وَطْئًا(١) على حَنَقِ
فإذا سألتُك حاجةً أبداً فاضربْ بها قُفْلا على غَلَقِ
وأعِدَّ لى غُلاًّ وجامعةً فاجمع يدىّ بها إلى عُنُقى(٢)
ثم أرمِ بى فى قعر مُظلمة إن عدتُ بعد اليوم فى الحُمُق(٣)
ما أطولَ الدُّنيا وأوسَعها وأدلَّنى بمَسالك الطُّرق

لأبى زبيد فى مثله

ومثل هذا قولُ أبى زُبيد :

ليتكَ أدّبتَنى بواحـدة تجعلها منكَ آخِرَ الأبدِ
تَحلف ألاّ تبرّنى أبداً فإنّ فيها بَرْداً على كَبِدى
إن كان رِزْقى إليك فارْمِ به فى ناظرَىْ حَيّة على رَصَدِ(٤)

لزياد فى أشد ما هجى به

وقال زياد : ما هُجيت ببيت قطُّ أشدَّ علىّ من قول الشاعر :

فكِّر ففى ذاك إنّ فكّرت مُعتَبر هل نِلتَ مَكْرُمةً إلا بتأمير
عاشت سُمَيّة ما عاشتْ وما عَلمت أنّ أبنَها من قُريش فى الجماهير(٥)
سُبْحان من مُلْك عَبّاد(٦) بقُدرته لا يَدْفع الخلقُ محتومَ المَقادير

لجرير فى شعر البعيث هجاء به

وقال بِلاَل بن جَرير : سألتُ أبى : أىّ شىء أشدُّ عليك ؟ قال : قولُ البَعيث :

ألستَ كُليبيًّا إذا سِيمِ خُطّةً أقرّ كإقرار الحَليلة للبَعْلِ
وكُل كُليبىٍّ صحيفةُ وجهه أذلُّ لأقدام الرّجال من النَّعل

(١) الفقع : ضرب من أردأ الكمأة يطلع من الأرض فيظهر أبيض . والقرقرة: الأرض المطمئنة اللينة . ويقال للرجل الذليل : هو فقع قرقرة ؛ لأن الدواب تنجله بأرجلها وفى بعض الأصول : « وقما » مكان « وطئا » .
(٢) الجامعة : الغل ، لأنها تجمع اليدين إلى العنق .
(٣) الحمق ، بالضم وبضمتين : قلة العقل .
(٤) على رصد ، أى ترصد المارة على الطريق لتلسع . وقد جاء هذا البيت فى بعض الأصول متقدما على سابقيه . (٥) سمية ، هى أم زياد .
(٦) فى بعض الأصول : « من ملك عماد » . تحريف . وهو عباد بن زياد . وقد مر ذكره فى الجزء الأول من هذه الطبعة (ص١٠٦) .

وكان بلالُ بن جَرير شاعراً ابنَ شاعر ابنَ شاعر ، لأن الَخطفى جدَّه كان شاعراً ، وهو القائل :

ما زال عِصيانُنا لله يُسْلمنا(١) حتى دُفعنا إلى يَحيى ودينارِ(٢)

١٣١/١ إلى عُليجين لم تُقْطع ثِمارُهما(٣) قد طالما سَجدا للشمس والنّـارِ(٤)

لجميل فى مثله

ومن أخبث الهجاء قولُ جَميل :

أبوك حُباب سارقُ الضَّيف بُرْدَه وجدِّىَ يا شمّاخ(٥) فارسُ شَمَّرَا

بنو الصّالحين الصالحون ومَن يَكُن لآباء سَوْء يَلْقَهم حيث سَيَّرا(٦)

فإن تَغْضبوا من قِسمة الله فيكم(٧) فَللّهُ إذ لم يُرْضِكم كان أبصرا

لكثير فى نصيب

وقال كُثير فى نُصيب ، وكان أسودَ ويكنى أبا الحَجناء :

رأيت أبا الحَجناء فى الناس حائراً ولونُ أبى الحَجناء لونُ البهائمِ

تَراه على ما لاحَه من سَواده وإن كان مَظلوما له وجهُ ظالمِ

لشاعر فى ابن أبى وقاص

وكان يقال لسعد بن أبى وقَّاص: المُستجاب ؛ لقول النبىّ صلّى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة سَعد . فقال رجل بالقادسيّة فيه :

ألم تر أنّ الله أنزل نَصْره وسعدٌ بباب القادسيّة مُعْصِمُ(٨)

فأُبْنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرة ونِسْوة سَعد ليس فيهنّ أيِّمُ

(١) فى الأغانى : « يرذلنا » .

(٢) هو يحيى بن عبد الله ، ودينار أخوه . (انظر الأغانى ١٨ : ٤٦) . وفى بعض الأصول : « وبندار » .

(٣) فى الأغانى : * وغدين علجين لم تقطع ثمارهما *

(٤) نسب هذان البيتان فى الأغانى لدعبل . قال أبو الفرج : « كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يرض ما فضلاه فقال يهجوهما» . ثم ذكر البيتين .

(٥) فى الحماسة (١٥٥) . « يا حجاج » . وفى اللسان (شمر) : « يا عباس » . والبيت فيه غير منسوب .

(٦) سيرا ، أى آبى سار، شدد الفعل للمبالغة. ويجوز أن يكون يعنى: سير رواحله. وقد ذكر أبو الفرج هذا البيت فى كتابه الأغانى (٢ : ١١٩) منسوبا إلى ابن ميادة فى جعفر بن أبان

(٧) فى الحماسة : « حظكم » .

(٨) معصم : معتصم .

فقال سَعد : اللهم أ كْفِنى يدَه ولسانَه . فَخَرِس لسانُه، وضربت يدُه فقطعت .

للمبرد من شاعر هجاه

وذُكر عند المُبرّد محمد بن يزيد النحويّ رجلٌ من الشعراء ، فقال : لقد هجانى ببيتين أنضجَ بهما كَبدى . فاستنشدوه . فأنشدهم هذين البيتين :

سألنا عن ثُمالةَ كُلَّ حىّ   فكُلٌّ قد أجاب ومَن ثُماله[1]
فقلتُ محمد بن يزيدَ منهم   فقالوا الآن زِدْتهما[2] جَهاله

لأبى نواس فى القبيح

ولم يَقل أحدٌ فى القبيح أحسنَ من قول أبى نُوَاس :

وقائلةٍ لها فى وَجْه نُصْحٍ   علامَ قتلتِ هذا المُستهامَا
فكان جوابُها فى حُسن مَيْس   أأجمع وجهَ هذا والحَراما

لجرير

وكان جرير يقول : إذا هجوتَ فأضحك . ويُنشَد له :

إذا سَعلتْ[3] فتاةُ بَنى نُمير[4]   تلقَّمَ بابُ عِضْرِطها التُّرابا[5]
تَرى بَرصًا بمَجمع إسكَتيها   كعَنْفقَة الفَرزدق حين شَابا[6]

وقوله أيضا :

وتقول إذ نَزعوا الإزارَ عن أُستها   هــذى دواةُ مُعلِّم الكُتَّابِ

وقوله أيضا :

أحين صِرْتُ سَماماً يا بنى لجأ[7]   وخاطرتْ بىَ عَن أحسابها مُضَرُ
هيأتُم عُمَرا يحمى دياركم[8]   كما يُهيّأ لأُست الخارئ الحجر

(١) فى بعض الأصول : * فقال الناسبون ومن ثماله *
(٢) فى ا ، ن : « زدت بهم » .
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « سلف » . تحريف .
(٤) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول والديوان : « تميم » . تحريف . فالبيتان من قصيدة لجرير فى هجاء الراعى النميرى .
(٥) العضرط ، بكسر أوله وثالثه، وبفتح ثالثه مع كسر أوله: الخط الذى من الفرج إلى الدبر .
(٦) الإسكتان ، بكسر الهمزة : جانبا الفرج . وفى بعض الأصول : « بأسفل إسكتيها » . والعنفقة : ما نبت على الشفة السفلى من الشعر .
(٧) كذا فى ا ، ن والنقائض ٤٨٨ . والذى فى سائر الأصول :
* استوطنت بى سجايا يا بنى مطر *
(٨) فى ا ، ن : « يحمى ذماركم » .

لابن الجهم فى هجاء محمد بن عبدالملك الزيات

وقال علىّ بن الجهم[1] يهجو محمدَ بن عبدالملك الزيّات وزيرَ المتوكل :

أحسن من سبعين[2] بيتاً سُدًى   جمعُك إياهنّ[3] فى بَيْتِ

ما أحوَجَ المُلكَ إلى دِيمَة   تغسل[4] عنه وَضَر الزَّيتِ

قيل : أهجى بيت للطرماح

وقالوا . أهجى بيت قالته العرب قولُ الطرمّاح بن حَكيم :

تميمٌ بطُرْق اللؤم أهدَى من القَطَا   ولو سلكتْ سُبْلَ المكارم ضلَّتِ

ولو أنّ بُرْغوثا على ظهر قَمْلة   رأته تميمٌ يوم زَحْفٍ لولّتِ[5]

ولو أن عُصفورا يمُدّ جناحَه   لقامت تميمٌ تحته واستظلّتِ

وقيل : لجرير فى بنى تغلب

وقال بعضهم : قولُ جرير فى بنى تَغلب :

والتَّغلبىّ إذا تَنحنح للقِرَى   حكّ اُستَه وتمثّل الأمثالاَ

قول آخر

ويقال : قولُه :

١٣٢ / ٣ قومٌ إذا استَنْبح[6] الأضيافُ كلبَهُمُ   قالوا لأُمهم بُولِى على النّارِ

من أخبث الهجاء شعر لزياد

ومن أخبث الهجاء قول زياد الأعجم :

قالوا الأشاقرُ تهجوكم فقلتُ لهم   ما كنتُ أحسبُهم كانوا ولا خُلِقُوا[7]

وهم مِن الحسب الزّاكى بمنزلةٍ   كطُحلب الماء لا أصلٌ ولا وَرَق[8]

لا يكثُرون وإن طالتْ حياتُهم   ولو يَبول عليهم ثعلبٌ غَرِقوا

وقوله أيضا :

قَضَى اللهُ خلقَ الناس ثم خُلقتمُ   بَقِيَّةَ خَلْقِ اللهِ آخرَ آخِرِ

---

(١) فى بعض الأصول : « محمد بن الجهم » .

(٢) فى ا ، ج ، ن : « تسعين » .

(٣) فى بعض الأصول : « معناهن » .

(٤) فى بعض الأصول : « مسطرة * تذهب » .

(٥) انظر الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ١٧١) فقد ورد فيه هذا البيتان ، وأثبتنا هنا شيئا من المقابلات .

(٦) فى بعض الأصول : « نبح » .   (٧) الأشاقر : هم بنو عائذ بن دوس .

(٨) فى ا ، ن مكان هذا البيت :

إن الأشاقر قد حلوا بمنزلة * لو يرهنون بنعل رثة غلقوا

فلم تَسمعوا إلا الذى كان قبلكم ... ولم تُدركوا إلا مَدَقّ الحوافر

وقال فيهم :

قَبيلةٌ خيرُها شرّها ... وأصدقُها الكاذب الآثمُ

وضيفُهمُ وَسْطَ أبياتِهم ... وإن لم يكن صائماً صائمُ

الطرماح فى مثله

ونظير هذا قول الطِّرِمَّاح :

وماخُلقتْ تَيْمٌ وزَيد مَناتِها[1] ... وضَبّةُ إلا بعد خَلق القَبائلِ

ومن أخبث الهجاء قول الطرمّاح فى بنى تميم :

لو حان وِرْد تَميم ثم قِيل لهم[2] ... حوضُ الرَّسول عليه الأزْدُ لم تَرِدِ

أو أنزل الله وحياً أن يُعذِّبها ... إن لم تَعُد لقِتال الأزد لم تَعُد

وكُلّ لُؤم أباد الله أثْلتَه ... ولُؤمُ ضبّة لم يَنقُص ولم يَزِد

لو كان يخفى على الرحمن خافيةٌ ... من خَلْقه خَفِيت عنه بنو أسد

قومٌ أقام بدار الذل أوّلُهم ... كما أقامت عليه جِذْمةُ[3] الوَتِد

للمساور فى مثله

ومثله قول المُساور بن هِنْد :

ماسرّنى أنّ قَوْمى من بنى أسد ... وأنّ رَبّىَ يُنْجينى من النـارِ

وأنهم زَوّجونى من بناتِهمِ ... وأنّ لى كُلّ يوم ألفَ دينار

ومن خبيث الهجاء

ومن أخبث الهجاء من غير إقذاع[4] :

بلادٌ نأَى عنى الصديقُ وسبّنى ... بها عَنَزِىّ ثم لم أتكلّمِ[5]

وقال عبيد[6] :

---

(١) فى الديوان : « وعبد مناتها » .

(٢) فى الأغانى (١٠ : ١٦٠) : « قال لها » . وفى الشعر والشعراء : « قيل لها » .

(٣) كذا فى بعض الأصول الشعر والشعراء . والجذمة : القطعة . والذى فى سائر الأصول: «خذمة» تحريف. (٤) فى بعض الأصول : « فى غير الطاعة » .

(٥) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول :

إذا مانأى عنى الصديق وسبنى ... بها غير ذى إثم فلا أتكلم

(٦) فى حـ : « وقال آخر » . وزيد بعدها بقلم مخالف : « هوأبو نواس » ، وفى ا ، ن : « وقال غيره » .

يا أبا جعفر كتبتُك سَمْحاً ... فاستطال المِداد فالمِيم لامُ

لا تَلُمْنى على الهجاء فلم يَهــجك إلا المدادُ والأقلام

بين أبى سعيد وكوفى هجاه

وقال سليمان بن أبى شَيخ : كان أبو سعيد الرّانى[(١)] يُمارى أهل الكوفة ويفضل أهلَ المدينة[(٢)] ، فهجاه رجل من أهل الكوفة وسمّاه شَرْشيرا[(٣)] . وقال :

كلب فى جهنم يُسمى شَرْشيرا . فقال :

١٣٣/٣

عندى مسائلُ لا شَرْشير يَعرفها ... إنْ سِيل عنها ولا أصحاب شَرْشيرِ

وليس يَعرف هذا الدّين معرفةً[(٤)] ... إلا حَنيفيّةٌ كُوفيةُ الدُّور

لا تَسألنّ مَدينيّا فَتُكْفِرَه ... إلا عن البَمّ والمَثنى أو الزِّير[(٥)]

فكتب أبو سعيد إلى أهل المدينة : إنكم قد هُجيتم فرُدُّوا . فرَدّ عليه رجل من أهل المدينة يقول :

لقد عَجِبتُ لغاوٍ ساقَه قدرٌ ... وكُل أمر إذا ماحُمّ مَقدورُ

قالوا المدينة أرضٌ لايكون بها ... إلا الغِناء والا البَمّ والزِّير

لقد كذبتَ لعمر الله إنّ بها ... قَبرَ النبىّ وخير الناس مَقبور

قال: فما أنتَصر [ولا انتُصر به] ، فليته لم[(٦)] يَقُل شيئا .

لمساور فى أهل القياس

وقال : مُساور الوراق[(٧)] فى أهل القِياس :

كُنا من الدّين قبل اليوم فى سَعة ... حتى بُلينا بأصحــاب المَقاييسِ

قامُوا من السُّوق إذ قلّت[(٨)] مكاسبُهم ... فاستعمَلوا الرأىَ بعد الجَهد والبُوس

أما العُرَيْب فأمسَوْا لا عَطاء لهم ... وفى المَوالى علاماتُ المَفاليس[(٩)]

(١) فى بعض الأصول : « الرأى » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى (٣ : ٢٥١٠) والأنساب (٢٤٥) والمشتبه (٢١٠) .
(٢) فى بعض الأصول : « أهل البيت » .
(٣) فى بعض الأصول : « سرسير » .
(٤) فى بعض الأصول : « يعلم ... تعلمه » .
(٥) البم والمثنى والزير ، من أوتار العود .
(٦) فى بعض الأصول : « فى بيته ولم » .
(٧) فى بعض الأصول : « العزاف » .
(٨) فى بعض الأصول : « قامت » .
(٩) فى بعض الأصول : « هم شبح علاميس » .

قال : فلقيه أبو حَنيفة ، فقال له : هَجَوْتنا ، نحن نُرضيك . فبعث إليه بدراهم ، فكفّ عنه . وقال :

إذا ما الناسُ يوماً قايسُونا   بمسألة من الفُتيا طَريفَهْ
أتيناهم بمِقْياس صَحيح   بَديع من طِراز أبى حَنِيفه
إذا سَمع الفقيهُ بها وَعاها   وأثبتَها بحِبْرٍ فى صحيفه[1]

من خبيث الهجاء

ومن خبيث الهجاء قولُ الشاعر[2] :

عَجِبْتُ لعُبدانٍ هَجوْنى سَفاهةً   أنِ اصطَبحوا من شائهم وتَقيّلُوا[3]
بجَاد وَرَيْسان[4] وفِهْر وغالب   وعَون وهِدْم وابن صِفْوة أخْيلُ[5]
فأمّا الذى يُحصيهمُ فمُكَثِّر   وأمّا الذى يُطريهم فمُقَلِّلُ[6]

لأبى العتاهية فى ابن معن

وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن مَعن بن زائدة :

قال ابنُ مَعْنٍ وجَلَى نفسَه   على القَرابات[7] مِن الأهلِ
هَلْ فى جَوارِى الحىّ من[8] وائل   جارية واحدةٌ مِثْلى
[أُكْنَى أبا الفضل فيامَن رأى[9]   جارية تُكنى أبا الفَضْلِ]
قد نقَّطت فى خدّها[10] نُقْطةً   مخافةَ العَين من الكُحلِ

(١) مكان هذين البيتين فى ا ، ن :
أتيناهم بقول الله فيها   وآثار مبينة شريفه
فكم من مشكل يوما أتانا   حللناه بقول أبي حنيفه
(٢) هو معدان بن عبيد بن عدى الطائى . (انظر الحماسة ٦٤٣ والمرزبانى ٤٠٧) .
(٣) كذا فى ا ، ن والحماسة. والذى فى سائر الأصول: «من شاتم وثقيل». تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « بجار ورسيان » . تحريف .
(٥) كذا فى ا ، ن والحماسة: والذى فى سائر الأصول. «ومقدام وابن صفول» تحريف.
(٦) فى غير ا ، ن : « فقليل » .
(٧) فى الديوان (١٦٣) : « القرابين » .
(٨) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « بنى » مكان « الحى من » .
والرواية فى الديوان : * ما فى بنى شيبان أهل الحجى *
(٩) فى الديوان : * تكنى أبى الفضل ومن ذا رأى : *
(١٠) فى الديوان : « وجهها » .

مداراة الشعراء [وتقيتهم]

توسط الخليل لبعض الشعراء عند جعفر بن سليمان

أبو جعفر البغدادىّ قال : مَدح قومٌ من الشعراء جعفرَ بن سُليمان بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، فماطلهم بالجائزة ، وكان الخليلُ بنُ أحمد صديقَه ، وكان وقتَ مَدْحهم إياه غائباً . فلما قَدِم الخليلُ أتَوْه فأخبروه ، واستعانوا به عليه ، فكتب إليه :

لا تَقبلنّ الشعرَ ثم تَعُقّه   وتَنام والشعراءُ غيرُ نيامِ
واعلَمْ بأنهمُ إذا لم يُنصفَوا   حَكموا لأنفسهم على الحُكّام
وجنايةُ الجانى عليهم تَنقضى   وعقابُهم باقٍ على الأيّام

فأجازهم وأحسن إليهم .

النبى صلى الله عليه وسلم فى ابن مرداس ثم ما بين الرقى وابن حاتم

وقال النبىّ صلى الله عليه وسلّم ، لما مدحه عبّاس بن مِرْداس : أقطعوا عنّى لسانَه . قالوا : بماذا يا رسولَ الله ؟ فأمر له بحُلة قَطع بها لسانَه . ومَدح ربيعةُ الرقىّ يزيدَ بنَ حاتم ، وهو والى مصر فتشاغل عنه ببعض الأمور ،

١٣٤/٣ واستبطأه ربيعةُ فشخص من مصر ، وقال :

أرانى ولا كُفران لله راجعاً   بخُفَّىْ حُنين من نَوال ابنِ حاتمِ

فبلغ قولُه يزيدَ بن حاتم ، فأرسل فى طلبه وردّه . فلما دخل عليه قال له : أنت القائل :

أرانى ولا كفران لله راجعاً   بخُفى حُنين من نَوَالِ ابن حاتمِ

قال : نعم . قال : هل قُلت غير هذا ؟ قال : لا . قال : والله لترجعنّ بخُفى حُنين مملوءتين مالاً ، فأمر بخَلْع خُفيه ، وأن تُملآ له مالا . ثم قال : أصْلح ما أفسدتَ من قولك . فقال فيه ، لما عُزل من مصر ووُلّى مكانَه يزيدُ بن حاتم السُّلمى :

بَكى أهلُ مصر بالدّموع السّواجِم   غداةَ غدا منها الأغرُّ ابنُ حاتِم
لشتّان ما بين اليَزيدين فى النّدى   يزيد سُليمٍ والأغرُّ ابن حاتِم
فَهمُّ الفتى القَيْسىّ إنفاقُ ماله   وهَمُّ الفتى العَبْسىّ جَمْعُ الدّراهم
فلا يَحسب التّمتامُ أنّى هجوتُه   ولكنّنى فضّلتُ أهلَ المكارم

وأعلم أنّ تقيّةَ الشعراء من حِفظ[1] الأعراض التي أمر الله تعالى بحفظها . وقد وضعنا في هذا الكتاب باباً فيمن وضعه الهجاء ، ومَن رفعه المدح .

زياد وعامله تيم ورجل من الشعراء

وكان لزياد عامل على الأهواز يقال له : تَيم[2] . فدحه رجلٌ من الشعراء فلم يُعطه شيئا . فقال له الشاعر : أما إني لا أهجوك ، ولكنّني سأقول فيك ما هو شرّ عليك[3] من الهجاء . فدخل على زياد فأسمعه شعراً مدحه فيه ، وقال في بعضه :

وكأنّ عند تَيْم مِن بُدُور   إذا ما صُفِّدتْ تدعو زِيادا[4]
دعَتْه كي يُجيب لها وشيكاً   وقد مُلئت حناجرُها صِفادا[5]

فقال زياد : لبيك يا بُدور . ثم أرسل فيه ، فأغرمه مائة ألف .

باب في رواة الشعر

الأصمعي وخلف

قال الأصمعيّ: ما بلغتُ الحُلُم حتى رويتُ اثني عشر ألفَ أرجوزةٍ للأعراب . وكان خَلف الأحمر أروى الناس للشّعر وأعلَمهم بجيّده .

مروان بن أبي حفصة مع يونس النحوي وخلف الأحمر في شعر قاله مروان في المهدي

قال مَرْوان بن أبي حَفْصة : لما مدحْتُ المهديّ بشعري الذي أوله :

طرقتْك زائرةً فحيِّ خيالَهَا   بيضاء تَخْلِط بالحَياء دَلاَلَهَا

أردتُ أنّ أعرضه على بُصراء البَصرة ، فدخلتُ المسجد الجامع ، فتصفّحت الحَلَق ، فلم أر حَلقة أعظمَ من حَلْقة يُونس النحويّ ، فجلستُ إليه ، فقلتُ له : إني مدحتُ المهديّ بشعر ، وأردتُ ألاّ أرفعه حتى أعرضَه على بُصرائكم[6] ، وإني تَصفّحت الحَلَق فلم أر حَلْقة أحفلَ من حَلْقتك ، فإن رأيتَ أن تَسمعه

(١) في بعض الأصول : « لم تحفظ » .
(٢) في بعض الأصول : « تميم » .
(٣) في بعض الأصول : « أشر من الهجاء » .
(٤) صفدت : غلت وحبست .
(٥) الصفاد : مايوثق به من قد وقيد وغل .
(٦) في بعض الأصول : « شعرائكم » .

منّى فافعل . فقال : يابن أخى ، إنّ هاهنا خَلَقاً ولا يُمكن أحدَنا أن يَسمع شعراً حتى يحضُر ، فإذا حَضر فأَسْمِعه . فجلستُ حتى أقبل خلف الأحمر . فلما جلس جلستُ إليه ، ثم قلت له ما قلتُ ليونس . فقال : أنشد يابن أخى . فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخره . فقال لى : أنتَ والله كأعشى بكر ، بل أنت أشعرُ منه حيث يقول :

رَحلتْ سُمَيّة غُدوةً أجمالَهَا   غَضْبَى عليك فما تقول بدَالهَا

خلف وحماد والشعراء

وكان خَلفٌ مع روايته وحِفظه يقول الشعر فيُحسن ، ويَنحله الشعراء . ويقال إن الشعر المَنسوب إلى ابن أُخت تأبّـط شرّا ، وهو :

إنّ بالشِّعب الذى دون سَلْع   لقتيلاً دَمُـــه ما يُطَلّ[1]

١٣٥/٣ لخلَف الأحمر ، وإنه نَحله إياه . وكذلك كان يفعل حمّاد الراوية ، يَخلط[2] الشعر القديم بأبيات له . قال حماد[3] : ما مِن شاعر إلا قد زِدْتُ[4] فى شعره أبياتاً فجازت عليه إلا الأعشى ، أعشى بكر ، فإنى لم أزد فى شعره قطُّ غيرَ بيت فأفسدتُ[5] عليه الشعر . قيل له : وما البيتُ الذى أدخلته فى شعر الأعشى ؟ فقال :

وأنكرتْنى وما كان الذى نَكِرتْ   من الحوادث إلا الشَّيبَ والصَّلَعَا

حماد وأبو مسلم

وقال حمّاد الراوية : أرسل إلىّ أبو مُسلم ليلاً فراعنى ذلك ، فلبستُ أكفانى ومضيتُ . فلما دخلتُ عليه تركنى حتى سَكَن جأشى ، ثم قال لى : ما شِعر فيه « أوتاد » ؟ قلت : مَن قائله أصلح الله الأمير ؟ قال : لا أدرى . قلت : فمِن شعراء الجاهلية أم مِن شُعراء الإسلام[6] ؟ قال : لا أدرى . قال : فأطرقتُ حيناً

(١) سلع ، بفتح أوله وسكون ثانيه : موضع بقرب المدينة ، وقيل جبل بسوقها . (عن معجم البلدان)

(٢) فى بعض الأصول : « يخفق » . وفى بعض آخر : « يحقق » .

(٣) فى بعض الأصول : « ويقول حماد » .

(٤) كذا فى ن . والذى فى ج « حققت » . والذى فى سائر الأصول : « حفنت » .

(٥) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « فأنشدت » .

(٦) فى بعض الأصول : « فمن شعر الجاهلية أم من شعر الإسلام » .

أفكّر فيه ، حتى بدر إلى وَهمى شعر الأفوه الأَوْدىّ حيث يقول :

لا يَصلح الناسُ فوضَى لاسراةَ لهم ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادُوا

والبيتُ لا يُبتنَى إلا له عَمَد ولا عِمادَ إذا لم تُرْس أوتاد

فإنْ تَجمّع أوتادٌ وأعـمـدة يوماً فقد بلغوا الأمرَ الذى كادوا

فقلت : هو قَوْل الأفوه الأودىّ أصلح الله الأمير ، وأنشدتُه الأبيات . فقال : صدقتَ ، انصرفْ إذا شئتَ . فقمتُ ، فلما خطوتُ البابَ لحقنى أعوانٌ له معهم بَدْرة ، فصَحِبونى إلى الباب . فلما أردتُ أن أقبضها منهم ، قالوا : لابُد مِن إدخالها إلى موضع مَنامك . فدخلوا معى ، فعرضتُ أنْ أعطيهم منها شيئا . فقالوا : لانقدم على الأمير .

شيء عن رواية أبي ضمضم

الأصمعىّ قال : أقبل فِتْيان إلى أبى ضَمضم بعد العشاء ، فقال : ماجاء بكم؟ قالوا . جِئنا نتحدّث إليك . قال : كذبتم ياخُبثاء ، ولـكنْ قُلتم : كَبِرالشيخُ فهلمّ بنا عسى أن نأخذَ عليه سَقطة . قال : فأنشدهم لمائة شاعر كُلهم اسمه عمرو .

وقال الأصمعى : فعددتُ أنا وخَلف الأحمر فلم نَزد على أ كثر من ثلاثين .

الشعبي في روايته الشعر

وقال الشَّعبى : لستُ لشىء من العُلوم أقلّ رواية منى للشعر ، ولو شئتُ لأنشدت شهراً ولا أُعيد بيتا .

الخليل بن أحمد والأصمعي

وكان الخليل بن أحمد أروى الناس للشعر ولا يقول بيتاً . وكذلك كان الأصمعى .

وقيل للأصمعىّ : ما يمنعك من قول الشعر ؟ قال : نَظرى لجيِّده(١) . وقيل للخليل : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : الذى أُريده لا أجده ، والذى أجده منه لا أُريده .

لبعضهم ثم لابن هانيء في معنى ما سبق

وقيل لآخر : مالك تَروى الشعر ولا تقولُه(٢) ؟ قال : لأنى كالمِسَنّ أشحذ ولا أقطع . وقال الحسنُ بن هانىء : رويتُ أربعةَ آلاف شعر ، وقلت

(١) فى ا ، ن : « مالك لا تقول الشعر ؟ قال : لبصرى بجيده » .

(٢) فى بعض الأصول : « مالك لا تقول الشعر وأنت ترويه » .

أربعة آلاف شعر ، فما رزأت الشعراء شيئا[١] .

الأصمعى والرشيد

القاسم بن محمد السّلامىّ قال: حدّثنا أحمد[٢] بن بشر الأُطْروش قال: حدّثنى يحيى بن سَعيد قال : أخبرنى الأصمعىّ قال : تصرّفتْ بى الأسباب إلى[٣] باب الرشيد مؤمِّلا للظفر ، بما[٤] كان فى الهِمّة دفيناً ، أترقّب به طالع سَعد يكون على الدَّرك مُعينا . فاتّصل بى ذلك إلى أن كنت للحرس مُؤْنسا بما استملتُ به مودتَهم . فكنتُ كالضَّيف عند أهل البرّة[٥] . فطرقتُهم متوجِّها بإخفاق . وطاولتْنى الغايات بما كِدْتُ أصير به إلى مَلالة ، غير أنّى لم أزل مُحْيِيًا[٦] للأمل بمذاكرته عند اعتراض الفترة ، وقلتُ فى ذلك :

وأىُّ فتى أُعيرَ ثباتَ[٧] قَلْبٍ ... وساعٍ ما تَضيق به المَعانى
تجاذبه المواهبُ عن إباء ... ألا بلْ لا تُواتيه[٨] الأمانى
فرُبَّ مُعرِّس للناس أجلى[٩] ... عن الدَّرك الحميد لدى الرِّهان[١٠]

١٣٦/٣ وأىّ فتًى أناف على سُموٍّ ... مِن المَمّات مُلْتهبَ الجَنان[١١]
بغير توسُّم فى الصَّدر[١٢] ماضٍ ... على العَزَمات كالعَضْب اليَمانى

فلم نَبْعُد[١٣] أنْ خرج علينا خادم فى ليلة نَثَرت السعادةَ والتوفيق[١٤]؛ وذلك أن الرشيد تربّع الأرقُ بين عينيه ، فقال : هل بالحضرة أحدٌ يحسن الشعر ؟ فقلت:

(١) فى بعض الأصول : « فما زريت لشاعر شيئا » .
(٢) فى بعض الأصول : « حاد » . تحريف .
(٣) فى خزانة الأدب (٢ : ٢٦٨) وأمالى المرتضى (٣ : ٩٦): « على » .
(٤) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « لما » .
(٥) كذا فى ن . والذى فى سائر الأصول : « الميرة » .
(٦) كذا فى ا . والذى فى سائر الأصول : «مؤانسا» . (٧) فى ن : «بياف» .
(٨) فى ن : « ألا لا بل تؤلفه » . (٩) فى بعض الأصول : «لليأس أملى» .
(١٠) فى بعض الأصول : « عن الدرك الجهير لدى الأمانى » .
(١١) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول :
«وأى فتى أناس من سمو ... من المهمات منهم الجنان»
(١٢) فى بعض الأصول : « فى الناس » .
(١٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « فلم نشعر » .
(١٤) فى بعض الأصول : « فيها والأرق بين أجفان الرشيد » .

الله أكبر، رُبّ قَيْد مُضَيِّق قدفكّه التّيسير للإنعام. أنا صاحبُك، إن[١] كان صاحبُك مَن طلب فأْمن، أوحَفِظ فأتقن. فأخذ بيدى، ثم قال: ادخُل، إنْ يختم الله لك بالإحسان لديه والتّصويب[٢]، فلعلّها تكون ليلةً تُعوِّض صاحبها الغنى[٣]. قلت: بَشّرك الله بالخير. قال: ودخلتُ فواجهتُ الرشيد فى البهو جالساً كأنّما رُكِّب البدرُ فوق أزراره جمالا[٤]، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه، والشّمع يُحدق به على قُضب المَنابر[٥]، والخَدم فوق فَرشه وُقوف. فوقف بى الخادم حيث يَسمع تَسْليمى، ثم قال: سَلِّم. فسلّمت. فردّ، ثم قال: يُنَحَّى[٦] قليلا ليسكن روعه إن وجد للرّوْعة حِسًّا. فقعدتُ حتى سكن جأشى قليلا، ثم أقدمتُ، فقلت: يا أمير المؤمنين، إضاءة كَرمك، وبَهاء مجدك، مُجِيران لمن نَظَر إليك من أعتراض[٧] أذيّة له، أيسألنى أمير المؤمنين[٨] فأجيب، أم أبتدىء[٩] فأصيب، بيُمن أمير المؤمنين وفَضْله؟ قال: فتبسّم إلىّ الفضلُ ثم قال: ما أحسن ما أستدعى الاُختبار، وأستهلّ به المُفاتحة[١٠]، وأجْدر به[١١] أن يكون مُحسنا. ثم قال الفضل: والله يا أمير المؤمنين لقد تقدم[١٢] مُبرزاً مُحسنا فى أستشهاده على براءته من الحَيْرة، وأرجو أن يكون مُمتعا. قال: أرجو. ثم قال: أُدْنُ. فدنوتُ. فقال: أشاعرٌ أم راوية؟ قلت: راوية يا أمير المؤمنين. قال: لمن؟ قلت: لذى جِدّ وهَزْل، بعد أن يكون محسناً. قال: والله ما رأيتُ أوعى لِعلْم ولا أخبر بمَحاسن بيان فَتَقَتْه[١٣] الأذهان منك. ولئن صرتُ[١٤] حامداً أثرك

---

(١) فى ا، ن: «أو». (٢) فى بعض الأصول: «والتصريف».
(٣) فى بعض الأصول والخزانة وأمالى المرتضى: «تعرس فى صباحها بالغنى».
(٤) فى ا، ن: «كمالا». (٥) فى بعض الأصول: «المناور».
(٦) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «تنح».
(٧) كذا فى ا، ن والخزانة وأمالى المرتضى. وفى سائر الأصول: «من غير اعتراض وأذية».
(٨) كذا فى ن. والذى فى سائر الأصول: «تسألنى فأجيب».
(٩) فى ا، ن: «فى قول». (١٠) فى أكثر الأصول: «ولقد استسهل المفاتشة».
(١١) فى ج: «وأحر به».
(١٢) كذا فى ا، ج، ن. والذى فى سائر الأصول: «أقدم مبرزا».
(١٣) فى بعض الأصول. «ففتق». (١٤) فى بعض الأصول: «صدرت».

لتعرفنّ الإفضال مُتوجِّها[1] إليك سريعا. قلت: أنا على الميْدان يا أمير المؤمنين، فيُطلق أميرُ المؤمنين من عِقالى[2] مُجيباً فيما أحبّه. قال: قد أنصف القارةَ مَن راماها. ثم قال: مامعنى المثل فى هذه الكلمة بَديًّا؟ قلت: ذكرت العربُ يا أمير المؤمنين أنّ التتابعة[3] كانت لهم رُماة لا تقع سِهامهم فى غير الحَدَق، وكانت تكون فى المَوْكب الذى يكون فيه المَلِك على الجياد البُلْق، بأيديهم الأسورةُ، وفى أعناقهم الأطواق، تُسميهم العرب القارة. فخرج من موكب الصُّغد[4] فارس مُعْلَم بعَذَبات سُود[5] فى قَلَنسوته، قد وضع نُشَّابته فى الوتر ثم صاح: أين رُماة الحرب؟ قالوا: قد أنصف القارةَ مَن راماها. والملك أبو حسّان إذ ذاك[6] المضاف إليه. قال: أحسنت! أرويتَ للعجّاج ورُؤْبة شيئا؟ قلت: هما يا أمير المُؤمنين[7] يتناشدان لك بالقَوافى، وإن غابا عنك بالأشخاص. فمدّ يدَه فأخرج من تحت فراشه رُقعة ينظر فيها، ثم قال: أسمعنى:

* أرّقنى طارقُ همٍّ طَرَقا[8] *

فمضيتُ فيها مُضىّ الجواد فى سَنَن[9] مَيدانه، تَهْدِرُ بها[10] أشداق، حتى إذا صِرتُ إلى امتداح بنى أمية ثَنيتُ عِنان اللسان[11] إلى امتداحه المنصورَ فى قوله[12]:

* قُلْت لزِيرٍ لم تَصِلْه مَريَمه[13] *

---

(١) فى ا، ن: «موجها».
(٢) كذا فى ا، ج، ن. والذى فى سائر الأصول: «لمن منى من غنائى».
(٣) كذا فى ا، ج، ن وخزانة الأدب وأمالى المرتضى. والذى فى سائر الأصول: «السابقة».
(٤) كذا فى ا، ج، ن والخزانة وأمالى المرتضى. والذى فى سائر الأصول: «الصمر».
(٥) فى بعض الأصول: «سمور». (٦) فى بعض الأصول: «أراد ذلك».
(٧) فى بعض الأصول: «يتناهدان». (٨) القصيدة لرؤبة.
(٩) فى بعض الأصول: «فى سبق». (١٠) فى أكثر الأصول: «تهدر بى».
(١١) فى بعض الأصول: «السياق».
(١٢) زير، أى زير نساء. ومريمه: امرأة.
(١٣) فى بعض الأصول: «للمنصور بقصيدة على الوزن والروى فى قوله».

قال : أعن خَيْرة(١) أم عن مَجد ؟ قلت : بل عن مجد ، تركتُ كذبه إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده . قال الفضل : أحسنتَ بارك الله فيك ، مثلُك يُؤمَّل لهذا الموقف . قال الرشيد : أرجع إلى أول هذا الشعر . فأخذتُ من أوله حتى صرت إلى صفة الجمل فأطلتُ . فقال الفَضل : مالك تُضيِّق علينا كلّ ما أتسع(٢) لنا من مساعدة السَّهر(٣) فى ليلتنا هذه بذكر جَمل أجرب ؟ صِر(٤) إلى أمتِداح المنصور حتى تأتى على آخره . فقال الرشيد : اسكت ، هى التى أخرجتْك من دارك ، وأزعجتك من قَرارك ، وسلبتْك تاج مُلكك(٥) ثم ماتت ، فعُملت ١٣٧/٣ جلودها سِياطا يُضرب بها قومُك ضربَ العبيد ، ثم قَهقه . ثم قال : لا تَدع نفسك والتعرّضَ لما تكره . فقال الفضل : لقد عُوقبتُ على غير ذنب ، والحمد لله . قال الرشيد : أخطأتَ فى كلامك يرحمك الله ، لو قلتَ : وأستغفر(٦) الله ، قلتَ صوابا ؛ وإنما يُحمد الله على النعم . ثم صَرف وجهه إلىّ ، وقال : ما أحسن ما أدّيت فى قدر ما سُئلت ؛ أسمعنى كلمةَ عدىّ بن الرّقاع فى الوليد بن يزيد بن عبد الملك :

* عَرَف الدّيار توهّمًا فاعتادها(٧) *

فقال الفضل : يا أمير المؤمنين ، ألبستنا ثوبَ السّهر ليلتَنا هذه لأستماع الكذب ، لِمَ(٨) لا تأمره أن يُسمعك ما قالت الشعراء فيك وفى آبائك ؟ قال : ويحك ! إنه أدب ما يُخطب أبكاره بالنّسب ، وقلّما يُعتاض [عن] مثله . ولأن أسمع الشعر ممن نخبره وشغلته العنايةُ به عُمرَه(٩) أحبُّ إلىّ من أن تُشافهنى

(١) فى أكثر الأصول : « خبرة » . (٢) فى بعض الأصول : « ما اتصل » .
(٣) فى بعض الأصول : « مشاهدة السمر » .
(٤) فى بعض الأصول « فكر » .
(٥) فى بعض الأصول : « تاجك » .
(٦) فى بعض الأصول : « وأستعين الله » .
(٧) عجزه : * من بعد ما شمل البلى أبلادها *
(٨) فى بعض الأصول : « ثم لا » .
(٩) فى بعض الأصول : « من ثقيف بعبارة تشغله العناية عمرا » .

به الرُّسوم . والمُمتَدح بهذا الشعر حركات تَرِد عليك فلا تصدُر من غير انتفاع بها[١] . ولا أكون أول مُستنّ طريقة ذِكر لم تؤدها[٢] الرواية . قال الفضل : قد والله يا أميرَ المؤمنين شاركتُك فى الشوق ، وأعنتُك على التَّوْق[٣] . ثم التفتَ إلىّ الفضل ، فقال : أحْدُ بنا[٤] ليلتك مُنشدًا ، هذا سيدى أمير المُؤمنين قد أصغى إليك [مُستمعا] ، فمُرَّ وَيحك فى عِنان الإنشاد ، فهى ليلة دهرك لن تنصرف إلا غانمًا . قال الرشيد : أمّا إذا قطعتَ علىّ فأحلف لتشركنّى فى الجزاء . فما كان لى فى هذا شىء لم تُقاسمنيه . قال الفضل : قد والله يا أمير المؤمنين وطّنت نفسى على ذلك متقدّما فلا تجعلنّه وعيدا . قال الرشيد : ولا أجعله وَعيدا . قال الأصمعى : الآن ألبس رداء التِّيه على العرب كلها ، إنى أرى الخليفة والوزير وهما يَتناظران فى المَواهب لى . فمررتُ فى سَنَن الإنشاد ، حتى [إذا] بلغتُ إلى قوله :

تُزْجِى أغنَّ كأن إبرة رَوْقه قَلَمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادَها

فاستوى جالسا ، ثم قال : أتحفظ فى هذا شيئا ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين . قال الفرزدق : لما قال عَدِىّ :

* تُزجِى أغنَّ كأن إبرة رَوْقه *

قلت[٥] لجرير : أىّ شىء تراه يُناسب هذا تشبيها[٦] ؟ فقال جرير :

* قلم أصاب من الدَّواة مِدادَها *

فما رجع الجواب حتى قال عدىّ :

* قَلم أصاب من الدَّواة مدادها *

فقلت لجرير : ويحك ! لكأن سَمعك مَخبوء فى فُؤاده . فقال جرير : اسكت ، شغلنى سَبُّك عن جَيِّد الكلام . ثم قال الرشيد : مُرَّ فى إنشادك . فمضيتُ حتى بلغت إلى قوله :

(١) فى بعض الأصول : «ولا تقدر أن تصدر عن غير استحسان لها» .
(٢) فى بعض الأصول : «فأكون أول مسبب طريقة ذكر ثم تردها إليك» .
(٣) فى بعض الأصول : «السوق» . (٤) فى أكثر الأصول : «احرمنا» .
(٥) فى بعض الأصول : «قال» . (٦) فى الخزانة : «أما تراه يستلب بها مثلا» .

ولقد أراد الله إذ ولاّ كها   من أُمةٍ إصلاحَها ورَشادها

قال الفضل : كذب ومابَرّ . قال الرشيد : ماذا صَنع إذ سمع هذا البيت ؟ قلت : ذكرت الرواةُ يا أمير المؤمنين أنه قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . قال : مُرّ فى إنشادك . فمضيتُ حتى بلغت إلى قوله :

تأتيه أسْلاب الأعِزة[1] عَنوةً   عُصَباً وتَجمع للحُروب عَتادَها

قال الرشـيد : لقد وصفه بحَزم وعزم ، لا يَعْرِض[2] بينهما وَكْلٌ ولا أستذلال[3] . قال : فماذا صَنع ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ذكرت الرواة أنه قال : ما شاء الله . قال : أحسبك وَهمت ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، أنت أولى بالهداية ، فليردّنى أميرُ المؤمنين إلى الصواب . قال : إنما هذا عند قوله :

ولقد أراد الله إذ ولّا كها   من أُمة إصلاحَها ورشادَها

ثم قال : والله ما قلت هذا عن سَمع ، ولـكننى أعلم أنّ الرجل لم يكن يُخطىء فى مثل هذا . قال الأصمعىّ : وهو والله الصواب . ثم قال : مُرّ فى إنشادك . فمضيتُ حتى بلغت إلى قوله :

وعلمتُ حتى لا أسائل واحدًا[4]   عن حَرف واحدةٍ لـكى أزدادَها ١٣٨/٣

قال : وكان من خَبرهم ماذا ؟ قلت : ذكرت الرواة أن جريراً لما أنشد عدىٌّ هذا البيت ، قال : بلى والله ، وعشر مِئين . قال عدىّ : وَقْرٌ فى سمعك[5] أثقل من الرصاص . هذا والله يا أمير المؤمنين المَديح المُنتقى . قال الرشيد : والله إنه لنقىّ الـكلام فى مَدْحه وتَشبيبه . قال الفضل : يا أمير المؤمنين ، لا يُحسن عدّى أن يقول :

شُمسُ العَداوة حتى يُستقاد لهم   وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدروا[6]

(١) فى بعض الأصول : « لم تأبه الأسلاب إلا » .
(٢) فى بعض الأصول : « ما يفرق » .
(٣) الوكل : العجز والجبن .
(٤) فى بعض الأصول : « فى سمى » .
(٥) فى بعض الأصول : « عالما » .
(٦) البيت للأخطل (الديوان ١٠٤) .

قال الرشيد : بلى . قد أحسن إذ يقول فى الوليد :

لِلحمد فيه مذاهبٌ ما تنتهى ومكارمٌ يَعْلون كُلَّ مكارمِ

ثم التفت إلىّ فقال : ما حفظتُ له فى هذا الشعر شيئا حين قال :

أطفأتَ نِيران الحُروبِ وأُوقدت نارٌ قَدَحْتَ براحتيك زِنادَها

قلت : ذكرت الرُّواة يا أمير المؤمنين أنه حَكَّ يمينا بشمال مُقتدحا بذلك ، ثم قال : الحمد لله على هبة الإنعام . [ثم] قال الرشيد : أرويتَ لذى الرُّمة شيئا ؟ قلت : الأكثر يا أمير المؤمنين . قال : والله إنى لا أسألك سؤال امتحان ، وما كان هذا عليك ، ولكنّنى أجعله سبباً[1] للمُذاكرة ، فإن وَقع عن عِرْفانك شىء ، فلا ضَيق عليك بذلك عندى ، فما [ذا] أراد بقوله :

مُمَرٌّ أمرّت مَتْنَه أسديّةٌ يَمانيّة حَلاّلة بالمَصانعِ[2]

قلت : وصف يا أمير المؤمنين حماراً وحشيّا أسمنه بَقلُ رَوضة تشابكت فروعه[3] ، ثم تواشجت[4] عُروقه ، من قَطْر سحابة كانت فى نَوء الأسد ، [ثم] فى الذِّراع منه . قال : أصبتَ . أفترى القومَ علموا هذا من النجوم بنظرهم ، إذ[9] هو شىء قلّما يُستخرج بغير السبب الذى رُويت[5] لهم أصوله ؟ أو أدّتهم إليه الأوهام والظُّنون[6] ؟ فالله أعلم بذلك . قلت : يا أمير المؤمنين ، هذا كثير[7] فى كلامهم ، ولا أحسبه إلا عن أثر ألقى إليهم . قال : قلما أجد الأشياء لا تثيرها[8]

---

(١) فى بعض الأصول : « تعللا » .

(٢) مُمر : مدمج الخلق مفتول . يعنى « الأحقب » فى بيت سابق ، وهو الحمار . وأمرت متنه : أدمجته . وأسدية : سحابة بنوء الأسد . والرواية فى الديوان : « يمانية حلت جنوب المضاجع » .

(٣) فى بعض الأصول : « أصوله » .

(٤) فى بعض الأصول : « ترسخت » .

(٥) فى بعض الأصول : « بل » .

(٦) فى بعض الأصول : « أسباب الذين دونت » .

(٧) فى بعض الأصول : « وأدته إلى أهله الأوهام أو النبيون » .

(٨) فى بعض الأصول : « تسور » .

(٩) فى بعض الأصول : « لاتميزها » .

إلا الفكر فى القُلوب . فإن ذهبتَ إلى أنه هِبة الله ذكَّرهم بها ، ذهبتَ إلى ما أدَّتهم[١] إليه الأوهام . ثم قال : أرويتَ للشَّماخ شيئا ؟ قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين . قال : يُعجبنى منه قولُه[٢] :

إذا رُدَّ من ثِنْىِ الزِّمَام ثَنتْ له[٣] جِرانًا كخُوط الخَيْزُران المُموَّجِ

قلت : يا أمير المؤمنين ، هى عَروس كلامه . قال : فأيها[٤] الحسن الآن من كلامه ؟ قلت : الرائيّة[٥] ، وأنشدتُه أبياتا منها . قال : أمسك ، ثم قال : أستغفر الله ثلاثا ، أرِح[٦] قليلا واجلس ، فقد أمتعتَ مُنشدا ، ووجدناك مُحسنا فى أدبك ، مُعبرا عن سرائر[٧] حفظك . ثم التفت إلى الفضل ، فقال : لكلام هؤلاء ، ومَن تقدّم من الشعراء ، دِيباجُ الكلام الخُسْروانى[٨] ، يَزيد على القِدَم جِدّة وحُسنا . فإذا جاءك الكلام المُزيَّن بالبديع ، جاءك الحرير الصِّينىّ المُذهَّب ، يَبقى على المُحادثة فى أفواه الرواة[٩] . فإذا كان له رَوْنق صَوَاب ، وَعَته[١٠] الأسماع ، ولَذّ فى القلوب[١١] ، ولكن فى الأقلّ منه . ثم قال : يُعجبنى مثلُ قول مُسلم فى أبيك وأخيك الذى أفتتحه بمخاطبة حليلته[١٢] ، مفتخرا عليها بطُول السُّرى[١٣] فى اكتساب المغانم[١٤] ، حيث قال :

---

(١) فى بعض الأصول : « تجارينى فيه » . وفى بعض آخر : « تجاذبنى به » وما أثبتنا من ج .
(٢) فى بعض الأصول : « يعجبنى من قوله هذا » .
(٣) رواية هذا الصدر فى الديوان (١١) :

* إذا عيج منها بالجديل ثنت له *

(٤) فى بعض الأصول : « وإنما » . (٥) للشماخ أكثر من رائية .
(٦) كذا فى بعض الأصول . وفى سائر الأصول : « أخره » . والذى فى الخزانة وأمالى المرتضى : « أرخ » .
(٧) فى بعض الأصول : « سائر » . (٨) الخسروانى : نوع من الثياب .
(٩) فى بعض الأصول : « فى أنف الروايات » .
(١٠) فى بعض الأصول : « متعته » .
(١١) العبارة فى أكثر الأصول : « فإذا متعته الأسماع ولذق القلوب لها رونق صواب » .
(١٢) فى بعض الأصول : « امتدحهما به مخاطبا حليلة » .
(١٣) فى بعض الأصول : « الرأى » . (١٤) فى ن : « المنام » .

أجدّك هل تَدرين أن رُبَّ ليلةٍ ... كأنّ دُجاها من قُرونك يُنشَرُ
صبرتُ لها حتى تجلّت بغُرّة ... كغُرة يحيى حين يُذكر جعفر

أفرأيت ؟ ما ألطف ما جعلهما مَعدنا لـكمال الصفات ومَحاسنِها ؟ ثم التفت إلىّ، فقال : أجدُ ملالة ، ولعلّ أبا العبّاس يكون لذلك أنشط ، وهو لنا ضيف

١٣٩/٣ فى ليلتنا هذه ، فأقِم معه[1] مُسامِرا له ، ثم نَهض . فتبادر الخدم ، فأمسكوا بيده حتى نزل عن فَرشه ، ثم قُدّمت النعل ، [فلما وضع قدمه فيها] جعل الخادم يُسوّى عَقب النعل فى رِجْله . فقال له : ارفُق ويحك ، حَسْبك قد عقَرتنى . قال الفضل : لله دَرُّ العَجم ، ما أحكم صَنعتهم ، لو كانت سِنْديّة[2] ما احتجت إلى هذه الـكُلفة. قال : هذه نَعلى ونَعل آبائى رحمة الله عليهم ، وتلك نَعلك ونعل آبائك . لا تزال تُعارضنى فى الشىء ، ولا أدعك بغير جواب يُمضّك ، ثم قال : يا غلام ، علىّ بصالح الخادم[3] . فقال : يُؤمر له بتَعجيل ثلاثين ألفَ درهم فى ليلته هذه . قال الفضـل : لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه أحدٌ غيره لدعوت لك بمثل ما أمر به أمير المؤ[redacted]ين . فدعا له بمثل ما أمر به أمير المؤمنين إلا ألفَ درهم . وتُصبح من غد فتلقى الخازن إن شاء الله . قال الأصمعىّ : فما صليت الظُّهر إلاّ وفى منزلى تسعة وخمسون ألف درهم .

لدعبل

وقال دِعْبل بن علىّ الخُزاعى :

يَموت ردىء الشِّعر من قبل[4] أهله ... وجيّدُه يَبقى وإن مات قائلُه

وقال أيضاً :

إنّى إذا قلتُ بيتاً مات قائلُه ... ومَن يُقال له ، والبيتُ لم يَمُتِ

باب من استعدى عليه من الشعراء

الحطيئة والزبرقان وعمر بن الخطاب

لما هَجا الحُطيئة الزِّبْرقان بنَ بَدْر بالشِّعر الذى يقول فيه :

دَع المـكارِمَ لا تَرْحل لبُغيتها ... واقعُد فإنك أنت الطاعِمُ الـكاسِى

(١) فى بعض الأصول : « عنده » (٢) فى بعض الأصول : « سيرة » .
(٣) فى ا ، ن : « الخازن » . (٤) فى بعض الأصول : « من غيره » .

استعدى عليه عمرَ بن الخطّاب ، وأنشده البيتَ . فقال : ما أرى به بأسا . قال الزِّبرقان : والله يا أمير المؤمنين ، ما هُجيت ببيت قطُّ أشدّ علىّ منه . فبعث إلى حسّان بن ثابت وقال : انظُر إن كان هجاه . فقال : ما هَجاه ، ولكن سَلح عليه . ولم يكن عُمر يَجهل موضع الهجاء فى هذا البيت ، ولكنه كَره أن يتعرّض لشأنه ، فبعث إلى شاعر مثله ، وأمر بالُحطيئة إلى الحَبس ، وقال : يا خَبيث ! لأشغلنّك عن أعراض المسلمين . فكتب إليه من الَحبس يقول :

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ ... زُغْب الحواصل لا ماء ولا شَجَر[1]
ألقيت كاسبَهم فى قعْر مُظلمة ... فاغفِر عَليك سلامُ الله يا عُمر
أنت الإمام الذى من بعد صاحبه ... ألقت إليك مَقاليدَ النُّهى البَشر
ما آثروك بها إذ قدّموك لها ... لكن لأنفسهم قد كانت الإثَر[2]

فأمر بإطلاقه وأخذ عليه ألاّ يهجو رجلاً مُسلما .

النجاشى ورهط تميم وعمر

ولما هجا النجاشىُّ رهطَ تميم بن مُقبل ، استعدَوا عليه عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه وقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، إنه هجانا . قال : وما قال فيكم ؟ قالوا : قال :

إذا الله عادَى أهل لُؤم ورِقّة ... فعادَى بنى عَجْلان رَهْطَ ابن مُقبلِ

قال عمر : هذا رجل دعا ، فإن كان مظلوماً استُجيب له ، وإن لم يكن مظلوما لم يُستجب له . قالوا : فإنه قد قال بعد هذا :

قَبيلته لا يَخْفِرون بذمّة ... ولا يَظلمون الناسَ حَبّة خَرْدلِ

[قال عمر : ليت آلَ الخطاب مثل هؤلاء . قالوا : فإنه يقول بعد هذا] :

ولا يَردون الماء إلا عشيّة ... إذا صَدر الوُرّاد عن كُل مَنهل

(١) ذومرخ : واد بين فدك والوابشية . (معجم البلدان) .
(٢) الإثر ، أى الخيرة والاستئثار ، كأنه جمع إثرة ، بالكسر ، وهى الأثرة ، بفتحتين .

[قال : فإن ذلك أجَمّ[1] لهم وأمكن . قالوا[2] : فإنه يقول بعد هذا] :

وما سُمِّى العَجلان إلا لقَولهم ... خُذ القَعْبَ واحلِبْ أيها العَبْدُ واعجَلِ

قال عمر . سيِّد القوم خادمُهم ، فما أرى بهذا بأساً .

معاوية وأبو بردة وعقبة

ونظير هذا قول معاوية لأبى بُردة بن أبى مُوسى الأشعرى ، وكان دَخل حمّاما فزَحمه رجلٌ ، فرفع الرجلُ يده فلَطم بها أبا بُردة فأثَّر فى وجهه . فقال فيه عُقَيبة[3] الأسدىّ :

لا يَصرم اللهُ اليمينَ التى لها ... بوَجهك يابنَ الأشعَرىّ نُدوبُ

قال . فاستعدى عليه مُعاوية وقال : إنّه هَجانى . قال : وما قال فيك ؟ فأنشده البيت . قال معاوية : هذا رجل دَعا ولم يقل إلاّ خيرا . قال : فقد قال غير هذا . قال : وما قال ؟ فأنشده :

وأنت أمرؤٌ فى الأشعرين مُقابَلٌ ... وفى البَيت والبَطحاء أنت غَريبُ[4]

قال معاوية : وإذا كنتَ مُقابَلا فى قومك فما عليك ألاّ تكون مقابَلا فى غيرهم . قال : فقد قال غير هذا . قال : وما قال ؟ قال قال :

[وما أنا من حُدّاث أمك بالضُّحى ... ولا مَن يُزَكِّيها بظَهر مَغيبِ

قال: إنما قال : ما أنا من حُدّاث أمك ، فلو قال : إنه من حُدّاثها لكان ينبغى لك أن تغضب . والذى قال لى أشدّ من هذا . قال : وما قال لك يا أمير المؤمنين ؟ قال قال]:

مُعاوىَ إننّا بَشرٌ فأَسجِحْ ... فَلسْنا بالجِبال ولا الحديدِ

أكلتُم أرضَنا وجَردتُموها ... فهل من قائم أو من حَصِيد

(١) فى ا ، ن : « أحمى » .

(٢) زاد ابن قتيبة قبل هذا : « قالوا : وقد قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ... وتأكل من كعب وعوف ونهشل

قال : أجنّ القوم موتاهم ولم يضيعوهم » . (انظر الشعر والشعراء فى ترجمة النجاشى) .

(٣) كذا فى ا ، ن والأغانى (١٨ : ١٢٨ بلاق) وكتاب سيبويه (١ : ٢٦) وخزانة الأدب (٢ : ٢٢٦) طبعة السلفية . وفى بعض الأصول : « أبو عقيبة الأسدى » . والتى فى سائر الأصول : « عقيبة الأسدى » . وانظر الحاشية (٤ ص ٦١) من الجزء الأول من هذه الطبعة .

(٤) المقابل : الكريم من كلا طرفيه .

فَهَبْنا أُمّةً هَلَكت ضَياعاً ... يَزِيدُ أميرُها وأبو يَزِيدِ
أتَطْمع بالخُلود إذا هَلَكنا ... وليس لنا ولا لك مِن خُلود
ذَرُوا جَورَ[1] الخلافةِ واستقيموا ... وتأميرَ[2] الأَراذِل والعَبيد

قال: فما مَنعك يا أميرَ المُؤمنين أن تَبعثَ إليه مَن يضرب عُنقه؟ قال: أو خَيْرٌ من ذلك؟ قال: وماهو؟ قال: نجتمع أنا وأنت فنَرفع أيدينا إلى السماء ونَدعو عليه. فما زاد على أن أزرى به[3].

زياد مع الفرزدق في قوم هجاهم

استعدى قومٌ زيادا على الفَرزدق، وزعموا أنه هَجاهم. فأرسل إليه وَعَرض له أن يُعطيه. فهرب منه وأنشده:

دَعاني زيادٌ للعَطاء ولم أكُن ... لأَقْرَبه ما ساق ذو حَسَب وَفْرَا
وعِنْد زياد لو يُرِيد عطاءهم ... رجالٌ كثيرٌ قد يَرَى بهمُ فَقْرا
فلمّا خَشِيتُ أن يكون عطاؤه ... أداهِمَ سُودا أو مُحَدْرَجة[4] سُمْرا
نَهضتُ إلى عَنْس[5] تَخوَّن نِيَّها ... سُرى الليل واستعراضُها البلدَ القَفْرا
يَؤُم بها المَوماةَ مَن لا[6] يَرى له ... لدى ابن أبي سُفيان جاهًا ولا عُذرا

ثم لحق بَسعيد بن العاص، وهو والى المدينة، فاستجار به وأنشده شعره الذي يقول فيه:

إليك فررتُ منك ومن زيادٍ ... ولم أحْسب دمِى لكما[7] حَلالاَ
فإنْ يَكُن الهِجاء أحلّ قَتْلى ... فقد قُلنـــا لشاعركم[8] وقَالا

(١) في بعض الأصول: «خون». (٢) في بعض الأصول: «وتأمين».
(٣) في بعض الأصول: «فما زاد أن زوى».
(٤) الأداهم: القيود؛ الواحد: أدهم. والمحدرجة: السياط المغارة المفتولة. والذى في الأصول: «مدحرجة». وما أثبتناه من الديوان.
(٥) في بعض الأصول: «عيس». والرواية في الديوان:
* فزعت إلى حرف أضربنيها *
(٦) في الديوان: «لن».
(٧) في بعض الأصول: «دماءكما». وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان.
(٨) في الديوان: «لشاعرهم».

ترى الغُرَّ السوابقَ[1] من قُريش إذا ما الأمرُ فى الحَدَثان عالا[2]
قِياماً يَنظرون إلى سَعيد كأنّهمُ يَرَوْن به هلالا

هجاء الأخطل للأنصار وتحكيم معاوية لابن بشير فيه وقصة ذلك

ولما وقع[3] التهاجى بين عبد الرحمن بن حسّان وعبد الرحمن بن أم الحكم[4] أرسل يزيد بنُ مُعاوية[5] إلى كَعب بن جُعيل، فقال له: إنّ عبد الرحمن بن حسّان قد فضح عبدَ الرحمن بن أم الحكم، فاهجُ الأنصار. فقال: أرادّى أنت إلى الإشراك بعد الإيمان؟ لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولكن أدلّك على غُلامٍ منّا نصرانىّ. فدلّه على الأخطل. فأرسل إليه فهجا الأنصار، وقال فيهم:

ذهبتْ قريشٌ بالمَكارم كُلِّها واللُّؤمُ تحت عَمائم الأنصارِ[6]
١٤١/٣ قومٌ إذا حَضر العَصير رأيتَهم حُمْراً عُيونُهم من المُسْطارِ[7]
وإذا نسبتَ ابن[8] الفُريعةِ خِلْتَه كالجحش بين حِمارة وحِمار
فدعُوا المَكارم[9] لستمُ من أهلها وخذُوا مساحِيَكم بنى النّجار[10]

وكان مع معاوية النُّعمان بن بَشير الأنصارىّ، فلما بلغه الشّعر أقبل حتى دخل على مُعاوية، ثم حَسر العِمامة عن رأسه، وقال: يا معاوية، هل تَرى من لؤم؟ قال: ما أرى إلا كَرَما. قال: فما الذى يقول فينا عبدُ الأراقم:

ذهبت قُريش بالمَكارم كُلها واللؤمُ تحت عمائم الأنصار

قال: قد حكّمتك فيه. قال: والله لا رضيتُ إلا بقَطع لسانه. ثم قال:

---

(١) فى الديوان: «ترى الشم الجحاجح».
(٢) عال: فدح وأثقل. (٣) فى بعض الأصول: «بلغ».
(٤) فى الكامل للمبرد (١٤٩): «عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص».
(٥) فى بعض الأصول: «أرسل ابن معاوية».
(٦) فى الديوان (٣١٤): «والعلا».
(٧) المسطار: ضرب من الشراب فيه حموضة. والرواية فى الديوان:
قوم إذا هدر العصير رأيتهم حمرا عيونهم كجمر النار
(٨) فى بعض الأصول: «إلى». وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان والأغانى (١٤: ١٢٢).
(٩) فى الديوان: «المعالى».
(١٠) المساحى: جمع مسحاة، وهى آلة يسحى بها الطين عن وجه الأرض، أى يجرف.

مُعاوى إلّا تُعطنا الحقّ تَعْترف[١] لِحَى الأزد مَشْدودا[٢] عليها العَمائمُ
أيشتُمنا عبـدُ الأراقم ضلّةً[٣] وما[ذا] الذى تُجدى[٤] عليك الأراقمُ
فمالِى ثأر دون[٥] قَطْع لِسَانه فدُونك مَن تُرضيه عنك[٦] الدَّراهمُ

قال معاوية : قد وهبتُك لسانَه . وبلغ الأخطلَ . فلجأ إلى يزيدَ بن معاوية . فركب يزيدُ إلى النُّعمان فاستوهبه إياه . فوَهبه له .

لابن حسان فى ابن أم الحكم

ومن قول عبد الرحمن بن حسّان فى عبد الرحمن بن أم الحكم[٧] :

وأمّا قولُك الخُلفـاء منّا فهم مَنعوا وَريدَك مِن وِداجِى[٨]
ولولاهم لَطِحْتَ كَحُوت[٩] بَحْر هَوَى فى مُظلِم الغَمرات داجِى
وهم دُعْج ووُلْد أبيك زُرق كأنّ عُيونهم قِطَع الزُّجاج

ابن حسان ورملة بنت معاوية وما كان بين معاوية وابنه يزيد فى ذلك

وقال يزيد لأبيه : إنّ عبدالرحمن بن حسّان[١٠] يُشبِّب بابنتك رَملة[١١] . قال : وما يقول فيها ؟ قال : يقول :

هِيَ بَيْضاء مثلُ لؤلؤة[١٢] الغَوّ اص صِيغت من لُؤلؤ مَكْنونِ

قال : صَدق . قال : ويقول :

وإذا ما نسبْتَها لم تَجِدْها فى سَناء من المَكارم دونِ

(١) فى بعض الأصول : « تقترف » . تحريف
(٢) فى بعض الأصول : « مسدولا » .
(٣) فى بعض الأصول . « ظلمة » .
(٤) فى بعض الأصول : « تجرى » .
(٥) فى ن : « غير » . (٦) فى ن : « منك » .
(٧) فى الكامل للمبرد (١٤٩) : « عبد الرحمن بن الحكم بن أبى العاص » .
(٨) ودجه ودجا ووداجا : قطع وداجه ، وهو عرق فى العنق ، وهما وداجان .
(٩) فى بعض الأصول : « لكنت غريق » .
(١٠) كذا فى الأصول والأغانى (١٣ : ١٤٩) والكامل للمبرد (١٦٩) . والذى فى الأغانى (٦ : ١٥٨) أن هذا الشعر لأبى دهبل : وانظر اللسان (فطن) فقد نسب بيتاً من هذه القصيدة لعبد الرحمن بن حسان .
(١١) فى ن : «رميلة» . والذى فى الأغانى (٦ : ١٤٨) : « عاتكة بنت معاوية » . وفيه فى الجزء (١٣ : ١٤٩) أن هذا الشعر قاله عبد الرحمن فى أخت معاوية .
(١٢) فى ن : « جوهرة » .

قال : صدق أيضا . قال : ويقول :

تجعل المسك واليلنجو … ج صلاء لها على الكانون(١)

قال : وصدق . قال : فإنه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضـراء(٢) … تمشى فى مرمر مسنون(٣)

قال : كذب . قال : ويقول :

قبة من مراجل ضربوها(٤) … عند برد الشتاء فى قيطون(٥)

قال : ما فى هذا شىء . قال : تبعث إليه من يأتيك برأسه . قال . يا بنى ، لو فعلت ذلك لكان أشدّ عليك ؛ لأنه يكون سبباً للخوض فى ذكره ، فيُكثر مكثر ويزيد زائد ، اضرب عن هذا صفحا ، واطو دونه كشحا .

ابن الرقيات وتشبيبه بعاتكة وما كان من يزيد معه

ومن قول عبد الله بن قيس ، المعروف بالرُّقيات . يُشبِّب بعاتكة بنت يزيد بن معاوية :

أعاتك يا بنت الخلائف عاتكا … أنيلى فتى أمسى بحبك هالكا
تبدّت وأتراب لها فقتلننى … كذلك يقتلن الرجال كذلكا
يقلّبن ألحاظاً لهن فواتراً … ويحملن من فوق النعال السبائكا(٦)
إذا غفلت عنا العيون التى نرى … سلكن بنا حيث اشتهين المسالكا(٧)
وقلن لنا لو نستطيع لزاركم … طبيبان منا عالمان بدائكا
فهل من طبيب بالعراق لعله … يداوى سقيماً هالكاً متهالكا ١٤٢/٣

(١) اليلنجوج : عود جيد . ورواية البيت فى الأغانى (١٣) :
تجعل الند والألوة والعو … د صلاء لها على الكانون
(٢) فى بعض الأصول : « الحمراء » . (٣) المسنون : المصبوب على استواء .
(٤) فى بعض الأصول : « ضربتها » .
(٥) المراجل : من ثياب اليمن . والقيطون : البيت فى جوف بيت .
(٦) والسبائك ، أى الخلاخيل . وفى بعض الأصول : « ما فوق النعال سبائكا » . ورواية البيت فى الديوان (٢٢٦ طبعة أوربة) :
خطرن إلينا بالوجوه كأنما … جلون لنا فوق البغال السبائكا
(٧) فى بعض الأصول : « اشتهين » .

فلم يَعرض له يزيدُ للذى تقدّم من وصاية أبيه مُعاوية فى رَملة .[١]

الحجاج وابن نمير لتشبيبه بزينب

تحدّثت الرواة أن الحَجاج رأى محمدَ بن عبد الله بن نُمير الثقفى ، وكان يُشبِّب بزَينب بنت يوسف أخت الحجّاج ، فارتاع مِن نظر الحجّاج إليه . فدعا به . فلما وقف بين يديه قال :

فدَاكَ أبى[٢] ضاقت بى الأرضُ رُحْبُها ... وإن كنتُ قد طوّفتُ كُلَّ مَكان
وإن[٣] كنتُ بالعنقاء[٤] أو بتُخومها[٥] ... ظَننْتك إلاّ أنْ تَصُدّ[٦] تَرانى

فقال له : لا عليك ، فوالله إن قُلتَ إلا خيرا ، إنما قلت هذا الشعرَ :

يُخبِّئن[٧] أطرافَ البنَانِ من التُّقى ... ويَخْرُجن وسطَ الليلِ مُعتجراتِ

ولكن أخبرنى عن قولك :

ولما رأت رَكْبَ النُّميرىّ أعْرضت[٨] ... وكُنّ من أن يَلقينَه[٩] حَذِرات

فى كم كنت ؟ قال : والله إن كنتُ إلا على حِمار هَزيل ، معى رفيق على أتان [مثله] . قال : فتبسّم الحجّاج ولم يَعرض له . والأبيات التى قالها ابنُ نُمير[١٠] فى زَينب بنت يوسف :

ولم تَر عينى مثلَ سِرْب رأيتُه ... خَرَجْن من التَّنْعيم مُعْتمراتِ
مَرَرْن بفَخٍّ ثم رُحن عشيّةً ... يُلبِّين للرحمن مُؤْتجِرات[١١]
تَضوّع مِسكاً بطنُ نَعمانَ إذ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نسْوة خَفِرات
ولما رأت رَكْبَ النُّميرىّ أعرضتْ ... وكُنّ من أن يلقَينه[٩] حَذِرات

(١) فى ن : « رميلة » . (٢) فى ن : « فهاك يدى » .
(٣) فى ن : « ولو » : (٤) فى بعض الأصول: « بالعفيفاء» تحريف .
(٥) فى ن : « بسموها » . (٦) فى ن : « تضل » .
(٧) فى بعض الأصول : « يحنين » . وفى الأغانى (٥ : ٨ بلاق) : « يخمرن » .
(٨) فى الأغانى (٦ : ٢٦ بلاق) : « راعها » .
(٩) فى بعض الأصول : « بأن يلقينه » .
(١٠) فى بعض الأصول : « وهذه الأبيات التى قالها لابن نمير » .
(١١) فخ : موضع بينه وبين مكة والمدينة ثلاثة أميال . وبه كانت وقعة الحسين وعقبة. (عن معجم البلدان) .

دَعَت نِسْوةً شُمَّ العَرانين بُدَّناً ... نواضِرَ لا شُعْثاً ولا غَبِرات

فأدْنين لما قُمْنَ يَحْجُبن دونها ... حِجاباً مِن القَسِّىِّ والحِبَرات(١)

أجِلَّ الذى فوق السَّموات عرشُه ... أوانسَ بالبَطْحاء مُعْتَجِرات

يُخَبِّئن(٢) أطراف البَنان من التُّقى ... وَيخرُجن وسطَ الليل مُعْتَجِرات

هشام والفرزدق وكان عرض به فى بيت

وكان الفرزدق قد عرّض بهشام بن عبد الملك فى شعره . والبيتُ الذى عرض به فيه قولُه :

يُقلِّب عيناً لم تكن لخليفة(٣) ... مُشوَّهةً حَولاء جَمًّا عُيوبُها

فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القَسْرىّ عامله على العراق يأمره بحَبسه ، فحبسه حتى دخل جَرير على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تُريد أن تَبْسط يدَك على بادى مُضر وحاضرها فأَطْلِق لها شاعرَها وسيّدها الفرزدق . فقال له هشام : أوَ مَا يسُرك ما أخزاه الله ؟ قال : ما أُريد أن يُخزيه الله إلا على يدىّ . فأمر بإطلاقه .

أى بيت تقوله العرب أشعر

لأبى عمرو فى معنى هذا العنوان

قيل لأبى عمرو بن العلاء : أىّ بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذى إذا سمعه سامعُه سَوّلت له نفسُه أن يقول مثله ، ولأن يُخدَش أنفُه بظُفر كلبٍ أهونُ عليه من أن يقول مثلَه .

للأصمعى فى مثله

وقيل للأصمعىّ : أىّ بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : الذى يُسابق لفظُه معناه .

للخليل ولغيره

وقيل للخليل : أىّ بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البَيت الذى يكون فى

(١) القسى : نسبة إلى القس : مدينة على ساحل البحر قريبا من تنيس . (انظر معجم البلدان واللسان : قس) .
(٢) فى بعض الأصول « يخنين » . وفى الأغانى : « يخمرن » .
(٣) فى بعض الاصول : « بخليفة » .

أوله دليل على قافيته . وقيل لغيره[١] : أى بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال: البيتُ الذى لا يَحْجبه عن القلب شىء .

لزهير

وأحسن من هذا كله قول زُهير :

وإنّ أحسنَ[٢] بيتٍ أنت قائلُه بيتٌ يُقال إذا أنشدتَه صَدَقا

أحسن ما يجتلب به الشعر

للحكماء فى معنى هذا العنوان

١٤٣/٣ قالت الحكماء : لم يُستدع شارد الشعر بأحسنَ من الماء الجارى ، والمكان الخالى ، والشرف العالى .

وتأول بعضهم « الحالى » بالحاء . يريد الحالى بالنوّار ، يعنى الرياض ، وهو توجيه حسن .

بين أبى العتاهية وأبى نواس

ولقى أبو العتاهية الحسنَ بن هانىء ، فقال له : أنت الذى لا تقول الشعر حتى تُؤتى بالرّياحين والزهور فتُوضع بين يديك ؟ قال : وكيف ينبغى للشعر أن يُقال إلا على هكذا ؟ قال : أما إنى أقوله على الكَنيف . قال : ولذلك توجد فيه الرائحة .

لأرطاة يجيب عبد الملك

وقال عبد الملك بن مَروان لأرطاة بن سُهيّة[٣] : هل تقول الآن شعرا ؟ قال : ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، فلا يقال الشعر إلا بواحدة من هذه .

للحطيئة فى أشعر الناس

وقيل للحُطيئة : مَن أشعر الناس ؟ فأخرج لسانًا رقيقا ، كأنه لِسان حَيّة وقال : هذا إذا طَمِع .

لكثير فى تركه الشعر

وقيل لكُثير عَزّة : لِمَ تركتَ الشعر ؟ قال : ذهب الشّباب فما أُعجب ، وماتت عَزّة فما أطرب ، ومات ابن أبى ليلى[٤] فما أرغب . يريد عبد العزيز ابن مروان .

---

(١) فى بعض الأصول : « لعميرة » .
(٢) فى بعض الأصول : « وإن أفضل » .
(٣) فى بعض الأصول : « سمية » . تحريف .
(٤) فى بعض الأصول : « عبد العزيز » .

فى أشعر الناس

وقالوا : أشعر الناس النابغة إذا رَهِب ، وزُهير إذا غَضِب ، وجَرير إذا رَغب .

لبيد وقد سأله ابن هند شعراً

وقال عمرو بن هند لِلَبيد بن الأبرص ، ولَقِيه فى يوم بُؤسه : أَنْشِدنى من شعرك . قال : حال الجَرِيض دون القَرِيض .

وقد يَمتنع الشعر على قائله ولا يَسلس حتى يَبعثه خاطر يطرِبه ، أو صوت حَمامة .

الفرزدق ثم لبعض الرجاز

وقال الفرزدق : أنا أشعر الناس عند اليأس ، وقد يأتى علىّ الحِين وقَلْع ضِرْس عندى أهون من قول بيت شِعر . وقال الراجز :

إنما الشّعر بنــاء   يَبْتنيــه المُبتنونَا
فإذا ما نَسّـــقوه   كان غَثًّا أو سَمِينا
رُبمــا واتاك(١) حِينا   ثم يَسْتصعب حِينا

وأَسلس ما يكون الشعر فى أول الليل قبل الـكَرى ، وأول النهار قبل الغداء ، وعند مُفاجأة النفس واجتماع الفــكر . وأقوى ما يكون الشعر عندى على قَدر قُوة أسباب الرغبة أو الرهبة .

الخريمى فى مدائحه ومراثيه لابن منصور

قيل للخُريمى(٢) : ما بال مدائحك لمحمد بن مَنصور بن زياد أحسنُ من مَراثيك ؟ قال : كُنا حينئذ نعمل على الرّجاء ، ونحن اليومَ نَعمل على الوفاء ، و بينهما بَوْن بعيد .

والدليل على صحة هذا المعنى وصِدْق هذا القياس ، أنّ كُثيرَ عزّة والـكُميت ابن زيد كانا شِيعيّين غاليين فى التشيع ، وكانت مدائحهما فى بنى أُمية أشرفَ وأجود منها فى بنى هاشم ، وما لذلك علّة إلا قُوة أسباب الطمع .

لكثير عند امتناع الشعر

وقيل لـكُثير عزّة : يا أبا صخر ، كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال : أطوف فى الرِّباع المُحيلة ، والرِّياض المُعشبة ، فإن تفرت عنك القوافى ، وأعيت(٣)

(١) فى بعض الأصول : « استسهل » .
(٢) فى ن : « الحرى » . وفى بعض الأصول : « الخزعى » . وهو تصحيف .
(٣) فى ن : « وأرتجت » .

عليك المعانى ، فروّح قلبك ، وأجمّ ذهنك ، وأرتصد لقولك فراغَ بالك وسعة ذِهنك ، فإنك تجد فى تلك الساعة مايَمتنع عليك يومَك الأطول، وليلك الأجمع.

من رفعه[1] المدح ووضعه الهجاء

بين بلال وابن جرير فى بنى لجأ ثم لجيب فى هذا المعنى

قال بلال بن جرير : سألتُ أبى جريراً فقلت له : إنك لم تَهجُ قوماً قط إلا وضعتَهم ، غير بنى لجأ[2] ؟ قال : يا بُنى ، إنّى لم أجد شرفاً فأضعه ، ولا بناء فأهدمه . وقد يكون الشىء مدحاً فيجعله الشِّعر ذمًّا ، ويكون ذمًّا فيجعله الشعر مدحا . قال حبيب الطائى فى هذا المعنى :

ولولا خِلالٌ سَنَّها الشِّعْر مادَرى بُغاةُ النَّدَى من أين تُؤتَى المَكارمُ
تُرى حكمةً مافيه وهو فُكاهةٌ ويَقضى بما يَقضى به وهْو ظالمُ

بنى عبد المدان وشعر لحسان فيهم

ألا تَرى إلى بنى عبد المَدان الحارثيين كانوا يَفخرون بطُول أجسامهم ١٤٤ / ٣ وقديم شرفهم ، حتى قال فيهم حسّان بن ثابت :

لا بأسَ بالقَوم مِن طُول ومن غِلَظ جِسْم البِغال وأحلامُ العَصافيرِ

فقالوا له : والله يا أبا الوليد لقد تَركتَنا ونحن نَستحى من ذِكر أجسامنا بعد أن كُنّا نَفخر بها . فقال لهم : سأُصلح منكم ما أفسدتُ ، فقال فيهم :

وقد كُنّا نقول إذا رَأينا لِذى جِسْم يُعَدّ وذِى بَيانِ
كأنك أيها المُعطَى لِساناً وجِسْماً من بنى عَبد المَدانِ

بنو أنف الناقة والحطيئة

وكان بنو حنظلة بن قُريع بن عَوْف بن كعب يقال لهم : بنو أنف الناقة ، يُسَبون[3] بهذا الاسم فى الجاهلية . [وسبب ذلك أن أباهم نحر جزورا وقسم اللحم فجاء حَنظلة ، وقد فرغ اللحم وبقى الرأس ، وكان صبيّا ، فجعل يجره . فقيل له : ما هذا ؟ فقال : أنف الناقة . فلقِّب به ، وكانوا يغضبون منه] حتى قال فيهم الحُطيئة :

(١) فى ن : «من رفعه الله بالمدح» . (٢) فى بعض الأصول : «نجاء» .
(٣) فى بعض الأصول : «يعيبون» .

سِيرِى أُمامَ فإنّ الأكثرين حَصًى ... والأكرمين إذا ما يُنسبون أبَا
قومٌ هُمُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ... ومن يُسوّى[1] بأنف النّاقة الذّنبا

فعاد هذا الاسم فخراً لهم وشرفاً فيهم[2].

بنو نمير وجرير

وكان بنو نُمير أشرافَ قيس وذوائبَها ، حتى قال جرير فيهم :

فغُضّ الطّرفَ إنك من نُمير ... فلا كَعباً بلغتَ ولا كِلابَا

فما بقى نُميرىّ إلا طأطأ رأسه . وقال حَبيب الطّائىّ :

فسوف يَزيدكم ضِعةً هِجائى ... كما وَضع الهجاء بنى نُميرِ

الأعشى والمحلق

وقد كان المحلّق بن حَنْتَم بن شدّاد خاملاً لا يُذكر ، حتى طَرقه الأعشى فى فِتْية وليس عنده إلا ناقة . فأتى أُمه[3] ، فقال : إنّ فتية طَرقونا الليلة ، فإنْ رأيتِ أن تأذنى فى نَحر الناقة ؟ قالت : نعم يا بُنى[4] . فنَحرها واشترى لهم ببعض لحمها شراباً[5] ، وشَوى لهم بعضَ لحمها . فأصبح الأعشى ومَن معه غادِين . فلم يَشْعر المحلّق حتى أتته القصيدةُ التى أولها :

أرِقتُ وما هذا السُّهاد المؤرّقُ ... وما بِىَ من سُقْم ومابى مَعشَقُ[6]

وفيها يقول :

لَعَمْرى لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضَوء نار فى يَفاع تَحرَّقُ
تُشَبّ لمَقْرورَيْن يَصْطليانها ... وبات على النار النَّدى والمحلّق
رَضِيعى لَبانٍ ثَدْىَ[7] أمٍّ تقاسما ... بأسْحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّق[8]
ترى الجودَ يَسْرِى سائلاً فوق وَجهه ... كما زان مَتْنَ الهُندوانىّ رَوْنق[9]

فلما أتته القصيدةُ جَعلت الأشراف[10] تخطب إليه ، ويقول [القائل][11] :

(١) فى بعض الأصول : « يساوى » . (٢) فى ن : « فخرا فيهم وشرفا لهم » .
(٣) فى ا ، ن : « زوجته » . (٤) فى ا ، ن : « قالت : نعم » .
(٥) فى ن : «خمرا» . (٦) انظر الديوان (ص ٣٣) . (٧) ويروى: «تحالفا» .
(٨) بأسحم داج ، يريد سواد حلمة ثدى أمه. يقول: هو والندى رضعا من ثدى واحد .
(٩) فى الديوان : * ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه *
(١٠) فى بعض الأصول : «العرب» . (١١) فى بعض الأصول : « وتقول » .

* وبات على النّار النّدى والمُحلّق *

وقوله « تقاسما بأسحم داج » . يقول : تحالفا على الرماد ، وهذا شيء تفعله الفُرس لئلا يفترقوا[1] أبدا . والعوض : الدهر[2] .

ما يعاب من الشعر وليس بعيب

للأصمعى فى بيت لحسان وآخر لغيره

قال الأصمعيّ : سمعتُ حمّاداً الراوية ، وأنشده رجلٌ بيتَ حَسّان :

يُغْشَون حتى ماتَهِرّ كلابُهم   لا يَسْألون عن السّواد المُقبلِ

فقال : ما يُعرف هذا إلا فى كلاب الحانات . وأنشده آخر قولَ الشاعر :

* لِمنْ مَنزل بين المَذانب والجِسْر[3] *

فقال : مايعرف هذا إلا دار الماسيديين[4] .

فى بيت الفرزدق

ومما يُعاب من الشعر وليس بعيب قولُ الفرزدق :

أيابنةَ عبــد الله وابنةَ مالك   ويا بنت ذى البُردين والفَرس الوَرْدِ[5]

فقال مَن جهل المَعنى ولم يعرف[6] الخبر : ما فى هذا من المدح : أن يُمدح رجل بلباس بُردين ، وركوب فرس وَرْد . وإنما معناه : ما قال أبو عُبيدة : إن وفود العرب اجتمعت عند النعمان ، فأخرج إليهم بُردى مُحرّق . وقال لهم : ليقم ١٤٥/٣

(١) فى بعض الأصول : « لا يفترقوا » .

(٢) ويقال : عوض لا أفعله ، يحلف بالدهر والزمان . وقال ابن الكلبي : « عوض ، فى بيت الأعشى : اسم صنم كان لبكر بن وائل وأنشد لرشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض   وأنصاب تركن لدى السعير

والسعير : اسم صنم لعنزة خاصة » .

(٣) المذانب : جمع مذنب ، بالكسر : وهو مسيل الماء .

(٤) فى بعض الأصول : « الياسريين » . والمعنى على كلتا الروايتين غير ظاهر .

(٥) نسب هذا البيت فى الكامل للمبرد (ص ٣٣٤) والأغانى (١٢ : ١٥٠) لقيس بن عاصم المنقرى ، يخاطب زوجته منفوسة بنت زيد الفوارس الضبي . وجاء البيت فى عيون الأخبار (٣ : ٣٦٣) والحماسة (٧٢٩) غير منسوب ، وقيل فى التعليق عليه إنه لحاتم الطائى يخاطب امرأته مارية بنت عبد الله . وعنى بذى البردين : عامر بن أحيمر بن بهدلة .

(٦) فى بعض الأصول : « ولم يفهم » .

أعزّ العرب قبيلةً فَلْيَلْبَسْهما. فقام عامر بن أُحيمر بن بَهدلة، فائتزر بأحدهما وتردّى بالآخر. فقال له النُّعمان: بم أنت أعزُّ العرب قبيلةً؟ قال: العِزّ والعدد من العرب فى مَعَدّ، ثم فى نِزار، ثم فى مُضَر، ثم فى خِنْدف، ثم فى تَميم، ثم فى سَعد، ثم فى كعب، ثم فى عوف، ثم فى بَهدلة، فمن أنكر هذا من العرب فَلْينافرنى. فسكت الناس. فقال النعمان: هذه عَشيرتك فكيف أنت كما تزعم، فى نَفسك وأهل بَيتك؟ فقال: أنا أبو عشرة وعَمّ عشرة وخال عشرة؛ وأمّا أنا فى نفسى فهذا شاهدى. ثم وَضع قدمَه فى الأرض، وقال: مَن أزالها فله مائة من الإبل. فلم يتعاطَ ذلك أحدٌ. فذهب بالبُردين. فسُمِّى: ذا البُردين، وفيه يقول الفرزدق:

فما تَمّ فى سَعد ولا آل مالك ... غُلامٌ إذا ما سِيل[1] لم يَتبهدلِ

لهمْ وهَب النعمانُ بُردَى مُحرِّق ... بمَجْد مَعَدّ والعديد المُحصّلِ

في بيت للأعشى

ومما يُعاب من الشعر وليس بعَيْب قولُ الأعشى فى فرس النُّعمان، وكان يُسمَّى اليَحموم:

ويأمر لليَحموم كُلّ عشيَّة ... بقَتٍّ وتَعْليق فقد كاد يَسْنَقُ

فقالوا: ما هذا مما يُمدح به أحد من السُّوقة فضلاً عن الملوك. إنه يقوم بفرس ويأمر له بالعلف حتى كادَ يسنق. وليس هذا معناه، وإنما المعنى فيه ما قال أبو عُبيدة: إن ملوك العرب بلغ من حَزمها ونَظرها فى العواقب أنّ أحدهم لا يَبيت إلا وفرسُه مَوقوف[2] بَسرجه، ولجامه بين يديه، قريباً منه، مخافة عدو يفجؤه، أو حال تنقلب[3] عليه. فكان للنعمان فرس يقال له اليَحموم، يتعاهده كُلّ عشية. وهذا مما يتمادح[4] به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بأفنية البيوت.

في بيت لزهير

وبما عابوه، وليس بعَيب، قولُ زُهير:

قفْ بالديار التى لم يَعْفُها القِدَم ... بلَى وغيّرها الأَرياح والدِّيَمُ

[فنَفى ثم حقّق فى معنى واحد]. فنَقض فى عجز هذا البيت ماقال فى صدره،

(١) فى بعض الأصول: «قيل». (٢) فى بعض الأصول: «واقف».
(٣) فى بعض الأصول: «تصعب». (٤) فى بعض الأصول: «تمدح».

لأنه زعم أنَّ الديار لم يَعْفُها القِدَم . ثم إنه أُنتبه من مَرْقده ، فقال : بلى عفاها وغيّرها أيضا الأرياح والدِّيَم . وليس هذا معناه الذى ذهب إليه ، وإنما معناه : أنَّ الديار لم تَعْفُ فى عَيْنه ، من طريق محبّته لها وشغفه بمن كان فيها .

فى بيت لبعض الشعراء

وقال غيرُه فى هذا المعنى ما هو أبين من هذا ، وهو قولُه :

ألا ليتَ المنازلَ قد بَلينا   فلا يَرْمِين عن شَزْرٍ[1] حَزِينَا

فقوله « ألا ليت المنازل قد بلينا » ، أى بَلِى ذِكْرُها ، ولكنّها تتجدّد على طُول البلى بتجدّد ذِكرها .

للحسن بن هانىء فى معنى ما سبق

وقال الحسن بن هانىء فى هذا المعنى ، فلخّصه وأوضحه[2] ، وشنّفه وقرّطه ، حيث يقول :

لمن دِمَنٌ تَزْداد طِيبَ نَسيمِ   على طُول ما أقوتْ وحُسْنَ رُسومِ

تَجافَى البِلَى عنهنّ[3] حتى كأنما   لَبِسْنَ على الإقواء ثوبَ نَعيمِ

لمروان فى شعر لخالد بن يزيد

ومما عِيب من الشّعر وليس بعَيب ، ما يُروى عن مَروان بن الحَكم أنه قال لخالد بن يَزيدَ بن معاوية ، وقد أستنشده من شعره ، فأنشده :

فلو بقيتْ خلائفُ آل حَرْب   ولم يُلْبِسْهم[4] الدّهرُ المَنونا

لأصبح ماء أهلِ الأرض عَذْباً   وأصبح لحمُ دُنياهم سَمينا

فقال له مروان : « منونا » و « سمينا » ، والله إنها لقافية ما أُضطرك إليها إلا العَجْز . وهذا مما لا تَجز فيه ولا عابَه أحدٌ فى قوافى الشعر ، وما أرى العيب فيه

١٤٦/٣

إلا على مَن رآه عيباً ؛ لأنّ الياء والواو يتعاقبان فى أشعار العرب كُلها ، قديمها وحديثها .

وقال عَبيد بن الأبرص :

وكُل ذى غَيْبة يؤوب   وغائبُ المَوت لا يؤوبُ

مَن يسأل الناسَ يَحْرِموه   وسائلُ الله لا يَخيب

---

(١) فى بعض الأصول : « شرف » . (٢) فى ن : « وبينه » .

(٣) فى بعض الأصول : « تلاقى البلى فيهن » .

(٤) فى ا ، ن : « ولم يسلمهم » .

ومثلُه من المحُدَثين :

أجارةَ بَيْتينا أبوكِ غَيُور ... ومَيْسور ما يُرجى لديكِ عَسيرُ[١]

في شعر لذي الرمة

ومما عِيب من الشعر وليس بعيب ، قولُ ذى الرُّمة :

رأيتُ الناسَ يَنْتجِعون غَيثاً ... فقلت لَصَيْدحَ أنتجعى بلالاَ

ولما أنشدوا هذا الشعر بلالَ بن أبى بُردة ، قال : ياغلام ، مُرْ لصيدح بقَتّ من عَلف ، فإنها[٢] هى انتجعَتْنا . وهذا من التعنّت الذى لا إنصاف معه ، لأن قوله «أنتجعى بلالا» إنما أراد نفسه . ومثله فى كتاب الله تعالى : (واسأل القَرْيةَ التى كُنّا فِيها والعِيرَ التى أقْبَلنا فيها) . وإنما أراد أهلَ القرية وأهلَ العِير .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول فى بعض ما يَرتَجز به من شعر :

إليكَ تَعدو قَلِقاً وَضينُها[٣] ... مُخالِفاً[٤] دينَ النَّصارى دينُها[٥]

فجعل الدِّين للناقة ، وإنما أراد صاحبَ الناقة . ولم تزل الشعراء فى مدائحها تصف النُّوق وزيارتَها لمن تمدحه ، ولكنّ مَن طلب تعنّتا وَجده ، أو تجنّيا على الشاعر أدركه عليه ، كما فعل صريعُ الغوانى بالحسن بن هانىء حين لَقِيه ، فقال له : ما يَسلم لك بيتٌ عندى من سَقَط . قال: فأىّ بيت أسْقطتَ فيه[٦] ؟ [قال : أنشدنى أىَّ بيتٍ شئتَ] . فأنشده :

ذَكرَ الصَّبوحَ بسُحرة فأرْتاحا ... وأملّه ديكُ الصَّباح صِياحا

---

(١) البيت لأبى نواس الحسن بن هانىء . (الديوان ٩٨) .

(٢) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « وإنما » .

(٣) الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض يشد به الرحل على البعير . وزاد ابن منظور (وضن) بعد هذا البيت : * معترضا فى بطنها جنينها *

(٤) فى ج : « مفارقا » .

(٥) قال ابن منظور : « وهذه الأبيات يروى أن عمر أنشدها لما اندفع من جمع . وورد فى حديثه : أراد أنها قد هزلت ودقت للسير عليها . قال ابن الأثير : أخرجه الهروى والزمخشرى عن ابن عمر . وأخرجه الطبرانى فى المعجم عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول : «إليك تعدو قلقا وضينها» .

(٦) فى بعض الأصول : « ينسب فيه » .

فقال له : قد ناقضتَ فى قولك ، كيف يُمِلّه ديك الصباح صِياحا ، و إنما يُبشره بالصَّبوح الذى ارتاح له . فقال له الحسن : فأنشدنى أنت من قولك . فأنشده :

عاصَى العَزاء(١) فراح غَير مُفَنَّدِ وأقام بين عَزِيمة وتجــــلُّدِ

قال له : قد ناقضت فى قولك ، إنك قلت :

* عاصى العزاء(١) فراح غير مُفند *

ثم قلت :

* وأقام بين عزيمة وتجلُّد *

فجعلته رائحا مُقيما فى مقام واحد ، والرائح غيرالمُقيم . والبيتان جميعا مؤتلفان(٢) . ولــكنّ من طلب عيباً وجده .

ابن قتيبة وبيت المرقش الأصغر

ومما عابه ابنُ قتيبة وليس بعيب ، قول المُرقِّش الأصغر :

صحا قلبُه عنها على أنّ ذِكْرها(٣) إذا ذُكِرت دارت به الأرضُ قائما

فقال له : كيفَ يَصحو مَن كانت هذه صِفته ؟ والمعنى صحيح ، و إنما ذهب إلى أن حاله هذه ، على ما تقدّم من سوء حاله ، حال صَحْو عنده . ومثل هذا فى الشعر كثير ، لأن بعض الشرّ أهون من بعض .

وقال النبيّ صلى الله عليه وسلّم فى عمّه أبى طالب : إنه أخفُّ الناس عذاباً يوم القيامة ، يُحذَى نعلين من نار يَغلى منهما دماغُه . وهذا من العذاب الشديد ، و إنما صار خفيفاً عند ما هو أشدّ منه . فزعم المُرقّش أنه عند نفسه صاحٍ ، إذ تبدُّل حاله(٤) أسهل مما كان فيه .

مما عيب على أبى نواس

وقد عاب الناسُ على الحسن بن هانئ قَولَه :

وأَخَفْت أهلَ الشرك حتى إنّه لتخافُك النُّطفُ التى لم تخلقِ

(١) فى بعض الأصول : « الغرام » . (٢) فى بعض الأصول : « متخلصان » .
(٣) فى بعض الأصول : « ذكره » . و فى الشعر والشعراء : « روعة » .
(٤) فى بعض الأصول : « حاله إلى » . وفى بعض آخر : « حاله هى » .

١٤٧/٣ فقالوا : كيف تخافه النُّطف التى لم تُخلق ؟ ومجاز هذا قَريب ، إذا لحُظ أنّ كُلَّ من خاف شيئا خافه بجوارحه وسَمْعه وبَصره ولحمه ودمه[١] ، والنُّطف داخلة فى هذه الجملة ، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف النُّطف التى فى أصلابها .

وقال الشاعر :

ألاَ تَرْثِى لمُكتئبٍ يُحبّك لحمُهُ ودمُــه

وقال المَــكفوف :

أُحبكمُ حُبّا على الله أجرُه تَضمّنه الأحشاءُ واللّحمُ والدمُ

العتابى ومنصور النمرى

ولقِى العتّابىُّ منصوراً النَّمرىّ فسأله عن حاله . فقال : إنى لمَدهوش[٢] ، وذلك أنى تركت أمرأتى وقد عَسُر عليها ولادُها . فقال له العتّابى : ألا أدلّك على ما يُسهل عليها . قال : وما هو ؟ قال : أُكتب على رَحِمها « هارون » . قال : وما مَعناكَ فى هذا ؟ قال : ألستَ القائل فيه :

إنْ أخلف القَطرلم تُخلف مواهبُه[٣] أو ضــاق أمرٌ ذَكرناه فيَتّسعُ

فقال : أباَلخلفاء تُعرّض ، وفيهم تَقَع ، و إياهم تَعيب[٤] . فيقال : إنه دخل[٥] على هارون فأعلمه ما كان من قول العَتّابى . فكتب إلى عبد الصمد عمّه [يأمره بقتله . فكتب إليه عبدُ الصمد] يشفع له . فوهبه إياه .

تقبيح الحسن وتحسين القبيح

لبعض علماء الشعر فى معنى هذا العنوان

سُئل بعض[٦] علماء الشعر : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يُصوِّر الباطل

(١) فى بعض الأصول « وروحه » .
(٢) فى بعض الأصول : « إنى لمدهش » . والدهش : ذهاب العقل من الذهل والوله والفزع . يقال : دهش ، كفرح ، ودهش ، كعنى ، فهو مدهوش ، وكرهها بعضهم . وأدهشه الأمر .
(٣) فى ن : « مخايله » .
(٤) فى بعض الأصول : « وإياهم تتوقع وتتبع » .
(٥) فى بعض الأصول : « فغدا على هارون » .
(٦) فى بعض الأصول : « قيل لبعض » .

فى صورة الحق ، والحقَّ فى صورة الباطل ، بلُطف معناه ، ورقَّة فِطْنته ؛ فيُقبِّح الحسنَ الذى لا أحسن منه ، ويُحسن القبيح الذى لا أقبح منه .

الحارث بن هشام فى تحسين القبيح

فمن تحسين القبيح قولُ الحارث بن هشام يعتذر من فراره يوم بَدْر :

اللهُ أعلم ما تركتُ قتالَهم ... حتى رمَوْا مُهرى[1] بأشقرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنّى إن أُقاتل واحداً ... أُقتل ولا يَضْرر عدوّىَ مَشْهدى
فصرفتُ[2] عنهم والأحبةُ فيهمُ ... طمعاً لهم بعقــاب يوم مُفْسِدِ

وهذا الذى سمعه صاحب الهند رُتْبيل[3] ، فقال : يا معشر العرب ، حَسّنتم كل شىء فحَسُن حتى [حَسّنتم] الفرار .

لبشار فى تقبيح الحسن

ومن تقبيح الحسن : قولُ بشّار العُقيلى فى سليمان بن علىّ ، وكان وصل رجلاً وأحسن إليه :

يا سوأةً يُكثر الشيطانُ ماذُكرت[4] ... منها التعجبَ جاءت من سُــليمانَا
لا تَعجبنّ لخَيْرٍ زلّ عن يده ... فالكوكبُ النحس يَسقى الأرضَ أحيانا

لغيره فى تحسين القبيح

وقال غيرُه فى تَحسين القَبيح[5] :

يقولون لى إنّى بَخيل بنائلى ... ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بَخيلِ

للمتلمس فى تقبيح الحسن

وقال المُتلمِّس فى تَقبيح الحسن[6] :

[وحَبْس المال خيرٌ من بُغاه ... وضَربٌ فى البلاد بغَيْر زادِ
وإصلاحُ القليل يزيدُ فيــه ... ولا يَبقَى الــكثيرُ مع الفَسادِ]

ولمحمود الوراق فى تحسين القبيح

وقال محمود الورّاق فى تحسين القبيح :

(١) فى بعض الأصول : « حتى علوا فرسى » .
(٢) فى بعض الأصول : « فصددت » .
(٣) فى بعض الأصول : « زيل » . وانظر الحاشية (٤ ص ١٦٥) من الجزء الأول من هذه الطبعة .
(٤) فى بعض الأصول : « إن ذكرت » . وقد نسب هذان البيتان فيما سيأتى لأبى الأسود .
(٥) فى أكثر الأصول : « فى تقبيح الحسن » .
(٦) فى أكثر الأصول : « فى تحسين القبيح » .

يا عائبَ الفقر ألا تَزدجرْ … عيبُ الغِنى أكبرُ لو تَعتبرْ
مِن شَرف الفَقر ومِن فَضله … على الغِنى إنْ صَحّ منك النَّظر
أنك تَعصِى كى تَنال الغِنَى … وليس تَعصِى اللهَ كى تَفتقر

لجذيمة فى تحسين القبيح

ومن تحسين القبيح، أنه قيل لجَذِيمة الأبرش: ماهذا الوَضَح الذى بك؟ قال: سيفُ الله جلاه[1].

لابن حبناء فى مثله

وقال ابن حَبْناء[2]، وكان به بَرَص:

لا تَحسبنّ بياضاً فىّ مَنْقصةً … إنّ اللَّهاميمَ فى أقرابها بَلَقُ[3]

لمحمود الوراق فى الشيب

وقال محمود الورّاق يمدح الشَّيب:

١٤٨/٣ وعائبٍ عابَنى بشَيْبى … لم يَعْدُ[4] لمّا أَلَمّ[5] وقتَه
فقلت للعائبى[6] بشَيْبى … يا عائبَ الشَّيب لا بلغتَه

لبعضهم فى مثله

وقال آخر:

يقولون هل بعدَ الثلاثين مَلْعبُ … فقلتُ وهل قبل الثلاثين مَلعبُ
لقد جلّ قدرُ الشَّيب إنْ كان كُلّما … بدتْ شَيبةٌ يُعْرَى[7] من اللهو مَرْكب

لأعرابى فى عجوز

وقال أعرابىّ فى عجوز:

أبَى القلبُ إلا أُمّ عمرو وحُبَّها[8] … عجوزاً ومَن يُحبِب عجوزا يُفنَّدِ
كثَوْبِ[9] يمانٍ قد تَقادم عهدُه … ورُقْعتُه ما شِيتَ فى العَين واليَدِ

لبشار فى سوداء

وقال بَشّار العُقَيلىّ فى سوداء:

---

(١) فى بعض الأصول: «سيف الله الذى جلاه».
(٢) هو المغيرة بن حبناء. والذى فى الأصول: «ابن حسان» تحريف. (انظر الشعر والشعراء ٢٤٠ — والمرزبانى ١٠٣ — والأغانى ١١: ١٦٤).
(٣) اللهاميم: جمع لهموم، وهو الجواد السابق يجرى أمام الخيل: والأقراب: جمع قرب، بالضم، وهى الخاصرة. والبلق: التحجيل إلى الفخذين. وفى بعض الأصول: «والبهائم» مكان «اللهاميم».
(٤) فى ن: «لم يأن». (٥) فى بعض الأصول: «أيان».
(٦) فى بعض الأصول: «إذ عرى». (٧) فى بعض الأصول: «غدا».
(٨) فى ن: «ودها».
(٩) فى بعض الأصول: «كبرد».

أشبهك المسكُ وأشبهته قائمــــةً في لونه قاعدَه(١)
لا شكَّ إذ لونُكما واحدٌ أنَّكما من طِينة واحده

الاستعارة

في شرح هذا المنثور

لم تزل الاستعارة قديمةً تُستعمل في المَنظوم والمَنثور . وأحسن ما تكون أن يُستعار المنثور من المنظوم ، والمَنظوم من المنثور . وهذه الاستعارة خفية لا يُؤبه بها (٢) ؛ لأنك قد نقلت(٣) الكلام من حال إلى حال . وأكثر ما يجتلبه(٤) الشعراء ويتصرف فيه البلغاء فإنما يجرى فيه الآخر(٥) على سَنَن الأول . وقلَّ ما يأتى لهم معنى(٦) لم يَسبق إليه أحد ، إمّا فى مَنظوم وإما فى مَنثور ؛ لأن الكلام بعضُه من بعض ، ولذلك قالوا فى الأمثال : ماترك الأول للآخر شيئا . ألا ترى أنّ كعب بن زُهير ، وهو فى الرَّعيل الأول والصدر المتقدم ، قد قال [فى شعره] :

ما أرانا نَقول إلا مُعاراً أو مُعاداً من قولنا مَكْرورا

الأعشى وأبو نواس

ولكن فى قولهم إن الآخِر إذا أخذ من الأول المعنى فزاد فيه ما يُحسنه ويُقرّبه(٧) و يوضحه ، فهو أولى به من الأول ، وذلك كقول الأعشى :

وكأسٍ شربتُ على لذّة وأُخرى تداويتُ منها بهَا

فأخذ هذا المعنى الحسنُ بن هانىء فحسّنه وقرّبه إذ قال:

دعْ عنك لَومى فإنّ اللومَ إغراء وداوِنى بالتى كانت هى الدّاء

القطامى والمرقش

وقال القُطامىّ :

والناسُ مَن يَلْقَ خيراً قائلون(٨) له ما يَشتَهى ولأُمّ المُخطىء الهَبَلُ

أخذه من قول المُرقِّش :

(١) نسب هذا البيت وتاليه فى الأغانى (١٩ : ٧١) لأبى حفص الشطرنجى .
(٢) فى ج : « لها » . (٣) فى ا ، ن : « تقلب » .
(٤) فى ن : « يجلبه » (٥) فى بعض الأصول : « الأمر »
(٦) فى بعض الأصول : « وأقل ما يأتى لهم المعنى الذى » .
(٧) فى بعض الأصول : « ويقويه » . (٨) فى بعض الأصول : « يأملون » .

وَمَن يَلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أمرَه ... ومن يَغْوَ لا يَعدَم على الغيّ لائمَا

ابن الخطيم وبعض المحدثين

وقال قيس بن الخَطِيم :

تَبدَّت لنا كالشَّمس تحت غمامةٍ ... بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجبِ

أخذه بعضُ المُحدَثين فقال :

فشبّهتُها بدراً بدَا منه شِقُّه ... وقد سَترتْ خدًّا فأبدت لنا خَدًّا

وأذْرت على الخدَّين دمعاً كأنه ... تَناثُرُ دُرّ[1] أو ندًى واقعَ الوَرْدا

وأخذه آخر فقال :

١٤٩/٣ يا قمراً للنِّصف من شَهرِه ... أبْدَى ضِياء لثمانٍ بقِيْن

وأخذه بشّار فقال :

ضنت بخدّ وجَلَت عن خَد ... ثم انثنت كالنَّفَس المُرتدِّ

لم يُفسد الآخرُ قولَ الأول ، ولم يكن الأولُ أولى بالمعنى من الآخر .

المؤلف

وقد قلنا فى هذا المعنى ما هو أحسن من كل ما تقدم أو مثله ، وهو قولى :

كأنّ التى يوم الوَداع تعرّضت ... هلالٌ بدا مُحقًا على أنه تَمّ

وأما الاستعارة إذا كانت من المنثور فى المنظوم ، ومن المنظوم فى المنثور ، فإنها أحسن استعارة .

سهل والرشيد

دخل سهلُ بن هارون على الرشيد وهو يضاحك ابنه المأمون ، فقال سهل : [يدعو للمأمون]: اللهم زِدْه من الخيرات ، وابسُط له من البركات ، حتى يكون كُل يوم من أيامه مُوفياً على أمسه ، مقصراً عن غده . فقال له الرشيد : يا سهل ، من رَوى من الشعر أفصحه ، ومن الحديث أوضحه ، إذا رام[1] أن يقول لم يعجزه [القول]؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ما أعلم أحداً سبقنى إلى هذا المعنى. قال: بلى. سبقك أعشى هَمدان ، حيث يقول :

رأيتك[2] أمسِ خيرَ بنى مَعدّ ... وأنت اليوم خيرٌ منك أمسِ

وأنت غداً تزيد الضعفَ خيراً ... كذاك تَزيد سادةُ عبد شَمْس

(١) فى فى بعض الأصول : «وأراد» . (٢) فى بعض الأصول : «حسبتك» .

وقد يكون مثلُ[1] هذا وما أشبهه عن موافقة .

للأصمعي في اتفاق الشاعرين

وقد سُئل الأصمعيّ عن الشاعرين يتّفقان في المعنى الواحد ولم يَسمع أحدُهما قول صاحبه . فقال : عُقول الرجال توافتْ على ألسنتها .

اختلاف الشعراء في المعنى الواحد

في معنى هذا العنوان

وقد تختلف الشعراء في المعنى الواحد ، وكل واحدٍ منهم مُحسن في مذهبه، جارٍ[2] في توجيهه ، وإن كان بعضُه أحسنَ من بعض .

الشماخ وأبو نواس

ألا ترى أن الشَّماخ بن ضِرار يقول في ناقته :

إذا بلّغتِني وحملتِ رَحلي   عَرابةَ فاشرَقي بدَمِ الوَتينِ[3]

وقال الحسنُ بن هانيء في ضِدّ هذا المعنى ما هو أحسن منه في محمد الأمين:

فإذا المطيُّ بنا بَلغْن محمداً   فظُهورهن على الرجال حَرامُ

وقال أيضاً :

أقول لناقتي إذ أبلغتْني[4]   لقد أصبحتِ منّي[5] باليَمينِ

فلم أجعلك للغربان نُحْلاً   ولا قلتُ اشرَقي بدَم الوتين[6]

فقدعاب بعضُ الرواة قولَ الشّماخ واحتجوا في ذلك بقول النبيّ صَلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة التي نجت على ناقة النبيّ صلّى الله عليه وسلّمَ : إني نذرت يا رسول الله إن نجّاني الله عليها أن أنحرها . قال : بئسما جَزَيتِها . ولا نذْر لأحد في مِلْك غيره .

للفرزدق في حسن الهيئة

وقد قالت الشعراء فلم تَزل تمدح حُسن الهيئة وطيب الرائحة وإسبال الثوب . قال الفرزدق :

(١) في بعض الأصول : « على اتفاق » . (٢) في ج : «جائز » .
(٣) عرابة ، هو ابن أوس بن قيظي الحارثي الأنصاري ، من الأجواد المشهورين . أسلم صغيراً . توفي سنة ٦٠هـ (انظر الإصابة) . واشرقي : غصي . والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .
(٤) في ج : « بلغتني » . (٥) في بعض الأصول : « عندي » .
(٦) النحل ، بالضم : الهبة والعطية ، كالنحلة .

بنو دارم قومى ترى حُجزاتِهم عِتاقاً حواشيها رِقاقاً نِعالُها[1]
يَجُرون هُـدّابَ اليمانى كأنهم سُيوفٌ جلاَ الأطباعُ عنها صِقالُها

النابغة

وأول من سبق إلى هذا المعنى النابغة الذُّبيانى فى قوله :

رِقاقُ النِّعالِ طَيِّبٌ حُجزاتُهم يُحَيَّوْن بالرَّيحان يوم السَّباسبِ[2]

١٥٠/٣

لطرفة

وقال طَرَفة :

ثم راحوا عَبَقُ المِسك بهم يُلْحِفُون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

لكثير

وقال كُثيِّر عَزّة فى إسبال الذيول يمدح بعض بنى أُمية :

أشَمُّ من الغادِين فى كُل حُـلّة يَميسون فى صِبْغٍ من العَصْب مُتْقِنِ[3]
لهم أُزُر حُمر الحواشى يَطونها بأقدامهم فى الحضْرمىّ المُلَسَّنِ[4]

وقال فيه أيضاً :

إذا حُلَلَ العَصْب اليمانى أجادَها أَكُفُّ أساتيذ على النَّسج دُرَّب[5]
أتاهم بها الجابى فراحوا عليهمُ تمائمُ[6] من فَضْفاضِهن المُكَعَّبُ[7]
لها طُرُز تحت البَنائق أُدنيت[8] إلى مُرهَفات الحضرمى المُقرَّب

لبعضهم

وقال آخر :

معى كُل فَضفاض القَمِيص كأنه إذا ما سرتْ فيه المُدَام فَنِيقُ

لصريع الغوانى

وخالفهم فيه صريع الغوانى فقال :

لا يَعبق الطيب[9] خدّيه ومَفرقَهَ ولا يُمَسِّح عينيه من الكُحُلِ

---

(١) البيتان من قصيدة طويلة فى مدح سليمان بن عبد الملك وهجاء الحجاج . (الديوان ٦١٨) . والحجزات : جمع حجزة ، السروال والإزار . كنى بعتق الحواشى ورقه النعال عن أنهم سادة من السروات .

(٢) كنى بطيب الحجزات عن عفتهم عن الفجور . ويوم السباسب : عيد النصارى . (انظر اللسان حجز وسبب) .

(٣) فى ج : « مقتن » .

(٤) الحضرمى : النعل المنسوبة إلى حضرموت .

(٥) « فى ج : « أسانيد ... دوب » .

(٦) فى بعض الأصول : « توائم » . (٧) المكعب : الموشى.

(٨) فى بعض الأصول : « أذنيت » . (٩) فى ج : « المسك » .

لدريد

وقال دُريد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله بن الصمة [(١)] ويصفه بتَشمير الثوب:

كَمِيش [(٢)] الإزار خارجٌ نصف ساقه بَعيدٌ عن السوآت طَلّاعِ أنجُدِ

للعجاج

مثل قول الحجّاج :

أنا ابن جَلا وطَلّاعِ الثنايا متَى أَضَعِ العِمامَةَ تَعرفونى [(٣)]

لبعض الشعراء فى تشمير الثوب

وقد يُحمل معناهم فى تَشمير الثوب وسَحبه واختلافهم فيه على وجهين : أحدهما أن يَستحسن بعضُهم ما يَستقبح بعض . والوجه الثانى ، وهو أشبه ، أن يكون لتشمير الثوب موضع ولسحبه موضع ، كما قال عمرو بن معد يكرب :

فيوماً تَرانا فى الخُزوز [(٤)] نجرّها ويوماً تَرانا فى الحَديد [(٥)] عوابسَا

ويوماً تَرانا فى الثَّريد نَدسّه ويوماً ترانا نكسر [(٦)] الكَعكَ يابسا

للأعشى فى عمرو ابن معد يكرب

وقال أعشى بكر لعمرو بن مَعديكرب :

وإذا تجيءُ كتيبةٌ ملمومة شهباء يجتنب الكُماة نِزالَهَا [(٧)]

كنتَ المقدَّم غيرَ لابس جُنَّة بالسَّيف تَضرب مُعلَمًا [(٨)] أبطالها

لمسلم بن الوليد فى ابن مزيد

وقال مُسلم بن الوليد فى يزيدَ بن مَزيد خلافَ هذا كُلّه ، وهو :

تراه فى الأمن فى دِرعٍ [(٩)] مُضاعَفَة لا يأمن الدهرَ أن يدُعى على عَجلِ

ولما أنشده يزيدَ بن مزيد ، قال له : ألا قلت كما قال الأعشى ؟ وأنشده البيتين . فقال : قولى أحسنُ من قوله ، إنه وصفه بالخُرق ، وأنا وصفتك بالحَزم .

(١) فى الأصول : « وقال لبيد بن ربيعة يرثى أخاه عبد الله بن ربيعة » . تحريف . انظر الحماسة (٣٨٠) .

(٢) فى بعض الأصول : « كثل » . تحريف .

(٣) هذا البيت من شعر سحيم بن وثيل ، وقيل لرشيد — رويشد — ابن رميض العنزى . انظر الأغانى (١٢ : ١٤) والكامل للمبرد (٢١٥) .

(٤) فى ا ، ج ، ن : « فى البرود » . (٥) فى بعض الأصول : « الحروب » .

(٦) فى ا ، ج ، ن : « تقسم » .

(٧) كذا فى ا ، ج ، ن . والذى فى الديوان .

* مكروهة يخشى الكماة نزالها *

والذى فى سائر الأصول : « ملومة يخشى العدو نزالها » .

(٨) فى بعض الأصول : « مقدما » . (٩) فى بعض الأصول : « ذا درع » .

بين عبد الملك وأسيلم بن الأحنف

وقال عبد الملك بن مروان لأُسيلم[1] بن الأحنف الأسدىّ: ما أحسنُ شىء مُدحت به؟ قال: قول الشاعر:

أسيلمُ ذاكُمْ لا خَفًا بمكانه ... لعين تُرجِّى[2] أو لأُذْن تَسمَّعُ
من النَّفر الشُّم[3] الذين إذا اعتزَوْا ... وهاب رجالٌ[4] حلقةَ الباب قعقعوا
جلا الأَذفرُ الأَحوى من المسك فَرْقَه ... وطيبُ الدِّهان رأسَه فهو أنزعُ[5]
١٥١/٣ إذا النَّفر السُّود اليمانون حاولوا ... له حَوْكَ بُرديه أدقّوا[6] وأوسعوا[7]

فقال عبد الملك: أحسن من هذا قول أبى قَيس بن الأَسلت:

قد حَصَّت البيضةُ رأسى فما ... أطعَم نَوْمًا غـيرَ تَهجاعِ[8]
أسعى على جُلِّ[9] بنى مالكٍ ... كُل امرىء فى شأنه ساعى

لبعضهم

وقال بعضُهم:

سألتُ المُحبين الذين تحمّلوا ... تباريحَ هذا الحب فى سالف الدّهرِ
فقالوا شفاء الحب حبٌّ يُزيله ... لأُخرى وطُولٌ للتّمادى على الهجرِ[10]

الحمدونى

وقال الحمدونى ما هو أحسن من هذا المعنى فى ضدّه، وهو قولُه:

زَعموا أنّ من تشاغل بالحُـــبِّ سَلا عن حَبيبه وأفاقا

---

(١) كذا فى الكامل للمبرد (١٠٣) والبيان والتبيين. والذى فى الأصول: «الأسلم».
(٢) كذا فى بعض الأصول والبيان: والذى فى سائر الأصول: «تراءى».
(٣) فى الكامل: «البيض».
(٤) فى بعض الأصول: «الرجال». وفى رواية: «اللئام». يصف الممدوح بأنه من القوم الكرام الذين يقدمون على الملوك بعرف أحسابهم ولا يهابون قعقعة أبوابهم، فعل من خلت أحسابهم وقصرت هممهم.
(٥) كذا فى الأصول والبيان. وجلا: كشف. والأذفر: الذكى الريح. والأحول: الذى يضرب إلى السواد. والفرق: موضع الفرق من الرأس. والأنزع: الذى انحسر مقدم شعر رأسه عن جانبى الجبهة. ورواية البيت فى الكامل:
جلا المسك والحمام والبيض كالدمى ... وفرق المدارى رأسه فهو أنزع
(٦) فى بعض الأصول: «أرقوا». (٧) فى الكامل:
إذا النفر السود اليمانون نمنموا ... له حول برديه أجادوا وأوسعوا
(٨) حصت: أذهبت شعره.
(٩) فى بعض الأصول: «حى». وما أثبتنا من سائر الأصول والكامل.
(١٠) فى ا، ج، ن: «لآخر فى طول التمادى».

كذبوا ما كذا بلونا ولكن لم يكونوا فيما أرى عشّاقا
كيف أسلو بلذة عنك واللـ ـذات يحدثن لى إليك اشتياقا
كلما رمتُ سلوةً تذهب الحر قة زادت قلبى عليكِ احتراقا

كثير ومجنون

وقال كُثَيِّر عزّة :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّلُ لى ليلى بكل سبيلِ

وقال بعضُ الناس : إن كان يحبها فلماذا يحب أن ينسى ذكرها ؟ ألا قال كما قال مجنون بنى عامر :

فلا خفّف الرحمنُ ما بى من الهوى ولا قطع الرحمنُ عن حبها قلبى[1]
فما سرّنى أنى خلىٌّ من الهوى ولو أنّ لى ما بين شرق إلى غرب

وذهب[2] أكثرهم إلى أنّ بُعدَ العهد يُسلى المحب عن حبيبه ، وقالوا فيه :

إذ ما شئتَ أن تسلو حبيباً فأكْثِرْ دونه عددَ الليالِى[3]

لابن الأحنف

وقال العبّاس بن الأحنف :

إذا كنتَ[4] لا يُسليكَ عن تُحبه تناءٍ ولا يَشفيك طولُ تلاقِ
فما أنتَ إلا مُستعيرُ حشاشةً لمُهجةِ نفسٍ آذنتْ بفراقِ

لكثير عزة

وقال كُثَيِّر عزّة :

فإن تَسْلُ عنكِ النفسُ أوتدع الهوى[5] فباليأس تَسلو عنك لا بالتجلّدِ

لبشار

ومثله قولُ بشّار :

ومن حُبها أتمنّى أن يُلاقينى من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها

(١) فى بعض الأصول : « حب » .
(٢) فى بعض الأصول : « وذكر » .
(٣) زيد فى ج بعد هذا البيت :
فإن البارحات موكلات بإذهاب الوصول عن الوصال
وقد ذكر البيت الأول مع بيت آخر فى معجم الشعراء للمرزبانى (ص ١٣٠) منسوبين لزهير بن جناب .
(٤) فى بعض الأصول : « كان » .
(٥) فى بعض الأصول : « الصبا » .

كما أقول فِراقٌ لا لِقاءَ له ... وتُضمر النفسُ يأساً ثم تَسلاها

وهذه المذاهب كلها خارجة من معناها ، حائرة فى مجراها .

لابن جندب وصريع الغوانى

وقال عبدُ الله بن جُندب :

ألا يا عبادَ الله هـذا أخوكمُ ... قتيلاً فهل منكم له اليومَ واترُ[1]

خذوا بدَمى إن متُّ كلَّ خَريدة[2] ... مريضةِ جَفْنِ العَينِ والطَّرفُ ساهرُ[3]

وقال صَريع الغوانى فى ضدّ هذا :

أدِيرا علىّ الراحَ لا تَشرَبا قَبلِى ... ولا تَطلُبا من عند قاتلتى ذَحْلِى

وقولُ[4] عبد الله بن جُندب أحسن فى هذا المعنى ، لأنه إنما أراد أن يَدُل

١٥٢/٣ على موضع ثأره واسم قاتله ، ولم يُرد الطلب بالثأر لأنه لا ثأر له .

لابن عباس والفرزدق

وقد قال عبدُ الله بن عبّاس ، ونَظر إلى رجل مُدنف عِشقاً :

* هذا قتيلُ الحُبِّ لا عَقْل ولا قَوَد[5] *

وقال الفرزدق ، وأراد مذهب ابن جُندب فلم تُواته رقّة الطَّبع ، فخرج إلى أجْفى القول وأقبحه[6] ، فقال :

يا أُختَ ناجيةَ بنِ سامةَ إننى ... أخشى عليكِ بَنِىّ إن طَلبوا دَمِى[7]

لَن يَترُكوكِ وقد قتلتِ أباهمُ ... ولو ارتقيتِ إلى السماء بسُلَّم

لابن أخت تأبط شرا

وقال ابنُ أخت تأبط شرّا يرثى خالَه ، وقتلته هُذيل :

(١) فى ا ، ج ، ن : « به اليوم ثائر » .

(٢) فى بعض الأصول : « مليحة » . (٣) فى بعض الأصول : « ساهر » .

(٤) فى بعض الأصول : وقالوا وعبد الله ... الخ » .

(٥) انظر الموشح للمرزبانى (٢٩١) .

(٦) فى بعض الأصول : « جفاء القول وأقبحه » :

(٧) لم يرد هذا البيت فى الديوان (٧٧٨) . وبين أبيات القصيدة بيتان يتفق صدر أحدهما وعجز الآخر ، نوع اتفاق مع صدر هذا البيت وعجزه ، وهما :

لن يقبلوا دية وليسوا أو يروا ... منى الوفاء ولن يروه بنوم

لو كنت فى كبد السماء لحاولت ... كفاى مطلعا إليك بسلم

شامِسٌ فى القُرِّ حتى إذا ما ذَكَت الشِّعرى فبرْدٌ وظِلّ[1]
ظاعِنٌ بالَحزم[2] حتى إذا ما حَلّ حَلّ الحَزمُ[2] حيث يَحل

لبعض الأعراب

أخذ معنى البيت الأول أعرابىّ فسهّل معناه وحسَّن ديباجته ، فقال :

إذا نزل الشِّتاء فأنت شمسٌ وإن نزل المَصيف فأنت ظِلٌّ

الحسن بن هانىء

وأخذ معنى البيت الثانى الحسنُ بن هانىء فقال فى الخَصيب :

فما جازه جُودٌ ولاَ حلّ دونه ولكنْ يصير الُجود حيثُ يصيرُ

لابن أبى حفصة وغيره فى الخيال

وقالوا فى الخَيال فحيّوه [بالسلام] ورحّبوا بِهِ ؛ فمن ذلك قولُ مروان ابن أبى حَفْصة:

* طرقَتْك زائرةً فحيِّ خيالَها *

وقال آخر :

* طَرق الخَيالُ فحيِّه بسَلامِ *

وعلى هذا بُنيت أشعارهم . وخالفهم جَرير فطَرد الخيال ، فقال :

طرقَتْك صائدة[3] القُلوب وليس ذا وقت[4] الزيارة فارجعى بسلامِ

وأولُ من طَرد الخيال طرفةُ فقال :

فقُل لخيال الحَنظليّة يَنقلبْ إليها فإنّى واصلٌ حَبلَ مَن وَصَلْ

وأعجبُ مِن هذا قولُ الرّاعى الذى هجا الخَيال فقال :

طافَ الخيالُ بأصحابى فقلتُ لهم أأُم شَذرة[5] زارتْنى أم الغُولُ

---

(١) ذكر الشعر فى الحماسة على أنه لتأبط شرا . وقيل إنه لخلف الأحمر . وجزم به التبريزى فى شرحه ، وقال : « ومما يدل على أن هذا الشعر مولد ، أنه ذكر فيه سلعا ، وهو بالمدينة . وأين تأبط شرا من سلع» .

(٢) فى ا ، ج ، ن : « بالحر » . وما أثبتنا من سائر الأصول والحماسة .

(٣) كذا فى ا ، ن والديوان (٥٥١) . والتى فى سائر الأصول : « زائرة » .

(٤) فى بعض الأصول والموشح (١٦٧) : « حين » .

(٥) فى بعض الأصول : « أم سدرة» . وما أثبتنا من سائر الأصول والشعر والشعراء (٢٤٨) .

لا مرحباً بابنة الأقيال[1] إذ طَرقت كأنّ مَحجرها بالقار مَكْحول

لامرىء القيس فى اختلاف المعنى

وقد يختلف معنى الشاعر أيضاً فى شعر واحد بقوله ، ألا ترى أن امرأ القيس قال [فى شعره] :

وإن تك قد ساءتك منّى خليقةٌ فسُلِّى ثِيابى مِن ثيابك تَنْسُل

فوصف نفسَه بالصبر والجَلَد والقوة على التهالك ، ثم أدركْته الرقةُ والأشتياق فقال فى البيت الذى بعده :

أغرّكِ منّى أنْ حُبّكِ قاتِلى وأنّك مهما تأمرى القلبَ يَفعلِ

مُستدركاً قولَه فى البيت الأول :

* فسُلى ثيابى من ثيابك تَنْسُل *

لأبى الشيص وغيره فى الغراب والإبل

ولم يزلْ من تقدم من الشعراء وغيرهم مُجمعين على ذَم الغُراب والتشاؤم به ، وكأن أسمَه مُشتقّ من الغُربة ، فسمَّوْه غراب البَيْن ، وزعموا أنه إذا صاح فى الديار أقوتْ[2] من أهلها . وخالفهم أبو الشِّيص ، فقال ما هو أحسن من هذا ، وأصدقُ من ذلك كُله ، وهو قولُه:

ما فرّق الأحباب بعـــد الله إلا الإبلُ
والناس يَلْحَوْن غُرا ب البَيْن لمّـا جَهلوا
وما إذا صاح غُرا بٌ فى الدِّيار أحتملوا
وما على ظَهر غُرا ب البَين تُطْوى الرَّحل
وما غُراب البين إلا ناقةٌ أو جَمل

وقال آخر فى هذا المعنى وذَكَر الإبل :

لحَىْ الوَحى إذ كُنّ عَوْناً على النّوى ولا زال منها ظالعٌ وكَسير[3]

(١) فى بعض الأصول : « الأقيال » .
(٢) فى بعض الأصول : « أقفرت » .
(٣) فى ن ، ع : « وحسير » .

وما الشُّؤم فى نَعْب الغُراب ونَعْقه … وما الشُّؤم إلا ناقة وبَعير

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

نعب الغُراب فقلتُ أكْذبُ طائرٍ … إن لم يُصدِّقه رُغاء بَعيرِ

رِدْءُ الجمال هو المُحقِّق للنَّوى … بل شَرُّ أحلاس لهنّ وَكُورُ[1]

لابن جدار

وقد يأتى من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء ، مُنفردٌ فى غرائبه وبديع صنعته ولطيف تَشْبيهه ، كقول جعفر بن جِدار[2] ، كاتب ابن طُولون :

كم بين بارِى وبين بَمّا … وبين بَوْن إلى دِمَمّا[3]

من رَشأ أبيض التَّراقى … أغْيدَ ذى غُنَّة أحَمّا[4]

وطَفْلة رَخْصة المَدارِى … لَيست تُحَلّى ولا تُسمّى[5]

إلّا بسِلْك من اللآلى … يُعْجِز من يُخرج المُعَمّى

صُغرى وكُبرى إلى ثلاثٍ … مثل التَّماثيل[6] أو أتمّا

وكَم ببَمّ وأرضِ بَمّ … وكم[7] برَمّ وأرْض رَمّا[8]

مِن طَفلة بَضّة لَعوب … تلقاك بالُحسن مُستَتِمّا

مُنهن رَيّا وكيف رَيّا … رَيّا إذا لاقت المَشَمّا

---

(١) الرد ، بالكسر : الظهر . وأحلاس : جمع حلس ، وهو كل شىء ولى ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج . والكور ، بالضم : الرحل .

(٢) كذا فى ا ، ح ، ن . وإحدى روايتى ياقوت (٢ : ٤١٥) والكندى (٢٢ ، ٢٢٤) . وفى رواية ياقوت الأخرى : « حذار » . والذى فى سائر الأصول : « جرار » .

(٣) بارى ، بكسر الراء : قرية من أعمال كلواذا من نواحى بغداد ، وكان بها بساتين ومنتزهات يقصدها أهل البطالة . وبم : مدينة من مُدن كرمان . وبها نهر جارو بساتين . وبون : بليدة بن هراة وتيستور . ودما : قرية كبيرة على الفرات قرب بغداد .

(٤) الأحم : الأسود ؛ وقيل الأبيض .

(٥) فى بعض الأصول : « المراثى » مكان « التراقى » . و « تجلى » مكان « تحلى » .

(٦) فى ا ، ن : « التهاليل » .

(٧) فى بعض الأصول : « وأرض » . (٨) رم ، بالفتح : موضع بفارس .

لو شَمَّها طائرٌ بدوٍّ ... لَخرّ فى التُّرب[1] أو لهمّا
تَسحب ثوبين[2] من خَلُوق ... قد أفنيا زَعفرانَ قُمّا[3]
كأنما جُلّيا[4] عليها ... من طِيب[5] ما باشَرا وشَمّا
فألفيا زعفرانَ قُم ... فانغمسا فيه واستحمّا
فهى نظير اسمها المُلَّى[6] ... يفوح لا مِرْطها المُدمّا[7]
هيهاتَ يا أختَ آل تَيْمٍ ... غَلطتُ فى الاسم والمُسَمَّى
لو كان هذا وقيل سَمّ ... ماتَ إذاً من يقول سَمّا
قد قلتُ إذ أقبلتْ تَهادى ... كطَلعة البـــدْر أو أتمّا
تُومى بأسْروعة وتُخْفِى ... بالبُرْد مثلَ القِداح حُمّا[8]
لو كنتُ ممن لكنت ممّا ... لكنّنى قد كبِرتُ عمّا
عاتبنى الدهرُ فى عِذارى ... بأحرُفٍ فارعويتُ لمّا
قوّس ما كان مُستقيماً ... وأبيضّ ما كان مُدْلَهِمّا
وكيف تَصبو الدُّمى إلى مَن ... كان أخاً ثم صار عَمّا
بى عنكِ يا أختَ أهلِ تَيْمٍ ... شُغْل بما قد دنا مُهِمّا[9]
فلستُ من وجهكِ المُفدَّى ... ولستُ من قَدِّكِ المُحمَّى
أذهلنى عنكِ خوفُ يوم ... يَحيا له كلُّ من ألمّا[10]

(١) فى بعض الأصول : « فى الجو » .
(٢) فى بعض الأصول : « ذيلين » .
(٣) قم ، بالضم : بين أصبهان وساوة . وفى بعض الأصول : « فا » بالفاء .
(٤) فى بعض الأصول : « أجليا » .
(٥) فى بعض الأصول : « طول » .
(٦) فى بعض الأصول : * فهل تظن أن اسمها المريا *
(٧) المرط : كساء من خز أو صوف أو كتان . وقيل هو الثوب الأخضر . والمدم ، أى المطلى بالزعفران .
(٨) فى بعض الأصول : « جما » .
(٩) فى بعض الأصول : « أتى وجما » . (١٠) فى بعض الأصول : « ما أرما »

ما كسبته يداى وَهْنا[١] … خيراً وشرًّا أصبت ثَمَّ
تُحشر فيه الجِنان زَفًّا … وتُحشر النّار فيه زمّا
تقول هذى لطالبيها … هَيتَ وهذى لهم هَلُمّا
نفسىَ أولى بأنْ أذُمّا … من أمرها كل ما استُذمّا ١٥٤/٣
يانفسُ كم تُخدعين عمّا[٢] … بلُبس داج[٣] وأكل لَمّا[٤]
رعيتِ من ذى الحُطام مَرْعًى … جمعتِ أكلاً له وذمّا
وَيحكِ فاستيقظى ليوم … يحيا له كل من أرمّا[٥]
ألم تَرَىْ يُونس بن عَبْد الْ … أعلى غدا صامتاً فصُماً
فى حُفرة ما يُحِير حَرفاً … قد دُكّ من فوقها وطمّا[٦]
والمُزَنىّ الذى إليه … نَعشو إذا دَهرُنا أدلمّا[٧]
أخفى فؤادى له عَزائى … لكنْ زفيرى عليه نمَّا
كأنما خُوِّفا فخافا … أو حُذِّرا كاساها[٨] فصُما
أقبل سَهْم من الرّزايا … فخَصّ أعلامنا وعَمّا
دَكدك منّا ذُرا جبالٍ … شامخةً فى السماء شُمّا
وخَصّنا دون مَنْ عليها … وزاد همًّا بنا وغَمّا[٩]

(١) فى بعض الأصول : « يدى رهنا » :
(٢) فى بعض الأصول : « لما » .
(٣) داج ، أى سابغ .
(٤) فى ن : « عما » .
(٥) أرم : بلى وفنى . وفى بعض الأصول : «تغدو لما قبله مصيا» .
(٦) هو أبو موسى المصرى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة . من كبار الفقهاء . صحب الشافعى وأخذ عنه . وتوفى بمصر سنة ٢٦٤ هـ (انظر تهذيب التهذيب ١١ : ٤٤٠ — وفيات الأعيان)
(٧) المزنى: هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل . صاحب الإمام الشافعى ، كان من أهل مصر . وكانت وفاته سنة ٢٦٤ هـ (انظر وفيات الأعيان) .
(٨) فى بعض الأصول : « جاشاها » .
(٩) فى بعض الأصول : « فداومتنا نم وغما » .

قد قَرُب الموتُ يا بنَ أُمّا فبادر المَوت يا بن أُمّا
واعلم بأنَّ مَن عصاك جهلا[1] مِن التُّقى لم يُطعك هِمّا[2]
هو الهُدى والرَّدى فإمّا أتيت آتى الردى وإمّا
ها أنذا فاعتبر[3] بحالى فى طَبَق مُوصَد مُعَمَّى
قد أسكنتنى الذُّنوبُ بيتاً بخاله الإلف مُستحما
فهل إلى توبة[4] سبيلٌ تكون فيها الهموم[5] كَماً
فنشكر الله لا سواه لعل[6] نُعماه أن تَتِمّا
يانفسُ جِدّى[7] ولا تَميلى فأفضل البِرّ ما أُستُتِمّا
أو أبحثى عن فُلِ بن فُلٍ تَرَيْه تحت التراب رِمّا
لبئس عَبْدٌ يروح بَغياً مع المَساوى تراه دَوّما[8]
فى غَمرة العَيش لا يُبالى أحمده الجارُ أَمْ أذَمّا
كم بين هذا وبين عبد يغدو خميصَ الحشى هضمّا
يقطع آناءه صلاةً ودهره بالصلاح[9] صَوْمَا
إنّ[10] بهذا الكلام نُصحاً إن لم يوافِ القُلوبَ صُمّاً
يارب لِى ألفُ ألفِ ذَنب إن تعفُ يارب فاعفُ جَمّا
فأبرِد بعفوٍ غليلَ قَلب كأنَّ فيه رسيسَ حُمّى[11]

(١) فى بعض الأصول : « ما عصاك كهلا » .
(٢) الهم ، بالكسر : الشيخ البالى . (٣) فى بعض الأصول : « مفاترا فاعتبر » .
(٤) فى بعض الأصول : « لدنياك من سبيل » .
(٥) فى بعض الأصول : « الدهور » .
(٦) فى بعض الأصول : « فقل » .
(٧) فى بعض الأصول : « ردى » .
(٨) فى بعض الأصول : « تيسا تنماطة مخصبا مقيا » .
(٩) فى بعض الأصول : « صار » .
(١٠) فى بعض الأصول : « أبين » .
(١١) فى ا ، ن بعد هنا : « آخر السفر الخامس من الأصل والحمد لله كثيرا على نعمه ومنه . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » .

الغزال [وقال الغَزّال :

لَعَمْرِىَ ما ملَّكتُ مِقْوَدَى الصِّبا فأَمْطوَ للذّات فى السَّهل والوَعْرِ[(١)]
ولا أنا ممّن يُؤثِرِ اللهوَ قلبُـــه فأُمسى فى سُكر وأُصبح فى سكرِ
ولا قارعٌ باب اليهودىّ مَوْهِنًا وقد هَجع النُّوامُ من شَهوة الخمر
وأَوْتَغه[(٢)] الشيطان حتى أصاره من الغَىّ فى بحر أضلّ من البَحر
أُغذّ السُّرى فيها إذا الشَّرْبُ أنكروا ورَهْنِى عند العِلْج ثوبى من الفُجر
كأنّىَ لم أسمع كتابَ محمد وما جاء فى التّنزيل فيه من الزَّجر
كفانىَ من كُل الذى أُعجبوا به قُلَيلة ماء تُستقى لى من النَّهر
ففيها شَرابى إن عَطشتُ وكُلّ ما يُريد عيالى للعَجين وللقِدْر
بخُبْزٍ وبَقل ليس لحمًا وإننى عليه كثيرُ الحمد لله والشُّكر
فيا صاحبَ الُّلحمان والخَمر هل تَرى بوجهى إذا عاينتَ وجهىَ من ضُر
وبالله لو عُمِّرتُ تِســعين حِجةً إلى مثلها ما اشتقتُ فيها إلى خَمْر
ولا طربتْ نفسى إلى مِزْهَرٍ ولا تَحَنَّن قلبى نحو عُود ولا زَمْر
وقد حدّثونى أن فيها مَرارةً وما حاجة الإنسان فى الشُّرب للمُرّ
أخى عُدّ ما قاسيتَه وتقلّبت عليك به الدُّنيا من الخير والشر
فهل لكَ فى الدُّنيا سِوَى الساعةِ التى تكون بها السرّاء أو حاضر الضُّرّ
فما ساق منها لا يُحسّ ولا يُرى وما لم يكن منها عَمِىٌّ عن الفِكر
فطوبَى لعبدٍ أخرج الله رُوحَه إليه من الدنيا على عَمل البِرّ
ولـكننى حُدِّثت أنْ نُفوسَهم هنالك فى جاه جليل وفى قَدْر
وأجسادهم لا يأكل التربُ لحمَها هنالك لا تَبلى إلى آخر الدّهر

(١) فأمطو، أى أسرع.
(٢) كذا فى ح . وأوتغه ، أى قاده إلى الهلـكة . وفى ا ، ن : «توتغه» .

وقال أيضاً :

كتبتُ وشوقٌ لا يُفارق مُهجتى ... ووَجدى بكم مُستحكمٌ وتَذكُّرِى
بقُرطبةٍ قلبى وجِسْمى ببلدة ... نأيتُ بها عن أهل وُدِّى ومَعْشرِى
سقَى الله من مزْن السحائب ثَرّةً ... ديارَكمُ اللاتى حَوتْ كُلّ جُؤذر
بحقّ الهوى أقرِ السلام على التى ... أهيم بها عِشْقاً إلى يوم مَحْشرى
لئن غِبْتُ عنها فالهوى غيرُ غائب ... مُقيماً بقلبِ الهائم المُتفطِّر
كأنْ لم أبِتْ فى ثَوْبها طُولَ ليلةٍ ... إلى أن بَدا وجهُ الصَّباح المُنوّر
وعانقتُ غُصناً فيه رُمّانُ فضَّة ... وقبّلتُ ثغراً ريقُه ريقُ سُكَّر
أأنسى ولا أنسى عِناقَك خالياً ... وضَمّى ونقْلى نظمَ دُرّ وجَوْهر
فوا حَزَنِى أنْ فرّق الدهرُ بيننا ... وكدَّر وَصْلاً منك غير مُكَدّر
لقد غررتْ نفسى بحُبك ضَلّةً ... ولو علمت عُقبى الهوى لم تُغرّر
بكيتُ فما أغنَى البكا عند صُحْبتى ... وشَوقى إلى رِئم من الإنس أحْور
سلامٌ سلام ألفَ ألفٍ مُكرَّر ... ويا حاملاً عنى الرسـالةَ كرِّر
ألا يا نسيمَ الريح بلِّغ سلامَنا ... وصِفْ كلَّ ما يلقى الغريبُ وخبِّر
وقُل لشُعاع الشمس بلِّغ تحيّتى ... سميَّك واقرأها على آل جَعْفر

وقال أيضاً :

أقرِ السلامَ على إلْفٍ كَلِفتُ به ... قد رُمتُ صَبرا وطولُ الشوق لم يَرِمِ
ظَبْى تَباعد عن قُربى وعن نظَرى ... فالنفسُ والهةٌ من شدّة الألم
كُنا كرُوحَين فى جِسم غذاؤهما ... ماءُ المَحبة من هامٍ ومُنْسجم
إلفَيْن هذا بهذا مُغرمٌ كَلِف ... لا واحدٌ فى الهوى منّا بمُتّهمِ
لله تلك الليالى والسُّرورُ بها ... كأنما أبصرتْها العينُ فى الحُلم

فَفرّق الدهرُ شملاً كان مُلتئماً منّا وجَمّع شملاً غيرَ ملتئمِ
ما زلتُ أرعى نُجومَ الليل طالعةً أرجو السلوَّ بها إذ غِبْتُ عن نَجمى
نَجْمٌ من الُحسن مايجرى به فَلَكٌ كأنه الدرّ والياقوت فى النَّظم
ذاك الذى حاز حُسناً لا نظير له كالبدر نُورًا عَلا فى مَنْزل النّعم
وقد تناظَرَ والبِرْجِيسُ فى شَرَفٍ وقارَن الزُّهرةَ البَيضاء فى تَوَم(١)
فذاك يشْبهه فى حُسن صُورته وذا يَزيد بحظّ الشّعر والقَلم
أشكو إلى الله ما ألقى لفُرقته شَكْوَى مُحبّ سَقيم حافِظ الذّمم
لو كنتُ أشكو إلى صُمّ الهِضاب إذاً تفطّرتْ للذى أبديه من ألم
يا غادراً لم يَزل بالغَــدر مُرتدياً أين الوفاء أبِنْ لى غيرَ مُحْتشم
إن غاب جسمُك عن عَينى وعن نَظَرى فما يَغيب عن الأسرار والوَهم
إنى سأبكيك ما ناحتْ مُطوّقةٌ تَبكى أليفاً على فَرْع من القَشم(٢)

ما يجوز فى الشعر مما لا يجوز فى الكلام(٣)

لأبى حاتم فى معنى هذا العنوان

قال أبو حاتم: أبيح للشاعر مالم يُبَح للمتكلم، من قَصْر المدود، ومَدّ المقصور، وتَحريك الساكن، وتَسكين المتحرك، وصَرْف ما لا يَنصرف، وحَذف الكلمة مالم تلتبس بأُخرى، كقولهم: «فل» من «فلان»، و«حم» من «حمام».

لبعض الشعراء فى الحذف

قال الشاعر:

وجاءت حوادثُ مِن مِثلها يقال لِمثلك: ويهاً فُل

لمسلم بن الوليد

وقال مُسلم بن الوليد:

(١) البرجيس: نجم، قيل هو المشترى وقيل المريخ.
(٢) القشم، بالتحريك: شجر جبلى تتخذ منه القسى، وهو من عتق العيدان.
(٣) قبل هذا العنوان فى ج: «الجزء الثانى من الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه. وهو تتمة الجزء الثامن عشر من العقد. بسم الله الرحمن الرحيم. وبه نستعين».

سَلِ الناسَ إنِّى سائلُ اللهِ وحْدَه   وصائنُ وجهى عن فُلان وعن فُلِ

وقال آخر : لبعضهم

* دُعاء حمامات تُجاوبها حَمُ *

ومن المحذوف أيضاً قولُ الشاعر[1] :

لها أشاريرُ من لَحمٍ تُتَمِّره   من الثَّعالِي ووَخْزٌ من أرَانِبِها[2]

١٥٥/٣ يريد « من الثعالب »[3] . ومثله قول الشاعر :

* ولِضَفادِى جمِّه[4] نَقانِقُ *

يريد « الضفادع » .

ومن المحذوف قولُ كعب بن زُهير : لكعب بن زهير

ويلمِّها خَلّةً لو أنها صَدقت   فى وَعدها أو لو أنَّ النُّصح مَقْبولُ

يريد « ويل لأمها » .

ومنه قولهم : « لاه أبوك » يريدون : لله أبوك . وقال الشاعر :

لاه ابنُ عمِّك لا يخا   ف المُبديات من العَواقب

وكذلك الزيادة أيضاً إذا احتاجوا إليها فى الشعر ، فمن ذلك قول زُهير : لزهير فى الزيادة

ثم استمرُّوا وقالوا إنّ موعدَكم[5]   ماء بشرقيّ سَلْمى[6] فَيْدُ أو رَكَكُ

قال الأصمعى : سألت بجنبات فَيد عن رَكك . فقيل : ماء هاهنا يُسمى رَكًّا . فعلمت أن زهيراً احتاج فضعّف ومنه قول القُطامىّ : القطامى

---

(١) هو أبو كاهل اليشكرى . يصف فرخة عقاب . شبه راحلته بها . (انظر اللسان تمر وشر) .

(٢) الأشارير : جمع إشرارة ، وهى القطعة من القديد ، وقيل هى الخصفة أو الشقة يشر عليها الأقط ليجف . والتتمير : التقديد . والوخز : شىء ليس بالكثير . وقبل هذا البيت :

كأن رحلى على شغواء حادرة   ظمياء قد بل من طل خوافيها

(٣) فى ا ، ن : « يريد أرانبها » .

(٤) فى بعض الأصول : « وللضفادى جة » . وفى سائرها : « ولضفادى جة » . وما أثبتنا من اللسان (ضفدع) .

(٥) يروى : « إن مشربكم » . (انظر الديوان ١٦٧ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٦) سلمى ، أحد جبلى طيء ، وثانيهما أجأ . وفيد ، نجد قريب منهما .

وقولُ المرء يَنْفُذُ بعد حِين مواضعَ ليس يَنفُذها[١] الإبارُ[٢]

ومثله قولهم : كَلْكال ، من كلْكل . ونظير هذا كثير فى الشعر لمن تتبّعه .

لحسان فى قصر الممدود

وأما قَصرهم المَمدود فجائز فى أشعارهم ، ومدّ المقصور عندهم قَبيح . وقد يُستجاد فى الشعر على قُبحه ، مثلُ قول حسّان بن ثابت :

قَفاؤُك أحسن من وجهه وأمك خيرٌ من المُنذرِ[٣]

لبعضهم

وأنشد أبو عُبيدة :

يا لكَ من تَمْرٍ ومن شِيشاءِ يَنْشَبُ فى المَسْعَلِ وفى اللهاءِ[٤]

فمد اللّهى ، هو جمع لهاة : كما قالوا : قطاة وقطى ، ونواة ونوى .

للبيد فى تسكين المتحرك

أما تحريك الساكن وتسكين المتحرك ، فمن ذلك قول لَبيد بن ربيعة :

تَرّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرْضَها أو يَرْتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها

لامرىء القيس فى مثله

ومثله قولُ امرىء القيس :

فاليوم أشربْ[٦] غيرَ مُسْتحقب إثماً من الله ولا واغلِ[٥]

لأمية بن أبى الصلت

وقال أمية بن أبى الصّلت :

تأبَى فما تَطلعْ لهم فى وقتها إلا مُعذَّبةً وإلا تُجْلَدُ

لبعضهم فى تحريك الساكن

ومن قولهم فى تحريك الساكن :

اضْرِبَ عنك الهمومَ طارقَها ضَرْبَك بالسَّوط قَوْنَسَ الفَرسِ[٧]

---

(١) فى الديوان (٨٨) واللسان (أبر) : « أما كن لا تجاوزها » .

(٢) ظاهر أن مكان الشاهد فى « الإبار » أنها مزيدة بألف . والذى فى اللسان (أبر) : « والإبرة : مسلة الحديد . والجمع : إبر وإبار » ثم أورد البيت .

(٣) قبله كما فى الديوان :

نبئت أن أبا منذر يساميك للحارث الأصغر

(٤) الشيشاء : التمر الذى لا يشتد نواه .

(٥) كذا فى الأصول والديوان . والذى فى اللسان (حقب) « أسقى » . وعلى هذه الرواية فلا شاهد .

(٦) غير مستحقب : غير محتمل . والواغل : الآثم .

(٧) قونس الفرس : ما بين أذنيه . وقيل : عظم ناتىء بين أذنيه . وقد أنشد ابن منظور البيت فى اللسان (قنس) وقال : « أراد اضربن ، فحذف النون . قال ابن برى : والبيت لطرفة ، ويقال إنه مصنوع عليه » .

لابن مرداس فى صرف ما لا ينصرف

وأما صَرف مالا يَنصرف عندهم فكثير ، والقَبيح عندهم ألاّ يُصرف المُنصرف ، وقد يُستجاد فى الشعر على قُبحه . قال عبّاس بن مِرْداس :

وما كانَ بَدْرٌ ولا حابِس يفوقان مِرداس فى المَجمع[(١)]

لبعضهم فى تسكين المتحرك

ومن قولهم فى تَسكين المُتحرِّك، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه :

عَجِب الناسُ وقالُوا شِعْرُ وضّاح اليَمانى[(٢)]
إنما شِعرىَ قَنْدٌ قد خُلِطْ بجُلجُلان[(٣)]

ولو حرك « خلط» اجتمع خمس حركات .

باب ما أدرك على الشعراء

ما أدرك على امرىء القيس

١٥٦/٣ قال أبو محمد عبد الله بن مُسلم بن قُتيبة : أدركتِ العلماء بالشعر على امرىء القيس قولَه :

أغرّك منّى أنّ حُبك قاتلى وأنك مهما تأمُرى القلبَ يفعلِ

وقالوا : إذا لم يَغُرّ هذا فما الذى يَغُر ؟ ومعناه فى هذا البيت يناقض البيت الذى قبله ، حيث يقول :

وإنْ كُنتِ قد ساءتكِ منى خليقةٌ فسُلِّى ثِيابى من ثيابك تَنْسُلِ

لأنه ادّعى فى هذا البيت فضلاً للتجلُّد وقُوة الصبر بقوله :

* فسُلِّى ثيابى من ثيابك تنسُل *

وزعم فى البيت الثانى أنه لا تَحمُّل فيه للصبر ، ولا قُوة على التمالك ، بقوله :

* وإنك مهما تأمُرى القلبَ يَفْعَلِ *

وأقبح من هذا عِندى قولهُ :

فظَلّ العَذارى يَرْتمين بلَحْمها وشَحْمٍ كهُدّاب الدِّمَقْس المُفَتّلِ

(١) فى ا ، ن : « وما كان حصن . . . فى مجمع » .
(٢) فى اللسان (جلل) : « الكنانى » .
(٣) القند : عصارة قصب السكر إذا جمد . والجلجلان : حب الكزبرة . وقيل هو السمسم . والرواية فى اللسان (جلل) : « ملح » مكان « قند » .

ما أدرك على زهير

ومما أُدرك على زُهير قولُه فى الضفادع :

يخرُجن من شَرَبات ماؤها طَحِلٌ ... على الجُذوع يخَفْن الغَمَّ والغرَقا[(١)]

وقالوا : ليس خروج الضفادع من الماء مخافة الغمّ والغرق ، و إنما ذلك لأنهن يَبِتْنَ فى الشُّطوط .

ما أدرك على النابغة

ومما أُدرك على النابغة قولُه يصف الثَّور :

تَحِيد عن أَسْتَن سُودٍ أسافلُه ... مثل الإماء الغوادِى تَحْمل الحُزَمَا[(٢)]

قال الأصمعىّ : إنما تُوصف الإماء فى مثل هذا الموضع بالرَّواح لا بالغُدو ، لأنهن يجئن بالحَطبِ إذا رُحن ؛ قال الأخْنَس التَّغلبىّ[(٣)] :

تَظلّ بها رُبْدُ النَّعام كأنها ... إماءٌ يَرُحن[(٤)] بالعَشىّ حَواطبُ

وأُخذ عليه[(٥)] فى وصف السيف قولُه :

يَقُدّ السَّلوقىَّ المُضاعَفَ نَسْجُه ... ويُوقِد بالصُّفّاح نارَ الحُباحِبِ[(٦)]

فزعم أنه يَقُدّ الدِّرع المضاعفة والفارس والفرس ، ثم يقع فى الأرض فيقدح النار من الحجارة ، وهذا من الإفراط القَبيح . وأقبح عندى من هذا فى وصف المرأة قولُه :

ليستْ من السُّود أعقاباً إذا انصرفتْ ... ولا تَبيع بأَعلى مكّةَ[(٧)] البُرَمَا[(٨)]

---

(١) الشربات : حياض تحفر فى أصول النخل من شق واحد فتملأ ماء . فإذا بلغت أن تملأ فهو رى النخلة . وطحل : قد اخضر مما يصب فيه من الماء . وقيل : طحل : كدر .

(٢) يصف النحوص فى بيت سابق ، وهى الأتان الحائل . والأستن : شجر يفشو فى منابته ويكثر ، إذا نظر الناظر إليه من بعد شبهه بشخوص الناس .

(٣) فى ا ، ن : « الأخفش » وفى سائر الأصول : « الأخطل » تحريف . والبيت من قصيدة للأخنس بن شهاب التغلبي فى المفضليات (ص ٤٤) ،

(٤) فى المفضليات : « تزجى » أى تساق . (٥) يريد النابغة .

(٦) أورد البيت فى وصف سيف ، وهو فى القصيدة للسيوف ، وروايته فى الديوان : « تقد » و « توقد » . وفى الصحاح : « ويوقدن » . والسلوقى : الدرع المنسوبة إلى سلوق ، قرية باليمن . والصفاح : الحجر العريض ، ونار الحباحب : ما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة .

(٧) فى الديوان : « بجنبى نخلة » .

(٨) البرم : جمع برمة ، وهى القدر من النحاس . يريد أنها مصونة مخدرة ، لا تمتهن بخدمة .

ومما أُخذ عليه قولُه :

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ مَتينةٍ ... تُمَدُّ بها أيدٍ إليكَ نَوَازِعُ

فشبه نفسه بالدَّلو، وشبه النُّعمان بخَطاطيف حُجن، يريد خطاطيف مُعوجة[(١)] تُمدُّ بها الدلو[(٢)] .

وكان الأصمعىّ يُكثر التعجّب من قوله:

وعَيَّرتْنى بنوذُبيانَ خَشْيَتَه[(٣)] ... وهل علىَّ بأن أخشاكَ من عارِ

ما أدرك على المتلمس

ومما أدرك على المُتلمِّس قوله :

وقد أتناسى الهمَّ عنـد احتضاره ... بناجٍ عليـه الصَّيعريّة مُكْدَمِ[(٤)]

والصيعرية : سِمة للنوق ، فجعلها صفة للفَحْـل . وسمعه طرفة وهو صبى يُنشد هذا البيت ، فقال : استنوق الجمـل . فضحك الناس ، وصارت مثلا .

وأُخذ عليه أيضا قولُه :

أحارثُ إنّا لو تُساط دماؤنا ... تَزايلْنَ حتى لا يَمسّ دمٌ دمًا[(٥)]

وهذا من الكَذب المُحال .

ما أدرك على طرفة

ومما أدرك على طَرفة قوله :

١٥٧/٣ أُسْدُ غِيـلٍ فإذا ما شَربوا ... وَهَبوا كُلَّ أَمُونٍ وطِمِرّْ

ثم راحوا عَبقُ المسكِ بهم ... يُلحِفون الأرضَ هُدّابَ الأُزُرْ

---

(١) فى ا ، ن : « معقفة » .

(٢) هذا توجيه للبيت . وقيل فيه مع بيت قبله هو :

فإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن خلتأن المنتأى عنك واسع :

يقول : ضاقت الدنيا على فكأنى من ضيقها فى بئر ، وإذا أردتنى وأمرت بسوقى إليك فأنا أمد بالخطاطيف إليك لا أجد غيرك .

(٣) كذا فى أ كثر الأصول والديوان . والذى فى ا ، ن : « رهبته » .

(٤) أنشد ابن منظور البيت فى اللسان (صعر) ونسبه المسيب بن علس. وكذلك أنشده المرزبانى فى كتاب معجم الشعراء (ص ٧٦) منسوبا للمسيب أيضا . وأورد حديثا قريبا من هذا الحديث الذى ساقه ابن عبد ربه حول البيت. وروايته فى ا ، ن : « وأدفع عنى الهم عند احتضاره » .

(٥) تساط: تخلط . والتزايل : التباين. ويروى: «تزيلن » والبيت فى اللسان (زيل) .

فذكر أنهم يُعطون إذا سَكروا، ولم يَشترط لهم ذلك إذا صَحَوْا، كما قال عنترة:

وإذا شربتُ فإننى مُستهلكٌ ... مالِى وعِرْضى وافِرٌ لم يُكْلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقصِّر عن ندًى ... وكما عَلمتِ شمائِلى وتكرُّمى

ما أدرك على عدى

ومما أدرك على عدىّ بن زَيد قولُه فى صِفة الفَرس:

فضافَ يُفرِّى جُلَّه عن سَراته ... يَبُذُّ الجِيادَ فارهاً مُتتابعاً[1]

ولا يقال للفرس: فاره؛ وإنما يقال له: جواد وعَتيق. ويقال للكَوْدن[2] والبَغْل والحمار: فاره.

ما أدرك على الأعشى

ومما أدرك عليه وصفهُ الخمر بالخُضرة، ولا نعلم أحداً وصفها بذلك، فقال:

المُشْرِفُ الهِندىّ يُسْقَى به ... أخضَر مَطْموثاً بماء الخَرِيص[3]

ومما أُدرك على أعشى بَكر قولُه:

وقد غَدوتُ إلى الحانوتِ يَتْبعنى ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلولٌ شُلشُلٌ شَوِلُ[4]

وهذه الألفاظ الأربعة فى معنى واحد.

ما أدرك على لبيد

ومما أدرك على لَبيد قوله:

ومُقامٍ ضَيِّقٍ فرَّجْتُه ... بمَقامى ولسانى وجَدَلْ
لو يقوم الفِيلُ أو فَيَّالُه ... زلَّ عن مِثل مُقامى وزَحَلْ

فظن أن الفَيَّال أقوى الناس، كما أن الفِيل أقوى البهائم.

ما أدرك على ابن أحمر

ومما أدرك على عمرو بن أحمر الباهلى قولُه يصف المرأة:

لم تدر ما نَسْجُ اليَرَندج قبلَها ... ودِراسُ أعْوصَ دارِسٍ مُتجدِّدِ[5]

---

(١) ضاف: مال ودنا. ويبذ: يكف ويبعد. (٢) الكودن: البرذون الهجين.

(٣) المشرف: إناء كانوا يشربون به. والمطموث: الممسوس. والخريص: شبه حوض واسع ينبثق فيه الماء من النهر ثم يسود إليه. وروى ابن الأعرابى: «كماء الخرص»؛ قال: وهو البارد. والذى فى اللسان (خرص): «والعيوف المصفول».

(٤) الشاوى: الذى يشوى. والمشل: الجيد السوق للإبل، وهو الخفيف. والشلشل: المتحرك. والشول: الذى يحمل الشىء. وفى بعض الأصول: «شلل» مكان «شول».

(٥) متجدد، أى مايظهر منه جديد وما لم يظهر دارس. ويروى: «متخدر». بالخاء المعجمة، أى يغمض أحيانا فلا يرى.

اليَرَندج : جلود سُود . فَظَنّ أنه شىء يُنْسج[١] . ودِراس أعوص ، يريد أنها لم تُدارِس الناسَ عَويص الكلام الذى يخفى أحيانا ويَتبيّن أحيانا .

وقد أتى ابنُ أحمر فى شعره بأربعة ألفاظ لم تُعرف فى كلام العرب ، منها : أنه سمّى النارَ ماموسةً ، ولا يُعرف ذلك ، فقال :

* كما تَطايَح[٢] عن مامُوسة الشَّرَرُ[٣] *

وسمّى حُوار الناقة بابُوساً[٤] ، ولا يُعرف ذلك ، فقال :

حَنّتْ قَلُوصِى إلى بابُوسِها[٥] جَزَعًا فما حَنِينُكِ أمْ ما أنتِ والذِّكَرُ

وفى بيت آخر يذكر فيه البَقرة :

* ... وبَنّسَ عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ[٦] *

أى تأخّر ، ولا يُعرف التَّبنُّس[٧] . وقال :

* وتَقَنَّع الحِرباء أُرْنَتَه *

---

(١) وقيل فى توجيه البيت : « أراد أن هذا المرأة لغرتها وقلة تجاربها ظنت أن اليرندج منسوج » . وعليه فلا مدرك .

(٢) فى بعض الأصول : واللسان (أنس): «تطاير» .

(٣) صدره كما فى اللسان (ممس) :

* تطايح الطل عن أردانها صعدا *

(٤) الذى فى (اللسان) : « البابوس : ولد الناقة . وفى المحكم : الحوار . وقد يستعمل فى الإنسان » .

(٥) فى الأصول : «مانوسها» . والتصويب من اللسان (ببس) . والرواية فيه : «طربا» مكان « جزعا » .

(٦) البيت كاملا كما فى اللسان (بنس) :

ماوية لؤلؤان اللون أودها طل وبنس عنها فرقد خصر

وقبله : كأنها من نقى العزاف طاوية لما انطوى بطنها واخروط السفر

(٧) قال ابن سيده : « قال ابن جنى : قوله : بنس عنها ، إنما هو من النوم ، غير أنه إنما يقال للبقرة . قال : ولا أعلم هذا القول عن غير ابن جنى . قال : وقال الأصمعى : هى أحد الألفاظ التى انفرد بها ابن أحمر . قال : ولم يسند أبو زيد هذين البيتين إلى ابن أحمر ولا هما أيضا فى ديوانه ولا أنشدهما الأصمعى فيما أنشدوه من الأبيات التى أورد فيها كلماته .

قال : وينبغى أن يكون ذلك شىء جاء به غير ابن أحمر تابعا له فيه ومتقبلا أثره . هذا أوفق من قول الأصمعى إنه لم يأت به غيره » .

يريد ما لُفَّ على الرأس . ولا تُعرف الأُرنة إلا فى شعره[1] .

ما أدرك على نصيب

ومما أدرك على نُصيب بن رَبَاح قولُه :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإن أَمُتْ ... فوا كبدى مَن ذا يَهِيم بها بَعدِى

تلهّف على مَن يهيم بها بعده .

ما أدرك على الراعى

ومما أُدرك على الرّاعى قولُه فى المرأة :

تكسو المفارقَ واللّبّاتِ ذا أَرَجٍ ... من قُصْبِ مُعتَلفِ الكافور دَرّاجِ

أراد المسك . فجعله من قُصْب . والقُصب : المِعَى . فجعل المِسك من قُصْب دابّة تعتلف الكافور فيتولّد عنه المسك .

ما أدرك على جرير

ومما أُدرك على جَرير قولُه فى بنى القَدَوْكس[2] رهط الأخطل :

هذا ابنُ عمّى فى دِمَشْق خليفةٌ ... لو شِئتُ ساقكمُ إلىّ قَطِينَا

القطين ، فى هذا الموضع : العَبيد والإماء . وقيل له : أبا حَزْرة ، ما وجدتَ فى تميم شيئا تفخر به عليهم حتى فخرتَ بالخلافة ، لا والله ماصنعتَ فى هجائهم شيئاً. ١٥٨/٣

ما أدرك على الفرزدق

ومما أُدركَ على الفَرزدق قولُه :

وعَضّ زمانٍ يابنَ مَروان لم يَدَعْ ... من المال إلا مُسْحتا أو مُجَلَّفُ[3]

وقد أكثر النحويّون الأحتيالَ لهذا البيت ، ولم يأتوا فيه بشىء يُرضى .

ومثلُ ذلك قولُه :

غداةَ أحلّت لأبن أصْرَم طَعنةً ... حُصَينٌ عَبيطاتِ السّدائفِ والخمرُ

---

(١) فى اللسان أرن : « : يعنى السراب والشمس . عن ابن الأعرابى . وقال ثعلب : يعنى شعر رأسه . وفى التهذيب :

* وتقنع الحرباء أرنته *

بتاءين. قال: وهى الشعرات التى فى رأسه. ويروى : « أربته » بالباء، يعنى قلادته ، وأراد سلخه ، لأن الحرباء يسلخ كما تسلخ الحية، فإذا سلخ يبقى فى عنقه منه شىء كأنه قلادة » .

(٢) فى الأصول : « العدوس » . والتصويب من الشعر والشعراء (٢٨٩) .

(٣) المسحت: المهلك . والمجلف : الذى بقيت منه بقية . يريد: إلا مسحتا أو هو مجلف .

[كان حُصين بن أصرم قد حلف ألاّ يأكل لحما ولا يشرب خمراً حتى يدرك ثأره ، فأدركه فى هذا اليوم الذى ذكره . فقال « عبيطات السدائف »] . فنصب « عبيطات السدائف » ورفع « الخمر » وإنما هى معطوفة عليها ، وكان وجهها النصب ، فكأنه أراد : وحلّت له الخمر .

ما أدرك على الأخطل

ومما أُدرك على الأخطل قولُه فى عبد الملك بن مَرْوان :

وقد جَعل اللهُ الخِلافةَ منهم[1] لأبيضَ لاعارِى الخِوَان ولا جَدْبِ

وهذا مما لا يُمدح به خليفة .

وأُخذ عليه قولُه فى رجل من بنى أسد يمدحه ، وكان يُعرف بالقَين ولم يكن قَينا ، فقال فيه :

نِعْمَ المُجيرُ سِمَاكٌ[2] من بنى أسدٍ بالمَرْج[3] إذ قَتلت جيرانَها مُضَرُ

قد كنتُ أحسبه قَيناً وأُنبؤه فالآن طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

وهذا مَدْح كالهجاء .

ما أدرك على ذى الرمة

ومما أُدرك على ذى الرُّمة :

تُصْغى إذا شدَّها بالكُور جانحةً حتى إذا ما استوى فى غَرْزها تَثِبُ[4]

وسَمعه أعرابىّ يُنشده فقال : صُرِع واللهِ الرجل ، ألا قلت كما قال عمُّك الرّاعى :

وواضعةٍ خدَّها للزِّما م فالخَدُّ منها له أصْعَرُ

ولا تُعجل المرءَقبل الرُّكو ب وهى برُكبته أبْصَرُ

(١) فى الديوان (٢١) : « فيكم » .

(٢) كذا فى الديوان (٢٢٢) . وهو سماك بن مخرمة ، أحد بنى عمرو بن أسد . وهو الذى عاذبه الأخطل ومنعه من ضبة لما ظهروا على تغلب . والذى فى الأصول : « شهاب » .

(٣) كذا فى الديوان . وفى الأغانى (٧ : ١٨٤) : « بالقاع » . وفى الشعر والشعراء (١٦٤) : « بالطف » .

(٤) تصغى ، أى تميل كأنها تسمع إلى حركة من يريد أن يشد عليها الرحل . وجانحة : مائلة لاصقة . والغرز : سير كالركاب توضع فيه الرجل عند الركوب . يصفها بالفطانة وسرعة الحركة .

وهى إذا قام فى غَرْزِها   كمثل السَّفينة أو أَوْقرُ

وما أُدرك عليه أيضا قولُه :

حتى إذا دَوّمت فى الأرض راجعةً   كِبْرٌ ولو شاء نَجّى نَفْسَه الهَرَبُ[1]

قالوا : التَّدويم : إنما يكون فى الجوّ ؛ يقال : دَوّم الطائر فى السماء ، إذا حلّق واستدار ؛ ودوّم فى الأرض ، إذا استدار فيها .

ما أدرك على أبى الطمحان

وما أُدرك على أبى الطَّمحان القَيْنىّ قولُه :

لما تحمّلت[2] الحمولُ حسبتُها   دَوْماً بأَيْلة ناعماً مَكْمُوماً

الدَّوم : شَجر المُقل ، وهو لا يُكَم وإنما يُكَم النخل .

ما أخذ على العجاج

ومما أخذ على العجّاج قوله :

كأنّ عَينيه من الغُؤور   قَلْتان أو حَوْجَلتا قارُورِ[3]

صَيّرتا[4] بالنَّضح والتَّصْـيِيرِ   صلاصلَ الزَّيت إلى الشُّطورِ

الحوجلتان : القارورتان . جعل الزجاجَ ينضح ويَرشح .

ومما أدرك على رُؤبة قوله :

كُنتم كمن أَدخل فى جُحرٍ يدا   فأخطأ الأفعى ولاقَى الأسودَا

جعل الأفعى دون الأسود ، وهى فوقه فى المضرّة .

وأُخذ عليه فى وصف الظَّليم قولُه :

وكُلُّ زَجّاجٍ سُخَامُ الخَمْلِ   تَبْرِى له فى زَعِلاتٍ خُطْلِ[5]

فجعل للظليم عدّة إناث ، كما يكون للحمار ، وليس للظليم إلا أنثى واحدة .

وأُخذ عليه قولُه يصف الرّامى :

(١) الضمير فى « دومت » يعود على « الكلاب » فى بيت سابق . ودومت ، أى دارت . وراجعة ، أى إن الثور أنف من الهرب فرجع إلى الكلاب . والذى فى الأصول : « وراجعها » . وما أثبتنا من الديوان (٢٤) .

(٢) فى بعض الأصول : « تحايلت » .

(٣) البيت فى الديوان (٢٧) : * قلتان فى لحدى صفا منقور *
وبعده : * أذاك أم حوجلتا قارور *

(٤) فى الديوان : « غيرتا » . (٥) تبرى له ، أى تتبرى له . وزعلات : نشيطات .

* لا يَلتوى من عاطس ولا نَغَق[(١)] *

إنما هو النَّغيق والنُّغاق ، وإنما يصف الرامى .

وأُدرك عليه قولُه:

١٥٩/٣ أقفرت الوعْثاء والعثَاعثُ من أهلها والبُرَقُ البَرَارِثُ[(٢)]

إنما هى البِرَاث : جمع بَرْث . وهى الأرض الَّلينة .

وأُدرك عليه :

* ياليتنا والدهر جَرْى السُّمَّهِ[(٣)] *

إنما يقال : ذهب السُّمهى ، أى فى الباطل .

وأُخذ عليه قولُه:

* أو فِضَّة أو ذهبٌ كِبْريتُ *

قال : سَمع بالكِبْريت أنه أحمر فظن أنه ذَهب .

ومما يُستقبح من تشبيهه قولُه فى النساء :

* يَلبسن[(٤)] من لين الثياب نِيما[(٥)] *

والنِّيم : الفرو المُغشَّى .

وأُخذ عليه قولُه فى قوائم الفَرس :

* يَردِن[(٦)] شتًّى وَيَقَعْن وَفْقَا *

وأنشده مُسْلِم[(٧)] بن قُتيبة ، فقال له : أخطأت ياأبا الجحّاف ، جعلته مُقيدا .

قال له رؤبة : أَدْنِنى من ذَنب البعير .

(١) لا يلتوى : لايتطير أن يسمع عاطسا . ولا نغق ، أى إن سمع صوت غراب لم يتطير أيضا .

(٢) الوعثاء : ما وطىء من الأرض وذلل . والعثاعث : ماسهل ولان. والبرق: الأراضى ذات الرمل ، وربما كانت من طين وحجارة . وانظر اللسان (برث) .

(٣) فى الديوان (١٦٥) : * ليت المنى والدهر جرى السمه *

(٤) فى ا ، ن : « يكسين » (٥) هذا البيت ليس فى الديوان .

(٦) فى الديوان (١٨٠) : « يهوين » .

(٧) فى بعض الأصول : « سالم » . وفى بعضها : « سلم » . وانظر الحاشية (رقم ٦ ص ٢٠٤) من الجزء الأول .

ما أدرك على أبي نخيلة

وعما أُدرك على أبي نُخيلة الراجز قولُه فى وصف المرأة :

مُرِّيَة[(١)] لم تَلْبس[(٢)] المُرقّقا ولم تذُق من البُقول الفُستُقا

فجعل الفُستق من البقول ، وإنما هو شَجر[(٣)] .

ما أدرك على أبي النجم

وعما أُدرك على أبي النَّجم قولُه فى وصف الفرس :

* يَسبح أُخراه ويَطفو أوّلهُ *

قال الأصمعي : إذا كان كذلك فحِمار الكسّاح أسرع منه ، لأن اضطراب مُؤخره قَبيح . وإنما الوجه فيه ما قال أعرابيّ فى وصف فَرس أبي الأعور السُّلَمى :

مرّ كَلَمع البَرق سامٍ ناظرُه يَسْبَح أولاه ويَطفو آخرُه

* فما يَمسّ الأرضَ منه حافرُه *

وأُخذ عليه أيضا فى الوُرود قولُه :

جاءت تَسامى فى الرَّعيل الأوَّلِ والظِّلُّ عن أخفافها لم يَفْضُلِ[(٤)]

فوصف أنها وردت فى الهاجرة . وإنما خَير الورود غَلساً ، والماءبارد . كما قال الآخر :

* فوردت قبل الصَّباح الفاتِقِ *

وكقول لَبيد بن ربيعة العامريّ :

* إنّ من وِرْدى لتغْليس النَّهل[(٥)] *

وقال آخر :

* فوردْنَ قبل تَبيُّن الألوان *

لبشار فى شعر لكثير

وأنشد بشّارٌ الأعمى قولَ كُثيّر عزة :

---

(١) فى بعض الأصول: « سرية » . (٢) فى بعض الأصول : « تأكل » .

(٣) فى بعض الأصول : « شحم » .

(٤) كذا فى الشعر والشعراء (٣٨٦) طبعة أوربة . والذى فى الأصول : «فى أخفافها لم يفصل » .

(٥) صدره كما فى الديوان (١٢) :

* فوردنا قبل فراط القطا *

ألا إنّما ليلَى عصا خَيْزُرانة إذا غَمزوها بالأكُفّ تَلِينُ

فقال : لله أبو صَخر ! جعلها عصا خَيْزرانة . فوالله لو جعلها عصا زُبْد لهجّنها بالعصا ، ألا قال كما قلتُ :

وبيضاء المَحاجر من مَعَدٍّ كأنّ حديثَها قِطَع الجُمانِ

إذا قامتْ لحاجتها[1] تَثَنّتْ كأنّ عِظامَها من خَيزران

العتابى والرشيد

ودخل العتّابىّ على الرشيد فأنشده فى وصف الفَرس:

كأنّ أُذْنيه إذا تَشَوّفا قادمةً أو قلماً مُحرّفا

فعلم الناس أنه لحن ، ولم يهتدِ أحدٌ منهم إلى إصلاح البيت غير الرشيد ، فإنه قال : قُل :

* تخال أُذْنيه إذا تَشَوّفا *

والراجز وإن كان لحن فإنه أصاب التّشبيه .

كثير وابن أبى عتيق وابن معاذ المغنى

حدّث أبو عبد الله بن محمد بن عُرْفَة بواسط ، قال : حدّثنى أحمد بن محمد ابن يحيى عن الزُّبير بن بكّار عن سُليمان بن عياش السّعدىّ عن السائب ، راوية كُثيِّر عزة ، قال: قال لى كُثيِّر عزة يوما : قُمْ بنا إلى ابن أبى عَتيق نتحدّث عنده . قال : فجئنا فوجدنا عنده ابنَ مُعاذ المُغنّى . فلما رأى كُثيِّرا قال لابن أبى عَتيق : ألا أُغنيك بشعر كُثيِّر عزة ؟ قال : بلى . فغنّاه :

١٦٠/٣ أبائنة سُعدى نعم[2] ستَبِينُ كما أنبتّ من حَبل القَرين قرينُ

أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جيرةٌ وصاح غُراب البَين أنت حزينُ

كأنك لم تَسمع ولم تَر قبلَها تفرُّقَ ألاف لهنّ حَنِينُ

فأخلفن ميعادى وخُنّ أمانتى وليس لمن خانَ الأمانة دِينُ

(١) فى ا ، نوالمختار من شعر بشار (٣٤) : « لمغيتها » . وفى ج والكامل للمبرد (٤٩٨) : « لسبحتها » . والسبحة : صلاة النافلة .

(٢) فى بعض الأصول: « أبنت سعدى أنها » .

فالتفت ابنُ أبى عَتيق إلى كُثَيِّر، فقال: أو للدِّين صحبتهنّ يابن أبى جُمعة[1]؟ ذلك والله أشبهُ بهنّ، وأدعى للقلوب إليهنّ؛ وإنما يُوصفن بالبُخل والامتناع، وليس بالوفاء والأمانة. وذو الرقيّات أشعر منك حيث يقول:

حبّذا الإدلال والغَنَجُ والتى فى طَرفها دَعَجُ
والتى إن حدّثت كَذبت والـــتى فى ثغرها فَلج
خبّرونى هل على رجُل عاشِقٍ فى قُبــــلة حَرَج

فقال كُثيّر: قُم بنا من عند هذا، ومَضى.

بين عمارة بن عقيل وابن أبى السمط فى بيت له

عُمارة بن عَقيل بن بِلال بن جَرير، قال: إنّى بباب المأمون إذ خرج عبدُ الله ابن [أبى][2] السِّمط، فقال لى: علمتُ أنّ أمير المؤمنين على كماله لا يعرف الشِّعر. قلت له: وبِم علمتَ ذلك؟ قال: أسمعتُه الساعَة بيتاً لو شاطرنى مُلكه عليه لكان قليلا. فنظر إلى نَظرا شَزْرا[3] كاد يَصطلمنى[4]. قلت له: وما البيت؟ فأنشد:

أضحى إمامُ الهُدى المأمون مُشتغلاً بالدِّين والناسُ بالدنيا مَشاغيلُ

قلت له: والله لقد حَلم عليك إذ لم يؤدّبك عليه. ويلك! وإذا لم يشتغل هو بالدنيا فمن يدبّر أمرها؟ ألا قلت كما قال جَدّى فى عبد العَزيز بن مروان[5]:

فلا هو فى الدُّنيا مُضيعٌ نَصيبَه ولا عَرَضُ الدُّنيا عن الدِّين شاغلُ.

فقال: الآن علمتُ أنى أخطأت.

البيت مع جلة من الشعراء عند الوليد بن عبد الملك

الهَيثم بن عَدِىّ قال: دخل رجــل من أصحاب الوليد بن عبد الملك عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد رأيتُ ببابك جماعةً من الشعراء لا أحسبُهم اجتمعوا

(١) فى بعض الأصول: «يا بن أبى ربيعة».
(٢) التكملة من الطبرى (٣ : ١٦٥٩).
(٣) فى ح: «نظرة شحيحة».
(٤) الاصطلام: الإبادة والقطع. وفى بعض الأصول: «يصطلمنى عليها».
(٥) فى الطبرى: «عمك جرير فى عبد العزيز».

بباب أحد من الخلفاء، فلو أذنتَ لهم حتى يُنشِدوكَ؟ فأذِن لهم فأنشدوه . وكان فيهم الفرزدق ، وجرير ، والأخطل، والأشهب بن رُميلة. وترك البَعِيثَ فلم يأذن له . فقال الرجل المستأذن لهم : لو أذنتَ للبعيث يا أمير المؤمنين ، إنه لشاعر . فقال : إنه ليس كهؤلاء إنما قال من الشعر يسيرا . قال : والله يا أمير المؤمنين إنه لشاعر . فأذِن له . فلما مَثَل بين يديه ، قال: يا أمير المؤمنين ، إن هؤلاء وَمن ببابك قد ظنّوا أنك إنما أذنتَ لهم دونى لِفَضل لهم علىّ . قال : أو لستَ تعلم ذلك ؟ قال : لا والله ، ولا علّمه اللهُ لى . قال : فأنشِدْنى من شعرك . قال : أمَا والله حتى أُنشدك من شعر كُل رجل منهم ما يَفضحه . فأقبل على الفرزدق ، فقال : قال هذا الشيخُ الأحمق لعبد بنى كُليب :

بأىّ رِشاء يا جريرُ وماتح   تدلّيت فى حَومات تلك القَماقِم[1]

فجعله يتدلّى عليه وعلى قومه من عَلُ ، وإنما يأتيه من تحته لو كان يَعقِلُ . وقد قال هذا ، كَلبُ بنى كُليب :

لَقومِىَ أحمَى للحقيقة[2] منكمُ   وأضربُ للجبّار والنَّقعُ ساطعُ

وأوثقُ عند المُردَفات عشيّةً   لَحاقاً إذا ما جرّد السيفَ لامعُ[3]

١٦١/٣ فجعل نساءه لا يثِقْنَ بلَحاقه إلا عشيّة ، وقد نُكحن وفُضحن . وقال هذا النّصرانى، ومدح رجلاً يسمى قَينا فهجاه ولم يشعر ، فقال :

قد كُنت أحسبه قيناً وأُنبؤه   فالآن طُيّر عن أثوابه الشَّررُ

(١) حومات : جمع حومة ، وهى أكثر موضع فى البحر ماء وأغمره . والقماقم : جمع قمقام ، وهو البحر . والتى فى الأصول : «حوماء تلك القماقم» . وما أثبتنا من الديوان (٨٦٣) والموشح (١٦٥) .

(٢) فى الديوان (٣٧٢) : «فى الحقيقة» .

(٣) يقال : لمع بسيفه ؛ إذا أشار به للإنذار ، وهو أن يرفعه ويحركه ليراه غيره فيجىء إليه .

وقال ابن رُميلة ودَفَع أخاه(١) [إلى مالك بن رِبْعيّ بن] سَلْميّ فقُتل، فقال:

مَدَدنا وكانت ضَلّة من حُلومنا ... بثَدْيٍ إلى أولاد ضَمرة أقْطَعَا

فمن يرجو خيرَه وقد فعل بأخيه مافعل(٢). فجعل الوليدُ يُعْجب من حفظه لمثالب القوم وقُوة قلبه، وقال له: قد كشفتَ عن مساوى القوم، فأنشدنى من شعرك. فأنشده. فاستحسن قولَه ووصَله وأجزل له.

ما عيب على ابن هانىء

وما عِيب على الحسن بْن هانىء قولُه فى بعض بنى العبّاس:

كيف لا يُدنيك من أمل ... مَنْ رسولُ الله مِن نَفَره

فقالوا: إنّ حَق الرسول صَلى الله عليه وسَلم أن يُضاف إليه ولا يُضاف هو إلى غيره. ولو اتسع مُتَّسع فأجازه لـكان له مجاز حسن. وذلك أن يقول القائل من بنى هاشم لغيره من أفناء قُريش: منّا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. يريد أنه من القبيلة التى نحن منها، كما قال حسّان بن ثابت:

وما زال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائمُ عِزٍّ لا تُرام ومَفخَــرُ

بَهـا ليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمه ... علىٌّ ومنهم أحمدُ المُتخـيَّرُ

فقال: «منهم»، كما قال هذا: «من نفره».

ومما أُدرك عليه قولُه فى البَعير:

* أخْنس فى مثل الـكِظَام مَخْطِمُه(٣) *

---

(١) هو زباب، كما فى الموشح. وقد أورد المرزبانى الخبر فى قصة أخرى وذكر لابن رميلة هذا البيت:

ولما رأيت القوم نالت رماحهم ... زبابا وفى شرى وما كان وانيا

(وانظر الحاشية التالية).

(٢) ساق المرزبانى فى كتابه الموشح (١٦٥ — ١٦٦) هذا الخبر. واتفق فيه مع العقد فيما أورده على لسان البعيث والفرزدق وجرير، ثم قال: وأما هذا ابن النصرانية، يعنى الأخطل فإنه قال:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول

فأقر بما أقر به وهنا وجبنا وضعفا. وأما ابن رميلة فإنه قال:

ولما رأيت القوم ضمت حبالهم ... وفى زنية شرى وما كان وانيا

فأقر أن شره وفى عنه وقت الحاجة إليه.

(٣) الـكظام: جمع كظامة، وهى حبل يكظمون به خطم البعير.

والأخنس : القصير المَشافر ، وهو عَيب له ، وإنما تُوصف المَشافر بالسُّبوطة .

ما أدرك على أبي ذؤيب

ومما أُدرِكَ على أبي ذُؤَيب قولُه في وصف الدُّرّة :

فجاء بها ما شئتَ مِن لطميّة[1] يدُور[2] الفُرات فوقَها وتَمُوجُ

قالوا : والدُّرة لا تكون فى الماء الفُرات ، إنما تكون فى الماء المالح .

جرير وابن لجأ

واجتمع جريرُ بن الخطَفى وعُمَر بن لَجَأ التَّيمى عند المُهاجر بن عبد الله والى اليمامة ، فأنشده عُمر بن لَجأ أُرجوزَته التى يقول فيها :

تَصْطكُّ أَلحيها[3] على دِلائها تَلاطُمَ الأَزد على عَطائها

حتى أنتهى إلى قوله :

تَجَرّ[4] بالأَهونِ من إدْنائها جَرَّ العَجوز الثِّنْىَ من خِفَائها[5]

فقال جرير : ألا قلت :

* جرَّ الفتاة طَرَفَىْ رِدائها *

فقال : والله ما أردتُ[6] إلا ضَعْف العجوز . وقد قلتَ أنت أعجبُ من هذا ، وهو قولُك :

---

(١) لطمية ، نسبة إلى اللطيمة ، وهى الجمال التى تحمل العطر والبز غير الميرة ، وشبه الجملة « من لطمية » فى موضع الحال .

(٢) كذا فى الديوان واللسان (لطم) . والذى فى الأصول : « يدوم » .

(٣) كذا فى ا ، ن والشعر والشعراء (٤٢٨ طبعة أوربة) . والألحى : جمع لحى ، وهى ما ينبت عليه العارض . والذى فى سائر الأصول : « تلاطم الجبها » .

(٤) فى اللسان (جر) : « وفلان يجر الإبل ، أى يسوقها سوقا رويدا » . ثم أنشد البيت.

(٥) فى اللسان (خفى) : « الخفاء : رداء تلبسه العروس على ثوبها فتخفيه به » . وقال البكرى فى سمط اللآلى (٦٦٨) بعد ما أورد البيت : « بالأهون من إدنائها ، أى بأهون ما تدنى به الإبل إلى الماء . والخفاء : كساء يلقى على وطب اللبن ، وإذا حملته العجوز ثقل عليها فجرته . وكان سبب التهاجى بين جرير وعمر بن لجأ أنه عاب عليه هذا ، فقال له : يابن برزة ، ألا قلت :

* جر العروس البكر من ردائها *

(٦) كذا فى ا ، ن والموشح . والذى فى سائر الأصول : « ماورويت » .

وأوثق[١] عند المُرْدفات عَشيّةً لَحاقاً إذا ما جَرّد السَّيفَ لامعُ

والله لئن لم يُلْحقن إلا عشيّة ما لُحقن حتى نُكحن وأُحبلن . ووقع الشَّرُّ بينهما .

ابن أبي ربيعة والأحوص ونصيب وكثير

١٦٢/٣ وقَدم عمرُ بن أبي ربيعة المدينةَ ، فأقبل إليه الأحوصُ ونُصيب ، فجعلوا يتحدّثون . ثم سألها عمرُ عن كُثيّر عَزّة ، فقالوا : هو هاهنا قريب . قال : فلو أرسلنا إليه ؟ قالا : هو أشدّ بَأْواً[٢] من ذلك . قال : فاذهبا بنا إليه . فقاموا نحوَه ، فألفَوْه جالساً في خَيمة له . فوالله ما قام للقُرشيّ ، ولا وَسّع له . فجعلوا يتحدّثون ساعة . فالتفت إلى عمرَ بن أبي ربيعة ، فقال له : إنك لشاعر لولا أنك تُشبِّب بالمرأة ، ثم تَدعها وتُشبِّب بنفسك . أخبرني عن قولك :

ثم اسبَطَرّت تَشتدّ في أثَرِي تسألُ أهلَ الطَّوافِ عن عُمرِ

والله لو وصفتَ بهذا هِرّة أهلِك لكان كثيرا ! ألا قلت كما قال هذا ، يعني الأحوص :

أدور ولولا أن أرى أم جَعْفر بأبياتِكم ما دُرتُ حيثُ أدورُ

وما كنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى وإن لم يَزُر لابدّ أن سيزور

قال : فانكسرت نَخوةُ عمر بن أبي ربيعة ودخلت الأحوصَ زَهوةٌ[٣] . ثم التفت إلى الأحوص ، فقال : أخبرني عن قولك :

فإنْ تَصِلي أصِلْك وإن تَبِيني بهَجْرك بعد[٤] وَصْلك ما أُبالي

أمَا والله لو كنتَ حُرّا لباليْتَ ولو كُسر أنفُك . ألا قلت كما قال هذا الأسود ، وأشار إلى نُصيب :

(١) في الموشح للمرزباني « وأكرم » . وقد مر البيت (ص٣٦٩) من هذا الجزء . وانظر الشعر والشعراء في ترجمة (عمر بن لجأ) والأغاني (٨ : ٦٨) . وطبقات ابن سلام (١٠١) طبعة أوربة .

(٢) البأو : الكبر والعظمة . وفي بعض الأصول : « مأفق » .

(٣) في ا ، ن : « عجب » .

(٤) في ا ، ن : « قبل »

بزيف ألم قبلَ أن يَرحل[1] الرَّكْبُ وقُلْ إن تَمَلَّينا فما ملكِ القلبُ

قال : فأنكسر الأحوص ودخلت نُصيبْاً زهوة[2] . ثم التفت إلى نُصيب ، فقال له : أخبرنى عن قولك :

أهيم بدَعد ما حييتُ فإن أمُتْ فوا كبدِى مَن ذا يهيم بها بَعدِى

أهمّك ويحك مَن يفعل بها بعدك . فقال القوم : الله أكبر استوت الفِرَق[3] ، قوموا بنا من عند هذا .

كثير عزة عند سكينة

ودخل كُثير عزة على سُكينة بنت الحُسين عليه السلام ، فقالت له : يا بن أبى جُمعة ، أخبرنى عن قولك فى عَزّة :

وما رَوْضة بالحزْن طَيِّبة الثَّرى يمُجُ النَّدى جَثْجاثُها وعَرارُها[4]

بأطيَبَ من أرْدانِ عَزّة مَوْهِناً وقد أُوقدت بالمَنْدلِ[5] الرَّطب نارُها

ويحك ! وهل على الأرض زنجية مُنْتنة الإبطين ، تُوقد بالمَندل الرطب نارها إلّا طاب ريحُها . ألا قلت كما قال عمّك أمرؤ القيس :

ألم تَرَيانى كلما جِئْتُ طارقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيّبِ

عبد الملك بن مروان وكثير

سَمر عبدُ الملك بنُ مَروان ذاتَ ليلة وعنده كُثيّر عَزّة ، فقال له : أنشدنى بعضَ ما قلتَ فى عَزّة . فأنشده ، حتى إذا أتى على هذا البيت :

هممتُ وهمّت ثم هابتْ وَهِبْتُها حياءً ومِثْــلى بالحَياء حَقيقُ

قال له عبدُ الملك : أما والله لولا بيتٌ أنشدتَنيه قبل هذا لحرمتُك جائزتك . قال : لِمَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : لأنك شركتَها معك فى الهَيبة ، ثم استأثرت بالحياء دونها . قال : فأىّ بيت عفوتَ به يا أمير المؤمنين ؟ قال قولك :

---

(١) فى ا ، ن : « يظعن » .
(٢) فى ا ، ن : « أبهة » .
(٣) فى ا ، ن : « الفرقة » .
(٤) الجثجاث : نبات سهلى ربيعى ، إذا أحس بالصيف ولى وجف . والعرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح .
(٥) فى الموشح (١٥١) : « بالمجمر » .

١٦٣/٣

دعُونى لا أُريد بها سِواها دعُونى هائماً فيمن يَهيمُ

ما أدرك على الحسن بن هانئ

وعما أُدرك على الحسن بن هانئٍ قولهُ فى وصفِ الأسد ، حيث يقول :

كأنّما عينُه إذا ٱلتفتت بارزةً(١) الجفن عينُ مخنُوقِ

وإنما يُوصف الأسد بغُؤور العَينين ، كما قال العجّاج :

كأن عَينيه من الغُؤور قَلْتان أو حَوْجلتا قارورِ

وقال أبو زُبيد :

* كأنّ عينيه نَقباوان فى حَجَرِ *

المؤلف فى وصف الأسد

ومن قولنا فى وصف الأسد ما هو أشبه به من هذا :

ولرُبّ خافقة الذّوائب قد غَدتْ مَعْقودةً بلوائه المَنْصورِ

يَرْمِى بها الآفاقَ كُلُّ شَرَنْبَث كفّاه غيرُ مُقلَّم الأظفورِ(٢)

لَيثٌ تَطير له القُلوبُ مخافةً من بين هَمْهمة له وزَئير

وكأنما يُومى(٣) إليك بطَرفه عن جَمْرتين بجلْد مَنْقُور

باب من أخبار الشعراء

دعبل ومسلم وأبو الشيص وأبو نواس

حَدّث دِعْبل الشاعر أنه ٱجتمع هو ومُسلم وأبو الشّيص وأبو نُواس فى مجلس ، فقال لهم أبو نُواس : إنّ مجلسنا هذا قد شُهر بٱجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم ما بعده ، فليأت كُل واحد منكم بأحسن ما قال ، فَلْيُنشده . فأنشد أبو الشّيص ، فقال :

وَقف الهوَى بى حيثُ أنتِ فليس لِى متأخَّرٌ عنه ولا مُتقدَّمُ

أجدُ الملامةَ فى هَواكِ لذيذةً حُبًّا لذِكْرِك فَلْيلُمنى اللوَّمُ

(١) فى ا ، ن : « التهيت * نادرة » .
(٢) الشرنبث : الغليظ الكفين .
(٣) فى ا ، ن : « يرى » .

وأهنتنى فأهنتُ نفسى[١] صاغراً ... ما مَن يهون عليـك ممّن أُكرِم[٢]
أشبهتِ أعـدائى فصرتُ أحبّهم ... إذ كان حَظّى منـك حظّى منهمُ

قال : فجعل أبو نواس يعجب من حُسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عَجَبُه . ثم أنشد مسلم أبياتاً من شعره الذى يقول فيه :

فأقسم أنسَى الداعياتِ إلى الصِّبا ... وقد فاجأتْها العينَ والسِّترُ واقعُ[٣]
فغطّت بأيديها ثمارَ نُحـــورها ... كأيدى الأُسارَى أثقلتها الجَوَامعُ[٤]

قال دِعبل : فقال لى أبو نُواس : هاتِ أبا علىّ ، وكأنّى بك قد جئتنا بأم القلادة . [فقلتُ : ياسيدى ، ومن يُباهيك بها غيرى] . فأنشدتُه :

أين الشَّبابُ وأيّةً سَلَـكا ... أمْ أين يُطلب ضلّ أم[٥] هَلَـكا
لا تَعجبى يا سَـلْمَ من رَجُـل ... ضَحِك المَشيبُ برأسه فبَكى
ياليتَ شِعرى كيف صَبْرُ كما ... يا صاحِبَىّ إذا دَمِى سُفِكا
لا تطلُبا[٦] بظُـــلامتى أحداً ... قَلبى وطَرْفى فى دَمِى اشتركا

ثم سألناه أن يُنشد . فأنشد أبو نُواس :

لا تَبْك هِنداً[٧] ولا تَطرب إلى دَعْدِ ... وأشربَ على الوَرْد من حَمراء كالوَرْدِ
كأساً إذا انحدرتْ فى حَلْق شاربها ... وجدتَ حُمرتَها[٨] فى العَيْن والخدّ
فالخَمر ياقوتةٌ والكأس لُؤلؤة ... فى كفّ جاريةٍ[٩] ممشوقة القَدّ

---

(١) فى ا ، ن : « روحى » .
(٢) كذا فى ا ، ن والشعر والشعراء . والذى فى سائر الأصول والأشربة لابن قتيبة (٤٣) : « يكرم » .
(٣) فى بعض الأصول : « عينا وقد فاجأت والستر واقع » .
(٤) فى بعض الأصول : « الجامع » .
(٥) فى الأغانى (١٨ : ٣٢) : « بل » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان (٢٠٩) طبعة أوربة . وفى ا ، ن : « من » .
(٦) فى الأغانى : « لا تأخذوا » .
(٧) فى ا ، ن : « ليلى » .
(٨) فى بعض الأصول : « أخذت عبرتها » . تحريف .
(٩) فى ا ، ن : « لؤلؤة »

تَسْقيك من عَينها خَمْراً ومن يَدها ... خَمْراً فمالكَ من سُكْرَيْن من بُدِّ

لى نَشْوتانِ وللنَّدْمانِ واحـــدةٌ ... شىء خُصِصتُ به من بينهم وَحْـدى ١٦٤ / ٣

فقاموا كلهم فسجدوا له. فقال: أعلِتموهـا أعجميّة، لا كلمتُـكم ثلاثا ولا ثلاثا ولا ثلاثا. ثم قال: تسعة أيام فى هَجر الإخوان كثير، وفى هجر بعض يوم أستصلاحٌ للفساد وعُقوبة على الهَفوة. ثم التفتَ إلينا فقال: أعلمتم أنّ حكيماً عَتب على حكيم، فكتب المعتوبُ عليه إلى العاتب: يا أخى، إنّ أيام السمر أقلُّ من أن تَحتمل الهَجْر.

المعتز والزبير فى أبيات سأله إجازتها

محمد بن الحسن المَدِينى[1]، قال: أخبرنى الزبيرُ بن أبى بكر[2]، قال: دخلت على المُعتز بالله أمير المؤمنين فسلمتُ عليه، فقال: يا أبا عبد الله، إنى قد قلتُ فى ليلتى هـذه أبياتاً وقد أعيا علىّ إجازةُ بعضها. قلت: أنشدنى. فأنشدنى، وكان مَحموماً:

إنّى عرفتُ عِلاجَ القَلْب من وَجَعٍ ... وما عرفتُ عِلاجَ الحبّ والخُدَعِ[3]

جَزِعتُ للحبِّ والحُمّى صَبرتُ لها ... إنى لأعجبُ من صَبْرى ومن جَزَعى

مَن كان يَشغَلُه عن حُبـه وَجَعٌ ... فليس يَشغلنى عن حُبكم وَجَعى

قال أبو عبد الله: فقلت:

وما أملُّ حَبيبى[4] ليـلةً أبداً ... مع الحَبيب ويا ليتَ الحبيبَ معِى

فأمر لى على البيت بألف دِينار.

أبو نواس ومسلم وأبو العتاهية

اجتمع الحسنُ بن هانئ وصريعُ الغوانى وأبو العتاهية فى مجلس بالكوفة، فقيل لأبى العتاهية: أنشدنا. فأنشد:

---

(١) هو محمد بن الحسن بن على المدينى، تلميذ الزبير. وفى بعض الأصول: «المكى».

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبد الله، أبو عبد الله بن أبى بكر، مات سنة ٢٥٦ هـ. (تهذيب التهذيب).

(٣) كذا فى ا، ن. والذى فى سائر الأصول: «والجزع».

(٤) كذا فى ا، ن. والذى فى سائر الأصول: «حديثى».

أسيِّدتى هاتِى فديتُك ما جُرْمى   فأَنزِلَ فيما تَشْتهين من الحُكْمِ
كفاكِ بحَقِّ الله ماقد ظَلَمْتِنى   فهذَا مقامُ المُسْتجير من الظُّلْمِ

وقيل لصريع الغوانى : أنشدنا . فأنشأ يقول :

قد أَطْلَعتَ على سِرِّى و إعْلانى   فاُذهبْ لشأنِكَ ليس الجَهلُ من شَانِى
إنّ التى كُنتُ أنحو قَصْد شِرَّتها(١)   أعطت رضاً وأطاعتْ بعد عِصْيانِ

ثم قيل للحسن بن هانىء : أنشدنا . فأنشد :

يا ابنـةَ الشَّيخ أَصْبِحينا   ما الذى تَنْتظرينَا
قد جَرى فى عُوده المـا   ءُ فأَجْرِى الخمـرَ فِينا

قيل : هذَا الهزل ، فهاتِ الجدّ . فأنشأ :

لِمن طَلَلٌ عارِى المَحلِّ دفينُ   عفا عهـدُه إلا روائمُ جُونُ(٢)
كما افترقت عند المَبيت حمائمٌ   غَريباتُ مُمْسًى مالهن وُكُون
ديارُ التى أمّا جَـنَى رَشَفاتِها   فحُلْوٌ وأما مَسُّهـا فَلِين
وماأَنصفتْ أمّاالشُّحوب(٣) فظاهرٌ   بوَجهِى وأمّا وجهُها فَمَصُون

فقام صريعُ الغوانى يجرّ ذيلَه وخرج وهو يقول : إن هـذا مجلس ما جلستُه أبدا .

الرشيد والمأمون والصلاة على الكسائى والموصلى وابن الأحنف

هشام بن عبد الملك الخُزاعىّ قال : كُنا بالرَّقة مع هارون الرَّشـيد ، فـكتب إليه صاحبُ الخَبر بموت الـكِسائى و إبراهيم المَوصِـلى والعبّاس ابن الأحنف فى وقت واحـد . فقال لابنه المأمون : أخرج فصلِّ عليهم .

(١) كذا فى ا ، ن والديوان (٩٩) . يقول : إن نفسى التى كنت أقصد إلى هواها فى الصبا أعطت رضا وأطاعت فى التوبة بعد عصيان . والتى فى سائر الأصول : « أرجو قصد سيرتها » .

(٢) فى بعض الأصول : « عفا عهده الأرواح وهو جرون » .

(٣) فى بعض الأصول : « وما أنفت أما الشحوب »

فخرج المأمون فى وُجوه قوّاده وأهل خاصّته ، وقد صفُّوا له . فقالوا له : مَن ترى أن يُقدَّم ؟ قال : الذى يقول :

يا بَعِيــدَ الدّار عن وَطنه هائمًا يَبْـكى على شَجَنِهْ
كُلمـا جدّ(١) البُكاء بِه زادتِ الأسقامُ فى بَدَنِه ١٦٥/٣

قيل له : هـذا ، وأشاروا إلى العبّاس بن الأحنف . فقال : قدّموه ، فقُدِّم عليهم(٢) .

أبو عمرو بن العلاء وجرير

أبو عمرو بن العلاء قال : نزل جرير ، وهو مُقبل من عند هشام بن عبد الملك ، فبات عندى إلى الصبح ، فلمّا أصبح شَخص وخرجتُ معه أُشيعه . فلما خرجنا عن أطناب البيوت(٣) التفت إلىّ فقال : أنشدنى من قول مجنون بنى عامر قيس ابن الملوّح ، فأنشدتُه :

وأدنيْتِنى حتى إذا ما سَبَيْتِنى بقَول يُحِلّ العُصْمَ سَهلَ الأباطح
تجافيتِ عنّى حين لا لىَ حيلةٌ وغادرتِ ماغادرتِ(٤) بين الجوانح

فقال : والله لولا أنه لا يَحسن لشيخ مثلى الصُّراخ لصرختُ صرخة يسمعها هشامٌ على سريره .

وهذا من أرق الشّعر كُله وألطفه ، لولا التضمين الذى فيه . والتضمين أن يكون البيت معلّقاً بالبيت الثانى لا يتم معناه إلا به . وإنما يُحمد البيت إذا كان قائمًا بنفسه .

لابن الأحنف فى مثل قول ابن الملوح

وقال العبّاسُ بن الأحنف نظيرَ قولِ المجنون بلا تضمين ، وهو قولُه :

أشكو الذين أذاقُونى مودّتهم حتى إذا أيقظونى بالهوى رقدُوا

جائزة الرشيد للأصمعى على بيت

وقال الأصمعىّ : دخلتُ على هارون الرشيد ، فوجدتُه مُنغمساً فى الفراش .

(١) فى بعض الأصول : « هاج » .
(٢) انظر هذه القصة فى ابن خلكان فى ترجمة العباس بن الأحنف .
(٣) فى ا ، ن : « الملوك » .
(٤) فى بعض الأصول : « وخليت ما خليت » .

فقال : ما أبطأ بك يا أصمعىّ ؟ قلت : أحتجمتُ يا أمير المؤمنين . قال : فما أكلتَ عليها ؟ قلت : سِكباجة وطَباهَجة(١) . قال : رميتَها بحجرها . أتشرب ؟ فقلت : نعم ، وقلت :

اسقنى حتى ترانى مائلاً ... وترى عُمرانَ دينى قد خَرِبْ

قال : يا مسرور ، أىّ شىء معك ؟ قال : ألف درهم . قال : ادفعها للأصمعىّ .

على بن داود ويهودى أراد أن يستصحبه فى الحج

وكان يصحب علىَّ بن داود الهاشمى يهودىّ ظَريفٌ مؤنس أديب شاعر أريب ، فلما أراد الحَجّ أراد أن يَستصحبه ، فكتب إليه اليهودىُّ يقول :

إنّى أعوذ بداودٍ وحُفْرته ... من أن أحُجّ بكُرْه يا بن داوُدِ
نُبِّئْتُ أنّ طريقَ الحَجّ مُصردةٌ ... عن النّبيذ وماعَيْشى بتَصريدِ(٢)
والله ما فىَّ من أجر فتَطلُبه ... فيما علمت ولا دِينى بمَحْمود
أما أبوك فذاك الجود يَعرفُه ... وأنتَ أشبهُ خَلق الله بالجود
كأنّ ديباجَتَىْ خدّيه من ذَهب ... إذا تَعصّب فى أثوابه السُّود

إبراهيم السويقى فى ضر ناله

حدّث أبو إسحاق يحيى بن محمد الحَوارىّ ، قال : سمعتُ شيخاً من أهل البَصرة يقول : قال إبراهيم السُّويقى ، مولى المَهالبة : تتابعتْ علىّ سنون ضيِّقة ، وألحّ علىّ العُسر وكثرةُ العِيال وقلّة ذات اليد ، وكُنت مشتهراً بالشعر أقصد به الإخوانَ وأهلَ الأقدار وغيرَهم ، حتى جفانى كُل صديق ، وملّنى مَن كنت أقصده ، فأضرّنى ذلك جدّا . فبينما أنا ذات يوم جالس مع امرأتى فى يوم شديد البرد ، إذ قالت : يا هذا ، قد طال علينا الفَقر وأضرّ بنا الجهد ، وقد بقيتَ فى بيتى كأنك زَمِن ، هذا مع كثرة الولد ، فاخرُج عنّى وا كْفِنى نفسك ودَعنى مع هؤلاء الصبيان أقوم بهم مرّة وأقعد بهم أخرى . وألَحّتْ علىّ فى الخُصومة ، وقالت لى : يا مشؤوم ، تعلّمتَ صناعةً لا تُجدى عليك شيئاً . فضجرتُ منها ومن قولها وخرجتُ على وجهى فى ذلك البرد والرِّيح ، وليس علىّ إلا فَرْو خَلَق ليس

(١) الطباهجة : ضرب من قلى اللحم ، فارسى معرب .
(٢) مصردة : مبعدة ومنهية . والتصريد : التقليل .

١٦٦/٣ فوقه دِثار ولا تحته شِعار ، وعلى عُنقى إزار ، ثم جاءت ريحٌ شديدة فذهبت به عن بدنى ، وتفرّقت أجزاؤه عنى ، من بِلاه وكثرة رقاعه . وعلى عنقى طَيْلسان(١) ليس علىّ منه إلا رسمه . فخرجت والله متحيّراً لا أدرى أين أقصد ولا حيث أذهب. فبينما أنا أُجيل الفكرة إذا أخذتنى سَماء بقطار مُتدارك . فدفعتُ إلى دار على بابها رَوْشن(٢) مُطِل ودكّان نظيف وليس عليه أحد، فقلت : أَستتر بالرّوشن إلى أن يسكن المطر . فقصدت قصدَ الدار . فإذا بجارية قاعدة قد لزمت(٣) باب الدار كالحافظة عليه ، فقالت لى : إليك يا شيخ عن بابنا . فقلتُ لها : ويحك ، لستُ بسائل ، ولا أنا ممن تُتخوف ناحيته . فجلست على الدكّان . فلما سكنت نفسى سمعتُ نغمة رخيمة من وراء الباب تدلّ على نغمة امرأة . فأصغيتُ ، فإذا بكلام يدل على عِتاب . ثم سمعت نغمةً أُخرى مثل ذلك(٤) ، وهى تقول : فعلتِ وفعلتِ . والأخرى تقول : بل أنت فعلتِ وفعلتِ . إلى أن قالت إحداهما : أنا ، جُعلت فِداك، إن كنتُ أسأتُ فاُغفرى واُحفظى فىّ بيتين لمولانا إبراهيم السَّويقى . فقالت الأخرى : وما قال ؟ فإنه مولانا وتَبْلُغنى عنه أشعار ظريفة . فأنشدتْها تقول :

هَبِينى يا مُعذِّبتى أسأتُ ... وبالهِجْران قبلكمُ بدأتُ

فأين الفضلُ منكِ فدَتْكِ نفسِى ... علىّ إذا أسأتِ كما أسأتُ

فقالت : ظَرُفَ والله وأحسن . فلما سمعتُ ذكرى وذكر مولانا ، علمتُ أنها من بعض نِساء المَهالبة، فلم أتمالك أن دفعتُ الباب وهجمتُ عليهما ، فصاحتا : وراءك يا شيخ عنّا حتى نستتر ، وتوهّمتا أننى من أهل الدار . فقلت لهما : جُعلت فدا كما ، لا تحتشما منى فإنّى أنا إبراهيم السَّويقى ، فبالله وبحق حُرمتى منكن إلا شفعتِنى فيها ووهبتِ لى ذَنبها. وأسمعى منّى فأنا الذى أقول :

خُذى بيدى من الحُزن الطَّويل ... فقد يَعفو الخليلُ عن الخليلِ

(١) فى بعض الأصول : « إزار » . (٢) الروشن : الرف ؛ وقيل الكوة .
(٣) فى بعض الأصول : « أجافت » . (٤) فى ا ، ن : « من ذلك » .

أسأتُ فأجلى تَفديك نَفسى ... فما يأتى الجميلُ سوى الجميلِ

فقالت : قد فعلتُ وصفحتُ عن زلّتها . ثم قالت : يا أبا إسحاق ، مالى أراك بهذه الهَيئة الرثّة والبزّة الخَلَقة ؟ فقلت : يا مولاتى ، تعدّى علىّ الدهرُ ، ولم يُنصفنى الزمان ، وجَفانى الإخوان ، وكَسدت بضاعتى . فقالت : عزّ علىّ ذلك . وأومأت إلى الأخرى ، فضربتْ بيدها على كُمها[1] ، فسلّت دُملُجا من ساعدها ، ثم ثنّت باليد الأخرى ، فسلّت منها دُملجا آخر . فقالت : يا أبا إسحاق ، خُذ هذا واقعد على الباب مكانَك وانتظر الجاريةَ تأتيك . ثم قالت : ياجارية ، سَكَن المطر ؟ قالت : نعم . فقامتا وخرجتا وقعدتُ مكانى . فما شعرت إلا والجارية قد وافت بمنديل فيه خمسةُ أثواب وصُرّة فيها ألفُ درهم ، وقالت لى : تقول لك مولاتى : أنفق هذه ، فإذا احتجت فصِرْ إلينا حتى نَزيدك إن شاء الله . فأخذتُ ذلك وقت وقلت فى نفسى : إن ذهبتُ بالدُّملجين إلى امرأتى ، قالت : هذا لبنَاتى ، وكابرتْنى عليهما فدخلت السُّوقَ فبعتُهما بخمسين ديناراً ، وأقبلتُ . فلما فتحت الباب صاحت امرأتى ، وقالت : قد جئتَ أيضاً بشُؤمك ! فطرحتُ الدنانيرَ والدراهم بين يديها والثِّياب ، فقالت : من أين هذا ؟ قلت : من الذى تشاءمت به وزعمتِ أنه بضاعتى التى لا تُجدى . فقالت : قد كانت عندى فى غاية الشؤم ، وهى اليوم فى غاية البركة .

نوادر من الشعر

تولية المأمون لابن الجهم الدينور لبيت

وقال المأمون لمحمد بن الجَهم : أنشدنى بيتاً أوّله ذَمّ وآخره مَدْح أُولّك به كُورة . فأنشده :

١٦٧/٣ قَبحتْ مناظرُهم فحين خبرتُهم ... حَسُنت مناظرُهم لحسن المَخْبَرِ

فقال له : زِدنى . فأنشده :

---

(١) ف ، ن : « فأومأت بيدها إلى كمها » .

أرادوا لِيُخفوا قبرَه عن عدوّه ... فطِيبُ تُرابِ القبرِ دلَّ على القبرِ [١]

فو لّاه الدِّينور .

الرشيد والمفضل الضبي

وقال هارون الرشيد لِلمُفَضَّل الضَّبِّيّ: أنشدنا بيتاً أوله أعرابىّ فى شَملته، هَبَّ من نَومته ؛ وآخره مَدَنىّ رقيق، غُذِّىَ بماء العَقيق. قال المُفضَّل: هَوَّلتَ علىّ يا أمير المؤمنين ، فليت شعرى ، بأىّ مَهر تُفتضّ عَروس هذا الخِدْر ؟ قال هارون : هو بيتُ جَميل حيث يقول :

ألا أيهــا النُّوّام ويحــكمُ هُبُّوا ... أُسائلـكم هل يَقتل الرجلَ الحبُّ

فقال له المفضّل : فأخبرنى يا أمير المؤمنين عن بيت أوله أ كثمُ بن صَيفىّ فى إصابة الرأى ، وآخره بُقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء ؟ قال له هارون : ماهو ؟ قال : هو بيتُ الحسن بن هانئ حيث يقول :

دع عنكَ لَومى فإنّ اللومَ إغراء ... وداونى بالّتى كانتْ هى الداء

قال : صدقتَ .

نزول المنصور عن جبة وشى لبيت أجازه

وقال الرَّبيع : خرجنا مع المنصور مُنصَرفنا من الحَجّ ، فنزلنا الرُّضيمة [٢] ، ثم راح المنصور ورُحنا معه فى يوم شديد الحَرّ ، وقد قابلتْه الشمس ، وعليه جُبة وَشْى . فالتفت إلينا ، وقال : إنّى أقول بيتاً من الشعر ، فمَن أجازه منكم فله جُبتى هذه . قُلنا : يقول أمير المؤمنين . فقال :

وهاجرة نَصبتُ لهــا جَبينى ... يُقطِّع حرُّها ظَهرَ المطَايه

فبَدره بشّار الأعمى فقال :

وقفتُ بها القَلوصَ ففاض دَمعى ... على خَدِّى وأَســعد وَاعِطَايه

فخرج له من الجُبة. فلقيتُه بعد ذلك ، فقلت له : ما فعلتَ بالجُبة ؟ قال : بعتُها بأربعة آلاف درهم .

(١) هذا البيت والذى قبله لمسلم بن الوليد . (انظر الديوان ٢٣١ ومعجم الشعراء للمرزبانى ٣٧٢ والأغانى ١٣ : ١٦)

(٢) الرضيمة: من نواحى المدينة . وفى بعض الأصول : «الرضم» وهى على ستة أيام من زبالة . (معجم البلدان) .

جائزة بنت المهدى لمسلم لبيت أجازه

خرج رسول عائشة بنت المَهدىّ، وكانت شاعرةً، إلى الشعراء وفيهم صَريع الغوانى، فقال: تُقرئكم سيدتى السلامَ وتقول لكم: من أجاز هذا البيتَ فله مائةُ دينار. فقالوا: هاته. فأنشدهم:

أنيلى نَوَالاً وجُودى لنَا ... فقد بلغتْ نَفسِىَ التَّرْقُوه

فقال صَريع:

وإنِّىَ كالدَّلْو فى حُبكم ... هَوِيتُ إذ انقطعتْ عَرْقوه[1]

فأخذ المائةَ الدِّينار.

إجازة الحسن شعر الفرزدق فى فتيا

وكان الفرزدق يجلس إلى الحَسن البَصرىّ، وجرير يجلس إلى ابن سيرين، لتباعد ما بين الرَّجلين، وكان موتُهما فى عام واحد، وذلك سنة عشر ومائة. فبينا الفرزدق جالسٌ عند الحَسن إذ جاءه رجل فقال: يا أبا سَعيد: إنّا نكون فى هذه البُعوث والسَّرايا فنُصيب المرأةَ من العدوّ وهى ذاتُ زَوْج، أفتحلّ لنا من غير أن يُطلّقها زوجُها؟ قال الفرزدق: قد قلتُ أنا فى مثل هذا فى شعرى. قال له الحسن: وماقلتَ؟ قال: قلتُ:

وذات حَليلٍ أنكحتْها رماحُنا ... حَلالاً لمن يَبْنِى بها لم تُطلَّقِ

قال الحسن: صدقتَ. ثم أقبل إليه رجلٌ آخر، فقال: يا أبا سَعيد، ما تقول فى الرجل يشُك فى الشَّخص يبدو له فيقول: والله هذا فلان، ثم لا يكون هو، ما ترى فى يَمينه؟ فقال الفرزدق: وقد قلتُ أنا فى مثل هذا. قال الحسن، وما قلت؟ قال: قلت:

١٦٨/٣

ولستَ بمأخوذ بقَول تقولُه ... إذا لم تُعمّده عاقداتُ[2] العزائم

فقال الحسن: صدقتَ.

تحكيم عباد بن منصور لرؤبة

واستعدت امرأةٌ على زَوجها عبّادَ بن منصور[3] وزعمت أنه لا يُنفق عليها. فقال لرؤبة: احكمْ بينهما. فقال:

(١) انظر الديوان (٣٠٤). (٢) فى بعض الأصول: «معقد فاتلات».
(٣) فى بعض الأصول: «عبد المنصور».

فطلِّق إذا ما كنتَ لستَ بمُنفقٍ   فما الناسُ إلا مُنفِقٌ أو مُطلِّقُ

لبشار فى الحكم بين شاعر وقومه

وكان رجل يدَّعى الشعرَ و يَستبرده قومُه ، فقال لهم: إنما تَستبردوننى من طريق الحسد . قالوا : فبيننا و بينك بشّار العُقيلى . فارتفعوا إليه . فقال له : أنشدنى . فأنشده . فلما فرغ ، قال له بشّار : إنى لأظنك من أهل بيت النُّبوة ؟ قال له : وما ذاك ؟ قال : إن الله تعالى يقول : (وَما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِى له) . فضحك القومُ وخَرجوا عنه .

بين أبى دلف وابن عبد ربه

وقال أبو دُلف :

أنا أبو دُلف المُبدِى[(1)] بقافيةٍ   جوابُها يُهلك الداهى من الغَيظِ
مَن زاد فيها له رَحْلى وراحلتى   وخاتَمى والمَدَى فيها إلى القَيظ

فأجابه ابنُ عبد ربّه :

قد زدتُ فيها و إن أضحى أبو دُلف   والنفسُ قد أشرفت منه على الفَيظِ

الفرزدق والأخطل وجرير فى خفقة لسليمان

سَمِر الفرزدقُ والأخطلُ وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلةً ، فبينما هم حوله إذ خفَق . فقالوا : نَعس أمير المؤمنين ، وهمّوا بالقيام . فقال لهم سليمان : لا تقوموا حتى تقولوا فى هذا شعراً . فقال الأخطل :

رَماه الكَرى فى رأسه فكأنّه   صَرِيعُ تَروّى[(2)] بين أصحابه خَمْرا

فقال له : ويحك ! سكران جعلتَنى . ثم قال جرير بن الخَطَفَى :

رماه الكَرى فى رأسه فكأنّما   يرى فى سواد الليل قُنبرةً حَمْرا

فقال له : ويحك ! أجعلتَنى أعمى . ثم قال الفرزدق بعد هذا :

رماه الكَرى فى رأسه فكأنّما   أَمِيمُ جَلاميدٍ تَركْن به وَقْرا[(3)]

قال له : ويحك ! جعلتنى مَشْجوجا . ثم أذن لهم فانقلبوا ، فحيّاهم وأعطاهم .

ابن أبى ربيعة والأصمعى وجرير

كان عمرُ بن أبى ربيعة القُرشىّ غَزِلاً مُشبِّبا بالنساء الحَوَاجّ رقيقَ الغزل ،

(1) فى بعض الأصول : « أنا أبو دلف الآتى » .
(2) فى بعض الأصول : « سقى من » .
(3) الأميم : الحجر يشدخ به الرأس .

*وكان الأصمعى يقول فى شعره : الفُستق المقشَّر الذى لا يُشبع منه . وكان جرير يَستبرده ، ويقول : شِعر حجازِىّ لو أنجد فى تَمُّوز لوُجد البرد فيه . فلما أنشد :

فلمـــا تلاقينا عرفتُ الذى بها ... كمثل الذى بى حذوَكَ النَّعل بالنَّعلِ

فقال : ما زال يَهذِى حتى قال الشعر .

شيء عن ابن أبى ربيعة

*وقالت العلماء : ما عُصى الله بشعر[1] ما عُصى بشعر عمر بن أبى ربيعة . ووُلد عُمر بن أبى ربيعة يوم مات عُمر بن الخطاب فسُمِّى باسمه . فقالت العلماء : أى خَير رُفع ، وأى شرّ وُضع . ثم إنه تاب فى آخر أيامه وتَنسَّك ونَذر لله أن يُعتق رقبة بكل بيت يقوله ، وإنه حَجَّ ، فبينما هو يطوف بالبيت إذ نَظر إلى فتى من نُمير يلاحظ جاريةً فى الطواف ، فلما رأى ذلك منه مراراً أتاه ، فقال له : يا فتى ، أمَا رأيت ما تَصنع ؟ فقال له الفتى : يا أبا الخَطّاب ، لا تَعجل عَلىّ ، فإنّ هذه ابنة عمّى ، وقد سُمِّيت لى ولستُ أقدر على صَداقها ، ولا أظفر منها بأكثر مما ترى ، وأنا فلان بن فلان ، وهذه فلانة بنت فلان . فعرفهما عُمر ، فقال له :
١٦٩/٣ اُقعد يا بن أخى عند هذه السارية حتى يأتيَك رسولى . ثم ركب دابّته حتى أتى منزلَ عمّ الفتى ، فقرع الباب ، فخرج إليه الرجل ، فقال : ما جاء بك يا أبا الخطّاب فى مثل هذه الساعة ؟ قال : حاجةٌ عَرضت قِبَلك[2] فى هذه الساعة . قال : هى مَقْضية . قال عمر : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قال : فإنى قد زوّجت ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان . قال : فإنى قد أجزتُ ذلك . فنزل عُمر عن دابّته ، ثم أرسل غلاماً إلى داره ، فأتاه بألف درهم ، فساقها عن الفتى ، ثم أرسل إلى الفتى فأتاه ، فقال لأبى الجارية : أقسمتُ عليكَ إلا ما أبتنى بها هذه الليلةَ . قال له : نعم . فلما أُدخلت على الفتى انصرف عمر إلى داره مسروراً بما صَنع ، فرمى بنفسه على فراشه وجعل يتململ ، ووليدةٌ له عند رأسه ، فقالت له : ياسيدى ، أرقتَ هذه الليلة أرقاً لا أدرى ما دَهمك ؟ فأنشأ يقول :

(*) بدء مشاركة الأستاذ عبد السلام هارون فى تحقيق هذا الكتاب .
(١) فى ا ، ن : « بشىء » . (٢) فى ا ، ن : « لى إليك » .

تقول وليدتِي لمّا رأتْنى … طَرِبتُ وكنتُ قد أقصرتُ حِيناَ
أُراك اليوم قد أحدثتَ شَوقاً … وهاج لك الهوى داءً دفينا
وكنتَ زعمْتَ أنّك ذو عَزاء … إذا ما شئتَ فارقتَ القَرِينا
بِعَيْشك هل رأيتَ لها رسولاً … فشاقَك أم لَقِيتَ لها خَدِينا
فقلتُ شكا إلىّ أخٌ مُحبٌّ … ببَعض زَماننا إذ تَعْلَمِينا
فَقصّ علىّ ما يلقى بِهنْدٍ … يُذكّر بعضَ ما كُنّا نَسينا
وذو القَلب المُصاب وإن تَعزّى … مَشُوق حين يَلقى العاشِقينا

ثم ذكر يمينَه . فأستغفر الله وأعتق رقبةً لكل بيت .

الأعور بن بنان والأخطل

دعا الأعورُ[(١)] بنُ بَنان التّغلبى الأخطل الشاعر إلى منزله ، فأدخله بيتاً قد نُجّد بالفُرش الشريفة والوِطاء العجيب ، وله أمرأة تُسمى[(٢)] بَرّة ، فى غاية الحسن والجمال ، فقال له : أبا مالك ، إنك رجل تدخل على الملوك فى مجالسهم ١٧٠/٣ فهل ترى فى بيتى عَيبا ؟ فقال له : ما أرى فى بيتك عيباً غيرك . فقال له : إنما أعجب من نفسى إذ كنت أدخل مثلَك بيتى ، أخرج عليك لعنة الله . فخرج الأخطل وهو يقول :

وكيف يُداوِينى الطبيبُ من الجَوَى … وبَرّة عند الأعور بن بَنَانِ[(٣)]
ويُلصق بَطْناً مُنتن الريح مُجْرِزًا[(٤)] … إلى بَطْن خَوْد دائم الخَفَقَانِ

باب من الشعر يخرج معناه فى المدح والهجاء

لشاعر فى خياط أعور

قال الشاعر[(٥)] فى خيّاط أعور يسمّى عَمْرا :

خاط لى عَمرو قَباء … ليت عينيه سَوَاءْ

(١) هو سعيد بن بنان . (انظر اللسان ١٢ : ٧٨) .
(٢) هى برة بنت أبى حانىء التغلبى .
(٣) فى ديوان الأخطل (٢٣٣) : « بيان » .
(٤) مجرز : مهزول . والرواية فى الديوان :
* أتجعل بطنا منتن الريح مقفرا *
(٥) هو بشار بن برد . انظر معاهد التنصيص ، فى (شواهد التوجيه) .

فاسأل النـاس جميعاً أمديحٌ أم هجـــاء

لحبيب وغيره فى مثله

ومثله قولُ حبيب فى مَرثية بنى حُميد ، حيث يقول :

لو خَر سيفٌ من العَيُّوق مُنصلتاً ماكان إلاّ على هاماتهم يقَعُ

فلو هُجى بهذا رجل على أنه أنجس خَلق الله لجاز فيه ، ولو مُدح به على مذهب قول الشاعر :

وإنا لتَسـتحلى المَنـايا نُفوسُنا وتترك أُخرى مُرَّةً ما تَذُوقها(١)

وقول الآخر(٢) :

ونحن أناس ما نَرى القَتل سُبَّةً إذا مارأته عامرٌ وسَــلُولُ

يُقرِّب حبُّ المَوت آجالَنا لنـا وتَـكرهـــه آجالهُمُ فَتطُول

وما مات منَّا سيِّد فى فراشـه ولا طُلَّ مِنَّا حيثُ كان قَتيل

تَسِيل على حَدِّ السيوف دماؤنا وليس على غَير السُّيوف تَسِيل

لجاز ذلك . ومثله لحَبيب :

انظر فحيثُ تَرى السُّيوفَ لوامعاً أبداً ففَــوْقَ رءوسهم تتألّقُ

ما قالوه فى تثنية الواحد

وجمع الاثنين والواحد وإفراد الجمع والاثنين

الفرزدق فى تثنية الواحد

قال الفرزدق فى تثنية الواحد :

* وعندى حُسامَا سيفه وحمائلُه(٣) *

(١) البيت من أبيات لحارثة بن بدر ، كما فى الأغانى (٢١ : ٢٠) . والرواية فيه : « وإنا لتستحي » .

(٢) هوالسموأل بن عادياء . وانظر شرح ديوان الحماسة والأمالى والجزء الأول من هذه الطبعة (ص ١٤٨) .

(٣) صدره كما فى الديوان (٧٤٠) :

* ألم تعلموا أنى ابن صاحب صوأر *

وصوأر : موضع عاقر فيه سحيم بن وثيل الرياحى غالب بن صعصعة أبا الفرزدق ، فعقر سحيم خمسا ثم بدا له ، وعقر غالب مائة . وفيه يقول جرير :

لقد سرنى ألا تعد مجاشع من الفخر إلا عقر نيب بصوأر

لجرير

وقال جرير :

لما تَذكَّرتُ بالدَّيرين أرّقنى ... صوتُ الدَّجاج وقَرْعٌ بالنَّواقيسِ

وإنما هو دَيْر الوليد، مَعروف بالشام، وأراد بالدَّجاج : الدِّيكة .

لابن الخطيم

وقال قَيس بن الخَطيم فى الدِّرع :

مُضاعفــة يَغشى الأناملَ رَيْعُها ... كأنّ قتيرَيْها عُيون الجَنادبِ[1]

لبعضهم

يريد : قَتيرها . وقال آخر :

وقال لبَوَّابَيْــه لا تُدخِلنَّه[2] ... وسُدَّا خَصاصَ البابِ عن كل مَنْظر

لأهل التفسير ثم لمعاوية

وقال أهلُ التفسير فى قوله الله عزّ وجلّ : (أَلْقِيَا فى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد) إنه إنما أراد واحداً فثنَّاه . وكذلك قولُ معاوية للجِلْواز الذى كان وكَّله برَوْح بن زِنْباع، لما اعتذر إليه رَوح واستعطفه : خَلِّيا عنه .

وقولهم فى جمع الاثنين والواحد

من كلام الله تعالى

قال الله تبارك وتعالى : (فإنْ كان له إخْوةٌ فلأمّه السُّدُس) . يريد أخوين فصاعدا . وقوله : (إنّ الذين يُنَادُونَك مِنْ وَرَاء الحُجُراتِ أكْثرُهم لا يَعْقِلُون) . وإنما ناداه رجلٌ من بنى تَميم، وقوله : (وألْقَى الأَلْوَاحَ)، وإنما هما لَوْحان .

لبعض الشعراء

وقال الشاعر :

لَوْلاَ الرَّجاء لأمرٍ ليس يَعْلمه ... خَلْقٌ سِوَاكَ لمـا ذَلَّت لـكم عُنُقِى

ومثل هذا كثير فى الشعر القديم والمُحدث .

وأمّا قولهم فى إفراد الجمع فهو أقل من هذا الذى ذكرنا .

وكذلك فى إفراد الاثنين . فمن ذلك قولُ الله تعالى : (ثُمَّ يُخْرِجُكُم طِفْلاً)

---

(١) ريع الدرع : فضل كميها على أطراف الأنامل . وفى بعض الأصول :
مضاعفة يغشى الأنامل رفعها ... كأن قتيريها رءوس الجنادب
وما أثبتنا من سائر الأصول واللسان (ريع) .

(٢) فى ا، ن : « لا تدخلنهم » .

وقوله : (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) . وقوله : (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) .

وقال جرير : — لجرير

هَذى الأرامل[1] قد قَضَّيتَ حاجتَها ... فمَن لحاجةِ هذا الأرملِ الذَّكَرِ

وقال آخر : — لبعضهم

وكأنّ بالعينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ ... أو فُلفلٍ كُحِلت به فانْهلّتِ

ولم يقل : فانهلّتا . وقال مُسلم بن الوليد : — لمسلم بن الوليد

ألاَ أَنِفَ الكَواعبُ عَن وِصالى ... غداةَ بدَا لها شيبُ القَذالِ

وقال جرير : — لجرير

* وقُلنا للنِّساء به أَقيمى[2] *

قولهم فى تذكير المؤنث وتأنيث المذكر

قال مالك بن أسماء بن خارجة الفَزارىّ فى شعره الذى أوله : — لمالك بن أسماء

* حَبَّذا ليلنا بتلِّ بَوَنَّا[3] * :

ومَرَرنا بنِسْوةٍ عطراتٍ ... وسَماعٍ وقَرْقَفٍ فنزَلْنَا[4]

ما لَهم لا يُبارك الله فيهم ... حين يُسألن مَنْحنا[5] ما فَعلنا

وقال آخر[6] . وقد استشهد به سيبويه فى كتابه : — لبعضهم

(١) فى اللسان (رمل) : « كل الأرامل » .
(٢) صدره كما فى الديوان ١٩٧ :
* منعنا الجوف والنعم المندى *
(٣) كذا فى ا ، ن ومعجم البلدان والشعر والشعراء . وتل بونا : من قرى الكوفة وعجز هذا الصدر :
* حيث نسقى شرابنا ونغنى *
والذى فى سائر الأصول : « بوانا » تحريف .
(٤) القرقف : الخمر ، وهو اسم لها .
(٥) فى بعض الأصول : « قبحنا » .
(٦) هو عامر بن جوين الطائى (سيبويه ١ : ٢٤٠) .

فلا دِيَمةٌ[1] وَدقت وَدْقَها ولا أَرْضَ أَبقلَ إبقالَهَا

١٧١/٣

لنصيب

فذكَّر الأرضَ. وقال نُصيب :

إنَّ السماحةَ والمُروءة ضُمِّنا قَبْرًا بَمرْوٍ على الطَّريق الوَاضحِ[2]

لأعرابية

وقالت أعرابية[3] :

قامتْ تُبكِّيه[4] على قَبْرِه مَن لِيَ مِن بعدك يا عامرُ

تركْتَني في الدار وحشيةً[5] قد ذلَّ مَن ليس له ناصر

لأبي نواس

وقال أبو نُواس :

كَمَن الشَّنآن فيه لَنا كَكُمُون النار في حَجرِهْ

وإنما ذكرتُ هذا البابَ في كتاب الشعر ، لاُحتياج الشاعر إليه في شعره واُتساعه فيه .

باب ما غلط فيه على الشعراء

لابن عبد ربه في تغليط سيبويه والمبرد

وأكثر مَا أُدرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ، ولكنّ أصحاب اللغة لا يُنصفونهم ، وربمَا غَلّطوا عليهم ، وتأوّلوا غيرمعانيهم التي ذهبوا إليها . فمن ذلك قولُ سيبويه ، واُستشهد ببيت في كتابه في إعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ وأخطأ فيه :

مُعاوِيَ إننا بَشرٌ فأَسْجِح فَلَسنا بالجبال ولا الحَدِيدَا[6]

---

(١) في سيبويه : « مزنة » .

(٢) البيت لزياد الأعجم من قصيدة يرثى بها المغيرة بن المهلب ، كما في الشعر والشعراء والأغاني (٣ : ٩) . أو المهلب بن المغيرة ، كما في الأغاني (١٤ : ١٠٢) .

(٣) انظر (ج ٣ ص ٢٥٩) من هذه الطبعة .

(٤) فيما مر في الجزء الثالث : « أقت أبكيه » . وعامر ، هو ابنها .

(٥) في ا ، ن « في غربة » : وفيما مر في الجزء الثالث : « ذا وحشة » . وفي رواية أخرى « لي وحشة » .

(٦) الأبيات لعقيبة بن هبيرة الأسدى ، شاعر إسلامي . وفد على معاوية بن أبي سفيان ، ودفع إليه ورقة فيها هذه الأبيات . وانظر الخزانة (١ : ٣٢٣) .

كذا رواه سيبويه على النَّصب ، وزعم أنّ إعرابه على معنى الخبر الذى فى «ليس» . وإنما قاله الشاعر على الخفض ، والشعر كله مخفوض ، فما كان يضطره أن ينصب هذا البيت ويحتال على إعرابه بهذه الحيلة الضعيفة ، وإنما الشعر :

مُعاوِىَ إنَّنا بَشَرٌ فأَسْجِحْ ... فلسنا بالجبالِ ولا الحديدِ
أكلتم أرضَنا فَجَرَدْتُمُوها ... فهل من قائمٍ أو من حَصيدِ
أتطمع فى الخُلود إذا هَلَكنا ... وليس لنا ولا لك من خُلودِ
فهَبْنا أمةً هلكتْ ضَياعاً ... يزيدُ أميرُها وأبو يَزيدِ

ونظير هذا البيت ، ما ذكره فى كتابه أيضا واحتج به فى باب النون الخفيفة :

نَبَتُّمْ نَباتَ الخَيْزُرانِىِّ فى الثَّرى ... حَديثاً متى ما يأتِك الخيرُ يَنفعا[1]

وهذا البيت للنَّجاشىّ . وقد ذكره عمرو بنُ بحر الجاحظ فى فخر قحطان على عدنان[2] ، فى شعر كُلّه مخفوض ، وهو :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغن ... بنى عامرٍ عنّى يزيدَ بن صَعْصعِ
نَبتم نَباتَ الخيزرانىّ فى الثّرى ... حديثاً متى ما يأتك الخيرُ يَنفعِ

ومثله : قولُ محمد بن يزيدَ النحوىّ المعروف بالمُبرّد ، فى كتاب الرَّوضة ، وأدركَ على الحسن بن هانئ قولَه :

وما لِبَكْرِ بن وائل عُصُمٌ ... إلا بحَمقائها وكاذِبِها

فزعم أنه أراد بحمقائها هَبنّقة القَيسىّ . ولا يقال فى الرجل حمقاء . وإنما أراد دُغَة العِجليّة ، وعِجْل فى بكر ، وبها يُضرب المثل فى الحُمق .

باب من [مقاطع] الشعر ومخارجه

أعلم بأنك متى ما نظرتَ بعين الإنصاف ، وقطعتَ بحُجة العقل ، علمتَ أنّ للمؤلف

---

(١) الشاهد فى البيت إدخال النون على « ينفعن » وهو جواب الشرط ، وليس من مواضع النون لأنه خبر يجوز فيه الصدق والكذب . (سيبويه ٢ : ١٥٢) .

(٢) هو كتاب فخر القحطانية والعدنانية ، كما فى معجم الأدباء (٦ : ٧٦) .

لكل ذى فضل فضلَه . ولا ينفع المُتقدمَ تقدُّمُه ، ولا يضرّ المتأخرَ تأخره . فأمّا مَن أساء النظم ولم يُحسن التأليف فكثير ، كقول القائل[1] : ١٧٢/٣

شَرَّ يومَيْها وأغواه[2] لهـا رَكِبتْ عَنزٌ[3] بِحِدْجٍ جَمَلَا

شرَّ يوميها نصب على المحل[4] ، وإنما معناه ركبت عنز[3] جملاً بحِدْج فى شر يوميها[5] . وكقول الفرزدق :

وما مِثْلُه فى النّاس إلا مُملَّكاً أبو أُمِّه حىٌّ أبوه يُقاربُهُ

معناه : ما مِثل هذا الممدوح فى الناس إلا الخليفة الذى هو خاله ، فقال : أبو أُمه حىٌّ أبوه يقاربه . فبعّد المَعنى القريب ، ووعّر الطريق السهل ، ولبَّس المعنى بتوعّر اللفظ وقُبح البِنية ، حتى ما يكاد يُفهم . ومثل هذا ، إلا أنه أقرب منه إلى الفهم ، قولُ القائل :

بينما ظِلٌّ ظَليلٌ ناعم طلعتْ شمسٌ عليه فاضمحلْ

يريد : حتى طلعت شمس عليه ومثلُه قولُ الآخر :

إنّ الكَريم وأبيكَ يَعْتمل إن لم يَجد يوماً على مَن يَتّكل[6]

يريد : على من يتكل عليه . ولله دَرّ الأعشى حيث قال [فى المخبأة] :

لم تَمشِ ميلاً ولم تَركب على جَملٍ ولم تَرَ الشمسَ إلا دونَها الكِلَلُ

وأبين منه قولُ النابغة :

---

(١) هو أحد بنى جديس . (انظر اللسان حدج وعنز — والكامل للمبرد ١١٤ — ومجمع الأمثال . ١ : ٢٧٧ ، ٣٢٨) .

(٢) كذا فى أكثر الأصول واللسان ومجمع الأمثال (١ : ٣٢٨) . والذى فى سائر الأصول والكامل للمبرد (١١٤) : « وأخزاه » .

(٣) فى الأصول والكامل : « هند » تحريف والتصويب من اللسان ومجمع الأمثال . وعنز : امرأة من طسم سبيت فى حرب كانت بين طسم وجديس . والحدج ، بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء نحو الهودج .

(٤) فى بعض الأصول : « الحال » .

(٥) ويروى « شر » بالرفع ، أى هذا شر يوميها ، أى يومى اعتزازها وإذلالها .

(٦) اعتمل الرجل : عمل بنفسه . وانظر اللسان (عمل) .

ليست من السُّود أعقاباً إذا انصرفتْ ... ولا تبيع بأعلى مكة البَرَمَا

لبعض أهل العصر فى احتذاء النابغة

وقد حذا على مثال قول النابغة بعضُ المبرزين من أهل العصر ، فقال :

ليست من الرُّمص أشفاراً إذا نظرت ... ولا تَبيع بفوق الصَّخرة الرُّغُفا

فقيل له : ما معناك فى هذا ؟ قال : هو مثلُ قول النابغة ، وأنشد البيت ، وقال : ما الفرق بين أن تبيع البَرَم أو تبيع الرُّغُف ، و بين أن تكون رمصاء العينين أو سوداء العَقِبين .

أبو نواس وأبو تمام فى معنى

وانظر إلى سُهوله معنى الحسن بن هانئ وعُذوبة ألفاظه فى قوله :

حذَرَ امرئ ضربت يداه على العدا ... كالدَّهر فيـــه شراسةٌ وليانُ

وإلى خُشونة ألفاظ حبيب الطائى فى هذا المعنى حيث يقول :

شَرِسْتَ بل لِنْتَ بل قانيتَ[1] ذاك بذا ... فأنتَ لا شكَّ فيك السهلُ والجبلُ

لبعضهم

وقد يأتى من الشعر مالا فائدة له ولا معنى كقول القائل :

الليلُ ليلٌ والنهارُ نهارُ ... والأرضُ فيها الماء والأشجارُ

للأعشى

وقال الأعشى :

إنَّ محلاً وإنَّ مُرتحلاً ... وإنَّ فى السَّفْر إذ مَضَى مَهَلَا[2]

لإبراهيم الشيبانى

وقال[3] إبراهيم الشَّيبانىّ الكاتب : « قد تكون الكلمة إذا كانت مفردةً حُوشيّة بشعة ، حتى إذا وضعت فى موضعها وقُرنت مع إخوتها حَسُنت ، كقول الحسن بن هانئ :

* ذو حَصَر[4] أفلت من كَرّ القُبَل[5] *

(١) فى الديوان (٢٢٨) : « بل قانيت » . وقانيت الشىء : خلطته .
(٢) كذا فى بعض الأصول والديوان (١٥٥) . والتى فى سائر الأصول : « إذا مضوا مثلا » . ومعنى البيت : إن لنا محلا وإن لنا مرتحلا إلى الآخرة . وإن السفر ، أى من تقدم لأخرته فاز وظفر . والمهل : السبق . وقيل : « وإن فى السفر ... » أى ذهابا لا يرجعون .
(٣) انظر رسائل البلغاء (٢٣٥ — ٢٤٥ الطبعة الثالثة) .
(٤) فى بعض الأصول : « حصر » .
(٥) فى ن : « ذو حصر ... كد السل » . وفى بعض الأصول : « كد النيل » .

والسكر : كلمة خسيسة ، ولا سيما فى الرقيق والغزل والنسيب ، غير أنها لما وضعت فى موضعها حَسُنت ، وكذلك الكلمة الرقيقة العذْبة ربما قَبُحت ونفرت إذا لم تُوضع فى موضعها ، مثل قول الشاعر :

رأت رائحاً جَوْناً فقامت غَرِيرةً بِمِسْحاتِها جُنحَ الظلام تُبادِرُهْ

فأوقع الجافى الجلْفُ هذه اللفظةَ غير موضعها ، وبَخسها حقَّها حين جعلها فى غير مكانها حقًّا ، لأنّ المسَاحى لا تَصلح للغرائر . ١٧٣/٣

واعلم أنه لا يَصلح لك شىء من المنثور والمنظوم إلا أن يُجرى منه على عِرق ، وأن يتمسّك منه بسبب ، فأمّا إن كان غيرَ مُناسب لطبيعتك ، وغير ملائم لقَريحتك . فلا تُنضِ مطيّتك فى التماسه ، ولا تُتعب نفسَك فى ابتغائه ، باستعارتك ألفاظَ الناس وكلامَهم ، فإنّ ذلك غيرُ مُثمر لك ولا مُجدٍ عليك ، ما لم تكن الصناعة ممازجةً لذهنك ، ومُلتحمة بطبعك .

واعلم أنّ من كانَ مرجعُه اغتصابَ نظم من تقدّمه ، واستضاءتَه بكوكب مَن سبقه ، وسَحْبَ ذيل حُلة غيره ، ولم تكن معه أداة تُولِّد له من بناتِ ذِهنه ونتائج فكره ، الكلامَ الجَزْل ، والمعنى الحَفْل[١] ، لم يكن من الصناعة فى عِير ولا نَفير ، ولا وِرْد ولا صَدَر . على أنّ سماع كلام الفصحاء المطبوعين ، وَدرْسَ رسائل المُتقدمين[٢] ، هو على كل حال مما يَفتق اللسان ، ويُقوّى البيان ، ويُحد الذهن ، ويَشحذ[٣] الطبع ، إن كانت فيه بقيّة ، وهناك خَبيّة .

واعلم أنّ العلماء شبّهت المعانى بالأرواح ، والألفاظَ بالأجساد والألباب . فإذا كتب الكاتبُ البليغ المعنى الجزلَ ، وكساه لفظاً حسنا ، وأعاره مَخرجا سهلا ، ومَنحه دَلاًّ مُونقا ، كان فى القلب أحلَى ، وللصدر أملا . ولكنه يبقى عليه أن يُؤلفه مع شقائقه وقُرنائه ، ويجمع بينه وبين أشباهه ونظائره ، وينَظمه

(١) فى بعض الأصول : « الكلام الجزم والمعنى الجزل » .
(٢) فى بعض الأصول : « ودرس وسائل الشعر من المتقدمين » .
(٣) فى بعض الأصول : « ويستحد » .

في سِلكه كالجوهر المنثور ، الذي إذا تولى نظمه الناظمُ الحاذقُ ، وتعاطى تأليفَه الجوهريُّ العالم ، أظهر له بإحكام الصّنعة ، ولطيف الحِكمة ، حُسناً هو فيه ، وكساه ومَنحه بهجة هي له . وكذلك كلما أحلولى الكلامُ ، وعذُب وراق ، وسَهُلت مخارجه ، كان أسهلَ وُلوجاً في الأسماع ، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب ، وأخفَّ على الأفواه ؛ لا سيما إذا كان المعنى البديعُ مترجَما بلفظ مُونق شريف ، لم يَسِمْه التكلفُ بِمِيسمه ، ولم يُفسده التعقيدُ باُستهلاكه ، كقول ابن أبي كَريمة :

قَفاه وجهٌ والذي وجهُهُ   مثلُ قَفاه يُشبه الشَّمسا

فهجّن المعنى بتعقيد مخارج الألفاظ . وأخذه الحسنُ بن هانئ ، فأوضحه وسهّله حيث قال :

بأبي أنتَ مِن غزالٍ غَريرٍ   بزَّ حُسنَ الوُجوه حُسنُ قَفاكا

وكلاهما أخذه من حسّان بن ثابت حيث يقول :

قَفاؤك أحسنُ من وجهه   وأمُّك خيرٌ من المنذرِ[1] »

وقد يأتي من الشعر في طريق المَدح ما الذمُّ أولى به من المدح ، ولكنه يُحمل على مَحملِ ما قبله وما بعده ، ومثله قولُ حبيب :

لو خَرّ سيفٌ من العَيُّوق مُنصلتاً   ما كان إلّا على هاماتِهم يَقعُ

وهذا لا يجوز ظاهره في شيء من المدح ، وإنما يجوز في الذم والنَّحس ؛ لأنك لو وصفت رجلا بأنه أنحسُ الخلق لم تَصِفه بأكثر من هذا . وليس للشجاعة فيه وجهٌ ، لأنّ قولَهم : « لو خَر سيف من السماء لم يقع إلا على رأسه » . هذا رأس كل نَحس .

(١) إلى هنا ينتهي النقل عن الشيباني مع خلاف كثير في الكلمات وأماكن العبارات .

قولهم فى رقة التشبيب

لابن الأحنف ومن الشعر المطبوع الذى يجرى مع النَّفس رِقةً، ويُؤدِّى عن الضمير إبانة، مثل قولِ العبّاس بن الأحنف:

وليلة ما مثلُها لَيــلةٌ صاحبُها بالنحس مَفْجوع[1]
١٧٤/٣ ليلةَ جئناها على مَوعدٍ نَسْرِى وداعِى الشوقِ مَتْبوع[2]
لما خَبت نيرانُها وانكفأ السَّـ ـامِر عنها وهو مَصروع[3]
قامتْ تَثَنَّى وهى مَرْعوبةٌ تَودّ أنّ الشملَ مَجموع
حتى إذا ما حاولتْ خطوةً والصدرُ بالأرداف مَدْفوع
بَكى وِشَاحاها على مَتْنها[4] وإنما أبكاهما الجُــوع
فانتبه الهادُون مِن أهلِها وصار للمَوْعود مَرْجوع
يا ذا الذى نَمّ علينا لَقَدْ قُلْتَ ومنك القولُ مَسْموع
لا تَشْغليني أبداً بعــدها إلا ونَمّامُك مَنْزوع[5]
ما بال خَلْخالِك ذا خَرْسة لسانُ خَلخالك مَقْطوع
عاذِلتى فى حُبها أقْصِرى هذا لَعَمْرِى عنكِ مَوْضوع

لبشار بن برد [وفى معناه لبشار بن بُرد:

سَيِّدى لا تأت فى قمر لحديثٍ وارقب الدُّرُعا[6]
وتوقَّ الطِّيبَ ليلتَنا إنه واش إذا سَطَعا

---

(١) كذا فى بعض الأصول وديوان ابن الأحنف طبعة الجوائب (ص ٩٨). والذى فى سائر الأصول: «صاحبها بالسعد مفجوع».
(٢) فى الديوان: «الحب».
(٣) كذا فى بعض الأصول والديوان. والذى فى سائر الأصول: «مصدوع».
(٤) فى الديوان: «ولم يشكيا».
(٥) هذا البيت ناقص من الديوان.
(٦) كذا فى ا والمختار من شعر بشار (٩٧). والدرع، بسكون الراء، وضمت للشعر: ليلة ست عشرة وسبع عشرة وثمان عشرة؛ الواحدة درعاء، سميت بذلك لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها. والذى فى سائر الأصول: «أملى». وأثبتها.

وله أيضا :

يقولان لو عزيت قلبك لارعوى ... فقلت وهل للعاشقين قلوب]

لكثير حين سمع شعر الجميل

الأصمعى قال : سمع كُثَيِّر عزة مُنْشداً يُنشد شعرَ جَميل بن مَعمر ، الذى يقول فيه :

ما أنتِ والوعدَ الذى تَعِدِينَنى ... إلّا كبرقِ سَحابةٍ لم تُمطِرِ
تُقضَى الديونُ وليس يُقضَى عاجلاً ... هذا الغريمُ ولستُ فيه بمُعسِر
يا ليتَنى ألقَى المنيـــةَ بغتةً ... إن كان يومُ لقائكم لم يُقدَر
يَهواكِ ما عشتُ الفؤادُ وإن أَمُت ... يَتْبعْ صَداى[1] صداكِ بين الأقبُر

فقال كُثَيِّر : هذا والله الشعرُ المَطبوع، ما قال أحدٌ مثلَ قولَ جميل ، وما كنتُ إلا راويةً لجميل ، ولقد أبقى للشعراء مثالاً يُحتذى عليه .

للفرزدق وسمع شعرا لابن أبى ربيعة

وسمع الفرزدقُ رجلا يُنشد شعر عُمر بن أبى رَبيعة الذى يقول فيه :

فقالت وأرْخَت جانبَ السِّتْرِ إنما ... مَعِى فتحدَّثْ غيرَ ذِى رِقْبةٍ أهْلى
فقلتُ لها مالى بهم من تَرقُّبٍ ... ولـكنّ سِرّى ليس يَحمله مِثْلى

حتى انتهى إلى قوله:

فلما تواقَفنا عرفتُ الذى بها ... كمِثل الذى بى حذوَكَ النَّعلَ بالنَّعلِ

فقال الفرزدق : هذا والله الذى أرادت الشعراء أن تقوله فأخطأته ، وبكت على الطُّلول .

وإنما عارض بهذا الشعر جميلاً فى شعره الذى يقول فيه :

خَليلىَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما ... قتيلاً بكَى من حُبِّ قاتلِه قَبْلِى

فلم يصنع عمرُ مع جميل شيئا .

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى رقّة النَّسيب والشعر المَطبوع ، الذى ليس بدون ما تقدّم ذِكْرُه :

---

(١) فى الأصول : « صواى » .

صحا القلبُ إلا خَطْرَةً تبعث الأسَى   لها زَفرةٌ موصولةٌ بحَنينِ
بلَى رُبما حَلَّت عُرى عَزَماته   سوالفُ آرامٍ وأعْيُن عِين
لواحظُ حَبّات القُلوب إذا رَنَت   بسِحْر عُيونٍ وانكسار جُفون
ورَيْطٌ مَتين الوَشْي[(١)] أينعَ تحته   ثِمارُ صُدور لا ثِمارُ غُصون
بُرُودٌ كأنوار الرَّبيع لِبسنَها   ثيابُ تَصابٍ فى[(٢)] ثياب مُجون
فَرَيْن أديمَ اللَّيل عن نُور أوْجُهٍ   تُجَنّ بها الألبابُ أيّ[(٣)] جُنون
وجوهٌ جرى فيها النَّعيمُ فكُلِّلت   بوَرْد خُدود يُجتَنَى بعُيون[(٤)] ١٧٥/٣
سألبس للأيام دِرعاً من العَزَا[(٥)]   وإن لم يَكُن عند اللّقا بحَصِين
فكيف ولى قلبٌ إذا هَبّت الصَّبا   أهابَ بِشَوق فى الضُّلوع دَفين
ويَهتاجُ منه كُلُّ ما كان ساكناً   دُعاءُ حَمامٍ لم يَبِت بوُكون
وإنّ ارتياحى من بُكاء حَمامةٍ   كَذِى شَجن داوَيتَه بشُجون
كأن حَمامَ الأيك حِين تَجاوبت   حزينٌ بكَى من رَحْمة لحَزين

وله فى معارضة صريع الغوانى

ومما عارضتُ به صريعَ الغوانى فى قوله :

أديرا علىّ الرَّاحَ لا تشربَا قَبلى   ولا تَطْلُبا من عند قاتِلتى ذَحْلِى
فيا حَزنى أنّى أموت صبابةً   ولكنْ على من لا يَحُلُّ له قَتْلى
فَدَيتُ[(٦)] التى صَدّت وقالت لِتِرْبها   دَعِيه ، الثُّريّا منه أقربُ من وَصْلى

فقلتُ على رويّه[(٧)] :

أتقتُلنى ظُلماً وتَجْحدنى قَتْلى   وقد قام مِن عَيْنيك لى شاهدا عَدْلِ
أطُلّابَ ذَحْلى ليس بى غيرُ شادِنٍ   بعَيْنيه سِحْرٌ فاطلُبوا عنده ذَحْلى

(١) فى ا ، ن : « وريط من الوحى » .
(٢) فى بعض الأصول : « لا » .
(٣) فى بعض الأصول : « كل » .
(٤) فى بعض الأصول : « وعيون » .
(٥) فى بعض الأصول : « الأسى » .
(٦) فى بعض الأصول : « أحب » .
(٧) فى ا ، ن : « وزنه » .

أغارُ على قلبي فلمّا أتيتُه ... أطالبه فيه أغار على عقلي
بنفسي التي ضنّت بردِّ سلامها ... ولو سألتْ قتلي وهبتُ(1) لها قتلي
إذا جئتُها صدّت حياءً بوجهها ... فتهجرني هجراً ألذَّ من الوصل
وإن حكمتْ جارتْ عليّ بحكمها ... ولكنّ ذاك الجورَ أشهى من العدل
كتمتُ الهوى جهدي فجرّده الأسى ... بماء البُكا هذا يخطّ وذا يُملي
وأحببتُ فيها العذلَ حبًّا لذكرها ... فلا شيء أشهى فى فؤادى من العذْل
أقول لقلبي كلما ضامَه الأسى ... إذا ما أبيتَ العزّ فاصبر على الذُّل
برأيكِ لا رأيي تعرّضتُ للهوى ... وأمركِ لا أمري وفعلكِ لا فعلي
وجدتُ الهوى نصلاً من الموت مُغمَدا ... فجرّدتُه ثم اتّكأتُ على النَّصْل
فإن كُنتُ(2) مقتولاً على غير رِيبة ... فأنتِ التي عرّضتِ نفسي(3) للقتل

فمن نظر إلى سُهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه، لم يفضّله شعرُ صريع الغوانى عنده إلا بفضل التقدم، ولا سيما إذا قرن قوله فى هذا الشعر:

كتمتُ الذي ألقى من الحُبّ عاذلي ... فلم يدرِ ما بي فاسترحتُ من العذْلِ

بقولى فى هذا الشعر:

وأحببتُ فيها العذلَ حبًّا لذكرها ... فلا شَيء أشهى فى فؤادى من العذْلِ
كتمتُ الهوى جهدى فجرّده الأسى ... بمـاء البكا هذا يخط وذا يُملِي
أقولَ لقلبي كلما ضامه الأسى ... إذا ما أبيت العز فاصبرْ على الذل

ومن قولنا فى رِقّة النسيب وحُسن التشبيب: — ولهُ فى رقة النسيب

كم سَوسنٍ لَطفَ الحياءُ بلونه ... فأصاره وَردًا على وَجناتِه

ومثله:

(1) فى ا، ن: «بذلت».
(2) فى بعض الأصول: «فإن تك ... فأنت التى عرضت نفسك».
(3) فى بعض الأصول: «فإن تك».

يا لؤلؤاً يَسْبى العقول⁽¹⁾ أنيقا ... ورَشاً بتقطيع القلوب رَفيقا
ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ... دُرًّا يعود من الحياء عقيقا

ونظيرُ هذا من قولنا في رقة التَّشبيب وحُسن التشبيه البديع الذى لا نظير ١٧٦/٣ له ، والغريب الذى لم يُسبق إليه :

حَوْراء داعَبها الهوى⁽²⁾ فى حُورِ ... حكمتْ لواحظُها على المقدورِ
نظرتْ إلىَّ بمُقْلَتىْ أُدْمانة⁽³⁾ ... وتلفّتت بسَوالف اليَعْفور
فكأنما غاض⁽⁴⁾ الأسى بجفونها ... حتى أتاك بلؤلؤ مَنْثُور

ونظيرُ هذا من قولنا :

أدْعو إليك⁽⁵⁾ فلا دُعاء يُسمَع ... يامَن يَضُرُّ بناظرَيْه وينفع
للوَرْد حِينٌ ليس يطلُع دونه ... والوردُ عندك كُلَّ حين يَطلُع
لم تنصدع كَبِدى عليك لضَعْفها ... لكنها ذابتْ فما تتصدّع
مَن لى بأحورَ ما يُبين لسانُه ... خَجلاً وسيفُ جُفونه ما يَقطَع⁽⁶⁾
مَنع الكلامَ سوى إشارةِ مُقلةٍ ... فبها يُكلِّمنى وعنها يَسْمع

ومثله :

جَمالٌ يفوت الوَهْمَ فى غاية الفِكْر ... وطَرْفٌ إذا ما فاه يَنْطق بالسِّحرِ
ووجهٌ أعارَ البدرَ حُلَّة⁽⁷⁾ حاسدٍ ... فمنه⁽⁸⁾ الذى يَسْودّ فى صَفحة البَدْر

---

(١) فى ن : « القلوب » .
(٢) فى بعض الأصول : « راعتها النوى » .
(٣) أدمانة ، لغة فى أدماء الظبية ، ومنه قول ذى الرمة :
أقول للركب لما أعرضت أصلا ... أدمانة لم تربيها الأجاليد
(٤) فى بعض الأصول : « غلط » .
(٥) فى بعض الأصول : « عليك » .
(٦) فى بعض الأصول : « ما يقلع » .
(٧) فى بعض الأصول : « ذلة » .
(٨) فى بعض الأصول : « فمن ذا » .

لبشار بن برد

[وقال بشّار بن بُرْد :

وَيْح قلبى فى حُبّها مما يُجِنّ[1]   ضاق من كِتْمانه حتى عَلَنْ

لا تَلُمْ فيها وحَسِّن حُبَّها   كل ما قَرّتْ به العَيْنُ حَسَنْ

وله :

كأنها روضةٌ مُنَوَّرةٌ   تنفَّستْ فى أواخرِ السَّحَرِ

ولبشّار ، وهو أشعر بيت قاله المولدون فى الغزل :

أنا والله أشتهى سِحْرَ عَيْنَيْـــكِ وأخشى مَصارعَ العُشّاقِ

وله :

حَوْراءُ إن نظرت إليـــك سَقَتْكَ بالعينين خَمْرَا

وكأنّها بَرْدُ الشرا   بِ صَفَا ووافق منك فِطْرا

لأبى نواس

ولأبى نُواس :

وذات خَدٍّ مورَّدْ   قُوهيّة المُتجـــرَّدْ

تأمّل العـــينُ منها   محاسنًا ليس تَنْفَد

فبعضُه فى انتهاء   وبعضُــه يتولّد

وكلّما عُدْتَ فيـــه   يكون فى العَوْدِ أحْمَد

وله أيضاً :

ضعيفةُ كَرِّ الطَّرْفِ تَحسب أنّها   قريبةُ عهد فى الإفاقة مِن سُقْم]

قولهم فى النحول

قال عمرُ بن أبى ربيعة القُرشىّ يصف نُحولَ جِسْمه وشُحوبَ لونه فى شِعره

لابن أبى ربيعة

الذى يقول فيه :

رأتْ رجلاً أيْمَا إذا الشمسُ عارضَتْ   فيَضْحَى وأيْمَا بالعَشىّ فيَخْصَرُ

(١) فى المختار من شعر بشار : « حب قلبى ما به من حبها » .

(٢) كذا فى الديوان (ص ٣٧١) . والذى فى البيان والتبيين (١ : ١٤١) : « قد تناهى » . والذى فى الأصول : « فى أدم » .

أخا سَفر جَوّابَ أرْض تقـاذفتْ … به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغـبرُ
قليلاً على ظَهر المَطيّة شَخصُـه … خلاَ ما نَفَى عنه[1] الرداء المُحبَّر

وفى هذا الشعر يقول :

فلما فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ … مصابيحُ شُبّت بالعِشاء وأنْوُرُ
وغاب قُمَير كنتُ أرجو غُيوبَه … ورَوّح رُعيـان ونَوّم سُمَّر
وخُفِّض عنّى الصوتُ[2] أقبلتُ مِشيةَ الـ … ـحُباب ورُكْنى خِيفَةَ القوم أزور
فحَيّيتُ إذ فاجأتُهـا فتلهّفتْ … وكادت بمَكتوم التّحيّة تَجهر
وقالت وعَضّت بالبَنان فضحتَنى … وأنت أمرؤٌ مَيْسورُ أمرك أعْسر
أريتَك[3] إذ هُنّا عليك ألم تَخفْ … رقيباً وحَولى من عدوّك حُضَّر
فوالله ماأدرى أتعجيـلُ حاجةٍ … سَرتْ بك أم قد نام من كُنتَ تَحذر
فقلتُ لها بل قادنى الشوقُ والهوى[4] … إليك وما عينٌ من النـاس تَنظر
فيالك من ليـلٍ تقاصَر طولُه … وما كان ليلِى قبل ذلك يَقْصُر
ويالكَ من مَلهًى[5] هُناك ومجلس … لنـا لم يُكدِّره علينا مُكدِّر
يَمُج ذكىَّ المسك منها مُفلَّجٌ … رقيقُ الحواشى ذو غُروب مُؤشر
يَرِفُّ[6] إذا تَفترُّ عنـه كأنه … حصَى بَرَد أو أُقحوانٌ مُنَوّر
وتَرْنو بعَيْنيهـا إلىَّ كمارَنا … إلى رَبْرَبٍ[7] وَسْط الخَميلة جُؤْذُر
فلمّا تقضّى الليـلُ إلّا أقلَّه … وكادت تَوالِى نَجْمِـه تتغوّر ١٧٧/٣
أشارت بأنّ الحَىّ قد حان منهمُ … هُبوبٌ ولـكنْ موعدٌ لك عَزْوَر[8]

(١) فى ا ، ن : « ظله » خلا ما بقى منه » .
(٢) فى بعض الأصول : « ونفض عنى النوم » .
(٣) فى بعض الأصول : « رأيتك » . (٤) فى بعض الأصول : « والأسى » .
(٥) فى بعض الأصول : « ليل »
(٦) فى بعض الأصول : « بروق » .
(٧) فى ا ، ن : « ظبية » .
(٨) عزور : موضع قرب مكة .

فما راعنى إلا مُنادٍ برحْــلة وقد لاح مَفْتوق من الصُّبح أشقر
فلما رأتْ مَن قد تَنوَّر منهمُ وأيقاظَهم قالت أشِرْ كيف تأمُر
فقلتُ أُباديهم فإمّــا أفوتُهم وإما يَنالُ السيفُ ثأراً فيثأر
فقالت أتحقيقاً لما قال كاشحٌ علينا وتصديقاً لما كان يُؤثر
فإنْ كان ما لا بُدَّ منــه فغيرُه من الأمر أدْنى[1] للخَفاء وأسْتر
أَقُصّ على أُختَىَّ بَدْء حَديثنــا ومالِيَ من أنْ يَعلمــا مُتأخّر
لعلّهما أن يَبْغِيــا لك مَخْرجا وأن يَرْحُبا صدراً بما كُنتُ أحْصر[2]
فقالت لأختيها أعِينــا على فَتىً أتَى زائراً والأمرُ للأمْرِ يُقدر
فأَقبلتا فارتاعتَا ثم قالتــا أقِلّى عليكِ اللومَ فالخَطْبُ أيْسر
يقوم فيَمْشى بيننا مُتنكّرا فلا سِرُّنا يَفْشو ولا هو يُبصَر
فكان مِجَنّى دون من كنتُ أتّقى ثلاثُ شُخوص كاعبان ومُعْصِر
فلمّا أجزنا ساحــةَ الحىّ قُلْن لى ألم تَتَّق الأعــداء والليلُ مُقْمِر
وقُلن أهذا دأْبُك الدهرَ سادراً[3] أما تَستحى أم تَرْعوى أم تُفكّر

ويُروى أن يزيدَ بن معاوية لما أراد تَوجيه مُسلم بن عُقبة إلى المدينة اعترض الناسَ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرس قبيح، فقال له: يا أخا أهل الشام، مجنّ ابن أبى ربيعة كان أحسَنَ من مِجَنك هذا — يريد قولَ عمر ابن أبى ربيعة:

فكان مجنّى دون من كنتُ أتّقى ثلاثُ شُخوص كاعبان ومُعْصر

لأعرابى

وقال أعرابىٌّ فى النحول:

ولو أنّ ما أبقيتِ منّى مُعلَّقٌ بعُود ثُمام ما تأوّد عُودُها

(١) فى بعض الأصول: «أوفق».
(٢) فى ا، ن: «أحذر». (٣) فى ا، ن: «جاهدا».

لبعضهم

وقال آخر :

إن تسألونى عن تَباريح الهوى … فأنا الهوى وأبو الهوى وأخُوه

فانظر إلى رجل أضرّ به الأسَى … لولا تقلّبُ طَرْفه دَفَنـــوه

لمجنون بنى عامر

وقال مجنون بنى عامر فى الأحول :

ألاَ إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ … صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يَذْهبِ

للحسن بن هانئ

[وللحسن بن هانئ :

كما لا يَنقضى الأرَبُ … كذا لا يَفْتُر الطَّلَبُ

ولم يُبْقِ الهوى إلاّ … أقلّى وهو مُحْتَسب

سِوَى أنّى إلى الحيوا … ن بالحركات أنْتَسِب]

لخالد الكاتب

وقال آخر، وهو خالدٌ الكاتب :

هذا مُحِبّك نِضْو لا حراكَ[1] به … لم يَبْقَ من جِسْمه إلا توهّمه

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

سبيلُ الحبّ أوّله اغترارُ … وآخِرُه هُمـــومٌ وادّكارُ

وتَلْقى العاشقين لهم جُسوم … بَرَاها الشوقُ لو نُفِخوا لطارُوا

ومثلُه من قولنا :

لم يبقَ من جُثمانه … إلا حُشاشةُ مُبْتئِسْ

١٧٨ / ٣ قد رَقّ حتى ما يُرى … بل ذاب حتى ما يُحسّ

للحسن بن هانئ

وقال الحسنُ بن هانئ فى هذا المعنى فأرْبَى على الأولين والآخرين :

يا من تَموّت[2] عَمْدا … فكان للعين أمْلَى[3]

وفى الشُّعونة أرْبَى … فكان أشهَى وأحلى

---

(٢) فى بعض الأصول : « حبا لا حياة به » .

(١) فى بعض الأصول : « تمرد » .

(٢) فى بعض الأصول : « أحلا » .

أردت أن تَزْدريك الْـ   ـعُيونُ هَيهاتَ كَلّا
يا عاقـِدَ القَلْبِ منّى   هلّا تَذكّرتَ حَلّا
تركتَ منّى قليــلاً   مِن القليـــلِ أقلّا
يَكاد لا يتَجزّا   أقلّ فى اللّفظ مِن لا

لأبى العتاهية

[ولأبى العتاهية:

تلاعبتِ بى يا عُتْبَ ثم حَمَلْتِنى   على مَرْكَب بين المَنيّة والسُّقْمِ
ألا فى سبيل الله جِسْمى وقُوتى   ألا مُسْعِد حتى أنوحُ على جِسمى

وله :

لم تُبق منّى إلا القليلَ وما   أحسبها تترك الذى بَقِيـــــــا]

قولهم فى التوديع

بين سعيد بن حميد وجارية له

قال سَعيد بن حُميد الكاتب، وكان على الخَراج بالرقّة : ودّعتُ جاريةً لى تُسمى « شفيع » ، وأنا أضحك وهى تبكى ، وأقول لها : إنما هى أيام قلائل . قالت : إن كنت تقدر أن تُخلف مثل « شَفيع » فنَعَمْ . فلما طال بى السفرُ واتصلت بى الأيام كتبتُ إليها كتابا وفى أسفله :

ودعتُها والدمعُ يقطُر بيننا   وكذاك كُل مُلَذَّع[1] بفِراقِ
شُغلتْ بتَنفيض الدُّموع شِمالُها   ويَمينها مشغولةٌ بعِنــاقِ

قال: فكتبتْ إلىّ فى طُومار كبير ليس فيه إلا « بسم الله الرحمن الرحيم » وفى آخره : « يا كذاب » — وسائر الكتاب أبيض . قال : فوجّهتُ الكتاب إلى ذى الرياستين الفضل بن سَهل ، وكتبْت إليها كتابا على نحو ما كتبتْ ، ليس فيه إلا « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فى أوله ، وفى آخره أقول :

فودعتُها يوم التّفرّق ضاحكاً   إليها ولم أعلَم بأنْ لا تلاقيا

(١) فى بعض الأصول : « موزع » .

فلو كنتُ أدرى أنه آخر اللِّقا   بكيتُ وأبكيتُ الحبيبَ المصافيا

قال : فكتبتُ إلىّ كتابا آخر ليس فيه إلا « بسم الله الرحمن الرحيم » فى أوله ، وفى آخره : « أُعيذك بالله أن يكون ذلك » . فوجهته إلى ذى الرياستين الفضل بن سهل ، فأشخصنى إلى بغداد وصيّرنى إلى ديوان الضياع .

عبيد الله بن يحيى بين جاريتين

محمد بن يزيد الرَّبعىّ[1] عن الزُّبير عن عُبيد الله[2] بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل قال : إنه لما نفاه المتوكل إلى جزيرة أقريطش[3] ، فطال مُقامه بها ، تمتَّع بجارية رائعة الجمال ، بارعة الكمال ، فأنسته ما كان فيه من رَونق الخلافة وتَدبيرها . وكان قبل ذلك مُتيَّما بجارية خلَّفها بالعراق ، فسلا عنها . فبينما هو مع الأقريطشيّة فى سُرور وحُبور يَحلف لها أنه لا يُفارق البلدَ ماعاش ، إذ قَدِم عليه كتابُ جاريته من العِراق ، وفيه مكتوب :

كيف بَعدى لا ذُقتمُ النومَ[4] أنتمْ   خَبِّرونى مذ بِنْتُ عنكم وبِنْتُم

بِمراض الجُفون من خُرَّدِ العِـ   ـين ووَرْدِ الخُدود بعدى فُتِنتم

يا أخـلّاى إنّ قلبى وإن با   ن من الشّوق عندكم حيثُ كُنتم

فإذا ما أبَى الإلٰه اجتماعا   فالمَنايا علىّ وخَدِى وعِشْتم[5]

أخذَتْ هذا المعنى من قول حاتم :

إذا ما أتى يومٌ يُفرقٌ بيننا   بمَوت فكُن أنتَ الذى تتأخَّرُ

فلم يباشر لذةً بعد كتابها ، حتى رضى عنه المُتوكل وصَرفه إلى أحسن حالاته .

المعتز وجارية ابن رجاء

الزُّبيرىّ قال : حدّثنى ابنُ رجاء[6] الكاتب قال : أخذ منى الخليفة المُعتز جاريةً كنتُ أُحبها وتُحبنى ، فشربا معاً[7] فى بعض اللّيالى ، فسكر قبلها وبقيتْ ١٧٩/٣

(١) فى بعض الأصول : « القرشى » تحريف . وانظر تهذيب التهذيب (٩ : ٥٣) .
(٢) فى بعض الأصول : « عبد الله » تحريف . وانظر الطبرى (٣ : ١١٤٤) .
(٣) أقريطش ، بفتح الهمزة وتكسر : جزيرة فى بحر الغرب . (معجم البلدان) .
(٤) فى ١ ، ن : « البين » .   (٥) فى ١ ، ن : « ودمتم » .
(٦) فى ١ ، ن : « ابن أبى رجاء » .   (٧) فى ١ ، ن : « فضرب معها » .

وحدها ولم تبرح من المجلس هيبةً له ، فذكرتْ ما كُنّا فيه من أيامنا ، فأخذت العُود فغنّت عليه صوتاً حزيناً من قلب قريح ، وهى تقول :

لا كان يومُ الفِراق يوماً ... لم يُبقِ للمُقْلتَيْن نَوْماَ
شَتّتَ منّى ومنك شَملاً ... فسَرَّ قوماً وساء قَوما
ياقوم مَن لى بوَجْد قَلب ... يسُومنى فى العذاب سَوْما
ما لا مَنى الناسُ فيه إلّا ... بكيتُ كيما أزاد لَوْما

فلما فرغتْ من صوتها ، رفع المُعتز رأسَه إليها والدمعُ يجرى على خدّيها كالفريد انقطع سِلْكه ، فسألها[1] عن الخبر وحَلف لها أن يُبلغها أملَها . فأعلمتْهُ القصة . فردّها إلىّ وأحسن إليها وألحقنى فى نُدمائه وخاصّته .

بين أبى أحمد وجارية له

وكان لأبى أحمد ، صاحب حَرب المعتمد[2] ، جارية ، فكتبتْ إليه وهو مُقيم على العلوىّ بالبصرة ، تقول :

لنا عبراتٌ بعدكم تَبعث الأسى ... وأنفاسُ حُزن جَمّة وزَفيرُ
ألا ليتَ شِعْرى بعدنا هل بَكيتمُ ... فأمّا[3] بُكائى بعدكم فكثيرُ

قال أبو أحمد : فلم يكُن لى هَمّ غيرها حتى قَفلتُ من غَزاتى .

ابن مروان وجارية خلفها بالرملة

وكتبَ مروان بن محمد، وهومُنهزم نحو مصر، إلى جارية له خلّفها بالرَّمْلة :

وما زال يَدعونى إلى الصّد ما أرى ... فأنأى ويَثْنينى الذى لك فى صَدْرى
وكان عزيزاً أنّ بينى وبينهـا ... حِجاباً فقد أمسيتُ منك على عَشْر
وأنكاهما واللهِ للقَلب فاعلَمى ... إذا ازددتُ مثلَيْها فصرتُ على شَهْر
وأعظَمُ من هـذين واللهِ أننى ... أخافُ بألاّ نَلْتقى آخرَ الدهر
سأبكيك لا مُسْتَبقياً فَيضَ عَبْرة[4] ... ولا طالباً بالصّبر عاقبةَ الصّبر

(١) فى بعض الأصول : « نقصها » . (١) فى ا ، ن : « المعتز » .
(٣) فى ا ، ن : « فأبى » . (٢) فى بعض الأصول : « عبرتى » .

لرجل رآه ابن بكار بالثغر

الزبير بن بكّار قال: رأيتُ رجلا بالثّغر وعليه ذِلّة وأستكانة وخُضوع، وكان يُكثر التنفّس، ويُخفى الشّكوى، وحركاتُ الحُبِّ لا تخفى، فسألته وقد خلوتُ به، فقال وقد تحدّر دمعُه:

أنا فى أمْرَىْ رَشادِ بين غَزْو وجِهادِ
بَدنى يَغزو الأعادى والهَوى يَغزُو فؤادِى
يا عليماً بالعِبادِ رُدّ إلفى ورُقادِى

لأعرابى فى البين

وقال أعرابىّ يصف البَيْن:

أدْمت أناملها عضًّا على البَيْنِ لما أنثنتْ فرأتْنى دامعَ العَيْنِ
وودّعتنىَ إيماء وما نَطقتْ إلّا بسبّابة منها وعينَيْن
وَجْدِى كوجدك بل أضعافُه فإذا عَنّى تواريتِ قابَ الرُّمح وأحْيَنى[1]
وإن سمعتِ بموتى فاطلُبى بدَمى هواكِ والبينَ وأستعدِى على البَيْن

لبعضهم

وقال آخر:

مالتْ تُودّعنى والدمعُ يَغلِبها كما يَميل نسيمُ الرِّيح بالغُصُنِ
ثم أستمرّت وقالتْ وهى باكيةٌ يا ليتَ مَعْرِفتى إياكَ لم تكُن

وقال آخر:

أنينُ فاقدِ إلفٍ أنّ فى الغَلَسِ حتى تَضايَق منه مخرجُ النّفَسِ
فكلّما أنّ من شَوْق أجالَ يداً على فؤاد له بالبَيْن مُختلَسِ

وقال آخر:

أمبتكِرٌ للبَيْن أم أنتَ رائحُ وقلبُك مَلْهوفٌ ودمعُك سافحُ
ألآنَ تبكى والنّوى مُطمئنةٌ فكيف إذا بارحتَ مَن لا تُبارِح[2]

(١) فى ا، ن: «فأنعينى».
(٢) فى ا، ن: «نازحت من لا ينازح».

فبانك لم تبرح[1] ولا شطّت النوى   ولكنّ صبرى عن فؤادىَ نازح

وقال آخر :

إذا انفتحتْ قيود البَيْن عنّى   وقيل أُتيح للنّائى سَرَاحُ
أبتْ حلقاتُه إلّا انقفالاً   ويأبَى اللهُ والقَدَر المُتَاح
ومن لِى بالبقاء وكُلّ يوم   لِسَهْم البَيْن فى كَبِدى جِرَاح

لمحمد بن أمية

وقال محمد بن أبى أمية الكاتب :

يا غريباً[2] يَبكى لكل غريب   لم يَذُق قبلها فِراقَ حبيب
عزّه البينُ[3] فاستراح إلى الدّمـ   ـع وفى الدّمع راحةٌ للقلوب
ختلته حوادثُ الدهر حتّى   أقصدته منها بسَهْم مُصيب
أىّ يوم أراك فيه كما كُنـ   ـت قريباً فأشتكى من قريب

لأبى الطيامير

[وقال أبو الطّيامير :

أقول له يومَ ودّعتُه   وكُلٌّ بعَبْرته مُبْلِسُ
لئن رجعتْ عنكَ أجسامُنا   لقد سافرتْ معك الأنفُس]

لأبى العتاهية

وقال أبو العتاهية :

أبيتُ مُسَهّداً قلِقاً وِسَادِى   أُرَوّح بالدّموع عن الفؤادِ
فِراقُك كان آخرَ عهدِ نَوْمى   وأوّل عهد عَيْنى بالسُّهاد
فلم أرَ مثلَ ما سُلِبَتْه نَفْسى   وما رجعتْ به من سُوء زادى

لمحمد بن يزيد التسترى

وقال محمد بن يزيد التُّسْتَرى[4] :

رفعتْ جانباً إليكَ من الكِلّـ   ـة قد قابلته طَرْفاً كحيلاَ
نظرتْ نظرةَ الصّبابة لا تُمْـ   ـسِك للبَيْن[5] دمعها أن يجولا

---

(١) فى ا ، ن : «لم تنزح» .   (٢) فى ا ، ر : «ياحزينا» .
(٣) فى ا ، ر : «الشوق» .
(٤) فى ا ، ن : «البصرى» .   (٥) فى بعض الأصول : «أنفاس» .

ثم ولَّت وقد تغيَّر ذاك الصُّبـــح من خدِّها فعاد أصيلا(١)

ليزيد بن عثمان

وقال يزيدُ بن عثمان :

دمعَـــةٌ كاللؤلؤ الرَّطْـــبِ على الخدِّ الأسيل
وجُفون تَنْفُثُ السِّحْـــر من الطَّرف الكَحِيل
إنَّمـا يُفتَضح العـا شِقُ(٢) في يوم الرَّحيل

لابن الجهم

وقال عليُّ بن الجَهْم :

يا وحشتا للغريب في البَلد النَّـــازح ما ذا بنَفْســه صَنعا
فارقَ أحبابَه فَـــما انتفعُوا بالعَيْش مِن بعده وما انتفعَا
يقولُ في نَأيه وغُربتـــه عَدْلٌ مِن الله كلُّ ما صَنَعا

لبعضهم

وقال آخر :

بانُوا فأضحى الجِسمُ من بعدهم ما تُبصر العينُ له فَيَّا(٣)
يا أسفى منهم ومِن قولهم ما ضَرَّك الفقـــدُ لنا شَيّا ١٨١/٣
بأيِّ وَجْـــــه أتلقّاهُم إن وجَدوني بعـــدهم حَيّا

وقال آخر :

أترحل عن حَبيبك ثم تَبكي عليه فَمَنْ دَعاك إلى الفِرَاقِ

لهدبة العذري

وقال هُدْبة العذريّ(٤) :

ألا ليتَ الرِّياحَ مُسخَّراتٌ بحاجتنا تُباكرُ أو تَؤُوبُ
فتُخبِرَنا الشَّمالُ إذا أتَتْنـا وتُخبرَ أهلَنا عنّـا الجَنُوب
عسى الكَرْبُ الذي أمسيتُ فيه يكونُ وراءه فَرَجٌ قَرِيب

(١) في ا ، ن : « الصبح منها فعاد فيه أصيلا » .
(٢) في ا ، ن : « العشاق » .
(٣) فيا ، أي فيئا ، بالهمز ، فسهل وأدغم .
(٤) كذا في ا ، ن والمرزباني (٤٨٣) والشعر والشعراء (٤٣٤) . والذي في سائر الأصول : « العدوي » .

فيأمَن خائفٌ ويُفكّ عانٍ ويأتِى أهلَه النائى الغريب

لبعضهم

وقال آخر :

لا باركَ اللهُ فى الفِراق ولاَ بارَكَ فى الهَجْرِ ما أمرَّهُمَا

لو ذُبِح الهَجْر والفِراق كما يُذْبح ظَبْى لَمَا رَحِمْتُهما

شربتُ كأسَ الفِراق مُترَعةً فَطار عن مُقلتىّ نومُهما

يا سيّدى والذى أُؤمِّله ناشدتُك اللهَ أن تَذُوقهما

لحبيب

وقال حبيب الطائى :

الموتُ عِندى والفِرا قُ كلاهما ما لاَ يُطاقُ

يتعاونان على النفو س فذا الحِمام وذا السّياق

لو لم يكُنْ هذا كذا ما قِيل موتٌ أو فِراق

لبعضهم

وقال آخر :

شَتّان ما قُبْلةُ التّلاقِ وقُبلةٌ ساعةَ الفِرَاقِ

هذى حياةٌ وتلك موتٌ بينهما راحةُ العِناق

لسعيد بن حميد

وقال سَعيد بن حُميد :

موقفُ البَيْن مأتَمُ العاشقينا لا تَرى العينُ فيه إلا حَزِيناَ

إنّ فى البَيْن فَرْحتين فأمّا فَرْحتى بالوَداع للظّاعنينا

فاعتناقٌ لمن أُحبّ وتَقبيـ لٌ ولَمْسٌ بمحضَر(١) الكاشحينا

ثُم لى فَرْحة إذا قَدِم(٢) النـ ـاس لتسْليمهم على القادمينا

لأعرابى

وقال أعرابىّ :

ليلُ الشّجِىّ على الخلىّ قَصيرُ وبَلا المُحِبّ على الحبيب يَسيرُ

بانَ الذين أحبُّهم فتحمَّلوا وفراقُ مَن تَهْوَى عليك عَسِير

(١) فى بعض الأصول : « بحضرة » . (٢) فى ا ، ن : « فرح » .

فلأبعثنْ نياحةً لِفراقهم فيها تُلَطِّم أوجــهٌ وصُدورُ
ولألبسنّ مَـدارعاً مُسْودّةً لُبْس الثّواكل[1] إذ دهاكَ مَسِير
ولأذكرنّك بعد موتِى خالياً فى القَبْر عندى مُنْكَرٌ ونَكِير
ولأطلبنّك فى القِيامة جاهداً بين الخلائق والعِبادُ نُشور
فبجَنّةٍ إن صرتَ صرتُ بجَنّة ولئن حواك سعيرُها فسَعِير
١٨٢/٣ والمُستهامُ بكُل ذاك جـدير والذّنب يُغفر والإله شَكُور

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى البَيْن :

هَيّج البينُ دَواعِي سَقَمِي وكَسَا جِسْمِيَ ثَوْبَ الألَمِ
أيّهـا البَيْنُ أقِلْنِى مَرّةً فإذا عُدْتُ فقد حَلّ دَمِي
يا خَلِيّ الذّرع نَمْ فى غِبْطة إنّ مَن فارقتَه لم يَنَم
ولقــد هاجَ لِقَلْبِى سَقَماً ذِكْرُ مَن لو شاء داوَى سَقَمِى

ومن قولنا فى المعنى :

ودّعتْنى بِزَفْرة وأعتنـاقِ ثم نادتْ متى يكون التّلاقِي
وتَصدّت فأشرقَ الصُّبحُ منها بين تلك الجُيوب والأطْواق
يا سقيمَ الجُفون من غير سُقم بين عَينيك مَصْرعُ العُشّاق
إنّ يومَ الفِراق أفظعُ يوم ليتَنى مِتُّ قبل يوم الفِراق

ومن قولنا فيه :

فررتُ من اللّقاء إلى الفِراق فحَسْبِى ما لَقيتُ وما أُلاقِى
سَقانى البينُ كأسَ الموتِ صِرْفاً وما ظَنِّى أموتُ بكَفّ ساق
فيا بردَ اللّقـاء على فؤادى أجِرْنى اليومَ من حَرّ الفِراق

لمجنون بنى عامر

وقال مجنون بنى عامر :

وإنى لمُفْنٍ دمعَ عينى من البُكا[2] حِذاراً لأمرٍ لم يكن وهو كائنُ

---

(١) فى ا ، ن : « الثّواكل » . (٢) فى بعض الأصول : « عينى بالبكاء » .

وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيب لم يَبِنْ وهو بائن
وما كُنت أخشَى أن تكون منيّتى ... بكفّىَ إلّا أنّ ماحان حائن

لأبى هشام الباهلى

وقال أبو هشام الباهلىّ:

خليلىَ غدًا لا شكّ فيه مودّعُ ... فوالله ما أدرى غدًا[1] كيف أصنعُ
فواحزَنى إنْ لم أودّعه غُدوةً ... ويا أسفًا إن كنتُ فيمن يُوَدِّعُ
فإنْ لم أودِّعه غداً مِتُّ بعده ... سريعاً وإنْ ودّعتُ فالموتُ أسرَعُ
أنا اليومَ أبكيه فكيف به غداً ... أنا فى غدٍ والله أبكَى وأجزَعُ
لقد سَخُنت عينى وجلّت مُصيبتى ... غداةَ غدٍ إن كان ما أتوقّعُ
فيا يومُ ـ لا أدبرتَ ـ هل لك مَحْبِس ... ويا غدُ ـ لا أقبلتَ ـ هل لك مَدْفع

لبشار بن برد

[وقال بشّار بن بُرد :

نبَتْ عينى عن التّغميض حتى ... كأنّ جفونَها عنها قِصارُ
أقول وليلتى تزداد طُولاً ... أمَا لِلّيـل بعدكم نَهار]

للمعتصم فى جارية

وقال المُعتصم ، لما دخل مصر وذكر جاريةً له :

غريبٌ فى قُرى مِصرٍ ... يُقاسِى الهمّ والسّقما[2]
لِلَيلٍ[3] كان بالميْدا ... نِ أقصرُ منه بالفرما

لبعضهم

وقال آخر :

وَداعك مِثلُ وداع الرّبيع ... وفقدُك مثلُ افتقاد الدِّيَمْ
عليك سلامٌ فكم مِن ندًى ... فقدناه منك وكم مِن كَرَم

(١) فى بعض الأصول : «لا أدرى به» .
(٢) فى ا ، ن : «الندما» .
(٣) فى بعض الأصول : «ليلك» .

قولهم فى الحمام

جحدر العكلى

قال أبو الحسن الأخفش : قال جَحْدر[1] العُكْلِىّ ، وكان لصًّا :

وقِدْماً[2] هاجَنِى فازددتُ شوقًا ... بُكاء حمامتَيْن تجاوبانِ
تجاوبتا بلَحن أعجمىّ ... على عُودين من غَرَب وبانِ[3] ١٨٣/٣
فكان البانُ أن بانت سُليمى ... وفى الغَرَب اغترابٌ غيرُ دانِ

لبعضهم

وقال آخر :

وتفرّقوا بعد الجميع لأنه ... لابُدّ أن يتفرّق الجيرانُ
لاتَصبر الإبلُ الجلادُ تفرّقت ... بعد الجميع و يَصْبر الإنسانُ

وقال آخر :

فهل ريبةٌ فى أن تَحِنّ نَجيبةٌ ... إلى إلفها أو أنّ يحن نَجيبُ

و إذا رجّعت الإبلُ الحَنينَ كان ذلك أحسنَ صوت يَهتاج له المفارقون ، كما يهتاجون لصوت الحَمام .

عوف بن محلم

وقال عَوف بن مُحلِّم :

ألا ياحمامَ الأَيك إلفُك حاضِرٌ ... وغُصْنك مَيّادٌ ففيم تَنُوحُ

وكل مُطوّقة عند العرب حمامة ، كالدُّبسى والقُمرى والوَرشان ، وما أشبه ذلك ، وجمعها حَمام ، ويقال حمامة ، للذكر والأنثى ، كما يقال بطة ، للذكر والأنثى . ولا يقال حَمام إلا فى الجمع . والحمامة تبكى وتغنى وتنوح وتُغرّد وتسجع وتُقرقر

(١) كذا فى ا ، ن والكامل للمبرد (٨٤) والأمالى (١ : ٢٨١) ومعجم البلدان (٢ : ١٢١٠) . وفى معجم الشعراء للمرزبانى (١١٠) : « جحدر بن معاوية العكلى » . والعكلى : نسبة إلى أمة يقال لها عكل ، حضنت الحارث وجشم وسعدا وعليا ، أبناء عوف بن وائل ، فغلبت عليهم . والذى فى سائر الأصول : « جعفر العكى » .

(٢) قدما ، بالكسر ، هذه رواية أبى على . ويروى عن أبى الحسن « قدما » بالفتح ، يريد « قد » التى للتحقيق وما الزائدة .

(٣) الغرب ، بالتحريك شجر تتخذ منه القداح البيض . والبان : شجر له ثمر كقرون اللوبياء ، طويل فى استواء ونعومة .

وتترنم ، وإنما لها أصوات سَجع لا تُفهم فيجعله الحزين بُكاء ويجعله المسرور[1] غناء.

حميد بن ثور

وقال حُميد بن ثَور :

[وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ ... دعتْ ساقَ حُرّ تَرْحةً وترنُّما]
مُطوّقةٌ خَطْباء تَسْجع كُلّما ... دَنا الصّيفُ وأنزاحَ الربيعُ فأنجما[2]
تغنّت على غُصن عشاءً[3] فلم تدع ... لنائحـةٍ فى نَوْحها مُتلوَّما
فلم أرَ مِثْلى شاقَه صوتُ مِثْلها ... ولا عَربيًّا شاقَه صوتُ أعْجما

لمجنون بنى عامر

وقال مَجنون بنى عامر فى الحَمام :

ألا يا حَمامات اللِّوى عُدْن عودةً ... فإنّى إلى أصواتكنّ حَزِينُ
فعُدْن فلما عُدْن كِدْن يُمتْنَنى ... وكِدْتُ بأشجانى لهنّ أَبِين
فلم تَرَ عَيْنى مثلَهن بواكيًا ... بكَيْن فلم تَذْرِف لهن عُيون

لحبيب

وقال حَبيب فى هذا المعنى :

هُنّ الحَمامُ فإن كَسَرْتَ عِيافةً ... من حائهنّ فإنهن حِمامُ

وقال :

كما كاد يُنْسى عهد ظَمياء[4] باللِّوى ... ولكنْ أمَلّتـهُ علىّ[5] الحَمائمُ
بَعثْن الهوَى فى قَلْب مَن ليس هائمًا ... فقُل فى فُؤادٍ رُعْنَه وهو هائمُ
لها نَغَم ليست دُموعًا فإنْ عَلتْ ... مَضَتْ حيثُ لا تَمضى الدموعُ السّواجمُ

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى الحَمام :

فكيف ولى قَلْب إذا هبّت الصَّبا ... أهاب بشَوقٍ فى الضُّلوع مَكِينِ[6]
ويَهتاج منه كُلّما كان ساكنًا ... دُعاء حَمامٍ لم تَبِت بوُكون

(١) فى بعض الأصول : « الطرب » .
(٢) الخطباء : التى يخالط خضرتها سواد . وأنجم المطر : أقلع .
(٣) فى ا ، ن : « على ساق ضحيا » .
(٤) فى بعض الأصول : « طبيان » .
(٥) فى ا ، ن : « عليه » . (٦) فى ا ، ن : « وتين » .

وكان[1] ارتياحى من بُكاء حمامةٍ ... كذى شَجَن داويتَه بشُجون
كأنّ حمامَ الأيك لمّا تجاوبتْ ... حزينٌ بكَى من رَحمة لحزين

ومن قولنا فى المعنى :

١٨٤/٣
ونائحٍ فى غُصون الأيك أرّقنى ... وما عُنيتُ بشىء ظَلّ يَعْنيه
مُطوّقٍ بخِضـــابٍ ما يُزايله ... حتى تُفارقَه[2] إحدى تَراقيه
قد بات يبكى بشَجْوٍ ما دَريتُ به ... وبِتُّ أبكى بشَجوٍ ليس يَدريه

ومن قولنا فيه :

أناحتْ حماماتُ اللّوى أم تغنّتِ ... فأبدتْ دواعِى قَلْبه ما أجنّتِ
فديتُ التى كانت ولا شىءَ غيرُها ... مُنَى النّفس لو يُقْضَى لها ما تمنّتِ

ومن قولنا :

لقد سجعتْ فى جُنح ليلٍ حمامةٌ ... فأىّ أسًى هاجتْ على المسائم الصّبّ
لك الويلُ كم هَيّجت شجواً[3] بلا جَوًى ... وشكْوَى بلا شكوى وكَرْباً بلا كَرْب
وأسكبتِ دمعاً من جُفونٍ مُسَهَّدٍ ... وما رَقْرقتْ منك المدامع بالسّكب

لذى الرمة — وقال ذو الرُّمة :

رأيتُ غُراباً ناعباً فوق بانةٍ[4] ... من القَضْب لم يَنْبُت لها ورقٌ نَضْرُ
فقلتُ غرابٌ لاغتراب وبانةٌ ... لبَيْنٍ[5] النّوى هذى العِيافةُ والزّجر

قولهم فى طيب الحديث

لعدى العبادى — قال عدىّ بن زَيد العِبادىّ :

فى سَماعٍ يأذَن الشيخُ له ... وحَديثٍ مثلِ ماذِىّ مُشارْ

(١) فى ا ، ن : « وإن » (٢) فى بعض الأصول : « تزاوله » .
(٣) فى ا ، ن : « لم هيجت شوقا » .
(٤) فى ا ، ن : « ساقطا فوق قضبة » .
(٥) فى ا ، ن : « فقلت غراب لاغتراب وقضبة لقضب » .

وقال القُطامى : — للقطامى

فهنّ يَنبِذْن من قَولٍ يُصِبْن به   مواقعَ الماء من ذى الغُلّة الصّادِى

وقال جِران العَود : — لجران العود

فَنِلْنا سِقاطاً مِن حديث كأنّه   جنَى النّحل أو أبكار كَرْم تقطف[(1)]

وقال آخر : — لبعضهم

وإنا ليَجرى بيننا حين نَلْتقى   حديثٌ له وشْىٌ كَوَشْى المَطارفِ

وقال [بَشّار : — لبشار

وكأنّ نَشر حدِيثها   قِطَع الرِّياض كُسين زَهْرا

وله :

لئن عشقتْ أُذنى كلاماً سمعتُه   رخيماً فقلبى إذاً لاشكّ باللحظِ أعشق

وكيف تناسى مَن كأنّ كلامَه   بأذنى ولو غُرِّبتُ قُرْطٌ مُعلق]

وقال بَشّار أيضا :

وبكر كَنُوّارِ الرّبيع حديثُها   يَرُوق بوجهٍ واضحٍ وقَوَامِ]

وقال آخر : — لبعضهم

كأنّما عَسَلٌ رُجْمانُ مَنطقها   إن كان رَجْع كلام يُشْبه العَسَلاَ]

وقال آخر :

وحديثٍ كأنّه زهَر الرّو   ض وفيه الصّفراء والحَمْراء

(1) صدره كما فى ا ، ن :

* فلما تساقطن الحديث كأنه *

والبيت ليس فى ديوان جران العود . وهو أشبه ببيت الفرزدق .

إذا هن ســاقطن الحديث كأنه   جنى النحل أو أبكار كرم تقطف

قولهم فى الرياض

أنشد أحمدُ بن جدار(١) للمُعلَّى الطائىّ :

كأنّ عُيونَ الرَّوضِ يَذْرِفن بالنَّدَى ... عُيونٌ يُراسلنَ الدُّموعَ على عَذْلِ

البحترى

وقال البُحترىّ :

شَقائق يَحْملن النَّـدَى فكأنَّه ... دُموعُ التَّصابِى فى خُدود الخرائدِ
ومِن لُؤلؤ كالأُقْحوان مُنضَّدٍ(٢) ... على نُـكَت مُصْفرَّة كالفرائد

وقال أيضا :

١٨٥ / ٣

وقد نَبَّه النَّيروزُ فى غَلَس الدُّجَى ... أوائلَ وَرْدٍ كُنّ بالأمس نُوَّمَا
يُفتِّقها(٣) بَرْدُ النَّدَى فكأنه ... يَبُثّ(٤) حديثاً كان قبلُ مُكتَّما
ومن شَجرٍ رَدَّ الربيعُ لِباسَه ... عليه كما نَشَّرْتَ وَشْياً مُنَمْنما

لأعشى بكر

وقال أعشى بَكْر :

ما روضةٌ من رِياض الحَزْن مُعشِبةٌ ... خَضْراء جاد عليها مُسْبِل هَطِلُ
يُضاحك الشمسَ مِنْها كوكبٌ شَرِق ... مُؤزَّرٌ بعَميم النَّبتِ مُكتَهل
يوماً بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دَنَا الأُصُل

لابن أبى طاهر

وأنشد ابنُ أبى طاهر لنفسه :

فَتقتْ جُيوبَ الرَّوضِ(٥) منها دِيمةٌ ... حَلَّت عَزالِيهـا صبًا وقَبُولُ(٦)
ولهـا عُيون كالعُيون نَواظرٌ ... تَبْدُو فمنها أمْرَهٌ(٧) وكَحِيل

(١) فى بعض الأصول : «حدار» بالحاء المهملة . وانظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٨ من هذا الجزء .
(٢) فى بعض الأصول : « منظم » .
(٣) كذا فى ا ، ن والديوان . والذى فى سائر الأصول : « يفتقه » .
(٤) فى بعض الأصول : « يبعث » . وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان .
(٥) فى ا ، ن : « الأرض » .
(٦) العزالى : جمع عزلاء ، وهى فم القربة . ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الجود : قد حلت عزاليها ، وأرسلت عزاليها .
(٧) كذا فى ا ، ن . والمره ، ضد الكحل . والمرهة : البياض الذى تخالطه غبرة .

وقال الأخطل الصغير[1] :

خَلَع الرَّبيعُ على الثَّرى من وَشْيه حُلَلاً يَظَلّ بها الثَّرى يَتخيَّلُ
نَوْرٌ إذا مَرَت الصَّبا فيه النَّدى خِلْتَ الزَّبرجد بالفَريد يُفصَّل[2]
فكأنها طَوْراً عُيون كُحَّل[3] وكأنها طَوْرا عُيـونٌ هُمَّلُ

لأبى نواس

وقال أبو نُواس :

يَومٌ تَقـاصَرَ واُستتبَّ نَعِيمُه فى ظِلّ مُلتفِّ الحَدائق أخْضرَا
وإذا الرِّياح تَنسَّمت فى رَوضة نَثَرت به مِسْكاً عليك وعَنْبرا

لابن أبى زرعة

وأنشد ابنُ مُسهر لابن أبى زُرعة الدِّمشقى يقول[4] :

وقد لَبستْ زُهْرُ الرِّياض حُلِيَّها وجلَّت الأرضَ الفَضاءَ الزَّخارفُ
لُجَين وعِقْيان ودُرّ وجَوْهر تُؤلِّفه أيدى الرَّبيع اللَّطائفُ

للبحترى

وأنشد البُحترىُّ لنفسه :

قَطَراتٌ من السَّحاب ورَوْضٌ نَثَرتْ وردَها عليـه الخُدودُ
فكأنّ الحَوْذان والأُقْحوان الـــغَضّ نَظْمان لُؤْلؤ وفَريد[5]

للمعلى

وأنشد ابنُ جدار للمُعلَّى:

تَرى للنَّدى فيه مجالاً كأنّما نَثَرتَ عليه لؤلؤاً فتبدَّدا

لابن الحارثى

وأنشد ابنُ الحارثىّ لنفسه :

وما رَوضةٌ عُلْويةٌ أســـديّة مُنَمنمة زَهْراء ذاتُ ثرًى جَعْـدِ
سَقاها النَّدى فى عُقْب جُنح من الدُّجى فنُوَّارها يهتزّ بالكَوكب السَّعد
بأحسنَ من حُرّ تَضمّن حاجةً لحُرّ فأوْفَى بالنَّجاح مع الوَعْد

(١) فى ا ، ن : « وأنشد الأخطل الصغير لنفسه ».
(٢) مرت ، ى أسقطت وأخرجت .
(٣) كذا فى ا ، ن . والذى فى سائر الأصول : « ضواحك » .
(٤) فى ا ن : « ولابن أبى زرعة الدمشقى » .
(٥) الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة .

للحسن بن وهب

وأنشد محمد بن عمّار[1] للحَسن بن وَهْب، يقول:

طلعتْ أوائلُ للرّبيع فبشّرتْ ... نَوْرَ الرِّياض[2] بجِدَّة وشَبابِ
وغدا السحابُ مُكلَّلاً جَوّ الثّرى[3] ... أذيالَ أسْحم حالكِ الجِلْباب
فترى السماء إذا أجَدّ رَبابُها ... فكأنما الْتحفَتْ جَناحَ غُراب
وترى الغُصون إذا الرِّياحُ تناوحتْ ... ملتفــةً كتعانُق الأحباب ١٨٦/٣

لحبيب بن أوس

وقال حَبيب بن أوس الطائىّ:

الروضُ ما بين مَغْبوق ومُصْطبح ... من رِيقِ مُكْتَفلات بالثّرى دُلُح[4]
وُطْف إذا وكَفت فى رَوْضة طَفِقَت ... عيونُ نُوّارها تَبكى من الفَرَح[5]

للبحترى

وأنشد البُحترىّ فى دمشق:

إذا أردتَ ملأتَ العينَ من بلدٍ ... مُستحسَن وزَمانٍ يُشْبه البَلَدَا
يُمسى السحابُ على أجبالها فِرَقاً ... ويُصبح النَّبتُ فى صحرائها بَدَدا
فلستَ تُبصر إلا واكفاً خَضِلاً ... أو يانعاً خَضِراً أو طائرا غِردا
كأنما القَيظُ ولّى بعــدَ جَيْئته ... أو الربيعُ دنا من بعد ما بَعُدا

لأشجع

وأنشد ابن أبى طاهر لأشْجع:

بين الكنائس والأرواحِ مُطَّردٌ ... للعين يَلْعب فيه الطّرفُ[6] والبَصرُ
فى رُقعة من رِقاع الأرض[7] يَعْمُرها ... قومٌ على أبوَيْهم أجمعت مُضَر

لعلى بن الخليل

وأنشد علىّ بن الجهم لعلىّ بن الخَليل:

ورَوضة فى ظِلال دَسْكرةٍ ... جداولُ الماء فى جوانبها

(١) فى ا، ن: «وأنشد ابن عميرة».
(٢) كذا فى ا، ن. والذى فى سائر الأصول: «طلع الربيع على الرياض فبشرت * نوء الربيع».
(٣) فى ا، ن: «وغدا السحاب يكاد يسحب فى الثرى».
(٤) دلح: جمع دلوح، وهى السحابة المثقلة بالماء.
(٥) وطف: دائمة السح. ووكفت: سالت.
(٦) فى ا، ن: «العين».
(٧) فى ا، ن: «فى بقعة من بقاع الأرض».

تَشْتَنّ فى رَوْضة[1] مُنوّرة ... يُغرِّد الطيرُ فى مَشاربها
كأنّ فيها الحُلِيّ والحُلل الـ ... ـيَمْنة تُهدَى إلى مَرازبها[2]

لإبراهيم بن العباس

وقال إبراهيم بن العبّاس الكاتب :

تأمّلْ سماء أظلتْ عليـ ... ـك فيها مصابحُها تَزْهرُ
وأرضاً تُقابلها كالعرو ... س والموْجُ بينهما جَعْفر
ومَسْحب[3] نَوْر غذاه الرّبيـ ... ـع أنفاسُهُ المِسكُ والعَنبر
خِلالَ شقائقه أصفر ... وأضعافَ أصفره أحمر
والماء مُطّرد بينه ... يُصفق باديه والمصدر
يُشارفه البرّ من جانب ... ومن جانبٍ بحرُه الأخضر
مجالُ وحُوشٍ ومَرفا سَفين ... فيا عُرف لَهْوٍ ويا مَنظر
ويا حُسن دُنيا ويا عِزّ مُلْـ ... ـك يسوسهما السائسُ الأكبر

لابن أبى عيينة

وقال ابن أبى عُيينة[4] فى بُستانه :

يُذكِّرنى الفِرْدوس طوراً فأنثنى[5] ... وطَوراً يُواتينى إلى القَصْف والفَتْك[6]
بغَرْس كأبكار العَذارَى[7] وتُربة ... كأنّ ثراها ماء وَرْد على مِسْك
كأنّ قُصورَ الأرض ينظُرن حولَه ... إلى مَلِك أوفَى[8] على مِنْبر المُلْك
يُدِلّ عليها مُستطيلاً بحُسنه[9] ... ويَضحك منها وهى مُطرقة تَبْكى

(١) فى بعض الأصول : « خضرة » .
(٢) اليمنة ، من أسماء اليمن .
(٣) فى ا ، ن : « ومعجب » .
(٤) كذا فى ا ، ن والأغانى (١٨ : ١٤) . وهو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة . والذى فى سائر الأصول : « بلال بن أبى عتيبة » .
(٥) فى الأغانى : « فأرعوى » .
(٦) كذا فى ا ، ن والأغانى . والذى فى سائر الأصول : « والنسك » .
(٧) فى الأغانى : « الجوارى » .
(٨) فى الأغانى : « موف » .
(٩) فى الأغانى : « مستظلا بظلها » .

وقال فيه أيضا :

يا جَنة فاتت الجنان فما(١) تَبلغُها قيمةٌ ولا ثمَنُ
ألفتُها فاتخذتُها وطناً لأنّ قلبي لأهلها وَطَن
زُوّج حيتانها الضِّباب بها هذا لنا كَنَّة وذا ختَن ١٨٧/٣
فانظرْ وفكِّرْ فيما تَمُر به إن الأريبَ المُفكِّرُ الفَطِن
من سُفنٍ كالنَّعام مُقْبلةٍ ومِن نَعام كأنها سُفن

الخليل بن أحمد

وقال الخليل بن أحمد :

يا صاحبَ القَصر نعْم القَصْرُ والوادِي بمَنْزِلٍ حاضر إن شئتَ أو بادِي
تَرْقى به السُّفْن والظُّلْمان واقفةٌ والنّون والضَّبّ والمَلّاح والحادِي(٢)

لإسماعيل بن إبراهيم الحمدونى

وقال إسماعيل بن إبراهيم الحَمْدُونيّ :

برَوْضة(٣) صنعت أيدي الرَّبيع لها بُرُودَها وكَسَتْها وَشيها عَدَنُ
عاجَت عليها مَطايا الغيث مُسبلةً(٤) لهنّ في ضَحِكاتٍ أدمُعٌ هُتُن
كأنما البَيْن يُبْكيها ويُضحكها وَصْلٌ حَباها به من بعده سَكَن
فولّدت صُفرًا أثوابها خُضرا أحشاؤهن لأحشاء النَّدى وَطن
من كل عَسجدةٍ في خِدْرها اكْتتمتْ عَذْراء في بَطنها الياقوتُ مُكْتمِن

مما أنشد الجاحظ

وأنشد عمرو بن بحر الجاحظ :

أين(٥) إخوانُنا على السرّاء أين أهلُ القِباب(٦) والدّهناء

---

(١) في ا ، ن : * أطربك ياجنة الجنان فما *

(٢) أنشد المرزباني في كتاب معجم الشعراء (٢٦٧) وأبو الفرج في الأغاني (١٨ : ١٥) هذين البيتين مع خلاف ، لابن أبي عيينة . ورواية البيتين عندهما :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر إن شئت أو بادي
ترقا به السفن والظلمان واقفة والضب والنون والملاح والحادي

(٣) في ا ، ن : « وروضة » .

(٤) في بعض الأصول : « مهملة » .

(٥) الشعر للحسين بن مطير . (وانظر الأغاني ١٤ : ١١٦ — وزهر الآداب للحصري ٣ : ٣٢٠) .

(٦) كذا في ا ، ن والأغاني . والذي في سائر الأصول وزهر الآداب للحصري : « القباء » .

جاورونا والأرض مُلْبَسَةٌ نَوْ … رَ الأقاحِى[1] تُجاد بالأنواء
كُلّ يوم بأُقحوانٍ جَديد … تَضْحك الأرض من بُكاء السماء

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى هذا المعنى :

وَروضةٍ عقدتْ أيدى الرّبيع بهـا … نَوْرا بنَوْر وتَزْويجا بتَزْويجِ
بمُلقح مِن سَـواريها ومُلْقحة … وناتج من غَواديها ومَنْتوج
تَوشّحت بمُـلاة غير مُلْحمة … من نورها ورداء غير مَنْسوج
فألبست حُلل المَوشىّ زَهرتَها … وجلّلتها بأنماط الدّيابيج

ومن قولنا :

ومَوْشيّةٍ يُهْدِى إليك نَسيمُها … على مَفرق الأرواح مِسكاً وعنبرَا
سَداوتُها من ناصع اللّون أبيضٍ … ولُحمتُها من فاقع اللّون أصفرا
تُلاحظ لَحْظاً من عُيونٍ كأنّها … فُصوص من الياقوت كُلّلن جوهرا

ومثلُه قولُنا :

وما رَوضة بالحَزْن حاكَ لها النّدى … بُروداً من المَوشىّ حُمرَ الشّقائق
يُقيم الدُّجى أعناقَها ويُميلها … شُعاعُ الضُّحى المُستنّ فى كُل شارق
إذاضاحكتْها الشمسُ تَبكى بأعين … مُكلّلة الأجفان صُفر الحمالق
حكَت أرضُها لونَ السماء وزانَها … نُجومٌ كأمثال النّجوم الخوافق
بأطيب نشراً من خَلائقه التى … لها خَضعت فى الحسن زُهرُ الخلائق[2]

(١) فى بعض الأصول : « جاورتنا فى الأرض نور الأقاحى * من ربيع » . والذى فى الأغانى والحصرى : « فارقونا » مكان « جاورونا » .

(٢) فى ا ، ن بعد هذا : « تم كتاب الزمردة الثانية بعون الله تعالى وحسن توفيقه . وهو الثامن عشر من خمسة وعشرين . ويتلوه فى التاسع عشر إن شاء الله كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى » .

(١)فرش كتاب الجوهرة الثانية

فى أعاريض الشعر وعلل القوافى

لابن عبد ربه

١٨٨/٣

قال أبو عمر أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه :

قد مضى قولُنا فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أعاريضه وعِلله ، وما يَحسن ويقبح من زِحافه ، وما ينفكّ من الدوائر الخَمس من الشطور التى قالت عليها العرب والتى لم تقُل ، وَتلخيص جميع ذلك بمَنثور من الكلام يقرُب معناه من الفهم ، ومنظوم من الشعر يسهل حفظُه على الرواة . فأ كملتُ جميعَ هذه العُروض فى هذا الكتاب الذى هو جزآن ، جزء الفرش ، وجزء المثال ، مختصراً مبيّنا مفسّرا . فاختصرتُ للفرش أرجوزة ، وجمعت فيها كل ما يدخل العروضَ ويجوز فى حشو الشعر من الزحاف . وبيّنت الأسباب والأوتاد ، والتعاقب والتراقب ، والخروم ، والزيادة على الأجزاء ، وفك الدوائر فى هذا الجزء . واختصرتُ المثالَ فى الجزء الثانى فى ثلاث وستين قطعة ، على ثلاثة وستين ضربا من ضروب العروض . وجعلت المقطعات رقيقةً غَزِلة ، ليسهل حفظها على ألسنة الرواة . وضمّنت فى آخر كُل مقطّعة منهـا بيتاً قديما متصلا بها وداخلا فى معناها ، من الأبيات التى أُستشهد بها الخليل فى عروضه ، لتقوم به الحُجة لمن رَوى هذه المقطعات وأُحتج بها .

مختصر الفرش

الساكن والمتحرك

أعلم أنّ أول ما ينبغى لصاحب العروض أن يبتدىء به ، معرفة الساكن والمتحرك ؛ فإنّ الكلام كُلّه لا يعدو أن يكون ساكناً أو متحركا . وأعلم أن

(١) فى ا ، ن قبل هذا العنوان : « الجزء التاسع عشر من العقد . وهو كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى » . ثم : « بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين » .

كل ألِف خفيفة ، أو ألف ولام خفيفتين ، لا يظهران على اللسان و يثبتان فى الكتابة فإنهما يسقطان فى العروض وفى تقطيع الشعر ، نحو ألف : « قال ابنك » . أو ألف ولام نحو : « قال الرجل » . وإنما يُعَدّ فى العروض ما ظهر على اللسان .

واعلم أنّ كل حرف مشدّد فإنه يُعد فى العروض حرفين ، أولهما ساكن والثانى متحرك ، نحو ميم « محمد » ولام « سلّام » .

واعلم أن التنوين كله يُعد فى العروض نونا ساكنة ، ليست من أصل الكلمة .

باب الأسباب والأوتاد

أعلم أنّ مدار الشعر وفواصل العروض على ثمانية أجزاء ، وهى : فاعلن فعولن ، مفاعيلن ، فاعلاتن ، مستفعلن ، مفاعلتن ، متفاعلن ، مفعولات .

و إنما أُلفت هذه الأجزاء من الأسباب والأوتاد .

الأسباب — فالسبب سببان : خفيف وثقيل . فالسبب الخفيف حرفان : متحرك وساكن ، مثل : « من » و « عن » ، وما أشبههما . والسبب الثقيل ، حرفان متحركان ، مثل : « بك » و « لك » ، وما أشبههما .

الأوتاد — والوتد وتدان : مفروق ومجموع . فالوتد المجموع ثلاثة أحرف : متحركان وساكن ؛ مثل : « على » و « إلى » . وما أشبههما . والوتد المفروق ثلاثة أحرف : ساكن بين متحركين ، مثل « أين » و « كيف » ، وما أشبههما .

و إنما قيل للسبب سبب ؛ لأنه يضطرب فيثبت مرة ويسقط أخرى . و إنما قيل للوتد وتد ، لأنه يثبت فلا يزول .

باب الزحاف

أعلم أنّ الزحاف زحافان ، فزحاف يُسقط ثانى السبب الخفيف ، وزحاف يُسكن ثانى السبب الثقيل ، وربما أسقطه . ولا يَدخل الزحافُ فى شىء من الأوتاد وإنما يدخل فى الأسباب خاصة . وإنما يدخل من الجزء فى ثانى الجزء ورابعه وخامسه وسابعه . فإذا أردتَ أن تعرف موضع الزحاف من الجزء فانظُر إلى جزء من الأجزاء الثمانية التى سُمّيت لك . فإن رأيت الوتد فى أول الجزء ، فإنما يزحف خامسه وسابعه و إن كان الوتد فى آخر الجزء، فإنما يُزحف ثانيه ورابعه . ١٨٩ / ٣
و إن كان الوتد فى وسط الجزء ، فإنما يزحف ثانيه وسابعه .

وللزحاف الذى يدخل فى ثانى الجزء ثلاثةُ أسماء : الخَبن، والإضمار ،والوقص .

فالمخبون : ما ذهب ثانيه الساكن . والمضمر : ما سكن ثانيه المتحرك . والموقوص : ما ذهب ثانيه المتحرك .

وللزحاف الذى يدخل فى رابع الجزء اسم واحد : المطوىّ ، وهو ما ذهب رابعه الساكن .

وللخامس منها ثلاثة أسماء : القَبض ، والعَصْب ، والعَقل .

فالمقبوض : ما ذهب خامسه الساكن . والمعصوب : ما سكن خامسه المتحرك . والمعقول : ما ذهب خامسه المتحرك .

وللسابع أسم واحد : المكفوف ، وهو ما ذهب سابعه الساكن .

باب الزحاف المزدوج

المخبول : هو ما ذهب ثانيه ورابعه الساكنان . والمخزول : هو ما سكن ثانيه وذهب رابعه الساكن . والمنقوص : هو ما سكن خامسه وذهب سابعه الساكن . والمشكول : هو ما ذهب ثانيه وسابعه الساكنان .

علل الأعاريض والضروب

المحذوف : هو ما ذهب من آخر الجزء سبب خفيف . والمقطوف : هو ما ذهب من آخر الجزء سبب خفيف وسكن آخر ما بقى . والمقصور : ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الجزء الذى فى آخره سبب . والمقطوع : ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الجزء الذى فى آخره وتد . والأبتر : ما حُذف ثم قُطع ، فكان « فاعل » من « فاعلاتن » و « فع » من « فعولن » . والأحذ . ما ذهب من آخر الجزء وتد مجموع . والأصلم : ما ذهب من آخر الجزء وتد مفروق . والموقوف : ما سكن سابعه المتحرك . والمكسوف : ما ذهب سابعه المتحرك . والمجزوء : ما ذهب من آخر الصدر جزء ومن آخر العجز جزء . والمشطور : ما ذهب شطره . والمنهوك : ما ذهب منه أربعة أجزاء وبقى جزآن .

والزيادة على الأجزاء ثلاثة أشياء : المُذال ، وهو ما زاد على أعتدال جزئه حرف ساكن ، مما يكون فى آخره وتد ؛ والمُسبَّغ : ما زاد على اعتداله حرف ساكن ، مما يكون فى آخره سبب ؛ والمُرفَّل : ما زاد على اعتداله حرفان : متحرك وساكن ، مما يكون فى آخره وتد .

واعلم أن كل جزء من أجزاء العروض يكون مخالفا لأجزاء حَشوه بزحاف أو سلامة ، فهو المعتل . وما كان معتلا فإنما هو أربعة أشياء : ابتداء ، وفصل ، وغاية ، واعتماد . هذا قول الخليل . وأنا أقول : إنّ المعتل كله ثلاثة أشياء : ابتداء ، وفصل ، وغاية . وإن الاعتماد ليس علة ؛ لأنه غير مخالف لأجزاء الحشو ، إذ جاز فيه القبض والسلامة ، ولذلك يجوز فى أجزاء الحشو كلها ، وإنما خالفها فى الحسن والقبح ، وليس اختلاف الحسن والقبح عِلّة . ونحن نجد الاعتماد فى الشعر كثيرا ، من ذلك البيتُ الذى جاء به الخليل :

أقيموا بنى النُّعمان عنا صُدورَكم وإلّا تُقيموا صاغرين الرُّءوسا[١]

ومنه قولُ امرىء القيس :

أعنّى على بَرق أراه وَميضِ يُضىء حَبيًّا فى شَمارِيخ بِيضِ
وتَخرج منه لامعاتٌ كأنها أكفٌّ تَلَقَّى الفوزَ عندالمُفيضِ[٢]

وإنما زعم الخليلُ أن المُعتلّ ما كان مخالفاً لأجزاء حشوه بزحاف أو سلامة، ولم يقُل بحُسن أو قُبح . ألا ترى أن «القَبض» فى «مفاعيلن» فى «الطويل» حَسن ، و«الكَفّ» فيه قبيح . و«القبض» فى «مفاعيلن» فى «الهزج» قبيح ، و«الكَف» فيه حسن . و«الاعتماد» فى «المتقارب» على ضد ما هو فى «الطويل» السالم فيه حسن ، «والقبض» فيه قبيح . ١٩٠ / ٣

فإذا اعتلّ أولُ البيت سُمى ابتداء ، وإذا اعتلّ وسطه ، وهو العروض ، سُمى فصلا . وإذا اعتلّ الطرف ، وهو فى القافية ، سمى غاية . وإذا لم يعتل أوله ولا وسطه ولا آخره سُمى حشواً كُله .

وما كان من الأنصاف مستوفياً لدائرته ، وآخرُ جزء منه بمنزلة الحَشو من الآخر، فهو التام . وما كان من الأنصاف لم يذهب به الانتقاص بجزء من الأجزاء أجمع ، فهو وافٍ ؛ وإذا ذهب به الانتقاص ، فهو مجزوء . وما كان من الأنصاف مُقفًى ، فهو مُصرَّع[٣] . فإن كانت الكلمة كلها كذلك ، فهو مشطور . فإذا لم يبق منه إلا جزآن فهو المَنهوك . وإذا اختلفت القوافى واختلطت وكانت حيزا حيزا من كلة واحدة فهو المُخمّس . وإذا كانت أنصافٌ على قواف تجمعها قافية واحدة ، ثم تعاد لمثل ذلك حتى تنقضى القصيدة ، فهو المُسمَّط .

باب الخرم

اعلم أن الخَرم لا يدخل إلا فى كل جزء أوله وَتد . وذلك ثلاثة أجزاء :

(١) البيت ليزيد بن الحذاق الشنى ، كما فى المفضليات (٢ : ٩٨) .

(٢) المفيض : الذى يجيل القداح عند القمار . (٣) فى ١ ، ن : «مصراع» .

فعولن ، مفاعلتن ، مفاعيلن . وهو سقوط حركة من أول الجزء . وإنما منعه أن يدخل فى السَّبب ؛ لأنك لو أسقطت من السبب حركة بقى ساكن . ولا يُبدأ بساكن ، أبدا . ولا يدخل الخرم إلا فى أول البيت .

فإذا أدخل الخرم « فعولن » قيل له أثلم . فإذا دخل القبض مع الخرم قيل له أثرم .

فإذا دخل الخرم « مفاعلتن » قيل له أعصب . فإذا دخله العَصب مع الخرم قيل له أقصم . « فإذا دخله القبض مع الخرم ، قيل له أعقص . فإذا دخله العقل مع الخرم قيل له أجمّ .

فإذا دخل الخرم « مفاعيلن » قيل له أخرم . فإذا دخله الكفّ مع الخَرم قيل له أخرب . فإذا دخله القَبض مع الخرم قيل له أشتر . وكل ما لم يدخله الخرم فهو الموفور[1] .

باب التعاقب والتراقب

اعلم أن التعاقب يدخل بين السببين المتقابلين فى حشو الشعر حيثما كانا ، ولا يكونان من جميع العروض إلا فى أربعة أشطار: فى المديد ، والرمل ، والخفيف ، والمجتث . وقد بيّنا جميع ذلك فى موضعه .

فما عاقبه ما قبله فهو صَدر . وما عاقبه ما بعده فهو عَجز . وما عاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان . وما لم يُعاقبه ما قبله ولا ما بعده فهو برىء .

والتراقب بين السببين المُتقابلين من فاصلة واحدة . ولا يدخل التراقب من جميع العروض إلا فى المضارع والمُقتضب . وقد فسّرناه هنالك . وقد نظمنا جميع ما ذكرناه من هذه الأبواب فى أرجوزة ليسهل حفظُها على المتعلم ، إذ كان حفظ المنظوم أسهلَ من حفظ المنثور ، وذكرنا فيها كُل الدوائر الخمس ، وما ينفكّ

(١) فى بعض الأصول : « تام » .

فى كل دائرة من عدد الشُّطور التى قالت عليها العرب ، والتى لم تقُل عليها ، وموضع الزِّحاف منها .

واعلم أن الدائرة الأولى مؤلّفة من أربعة أجزاء، سُباعيَّين مع خُماسيين ، وهى : فعولن مفاعيلن ، فعولن مفاعيلن . والدائرة الثانية من ثلاثة أجزاء سباعية ، وهى : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن . والدائرة الثالثة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعية، وهى : مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن . والدائرة الرابعة مؤلفة من ثلاثة أجزاء سباعية ، وهى : مستفعلن مفعولات مستفعلن . والدائرة الخامسة مؤلفة من أربعة أجزاء خماسية ، وهى : فعولن فعولن فعولن فعولن .

واعلم أنّ كل دائرة من هذه الدوائر ينفكّ من رأس كل سَبب وكل وتد فيها شطر . وقد بيّنا جميع ذلك فى الدوائر وأسماء الشطور التى تنفكّ عنها .

أرجوزة العروض(١)

بالله نبــــدا وبه التَّمامُ ... وبأسمه يُفتتَحُ الكلامُ ٤٩١/٣
يا طالبَ العِلْم هو المِنهاجُ ... قد كثُرت من دونه الفِجاجُ
وكُل عِلْم فله فُنــــونُ ... وكُل فَنّ فله عُيونُ
أولهــا جوامعُ البيَانِ ... وأصلها معرفــةُ اللِّسانِ
فإنّ فى المجــاز والتأويلِ ... ضلّت أساطيرُ ذوى العُقولِ
حتى إذا عرَفتَ تلك الأبنيه ... واحــدَها وجَمعها والتَّثنيه
طلبتَ ما شئتَ(٢) من العُلومِ ... ما بين مَنثور إلى مَنظومِ
فَداوِ بالإعراب والعَروضِ ... داءك فى الإملال والقَريضِ
كلاهما طِبّ لداء الشِّعرِ ... واللفظ من لحَن به وكَسْرِ
ما فَلسف النّيطس جالينوسُ ... وصاحبُ القانون بَطْلَيْموسُ

(١) فى بعض الأصول : « وهذه أرجوزة العروض » .
(٢) فى ا ، ن : « ماليس » .

ولا الذى يَدْعونه بهرْمسِ   وصاحب الأرْكند والإقليدسِ
فَلسفةَ الخليل فى العَروضِ   وفى صَحيح الشِّعر والمَريضِ
وقد نظرتُ فيه فاُختصرتُ(١)   إلى نِظام منه قد أحْكمتُ
مُلَخَّصٍ مُختصرٍ بديعِ   والبعضُ قد يَكفى عن الجميعِ

اختصار الفرش

هذا اختصار الفَرْش من مَقالى   وبعدَه أقولُ فى المِثالِ
أوله والله أستعينُ   أن يُعرف التحريكُ والسُّكُونُ
من كُل ما يبدو على اللِّسان   لا كُل ما تَخُطه اليدان
ويَظهر التَّضعيفُ فى الثَّقيل   تَعُدُّه حَرفين فى التَّفصيل(٢)
مُسكَّناً وبعده مُحرَّكا   كَنُون كُنَّا وكراء سَرَّكا

باب الأسباب والأوتاد

وبعد ذا(٣) الأسبابُ والأَوتادُ   فإنها لقولنا عِمادُ
فالسببُ الخفيف إذ يُعدّ   مُحرّك وساكن لا يَعْدُو
والسبب الثقيلُ فى التَّبيينِ   حركتان غير ذى تَنوينِ
والوتد المَفروق والمَجموعُ   كلاهما فى حَشوه مَمنوعُ
وإنما اعتلّ من الأجزاءِ   فى الفصل والغائى والأُبتداءِ
فالوتد المَجموع منها فافهمْ   حركتان قبل حَرف قد سَكَنْ
والوتد المَفروق من هذينِ   مُسكَّنٌ بين مُحرّكينِ
فهذه الأوتاد والأسبابُ   لها ثَباتٌ ولها ذَهابُ
وإنما عَروض كُل قافيه   جارٍ على أجزائه الثَّمانيه

(١) ق ا ، ن : « وقد بصرت فيه فاعتصرت » .
(٢) ق ا ، ن : « وبعد » .   (٢) ق بعض الأصول : « فى التفصيل » .

وهاكها بيِّنة مُصوَّره لكُلّ مَن عاينها مُفسَّره(١)

الفواصـــل

فاعلن ، فعولن ، مستفعلن ، فاعلاتن ، مفاعيلن ، مفاعلتن ، متفاعلن ، مفعولات .

١٩٢ / ٣ هذى التى بها يقول المُنشد فى كُلّ ما يَرْجُز أو يُقَصِّد(٢)
كُلّ عروض يَعتزى إليها وإنّما مَـداره عليها
منها خُماسيّان فى الهِجاءِ وغيرها مُسبَّع البنـاءِ
يدخلُها النُّقصان بالزِّحافِ فى الحشو والعروض والقوافى
وإنّما تدخل فى الأسبابِ لأنها تُعرف باضطرابِ

باب الزحاف

فكُلّ جزء زَال منه الثانى من كُلّ ما يبدو على اللِّسانِ
وكان حرفاً شانُه السُّكونُ فإنه عنـدى اسمُهُ مَخبونُ(٣)
وإن وجدت الثانى المَنقوصَا مُحرَّكا سميتَه المَوقوصَا
وإن يكُن مُحرَّكا فسكِّنا فذلك المُضمَر حقًّا بَيِّناَ
والرابع الساكن إذ يَزولُ فذلك المطوىُّ لا يَحُولُ
وإن يزل خامسُه المسكَّنُ فذلك المَقبوض فهو يحسنُ
[وإن يكن هذا الذى يزولُ مُحـرَّكا فإنه المعقولُ]
وإن يكُن محرَّكا سكَّنتَهُ فسمِّه المَعصوب إن سمَّيتَهُ
وإن أزلت سابعَ الحُروفِ سميتَه إذ ذاك بالمكفوفِ

(١) فى ا ، ن : « مفسره * ... مصوره » .
(٢) فى بعض الأصول : « فى كل ما يرجوه أو ما يقصد » .
(٣) فى ا ، ن :
* فإنه عندى اسمه المخبون *

باب الزحاف[1] الذى يكون فى موضعين من الجزء

كُل زحاف كان فى حرفين ... حَلّ من الجزء بمَوْضعين
فإنه يُجحِف بالأَجزاء ... وهو يُسمَّى أقبحَ الأسماء
فكُل ما سُكِّنَ منه الثانى ... وأسقط الرّابع فى اللسان
فذلك المَخزول وهو يَقْبُحُ ... لحيثما كان فليس يَصْلُحُ
وإن يَزُل رابعُه والثانى ... ذاك وذا فى الجزء ساكنان
فإنه عندى اسمُه المَخبولُ ... يُقصِّر الجُزء الذى يطولُ
وكل جُزء فى الكتاب يُدرِكُ ... يَسكُن[2] منه الخامس المُحرَّكُ
وأُسقط السابع وهو يسكنُ ... فذلك المَنقوص ليس يَحْسُنُ
وسابع الجُزء وثانيه إذا ... كان يُعد ساكناً ذاك وذا
فأُسقطا بأقبح الزّحاف[3] ... سُمّى مشكولاً بلا اختلافِ
هذا الزّحاف لا سِواه فاسمَعِ ... يُطلق فى الأجزاء ما لم يُمنعِ

باب العلل

والعِللُ التى تجوز أجمع[4] ... وليس فى الحشو لهنّ موضعُ
ثلاثة تُدعى بالابتداء ... والفَصل والغاية فى الأجزاء
والاعتماد خارجٌ عن شَكلها ... وفَصلُه مُخالف لفِعلها
لأنهم قد تَرَكوا التزامَه ... وجاز فيه القَبضُ والسّلامهْ
ومثلُ ذاك جائزٌ فى الحَشْوِ ... فَنحو هذا غير ذاك النّحوِ

(١) فى بعض الأصول : « باب تسمية الزحاف » .
(٢) فى ا ، ن : « سكن » .
(٣) فى ا ، ن : « فاسقطا قبح فى الزحاف » .
(٤) فى ا ، ن : « جمع » .

وكلُّ مُعتلٍّ فغيرُ جائزِ … فى الحشو والقصيد والأراجزِ (١) ١٩٣ / ٣
وإنما أجازه الخليــــلُ … مُجازفاً (٢) إذ خانه الدَّليلُ
وكلُّ حىٍّ من بنى حوَّاءِ … فغيرُ معصوم من الخطاءِ
فأول البيت إذا ما اعتلَّا … سميتَه بالابتداء كُلَّا
وغاية الضَّرب تُسمَّى غايهْ … وليس فى الحشو لها حِكايهْ (٣)
وكُلُّ ما يَدخل فى العَروضِ … من عِلّة تَجوزُ فى القَريضِ
فهى تُسمَّى الفَصلَ عندذا كَا … وقَلَّ مَن يعرفه هُناكا

باب الخرم

والخَرم فى أوائل الأبياتِ … يُعرف بالأسماء والصِّفاتِ
نُقصان حَرفٍ من أوائل العَددْ … فى كُلِّ ما شَطْرٍ يُفكّ من وَتِدْ (٤)
خَمسة أشطار من الشُّطور … يُخرم منها أول الصُّدور
منها الطَّويل أول الدوائرِ … وأطْول البِناء عند الشاعرِ
يَدْخله الخَرم فيُدعَى أثلمَا … فإنْ تلاه القَبْض سُمى أثرمَا
والوافر الذى مَدار الثانيهْ … عليه قد تَعيه أُذْن واعيَهْ
يَدخله الخَرمُ فى الابتداءِ … فى أول الجُزء من الأجزاءِ
وهو يُسَمَّى أعضباً فكُلَّما … ضُمّ إليه العَصبُ سمى أقصما
وإن يكن أعصب ثم يُعقلُ … فذلك الأجمّ ليس يُجهلُ
والهزَج الذى هو السَّوارُ … عليـــــه للثالثة المَدارُ
يدخله الخَرْم فيُدعى أخرمَا … وهو قَبيح فاعلمنّ وأفْهمَا

(١) فى ا ، ن : « فى حشوه القصيد »
(٢) فى ا ، ن : « مجازها » .
(٣) فى بعض الأصول : « بلا » .
(٤) فى ا ، ن : « وكل » .

حتى إذا ما كُفَّ بعد الخَرْم ... سميته أَخْرَبَ(١) إذ تُسمَّى
والأشتر المُهجَّن العَروضا ... ما كان منه آخرٌ مقبوضا
هذا وفى الرابعة المُضارعُ ... يَدخل فيه الخَرم لا يُدافَعُ
كمثل ما يدخل فى شَطر الهَزَجْ ... وهو يُسمّى باسمه بلا حَرَجْ
ولا يجوز الخَرم فيه وحدهُ ... إلّا بقَبض أو بكَفّ بعدهُ
لعلة التَّراقب المذكورِ ... خُصّ به من أجمع الشُّطورِ
والمُتقارب الذى فى الآخر(٢) ... تَحلو به خامسةُ الدَّوائرِ
يَدخله ما يدخُل الطويلاَ ... من خَرمه وليس مُستحيلاَ
هذا جميع الخَرم لا سواهُ ... وهو قَبيح عند من سَمّاهُ
يدخل فى أوائل الأشعارِ ... ما قيل فى ذى الخمسة الأشطارِ
لأنّ فى أول كل شَطرِ ... حَركتين فى ابتداء الصَّدرِ
وإنما يَنفكّ فى الأوتاد ... فلم يَضِرْها الخرمُ فى التَّمادِى
لقوّة الأوتاد فى أجزائها ... وأنها تَبرأ من أدوائها(٣)
سالمةً من أجمع(٤) الزّحافِ ... فى كُل مجزوء وكل وافِى
والجزء ما لم تَر فيه خَرْمَا ... فإنه المَوْفورُ قد يُسمَّى

باب علل الأعاريض والضروب

والعِلل المُسمَّيات اللاتى ... تُعرف بالفُصول والغاياتِ
تَدْخل فى الضَّرب وفى العَروضِ ... وليس فى الحَشْو من القَريضِ
منها الذى يُعرف بالمَحْذوفِ ... وهو سُقوط السَّبب الخَفيفِ

(١) فى بعض الأصول « أحزم ».
(٢) فى ا ، ن : « فى آخر ».
(٣) فى ا ، ن : « آدائها ».
(٤) فى ا ، ن : « جم ».

فى آخر الجزء الذى فى الضَّربِ[1] أوفى العَروض غير قول الكذب
ومثله المعروف بالمقطوف لو لا سكون آخر الحروف
وكل جُزْء فى الضُّروب كائنِ أُسقط منه آخر السَّواكنِ
وسُكِّن الآخر من باقيه مما يُجيزون الزِّحافَ فيه
فذلك المقصورُ حين يُوصفُ وإن يكن آخرُه لا يُزْحفُ
من وَتِدٍ يكون حين لا سَبَبْ[2] فذلك المقطوع حين يَنتسبْ
وكل ما يُحذف ثم يُقطعُ فذلك الأبترُ وهو أشنعُ
وإن يَزُل من آخر الجزء وَتِدْ إن كان مجموعاً فذلك الأحَذْ
أو كان مَفروقا فذاك الأصْلمُ كلاهما للجُزء حقًّا صَيْلمُ[3]
وأن يُسكَّن سابعُ الحُروفِ فإنه يُعرف بالمَوْقوفِ
وأن يكن مُحرّكا فأذْهِبا فذلك المكسوف حقًّا مُوجِبا[4]
وبعده التَّشعيث فى الخفيفِ فى ضَربه السالم لا المَحْذوفِ
يُقطع منه الوَتد المُوسَّطُ وكُل شىء بعده لا يَسقُط

باب التعاقب والتراقب

وبعد ذا تَعاقبُ الجُزأينِ فى السَّببين المُتقابلينِ
لا يَسقطان جُملةً فى الشِّعرِ فإنّ ذاك من أشدّ الكَسْرِ
ويَثْبُتانِ أيّما ثَباتِ وذاك من سَلامة الأبياتِ
وأن يَنَل بعضَهما إزالَهْ عاقَبه الآخر لا مَحالَهْ
فكُل ما عاقبه ما قَبلهُ سُمِّى صَدراً فافهمنَّ أصلهُ

(١) فى ا ، ن : « من أول الجزء » .
(٢) فى ا ، ن : « من وتد يكون فيه لا سبب » .
(٣) الصيلم : الأمر المستأصل .
(٤) فى بعض الأصول : « يوجبا » .

وكُل ما عاقَبه ما بعدَه   فهو يُسمَّى عَجُزا فَعُدَّه
وإن يكُن هذا وذا مُعاقباَ   فهو يُسمى طَرفين واجباَ
يَدخل فى المَديد والخفيفِ   والرَّمل المَجزوء والمَحْذوفِ
ويدخل المجتثَّ أيضا أجمَعَه   ولايكون فى سوى ذى الأربعَه
والجزء إذ يخلو من التعاقُب   فهو بَرِىءٌ غيرَ قَول الكاذب(1)
وهكذا إن قِسْتَه التعاقُبُ   وليس مثلَ ذلك التّراقُبُ
لأنه لم يأت من جُزأينِ   فى السّببين المُتجاورينِ
لكنّه جاء بجزء واحدِ   فى أول الصّدر من القَصائدِ
والسّببان غير مَزْحوفينِ   فى جُزئه وغيرُ سالمينِ
إن زال هذا كان ذا مكانَه   فاسمَعْ مقالى وأفهمْ بيانَه
فهكذا التراقُب المَوصوفُ   وكُله فى شَطره مَعْروفُ
يدخُل أولَ المُضارع السَّببْ   وبعدَه يدخُل صدرَ المُقتضبْ

الزيادات على الأجزاء

ثم الزّيادات على الأجزاء   مَوجودة تُعرف بالاسماء
وإنما تكون فى الغاياتِ   تُزاد فى أواخر الأبياتِ
وكُلها فى شَطره مَوجودُ   منها المُرفَّل الذى يَزيدُ
حَرْفين فى الجزء على اعْتداله   مُحرَّكاً وساكناً فى حاله
وذاك فيما لا يَجوز الزَّحفُ   فيه ولا يُعزى إليه الضَّعفُ
وفيه أيضا يدخُل المُذالُ   مُقيَّدا فى كل ما يُقالُ
وهو الذى يَزيد حرفاً ساكناَ   على اعتدال جُزئه مُباينا
ومثله المُسبغ من هذى العِللْ   حَرْف تَزيده على شَطر الرَّمَلْ

(١) فى ا ، ن : « كاذب » .

باب نقصان الأجزاء

فإن رأيتَ الجزء لم يَذهب معاً   بالانتقاص فهو وافٍ فاسمعاً
وإن يكن أذهبه النُّقصانُ   فافهم ففي قولي لك البيانُ
فذلك المَجزوء في النّصفين   إذا انتقصتَ منهما جُزأين
والبيتُ إن نَقصتَ منه شطرَهُ   فذلك المَشطور فافهم أمرهُ
وإن نقصتَ منه بعد الشَّطرِ   جُزءاً صحيحاً من أخير الصَّدرِ
وكان ما يَبقى على جُزأينِ   فذلك المَنهوك غيرَ مَيْنِ

صفة الدوائر وصورها

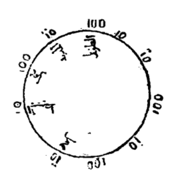
فاسمع فهذى صِفة الدوائرِ   وَصْفَ عليم بالعَروض خابرِ
دوائرٌ تعيا على ذِهْن الحَذِقْ   خمسٌ عليهن الخطوط والحَلَقْ
فما لها من الخطوط البائنهْ   دلائل(١) على الحروف الساكنهْ
والحلقات المُتجوِّفاتِ   علامة المتحرِّكاتِ
والنُّقط التى على الخطوطِ   علامةٌ تُعَدّ للسُّقوطِ
والحلق التى عليها يُنْقطُ   تسكن أحياناً وحينا تَسقطُ
والنُّقط التى بأجواف الحلقْ   لمبتدا الشُّطور منها يُخترقْ
فانظُر تجد من تحتها أسماءها   مكتوبةً قد وُضعت إزاءها
والنُّقطتان موضعَ التعاقُب   ومثل ذاك موضعَ التّراقب
وهذه صُورةُ كُل واحده   منها ومَعنى فَسْرها على حِدَه
أولها دائرة الطـويل   وهى ثمانٍ لذوى التفضيل
مُقسّم الشَّطر على أرباعِ   بين خُماسيّ إلى سُباعِى
حُروفه عشرون بعد أربعَه   قد بَيّنوا لكُل حرف موضعَه
تنفك منها خمسة شُطورُ   يَفصلها التفصيل والتّقديرُ   ١٩٦/٣
منها الطويلُ والمَديد بعدهُ   ثم البَسيط يُحكمون سَرْدَهُ

(١) فى ا ، ن : « دليلة » .

ثلاثةٌ قالت عليها العربُ ... واثنان صدّوا عنهما ونَكَبُوا
وهذه صُورتُها كما تَرَى ... وذكرها مبيَّنا مفسَّرا

الأولى : دائرة المختلف

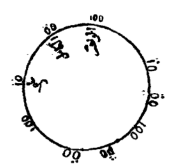
الطويل : مبنى على فعولن مفاعلين . ثمانى مرات .
المديد : مبنى على فاعلات فاعلن . ست مرات ، بعد الحذف .
البسيط : مبنى على مستفعلن فاعلن . ثمانى مرات .



وهذه[1] الثانية المخصوصه ... بالسبب الثَّقيل والمنقوصه
أجزاؤها ثلاثة مُسَبَّعه ... قد كَرِهوا أن يَجعلوها أربعه
لأنها تَخرج عن مِقدارِهِمْ ... فى جُملة المَوزون من أشعارهم
فهى على عِشرين بعد واحدِ ... من الحُروف مابها من زائدِ
ينفكّ منها وافرٌ وكاملُ ... وثالثٌ قد حار فيه الجاهلُ

الثانية : دائرة المؤتلف

الوافر : مبنى على مفاعلتن . ست مرات . فقطفوا ضربه وعروضه .
الكامل : مبنى على متفاعلن . ست مرات .



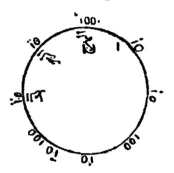
(١) فى بعض الأصول : « وبعدها » .

١٩٧/٣

والدارة الثالثة التى حكتْ ... فى قَدرها الثانيةَ التى مَضَتْ
فى عِدة الأجزاء والحُروفِ ... وليس فى الثَّقيل والخَفيفِ
ينفكّ منها مِثْلُ ماينفكُّ ... من تلك حقًّا ليس فيه شكُّ
ترُمَل من ديباجها فى حُلَلِ ... من هَزَج أو رَجز أو رَمَلِ
وهــــذه صورتُها مبيَّنه ... بحَلْيها ووَشْيها مُزَيَّنـــه

الثالثة : دائرة المجتلب

الهزج : مبنى على مفاعيلن . بعد الحذف . أربع مرات .
الرجز : مبنى على مستفعلن . ست مرات .
الرمل : مبنى على فاعلاتن . ست مرات .



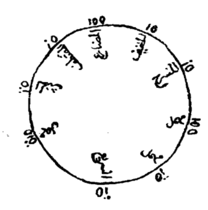
ورابع الدَّوائر[١] المَسْروده ... أجزاؤها ثلاثة مَعْـــدوده
عَجيبة قد حار فيها الوَصْفُ ... عِشرون حرفاً عدُّها وحَرْفُ
مِثل التى تقدّمت من قَبلها ... وشَــكْلها مُخالف لشَــكْلها
بَديعة أحْــكم فى تَدْبيرها ... بالوَتِد المَفروق فى شُطورها
ينفكّ منهــا ستّة مَقُوله ... مِن بينها ثلاثةٌ مَجْهوله
وكل هذه الستّة المَشْطوره ... مَعْروفة لأهلها مَخْبــوره[٢]
أوّلها السَّريع ثم المُنسرحْ ... ثم الخَفيف بعده ثمّ وَضَحْ
وبعده مُضارع ومُقتضبْ ... شَطران مَجزوآن فى قول العَربْ

(١) فى ا ، ن : « والدارة الرابعة » .
(٢) فى ا ، ن :
وكل هذه الستة الأشطار ... معروفة توجد فى الأشطار

وبعدها المُجتثّ أحلى شَطْرِ يُوجد مجزوءًا لأهل الشّعرِ

الرابعة : دائرة المشتبه

السريع : مبنى على مستفعلن مستفعلن مفعولات . ست مرات .
المنسرح : مبنى على مستفعلن مفعولات مستفعلن . ست مرات .
الخفيف : مبنى على فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن . ست مرات .
المضارع : مبنى على مفاعيلن فاعلاتن . ست مرات . فخففوا منه جزأين فصار مربعا.
المقتضب : مبنى على مفعولات مستفعلن مستفعلن . ست مرات . فربعوه كما تقدم .
المجتث : مبنى على فاعلاتن فاعلاتن . ست مرات . فربعوه كما تقدم .



١٩٨/٣ وبعدها خامسة الدّوائرِ للمُتقارب الذى فى الآخرِ
ينفكّ منها شَطْره وشَطْرُ لم يأتِ فى الأشعار منه الذّكرُ
مِن أقصر الأجزاء والشُّطورِ حُروفه عِشرون فى التّقديرِ
مؤلّف الشّطر على فواصلِ مخمّسات أربعٍ مَوائلِ[1]
هـذا الذى جرّبه المُجرِّبُ من كُل ماقالت عليه العربُ
فكُل شىء لم تَقُل عليه فإننا لم نلتفت إليـــه
ولا نَقول غيرَ[2] ماقد قالوا لأنّه من قَولنا مُحالُ
وإنه لو جاز فى الأبياتِ خلافُها لجاز فى اللغاتِ
وقد أجاز ذلك الخليـــلُ ولا أقول فيــه مايَقولُ

(١) كذا فى ا ، ن . والذى فى الأصول :
مؤلف الشطر على دوائر مخمسات أربع متواتر
(٢) فى بعض الأصول : « مثل » .

لأنه ناقصٌ فى مَعنـــاه ... والسيفُ قد يَنبو وفيه ماه

إذ جَعل القول القديم أصلَه ... ثم أجاز ذا وليس مثــلَه

وقد يَزِلّ العالِم النّحريرُ ... والحَبر قد يَخُونه التّحبيرُ

وليس للخَليل مِن نَظيرِ ... فى كُل ما يأتى من الأُمورِ

لـكنّه فيه نَسيجُ وحــدِه ... ما مثْله مِن قبله وبَعدِه

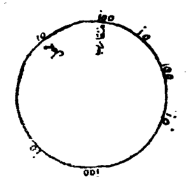
فالحمـــــــدُ لله على نَعمائه ... حمداً كثيرا وعلى آلائه

يا مَلِــكاً ذلّت له المُلوكُ ... ليس له فى مُلكه شَريكُ

ثبِّت لعبــد الله حُسن نيِّته ... وأعطفه بالفَضل على رعيّته[1]

الخامسة : دائرة المتفق

المتقارب : مبنى على فعولن . ثمانى مرات .



ابتداء الأمثال

شـــطر الطويل[2]

الطويل مُثَمّن ، له عروض واحد مقبوض وثلاثة ضروب : ضرب سالم ، وضرب مقبوض ، وضرب محذوف معتمد .

---

(١) فى ا بعد هذا : « تمت وتم كتاب الفرش والحمد لله رب العالمين » .

(٢) فى ا قبل هـــذا : « بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على نبيه محمد الـكريم وسلم تسليما » .

العروض المقبوض والضرب السالم

١٩٩/٣ وروضة وَرْدٍ حُفَّ بالسَّوسن الغَضّ   تحلَّت بلَوْن السَّام والذَّهب المَحْضِ
رأيتُ بها بدراً على الأرضِ ماشياً   ولم أر بدرًا قطُّ يَمشى على الأرضِ
إلى مثله فَلْتَصْبُ إن كنتَ صابياً   فقد كان منه البعضُ يَصْبو إلى البعض
وكُلْ وَرْدَ خدّيه ورُمّان صَدْره   بمَصٍّ على مَصٍّ وعَضٍّ على عَضّ
وقُل للذى أفنَى الفؤاد بحُبِّه   على أنه يَجزى المَحبّة بالبُغض
(أبا مُنذر أفنيتَ فاستَبق بعضنا   حَنانيكَ بعضُ الشّر أهون من بَعض)(1)

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن   فعولن ، مفاعيلن ، فعول ، مفاعيلن

الضرب المقبوض

وحاملةٍ راحًا على راحةِ اليَدِ   مُورَّدة تَسعَى(2) بلون مُورَّدِ
متى ما تَرى الإبريقَ للكأس راكعًا   تُصَلِّ له من غير طُهر وتَسْجُد
على ياسَمين كاللُّجين ونَرْجس   كأقراط دُرٍّ فى قَضيبِ زَبَرْجد
بتلك وهذى فالْهُ ليلَكَ كلّه   وعنها فَسَلْ لا تسأل الناسَ عن غَد
(ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً   ويأتيك بالأخبار من لم تُزوِّد)(3)

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن   فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن

الضرب المحذوف المعتمد

أيقتُلنى دائى وأنتَ طَبيبى   قريبٌ وهل من لا يُرى بقريبِ
لئن خُنتَ عَهدى إننى غيرُ خائنٍ   وأىّ مُحبٍّ خانَ عهدَ حَبيب

(1) البيت لطرفة بن العبد.   (2) فى بعض الأصول : « تسق ».
(3) البيت لطرفة ، من معلقته.

وساحبةٍ فَضلَ الذُّيول كأنها قَضِيبٌ من الرَّيحان فوقَ كَثِيب
إذا مابدتْ من خِدْرِها قال صاحبى أطِعْنِى وخُـذْ من وَصْلها بنَصِيب
(وما كُلُّ ذى لُبٍّ بمُؤْتيك نُصْحه وما كُل مُؤْتٍ نُصْحه بلبيبِ)[١]

تقطيعه :

فعولن ، مفاعيلن ، فعولن ، مفاعلن فعولن ، مفاعِيلن ، فعول ، فعولن

* * *

يجوز فى حَشْو الطويل القبض والكَف . فالقَبض فيه حَسن . والكَف فيه قبيح . ويدخله الخَرم فى الابتداء ، فيقال له : أثلم . فإذا دخله القبض مع الخرم قيل له : أثرم .

والخَرم : سقوط حركة من أول البيت ؛ ولا يكون إلّا فى وتد . والقَبض : ما ذهب خامسه الساكن . والكفّ : ما ذهب سابعه الساكن . والأعتماد : سقوط الخامس من « فعولن » التى قبل القافية ، اعتمد به فقبض . ولم تَجر فيه السلامة إلا على قبح . ولم يأت فى الشعر إلا شاذًّا قليلا . والاعتماد فى المتقارب : سلامة الجزء الذى قبل القافية . والمحذوف : ما ذهب من آخره سبب خفيف .

شطر المديد

هو مجـــــــزوء كله

له ثلاثة أعاريض وستة ضروب :

فالعروض الأول منها مجزوء ، وله ضرب مثله

والعروض الثانى محذوف لازم الثانى ، له ثلاثة ضروب لازمة الثانى :

ضرب مقصور لازم الثانى ، وضرب محذوف لازم الثانى ، وضرب أبتر لازم الثانى. ٢٠٠/٣

والعروض الثالث محذوف مخبون . له ضربان : ضرب مثله ، وضرب أبتر لازم الثانى .

(١) البيت لأبى الأسود الدؤلى ظالم بن عمرو . (انظر معجم الشعراء للمرزبانى ١٥٩) .

العروض المجزوء والضرب المجزوء

يا طويلَ الهَجْر لا تَنْس وَصْلِى   وأشتغالِى بك عن كُل شُغلِ
يا هلالاً فوق جيـــدِ غَزالٍ   وقَضِيبًا تحته دِعْصُ رَمْل
لا سلَتْ عاذلتى عنـــه نَفْسى   أكثِرى فى حُبه أو أقِلّى
شادِن يُزْهى بخَـدٍّ وجِيدٍ   مائس فاتِنٍ بحُسْـنٍ ودَلّ
(ومتى مابَـعِ منك كلامًا   فتَـكلَّمْ فيُجبك بعَقْلٍ)

تقطيعه :

فعلاتن ، فعلن ، فعلاتن   فعلاتن ، فعلن ، فعلاتن

العروض المحذوف اللازم الثانى

والضرب المقصور اللازم الثانى

يا وميضَ البَرق بين الغَمامْ   لا عليهـا بل عليك السلامْ
إنْ فى الأحداج مَقْصورةً   وجهُها يَهتِك سِتْر الظَّلامْ
تَحسب الهَجر حلالاً لهـا   وتَرى الوصلَ عليها حَرامْ
ما تأسِّيك لِدار خَلَتْ   ولشَعْب شَتَّ بعْد ألتِئامْ
(إنمـا ذكرُك ما قد مَضى   ضلَّةٌ مِثل حديث المَنام)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فعلن ، فاعلن   فاعلاتن ، فعلن ، فاعلان

الضرب المحذوف اللازم الثانى

عاتِب خَلْتُ له عاتِباً   رُبَّ مَطْلوب غدًا طالِبا
من يتب عن حُب مَعْشوقه   لستُ عن حُبِّى له تائبا

فالهوَى لى قَدَرٌ غالبٌ   كيف أعصى القدَر الغَالبا
سَاكِنَ القَصر ومَن حَلّه   أصبح القلبُ بكم ذاهبا
(اعلمُوا أنِّى لكم حافظٌ   شاهدًا ما عِشْتُ أو غائبا)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن   فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن

الضرب الأَبتر

أى تُفاح ورُمّانٍ   يُجتنى من خُوط رَيحانِ
أىّ وَرْد فوق خدّ بدا   مستنيراً بين سُوسان
وَثَن يُعبد فى رَوضة[1]   صِيغ من دُرّ ومَرْجان
مَن رأى الدَّلفَاء فى خَلْوَة   لم يَرَ الحَدَّ على الزانى[2]
(إنما الدَّلفاء يا قوتةٌ   أُخرجت من كِيس دِهْقانِ)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلن   فاعلاتن ، فاعلن ، فعلن ٢٠١/٣

العروض المجزوء المحذوف

والمخبون ضربه

مِن مُحب شَفّه سَقمه   وتلاشَى لحمُه ودَمُه
كاتِب حَنّت صَحِيفتُه   وبكَى مِن رحمة قَلَمُه
يَرفع الشكوَى إلى قَمر   يَنجلِى عن وَجْهه ظُلَمه
من لِقَرْن الشمس جَبْهته   والمع البَرق مُبْتسمه
خَلّ عَقلى يا مُسفِّهه   إن عَقلى لستَ أَتّهمه

(١) الدلفاء : المرأة الصغيرة الأنف فى استواء .

(٢) فى ا ، ن : « بيعة »

(للفتى عَقل يَعيش به   حيثُ تَهدى ساقَه قدمُه)[1]

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فعلن   فاعلاتن ، فاعلن ، فَعِلُن

الضرب الأبتر اللازم الثانى

زادنى لَومُكَ إضرارا   إنّ لى فى الُحب أنصارًا
طارَ قلبى مِن هَوى رَشإٍ   لو دَنا للقَلبْ ما طارا
خُذ بكَفّى لا أَمُتْ غَرَقاً   إنّ بَحر الُحب قد فارا
أنضجت نارُ الهَوى كَبدى   ودُموعى تُطفِىء النارا
(رُبّ نارٍ بِتُّ أَرمُقها   تَقضِم الهِنْدىّ والغَارا)[2]

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلن ، فعلن   فاعلاتن ، فاعلن ، فَعْلن

* * *

يجوز فى حشو المديد : الخَبن والكَف والشّكل . فالمخبون : ما ذهب ثانية الساكن . والمكفوف : ما ذهب سابعه الساكن . والمشكول : ما ذهب ثانيه وسابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخَبن والكَف فى «فاعلاتن» .

ويدخله التعاقب فى السببين المتقابلين ، بين النون من « فاعلاتن » والألف من « فاعلن » لا يسقطان جميعاً ، وقد يثبتان . فما عاقبه ما قبله فهو صدر ، وما عاقبه ما بعده فهو عجز ، وما عاقبه ما قبله وما بعده فهو طرفان ، وما لم يعاقبه شىء فهو برىء . والمقصور . ما ذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من السبب . والأبتر : ما حذف ثم قطع .

(١) البيت لطرفة (انظر العقد الثمين ٧٤) .
(٢) البيت لعدى بن زيد . (انظر حاشية الدمنهورى ٤٥) .

شطر البسيط

البسيط له ثلاثة أعاريض وستة أضرب :

فالعروض الأول مخبون تام ، له ضربان : ضرب مثله ، وضرب مقطوع لازم الثانى .

والعروض الثانى مجزوء ، له ثلاثة أضرب : ضرب مذال ، وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع من الطى .

والعروض الثالث مقطوع ممنوع من الطى ، له ضرب مثله .

العروض المخبون والضرب المخبون

بين الأهلّة بَدْرٌ ماله فَلَكُ   قلبى له سُلَّمٌ والوجه مُشْتَرَكُ
إذا بدا أنتهبت[1] عينى محاسنَه   وَذَلّ قلبى لعينيه فينتهك
أبثَثت بالدّين والدُّنيا مودّته   فخانَنى فعلى مَن يرجِع الدَّرَكُ ٢٠٢/٣
كُفُّوا بنى حارث ألحاظَ رِيمكم   فكلها لفؤادى كُلّه شَرَكُ
(يا حارِ لا أُرْمَينْ منكم بداهية   لم يَلْقها سُوقة قَبْلى ولا مَلِكُ)[2]

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فَعِلُن   مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فَعِلُن

الضرب المقطوع اللازم الثانى

يَا ليلة ليس فى ظَلمائها نورُ   إلا وُجوهاً تُضاهيها الدَّنانيرُ
حُورٌ سَقَتْنى بكأس[3] الموت أعينُها   ماذا سَقَتْنيه تلك الأعينُ الحُور
إذا ابتسمْن فدُرّ الثغر مُنتظم   وإنْ نَطقن فدُرّ اللفظ مَنْثور

(١) فى ا ، ن : « انتهكت » .
(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى . (انظر العقد الثمين ٨٧) .
(٣) فى بعض الأصول : « كأس الموت » .

خَلِّ الصِّبا عنك واُختِم بالنُّهى عملاً فإنّ خاتمةَ الأعمال تكفيرُ
(والخير والشّر مقرونان فى قرن فالخير مُتّبع والشّر محذور)

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ، فعلن مستفعلن ، فعلن ، مستفعلن ، فعْلن

العروض المجزوء والضرب المذال

يا طالباً فى الهوى ما لا يُنالْ وسائلاً لم يُعفَ ذُلّ السّؤالْ
ولّت ليالى الصّبا محمودةً لو أنها رجعت تلك الليالْ
وأعقبتها التى واصلتُها بالهجر لمّا رأت شَيب القَذال
لا تلتمس وُصلة من مُخلف ولا تكُن طالباً مالا يُنال
(يا صاحِ قد أخلفتْ أسماء ما كانت تُمنّيك من حُسن الوِصال)

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلان

الضرب المجزوء

ظالمتى فى الهوى لا تَظْلمى وتَصْرمى حَبل مَن لم يَصْرِم
أهكذا باطلاً عاقبْتِنى لا يَرْحم الله مَن لم يَرْحم
قتلتِ نفساً بلا نفس وما ذَنبٌ بأعظمَ من سَفك الدّم
لِمثل هذا بكتْ عينى ولا للمنزل القَفْر وللأرْسُم
(ماذا وُقوفى على رَسمٍ عَفا مُخلولق دارسٍ مُستعجِم)(١)

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن

(١) البيت للمرقش . (انظر اللسان ١١ : ٣٧٨) .

الضرب المقطوع الممنوع من الطى

ما أقربَ اليأس من رَجائى ... وأبعَد الصبرَ من بُكائى
يا مُذكىَ النّار فى فؤادى[1] ... أنت دَوَائى وأنت دائى
مَن لى بمُخلفة فى وَعدها[2] ... تَخلط لى اليأسَ بالرّجاء
سألتها حاجةً فلم تَفُه ... فيهـــا بنَعم ولا بلاَء ٢٠٣/٣
(قالتُ أستجيبى فلمّا لم تجب[3] ... سالت دُموعى على ردائى)

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، مستفعلن ... مستفعلن ، فاعلن ، فعولن

العروض المقطوع الممنوع من الطى

ضربه مثله

كآبة الذّل فى كتابى ... ونَخوةُ العزّ فى جَوابى
قَتلتَ نفساً بغير نَفس ... فكيف تَنجُو من العذاب
خُلقتَ من بَهجة وطِيب ... إذ خُلق الناسُ من تُراب
ولّت حُميّا الشّباب عنّى ... فلهفَ نَفسى على الشّباب
(أصبحتُ والشّيبُ قد عَلاَنى ... يَدْعو حَثِيثا إلى الخِضابِ)

تقطيعه :

مستفعلن ، فاعلن ، فعولن ... مستفعلن ، فاعلن ، فعولن

* * *

يجوز فى حشو البسيط: الخبن والطى والخبل . فالخبن : ماذكرناه فى المديد . والطى : ما ذهب رابعه الساكن . والمخبول : ما ذهب ثانيه ورابعه الساكنان ، وهو اجتماع الخبن والطى فى « مستفعلن » .

(١) فى بعض الأصول : « فى جوانحى » .
(٢) فى ا ، ن : « فلم تجبنى » . (٣) فى بعض الأصول : « لوعدها » .

والخبن فيه حسن ، والطى فيه صالح . والخبل فيه قبيح .

والمقطوع : ماذهب آخر سواكنه وسكن آخر متحركاته من الوتد . والمذال : ما زاد على اعتداله حرف ساكن .

تمت الدائرة الأولى .

شطر الوافر

له عروضان وثلاثة ضروب

فالعروض الأول مقطوف ، له ضرب مثله . والعروض الثانى مجزوء ممنوع من العقل ، له ضربان : ضرب سالم ، وضرب معصوب .

العروض المقطوف الضرب المقطوف

تَجافَى النومُ بعدكِ عن جُفونى ... ولكن ليسَ يجفوها الدموعُ
[يطيب لىَ السُّهاد إذا افترقنا ... وأنت به يطيبُ لكِ الهجوعُ]
يذكرنى تبسُّمك الأقاحى ... ويَحكى لى تورّدك الرَّبيع
يطير إليك من شوقٍ فؤادى ... ولكن ليس تتركه الضُّلوع
كأنَّ الشمسَ لما غِبْت غابت ... فليس لها على الدُّنيا طُلوع
فما لى عن تذكّرك امتناعٌ ... ودون لقائك الحِصْن المَنيع
(إذا لم تَستطع شيئاً فدَعْه ... وجاوزْه إلى ما تَستطيع)[1]

تقطيعه :

مفاعلتن ، مفاعلْتن ، فعولن ... مفاعلْتن ، مفاعلْتن ، فعولن

العروض المجزوء الممنوع من العقل الضرب السالم

غزالٌ زانه الحَورُ ... وساعد طَرْفه القَدَرُ

(١) البيت لعمرو بن معديكرب كما فى الحيوان (٣ : ١٣٨) .

يُرِيكَ إذا بدا وجهاً حَكاه الشمسُ والقَمر
براه الله من نُور فلا جِنٌّ ولا بَشر
فَذاكَ المرءُ لا طَلل وقفتَ عليه تَعتَبر ٢٠٤/٣
(أهاجك منزلٌ أقوى وغَيّر آيَه الغِير)

تقطيعه :

مفاعلتن ، مفاعلتن مفاعلتن ، مفاعلتن

الضرب المعصوب

وَبدْرٍ غير مَمْحوقٍ من العِقْيان مَخْلوقِ
إذا أُسقيتُ فَضْلته مَزَجتُ بريقه رِيقى
فيالكَ عاشقًا يُسقَى بقيّة كأس مَعْشوق
بكيتُ لنَأْيه عَنِّى ولا أبكى بتَشْهيق
(لِمنزلة بها الأفلا ك أمثال المَهاريق)

تقطيعه :

مفاعلتن ، مفاعلتن مفاعلتن ، مفاعيلن

***

يجوز فى حَشو الوافر : العَصب والعقل والنقص . فالعصب فيه حسن ، والنقص فيه صالح ، والعقل فيه قبيح .

ويدخله الخرم فى الابتداء ، فتسقط حركة من أول البيت ، ويسمى أعصب . فإذا دخله العصب مع الخرم ، قيل له : أقصم . فإذا دخله النقص مع الخرم ، قيل له : أعقص . فإذا دخله العقل مع الخرم ، قيل له : أجم .

والمعصوب : ما سكن خامسه المتحرك . والمنقوص : ما سكن خامسه المتحرك وذهب سابعه الساكن . والمقطوف . ما ذهب من آخره سبب خفيف وسكن آخر ما بقى .

ولا يدخل القطف إلا فى العروض والضرب من تام الوافر .

شطر الكامل

الكامل له ثلاثه أعاريض وتسعة ضروب . فالعروض الأول تام ، له ثلاثة ضروب : ضرب تام مثله ، وضرب مقطوع ممنوع إلا من سلامة الثانى وإضماره ، وضرب أحذ مضمر .

والعروض الثانى أحذ ، له ضربان : ضرب مثله ، وضرب مضمر .

والعروض الثالث مجزوء ، له أربعة ضروب : ضرب مرفّل ، وضرب مُذال ، وضرب مجزوء ، وضرب مقطوع ممنوع ، إلا من سلامة الثانى و إضماره .

العروض التام الضرب التام

يا وَجْـهَ مُعتذر ومُقلةَ ظالِمٍ كَمْ من دَمٍ ظُلماً سفكت بلا دَمِ
أَوَجدْتِ وصلى فى الكتاب مُحرَّماً ووجدتِ قَتلى فيه غيرَ مُحرَّمِ
كم جنةٍ لكِ قد سكنتُ ظِلالَها مُتفكِّها فى لَذةٍ وَتنَعّمِ
وشربتُ من خَمر العيون تعلّلا فإذا أُنتشيت أجود جُود المِرْزَمِ(١)
(وإذا صحوتُ فما أُقصّرَ عن ندًى وكما علمتِ شمائلى وتَكرُّمى)(٢)

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن

الضرب المقطوع الممنوع

إلا من الإضمار والسلامة

٢٠٥/٣ حالَ الزمانُ فبدّل الآمالاَ وكَسا المَشيّبُ مَفارقا وقَذالاَ

(١) المرزم : إحدى المرزمين . وهما نجمان من نجوم المطر .
(٢) البيت لعنترة من معلقته .

غنيتْ غوانى الحَىّ عنك وربما طلعتْ عليك أكِلّة وحِجالا[١]
أضحَى عليكَ حلالُهن مُحرمًا ولقد يكون حرامُهن حَلالَا
إنْ الكواعِبَ إنْ رأينك طاويًا وَصْلَ الشباب طَوين عنك وِصالا
(وإذا دَعَوْنك عَمَّهنّ فإنه نَسبٌ يزيدكَ عندهن خَبالا)[٢]

تقطيعه:

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلن ، فعلاتن

الضرب الأحذ المضمر

يوم المُحب لِطوله شَهرٌ والشهرُ يُحسَب أنه دَهْرُ
بأبى وأمى غادةٌ فى خَدّها سِحْرٌ وبين جُفونها سِحْر
الشمسُ تَحسب أنها شَمس الضُّحى والبَدرُ يَحسب أنها البَدر
فَسلِ الهَوى عنها يُجيب وإن نأتْ فَسَل القِفار يُجِبك القَفر
(لمن الديارُ برامَتَيْن فعاقِلٌ دَرست وغَيّر آيها القَطر)[٣]

تقطيعه:

متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلن ، فعْلن

العروض الأحذ الثالث

ضربه مثله

أمّا الخليطُ فشَدّ ما ذَهبوا بانُوا ولم يَقضُوا الذى يَجبُ
فالدارُ بعدهمُ كوَشْم يَدٍ يا دارُ فيك وفيهمُ العَجَبُ
أين التى صِيغت محاسنُها من فِضّة شِيبت بها ذَهب

(١) فى بعض الأصول: «إليك أهلة وجالا».
(٢) البيت للأخطل يهجو جريرا.
(٣) رامتان: موضع لبنى دارم. وعاقل: موضع لبنى أبان بن دارم.

ولّى الشبابُ فقلت أندُبه لا مثلَ ما قالوا[1] ولا نَدبوا
(دِمَنٌ عفت[2] ومحا معالمَها هَطِلٌ أجَشُّ وبارِحٌ تَرِب)

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، فعلن متفاعلن ، متفاعلن ، فعلن

الضرب الأحذ المضمر

عينىّ كيفَ غَررتُما قَلْبى وأبحتُماه لوعــةَ الحُبِّ
يا نظرةً أذكتْ على كَبدى ناراً قضيتُ بحرّها نَحْبى
خَلُّوا جَوى قلبى أُكابِدُه حَسبى مُكابدةُ الجَوى حَسْبى
عَينى جنتْ من شُؤم نَظرتها ما لا دواءَ له على قَلْبى
(جانيكَ مَن يَجنى عليك وقد تُعدى الصحاحَ مباركُ الجُرب)

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن ، فعلن متفاعلن ، متفاعلن ، فعْلن

العروض المجزوء والضرب المجزوء المرفل

هتك الحجابَ عن الضمائرْ طَرفٌ به تُبلَى السّرائرْ
يَرنو فيَمتحن القُلو بَ كأنه فى القَلب ناظر ٢٠٦ / ٣
يا ساحراً ما كنتُ أعْــرف قَبله فى الناس ساحر
أقصيتَنى من بعــد ما أدنيتَنى فالقلبُ طائر
(وغررتَنى وزعمتَ أنّـ ـك لابنٌ بالصّيف تامِر)[3]

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلاتن

---

(١) فى ا ، ن : « وما » .

(٢) فى ا ، ن : « إن الديار عفت » .

(٣) البيت للحطيئة (انظر الديوان ١٠) .

الضرب المذال

يا مُقلة الرَّشأ الغَرِيـ ـرِ وشُقّة القَمرِ المنيرْ
ما رنَّقت عيناكِ لى بين الأَكلَّة والسُّتور
إلاّ وضعتُ يدِى على قَلبى مخافةَ أنْ يَطير
هَبْنِى كبعض حمام مكّـ ـة وأستمِع قولَ النَّذير
(أبُنَىَّ لا تَظْلِم بمكّـ ـة لا الصَّغير ولا الكَبير)[1]

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلان

الضرب المجزوء

قُل ما بدا لك وأفعلِ واقطَعْ حِبالَك أوْ صلِ
هـذا الربيعُ فَحَيِّه وأنْزِلْ بأكرم مَنزل
وصِلِ الذى هو واصلٌ فإذا كَرِهت فبدِّل
وإذا نَبا بك منزلٌ أو مَسكن فتحوَّل
(وإذا افتقرت فلا تَكُن مُتخشِّعاً[2] وتجمَّـــل)

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، متفاعلن

الضرب المقطوع الممنوع

إلا من سلامة الثانى وإضماره

يا دَهرُ مالىَ أصْنِى[3] وأنت غيرُ مُواتِ

---

(١) البيت لسبيعة بنت الأحب ، تخاطب ابنا لها يسمى خالدا . (انظر السيرة لابن هشام ١ : ٢٦) .

(٢) وفى رواية : « متجشعا » (انظر الحور العين ٦٣) .

(٣) فى بعض الأصول : « أطبيك » .

جَرَّعتَنِى غُصصاً بهـــا كدَّرتَ صَفْو حَياتى
أينَ الذين تَسابقوا فى المَجـد الغايات
قومٌ بهم روُح الحيا ة تُردّ فى الأموات
(وإذا هُمُ ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسناتِ)

تقطيعه :

متفاعلن ، متفاعلن متفاعلن ، فعلاتن

* * *

يجوز فى الكامل من الزحاف : الإضمار والوَقص والخزل . فالإضمار فيه حسن ، والوقص فيه صالح . والخزل فيه قبيح .

فالمضمر : ما سكن ثانيه المتحرك .

والموقوص : ما ذهب ثانيه المتحرك .

والمخزول : ما سكن ثانيه المتحرك وذهب رابعه الساكن .

٢٠٧/٣ ويدخله من العلل القطع والحذ . فالمقطوع ، ما تقدم ذكره . والأحذ : ما ذهب من آخر الجزء وتد مجموع .

شطر الهزج

الهزج له عَروض: واحد مجزوء ممنوع من القبض . وضربان : ضرب سالم ، وضرب محذوف .

العروض المجزوء الممنوع من القبض

ضربه مثـله

أيا مَنْ لامَ فى الحُبِّ ولم يَعلم جَوى قَلبِى
ملامُ الصَّبّ يُغويه ولاأغوى[1] من القَلْب

(١) فى بعض الأصول : « ولا أغرى » .

فأنّى لمتَ فى هنـد مُحبًّا صادق الحبِّ
وهندٌ مالها[٢] شبه بشَرْق لا ولا غَرْب
(إلى هِنْد صَبا قَلْبى[٣] وهِنْد مثلُها يُصبى)

تقطيعه :

مفاعيلن ، مفاعيلن مفاعيلن ، مفاعيلن

الضرب المجزوء المحذوف

مَتى أشفى غليلِى بنَيل من بَخيلِ
غَزال ليس لى مِنـه سِوى الُحزن الطويل
جميل الوجه أخلانى من الصّبر الجَميل
قد حَملت الضيمَ فيه من حَسود وعَذول
(وماظَهرى لباغى الضَّيـــم بالظَّهر الذَّلولِ)

تقطيعه :

مفاعيلن ، مفاعيلن مفاعيلن ، فعولن

* * *

يجوز فى الهَزَج من الزحاف القبض والكف . فالكف فيه حسن . والقبض فيه قبيح . وقد فسرنا المقبوض والمكفوف فى الطويل أيضا .

ويدخله الخرم فى الابتداء ، فيكون أخرم . فإذا دخله الكف مع الخرم ، قيل له : أخرب . فإذا دخله القبض مع الخرم، قيل له : أشتر . والخرم كله قبيح .

شطر الرجز

الرجز له أربعة أعاريض وخمسة ضروب. فالعروض الأول تام، له ضربان :

---

(١) فى بعض الأصول : « وما يلقى لها » .
(٢) فى الحور العين (٦٣) :
* صبا قلبي إلى هند *

ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقطوع ممنوع من الطىّ .

والعروض الثانى مجزوء ، له ضرب مثله مجزوء .

والعروض الثالث مشطور ، له ضرب مثله .

والعروض الرابع منهوك ، له ضرب مثله .

العروض التام الضرب التام

لم أدر جِنّىٌّ سَبانى أم بَشرْ ... أم شَمس ظُهر أشرَقت لى أم قَمَرْ
أم ناظِر يهدى المَنايا طَرفُه ... حتى كأنّ الموتَ منه فى النّظر
يُحيى قتيـــلاً ماله من قاتِل ... إلّا سِهام الطّرف ريشت بالحَوَر
ما بال رَسم الوَصل أضحَى داثراً ... حتى لقد أذكرتَنى ممّا دثر
٢٠٨/٣ (دارٌ لسَلمى إذ سُليمى جارةٌ ... قَفْراً تُرى آياتُها مِثْل الزُّبر)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن ... مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن

الضرب المقطوع الممنوع من الطى

قَلب بلوعات الهوى مَعمودُ ... حَىٌّ كَمَيْت حاضرٌ مَفْقودُ
ماذقت طعم الموت فى كأس الأسى ... حتى سَقَتْنيه الظباء الغِيدُ
من ذا يداوى القلبَ من داء الهوى ... إذ لا دواء للهوى مَوجـــود
أم كيف أسلو غادةً ما حُبّها ... إلا قَضـــاء ماله مَرْدود
(القلبُ منها مُستريح سالمٌ ... والقَلب منى جاهد مجهودُ)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن ... مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعل

العروض المجزوء الضرب المجزوء

أعطيته ما سألا   حكّمتُه لو عَدلاَ
وهبتُه رَوحى فما   أدرى به ما فَعَلا
أسلمتُه فى يده   عَيْشه أم قَتَلا
قَلبى به فى شُغُل   لا مَلَّ ذاكَ الشُّغُلا
(قيَّده الحُبُّ كما   قَيّد راعٍ جَملاَ)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن   مستفعلن ، مستعلن

العروض المشطور الضرب المشطور

يأيها المَشغوف بالُحبّ التَّعِبْ   كمْ أنت فى تَقريب مالا يَقتربْ
دَعْ وُدّ من لا يَرعوى إذا غَضب   ومَن إذا عاتبتَه يوماً عَتب
(إنك لا تَجنى من الشوكِ العِنَب)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن

العروض المنهوك الضرب المنهوك

بياضُ شَيْب قد نَصَعْ   رفعتُه فما ارتفع
إذا رأى البيضَ انقمع   مِن بين يأس وطَمَعْ
لله أيام النَّخَع   (ياليتنى فيها جَذَع
أخُبُّ فيها وأضع)(١)

(١) البيت يروى لورقة بن نوفل ، كما يروى لدريد . (انظر الحاشية الكبرى ٥٦)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن

* * *

ويجوز فى حشو الرجز : الخبن ، والطى ، والخبل . فالخبن فيه حسن . والطى فيه صالح . والخبل فيه قبيح . وقد مضى تفسير الطى والخبن والخبل فى البسيط .

٢٠٩/٣ ويدخله من العلل : القطع ، وقد ذكرناه . ويكون مجزوءا . والمجزوء : ما ذهب من آخر الصدر جزء ، ومن آخر العجز جزء . ويأتى مشطورا . والمشطور : ما ذهب شطره . ويأتى منهوكا . والمنهوك : ما ذهب من شطره جزآن وبقى على جزء .

شطر الرمل

الرمل له عروضان وستة ضروب . فالعروض الأول محذوف جائز فيه الخبن . له ثلاثة ضروب : ضرب متمم . وضرب مقصور جائز فيه الخبن ، وضرب محذوف مثل عروضه .

والعروض الثانى مجزوء ، له ثلاثة ضروب : ضرب مسبغ ، وضرب مجزوء مثل عروضه الجائز فيه الخبن ، وضرب محذوف جائز فيه الخبن .

العروض المحذوف الجائز فيه الخبن الضرب المتمم

أنا فى اللّذات مَخلوع العِذارِ هائم فى حُب ظَبى ذى أحْورارِ
صُفرة فى حُمـــرة فى خدّه جمعتْ روضة وَرْد وبَهار
بأبى طـاقةُ آسٍ أقبلت تَتَثَنَّى بين حِجْل وسِوار
قادنى طَرفى وقَلْـبِى للهَوى كيف من طَرفى ومِن قلبى حِذارِى

(لو بغير الماء حَلقى شَرِقٌ كنتُ كالغَصّان بالماء اُعتصاري)(١)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلاتن

الضرب المقصور

يا مُدير الصُّدغ فى الخدّ الأَسيلْ ومُجيل السِّحر بالطَّرف الكَحيلْ
هل لمَحزون كئيب قُبلة منك يَشفى بَردُها حَرَّ الغَليل
وقليـــلٌ ذاك إلا أنه ليس مِن مثلك عندى بالقَليل
بأبى أحـــورُ غَنَّى مَوهناً بغناء قصَّر الليلَ الطويل
(يا بنى الصَّيــداء ردُّوا فَرسى إنما يفعل هـــذا بالذَّليل)(٢)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلان

الضرب المحذوف

شادن يَسحب أذيال الطَّربْ يَتَثنّى بين لَهو ولَعبْ
بجَبين مُفْرغٍ من فِضّة فوق خدّ مُشرَب لونَ الذّهب
كتَب الدمعُ بخدّى عَهده للهوَى والشوقُ يُملى ما كَتب
ما لجهـــلى ما أراه ذاهباً وسوادُ الرأس منّى قد ذَهب
(قالت الخنساء لمّا جِئتُها شابَ بعدى رأسُ هذا واُشتهب)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن

---

(١) البيت لعدى بن زيد .
(٢) البيت لزيد الخيل . (انظر الأغانى ١٦ : ٤٨) .

العروض المجزوء الضرب المسبغ

٢١٠/٣ يا هلالاً فى تَجنّيـهِ   وقَضيباً فى تثنّيـهِ
والذى لست أُسمّيه   ولكنّى أُكنّيه
شادنٍ ما تقدر العيـ   ـنَ تَراه من تَلاليه
كلّما قابله شَخـ   ـص رأى صورتَه فيه
(لان حتى لو مشَى الذّ   رّ عليه كاد يُدميه)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن   فاعلاتن ، فاعلاتان

الضرب المجزوء

يا هلالاً قد تجلّى   فى ثِياب من حَريرْ
وأميراً بهواه   قاهراً كُلَّ أمير
ما لخدّيك أستعارا   حُمرةَ الوَرد النّضير
ورُسوم الوَصل قد أَبْـ   ـلتها نُوبَ دُثور
(مُقفرات دارسات   مثلَ آيات الزّبور)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن   فاعلاتن ، فاعلاتن

الضرب المجزوء المحذوف الجائز فيه الخبن

يا قتيلاً من يده[1]   ميّتا من كَمده
قدحتْ للشوق نارا   عينُـه فى كَبده

(١) ق ا ، ذ : « بيده » .

هائم يبكى عليه رحمةً ذو حسده
كل يوم هُو فيه مُستعيذ من غَده
(قلبُه عند الثريّا بائنٌ عن جَسده)

تقطيعه :

فاعلاتن ، فاعلاتن فاعلاتن ، فعلن

* * *

يجوز فى الرمل من الزحاف : الخَبن والـكَف والشكل . فالخبن فيه حسن . والـكف فيه صالح . والشكل فيه قبيح . وقد فسرنا المـكفوف والمخبون .

فأما المشكول : فهو ما ذهب ثانيه وسابعه الساكنان .

ويدخله التعاقب فى السببين المتقابلين ، على حسب ما يدخل فى المديد .

ويدخله من العلل الحذف والقصر والإسباغ . وقد فسرنا المحذوف والمقصور.

وأما المسبغ : فهو ما زاد على أعتدال جزئه حرف ساكن ، مما يكون فى آخره سبب خفيف ، وذلك « فاعلاتن » يزاد عليها حرف ساكن فيكون « فاعلاتان » .

شطر السريع

السريع له أربعة أعاريض وسبعة أضرب :

فالعروض الأول مَكسوف مَطوىّ لازم الثانى ، له ثلاثة ضروب : ضرب موقوف مطوى لازم الثانى ، وضرب مكسوف مطوى لازم الثانى مثل عروضه ، ٢١١/٣

وضرب أصلم سالم .

والعروض الثانى مخبول مكسوف ، له ضربان : ضرب مثل عروضه ، وضرب أصلم سالم .

والعروض الثالث مشطور موقوف ممنوع من الطى ، ضربه مثله .

والعروض الرابع مشطور مكسوف ممنوع من الطى ، ضربه مثله .

العروض المكسوف المطوى اللازم الثانى

الضرب الموقوف المطوى اللازم الثانى

بكيتُ حتى لم أدعْ عَبرةً   إذ حَملوا الهَودج فوق القَلوصْ
بُكاء يَعقوبَ على يُوسفٍ   حتى شَفى غُلّته بالقميص
لا تأسفِ الدهرَ على ما مَضى   والقَ الذى ما دونه من مَحيص
(قد يُدرك المُبطىء من حَظه   والخيرُ قد يَسبق جُهد الحَريصْ)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن   مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلان

الضرب المكسوف المطوى اللازم الثانى

لله دَرُّ البَين ما يَفعــلُ   يَقتل مَن شاء ولا يُقتَــلُ
بانُوا بمَن أهواه فى ليلةٍ   ردّ على آخرها الأوّل
يا طُولَ ليل المُبتلى بالهَوى   وصُبحُه مِن ليله أطول
فالدارُ قد ذكّرنى رسمُها   ما كِدتُ عن تَذكاره أذْهل
(هاج الهَوى رسمٌ بذات الغَضى   مُخْلولق مُستعجم مُحْوِل)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن   مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن

الضرب الأصلم السالم

قَلبى رهينٌ بين أضلاعى   من بين إيناسٍ[1] وإطماعِ
من حيثُ ما يَدعوه داعِى الهَوى   أجابه لَبّيْك مِن داعى

(١) فى بعض الأصول : « أياس » .

مَن لِسَــقيم ما له عائدٌ وَميّتٌ ليس له ناعِى
لما رأتْ عاذلتى ما رأتْ وكان لى من سَمعها واعِى
(قالتْ ولم تَقْصد لِقيل الخَنَى مَهْلاً لقد أبلغتَ أسماعِى)[1]

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فاعلن مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن

العروض المخبول المكسوف

ضربه مثله

شَمسٌ تجلّت تحت[2] ثَوب ظُلَمْ سقيمةُ الطَّرف بغير سَقَمْ
ضاقت علىّ الأرضُ مُذ صَرَمتْ حَبلى فما فيها مكانُ قَدم
شمسٌ وأقمارٌ يطوف بها طَوْفَ النَّصارى حول بيت صَنَم
(النشر مِسكٌ والوُجوه دنا نيرٌ وأطراف الأكفّ عَنَم)[3]

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن

الضرب الأصلم السالم

أنتَ بما فى نفسه أعلمْ فاحكُم بما أحببتَ أن تَحكُمْ ٢١٢/٣
ألحاظُه فى الحب قد هتكت مَكْتومَه والحُبّ لا يُكتَم
يا مُقلةَ وحشــيّة قَتلت نفسًا بلا نَفس ولم تَظْلِم
قالت تسلّيت[4] فقلتُ لها ما بال قَلبى هائمٌ مُغرم
(يأيها الزّارى على عُمَر قد قلتَ فيه غير ما تَعلم)

---

(١) البيت لأبى قيس بن الأسلت .
(٢) فى ا ، ن : « تجلت فوق » .
(٣) البيت للمرقش من قصيدة طويلة فى مرثية ابن عم له .
(٤) فى ا ، ن : « تشكت » .

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن   مستفعلن ، مستفعلن ، فعلن

العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطى

ضربه مثله

خَلّيتُ قلبي فى يدَىْ ذات الخالْ   مُصفَّدا مُقيّدا فى الأغلالْ
قد قُلت للباكى رسومَ الأطلال   (يا صاح ما هاجَك من رَبعٍ خال)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستعلن ، مفعولان

العروض المشطور المكسوف الممنوع من الطى

ضربه مثله

ويحى قتيلاً مالَه من عَقْلِ   بشادنٍ يَهتزّ مثلَ النَّصلِ
مُكَحّل ما مَسّه من كُحل   لا تَعذُلانى إننى فى شُغل
(يا صاحِبَىْ رَحْلى أقلاّ عَذْلى)

تقطيعه :

مستفعلن ، مستفعلن ، مفعولن

***

ويجوز فى السريع من الزحاف : الخبن والطى والخبل . فالخبن فيه حَسن . والطى صالح ، والخبل فيه قبيح .

ويدخله من العلل : الكسف والوقف والصلم . فالمكسوف : ما ذهب سابعه المتحرك . والموقوف : ما سكن سابعه . والأصلم : ما ذهب من آخره وتد مفروق . والمشطور : ما ذهب شطره .

شطر المنسرح

المنسرح له ثلاثة أعاريض وثلاثة ضروب :

فالعروض الأول ممنوع من الخبل ، له ضرب مطوى .

والعروض الثانى منهوك موقوف ممنوع من الطى ، له ضرب مثله .

والعروض الثالث منهوك مكسوف ممنوع من الطى ، له ضرب مثله .

العروض الممنوع من الخبل

الضرب المطوى

بَيْضاء مَضْمومة مُقرطقة   يَنْقَدّ عن نَهدها قَراطقُها
كأنما بات ناعمًا جَـذِلا   فى جَنة الخُلد مَن يُعانقها
وأىّ شىء ألذّ مِن أمل   نالتَــه مَعْشوقة وعاشِقُها
دَعْنى أمُت من هوى مُخدَّرةٍ   تَعلق نفسى بهـا عَلائقها
(مَن لم يَمُت غِبْطة يَمُت هَرَمًا   الموتُ كأسٌ والمَرء ذائقها)[1]

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولات ، مستفعلن   مستفعلن ، مفعولات ، مفتعلن

العروض المنهوك الموقوف الممنوع من الطى

ضربه مثله

أقصرتُ بعض الإقصارْ   عن شادنٍ نائى الدارْ
صَـــبّرنى لمّا سارْ   ولم أكُن بالصبّار
وقالَ لى باُســـتعبار   (صبرًا بنى عبد الدّار)[2]

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت ، كما فى اللسان (عبط) .

(٢) لهند بنت عتبة قالته يوم أحد تخاطب به بنى عبد الدار أصحاب لواء المشركين . انظر السيرة ٥٦٢ جوتنجن .

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولات

العروض المنهوك المكسوف الممنوع من الطى

ضربه مثله

عاضَتْ بوصلٍ صَدّا   تُريد قتلى عَمْدَا
لَمّا رأتنى فَردا   أبكى وألقَى جَهْدَا
قالت وأبدتْ دُرَّا   (وَيْلُمِّ سَعْد سَعْدَا)(١)

تقطيعه :

مستفعلن ، مفعولن

***

يجوز فى المُنسرح من الزحاف . الخبن والطى والخبل . فالخبن فيه حسن . والطى فيه صالح . والخبل فيه قبيح .

ويدخله من العلل : الوقف والكسف . وقد فسرناهما فى السريع .

والمنهوك : ما ذهب شطره ، ثم ذهب منه شطر بعد الشطر .

شطر الخفيف

الخفيف له ثلاثة أعاريض وخمسة ضروب .

فالعروض الأول منه تام ، له ضربان : ضرب يجوز فيه التشعيث ، وضرب محذوف يجوز فيه الخبن .

والعروض الثانى جائز فيه الخبن ، له ضرب مثله .

والعروض الثالث مجزوء ، له ضربان : ضرب مثله مجزوء ، وضرب مجزوء مقصور مخبون .

---

(١) من كلام أم سعد بنت معاذ رضى الله عنه ، لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته فى غزوة الخندق .

العروض التام الضرب التام الجائز فيه التشعيث

أنتِ دائى وفى يديكِ دوائى يا شفائى من الجوى وبلائى
إنّ قلبى يُحب من لا أُسمّى فى عَنَاء أعْظِم به من عنـاء
كيفَ لا كيف أنْ ألذّ بعَيش مات صَبرى به وماتَ عزائى
أيها اللائمون ماذا عليكم أنْ تَعيشوا وأنْ أموتَ بدائى
(ليس مَن مات فاستراح بمَيْت إنّما المَيْت ميّت الأحياء)(١)

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن ، فاعلاتن فاعلاتن ، متفعلن ، مفعولن

الضرب المحذوف يجوز فيه الخبن

ذات دَلّ وشاحُها قَلِقٌ من ضُمور وحِجْلها شَرِقُ
بَزّت الشمس نُورَها وحَباها لَحْظَ عينيه شادنٌ خَرِق
ذَهَبٌ خدّها يَذُوب حَياء وسِوَى ذاك كُلّه وَرِق
إن أمُت مِيتَةَ المُحبّين وَجْداً وفُؤادى من الهَوى حَرِق
(فالمَنايا من بين غادٍ وسارٍ كُلّ حَىّ بَرْهنها غَلِق)

تقطيعه : ٣/٢١٤

فاعلاتن ، مستفعلن ، فاعلاتن فاعلاتن ، متفعلن ، فعلن

العروض المحذوف الجائز فيه الخبن

ضربه مثله

يا غليلاً كالنّار فى كَبدى واغتراب الفُؤاد عن جَسدى
وجُفوناً تَذْرى الدموعَ أسىً وتَبيع الرُّقاد بالسُّهـد

(١) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى . انظر الحيوان (٦ : ٥٠٧)

لیتَ مَنْ شفَّنی هواه رأى   زَفراتِ الهوَى على كَبدِى
غادةٌ نازحٌ محلّتهـــــا   وَكَلّفَتْنِى بلوْعة الكَمَد
(رُبَّ خَرْق من دونها قذفٌ   ما به غيرِ الجنّ من أحد)

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن ، فعلن   فاعلاتن ، مستفعلن ، فعلن

العروض المجزوء والضرب المجزوء

ما لليـــلَى تبدَّلتْ   بعـــدنا وُدَّ غيْرِنا
أرهقَتْنا ملامـــةً   بعـد إيضاح عُذْرِنا
فسلوْنا عن ذِكْرِها   وتسلّت عن ذِكْرِنا
لم نقل إذ تَعرّمت   واستهلّت بهَجْـرِنا
(ليت شِعرى ماذا تَرى   أمّ عَمرو فى أمرِنا)

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن   فاعلاتن ، مستفعلن

الضرب المجزوء المقصور المخبون

أشرقت لى بُدُور   فى ظَلامٍ تُنير
طـار قَلبى بحُبّها   مَن لقَلبٍ يَطير
يا بُدوراً أنا بهـا الـــدّهرَ عانٍ أسـير
إنْ رضيتُم بأن أمُو   ت فموتى حَقيـر
(كُلّ خطبٍ إن لم تكو   نوا غضبتم يَسـير)

تقطيعه :

فاعلاتن ، مستفعلن   فاعلاتن ، فعولن

***

يجوز فى الخفيف من الزحاف : الخبن والكف والشكل . فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح .

ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من « مستفعلن » و « فاعلاتن » لا يسقطان معا ، وقد يثبتان . وذلك أن وتد « مستفع لن » فى الخفيف والمجتث كله مفروق فى وسط الجزء . وقد بينا التعاقب فى المديد .

ويدخله من العلل : التشعيث والحذف والقصر . وقد بينا المحذوف والمقصور . وأما التشعيث ، فهو دخول القطع فى الوتد من « فاعلاتن » التى من الضرب الأول من الخفيف فيعود « مفعولن » .

شطر المضارع

المُضارع له عروض واحد مجزوء ممنوع من القبض ، وضرب مجزوء ممنوع ٢١٥/٣
من القبض مثل عروضه ، وهو :

أرى للصِّبا وداعاً   وما يذكر اجتماعاً
كأن لم يكن جديراً   بحِفْظ الذى أضاعا
ولم يُصبنا سُرورا   ولم يُلْهِنا سماعا
فجدّد وصالَ صَبٍّ   متى تَعْصه أطاعا
(إن تَدْنُ منه شِبْرا   يُقرِّبْك منه باعا)

تقطيعه :

مفاعيلن ، فاعلاتن   مفاعيلن ، فاعلاتن

***

يجوز فى حشو المضارع من الزحاف : القبض والكف فى « مفاعيلن » ، ولا يجتمعان فيه لعلة التراقب . ولا يخلو من واحد منهما . وقد فسرنا التراقب مع التعاقب .

ويدخله فى «فاعلاتن» الكف. فأما القبض فهو ممنوع منه وتد «فاع لاتن» فى المضارع، لأنه مفروق وهو «فاع». والتراقب فى المضارع بين السببين من «مفاعيلن» فى الياء والنون لا يثبتان معا ولا يسقطان معا، وهو فى المقتضب بين الفاء والواو من «مفعولات».

شطر المقتضب

المقتضب له عروض واحد مجزوء مطوى وضرب مثل عروضه، وهو :

يا مليحـــةَ الدَّعَجِ   هل لديك من فَرَجِ
أم تُراكِ قاتلتى   بالدَّلال والغَنَــجِ
من لُحسن وَجهكِ من   سُوء فِعْلِك السَّمج
عاذلىّ حَسْبُكما   قد غرقت فى لُجج
(هل علىّ وَيحُـكما   إن لَهوتُ من حَرَجِ)

تقطيعه :

فاعلاتن . مفتعلن   فاعــلاتن ، مُفتعلن

***

يدخل التراقب فى أول البيت فى السببين المتقابلين . على حسب ما ذكرناه فى المضارع .

شطر المجتث

له عروض واحد مجزوء

ضربه مثله

وشادن ذى دَلالِ   مُعصَّب بالجمــــالِ
يَضَنّ أنْ يَحتويه   منى ظلامُ اللَّيــالى

أو يَلْتقى فى منامى   خيالُه مَعْ خَيـــالى
غُصنٌ نَما فوق دِعْص   يَختال كُلَّ اُختيال
(البَطن منها خَمِيص   والوَجه مثلُ الهلال)[1]

تقطيعه :

مستفع لن ، فاعلاتن   مستفع لن ، فاعلاتن

* * *

يجوز فى المجتث : الزحاف والخبن والكف والشكل . فالخبن فيه حسن ، والكف فيه صالح ، والشكل فيه قبيح . ٢١٦/٣

ويدخله التعاقب بين السببين المتقابلين من « مستفع لن » و « فاعلاتن » على حسب ما يدخل الخفيف ، وذلك لأن وتد «مستفع لن» فى المجتث مفروق ، كما هو فى الخفيف مفروق ، وذلك يقع .

شطر المتقارب

المتقارب له عروضان وخمسة أضرب .

فالعروض الأول منها تام يجوز فيه الحذف والقصر . له أربعة ضروب : ضرب تام مثل عروضه ، وضرب مقصور ،وضرب محذوف معتمد، وضرب أبتر .

والعروض الثانى مجزوء محذوف معتمد ، له ضرب مثله معتمد .

العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر

الضرب التام

حالَ[2] عن العَهد لما أحالاَ   وزال الأحبّة عنه فزَالاَ
مَحلّ تَحُل عُراها السَّحاب   وتَحكى الجَنوبُ عليه الشمالا

(١) البيت لرجل من أهل مكة . وقد ذكر الدمنهورى فى الحاشية المقطوعة كاملة.
(٢) فى بعض الأصول : « لحال » .

فيا صاح هذا مَقام المُحبّ   وَربعُ الحَبيب فَحُطَّ الرِّحالا
سَل الرَّبع عن ساكِنيه فإنّى   خَرِستُ فما أستطيع السُّؤالا
(ولاَ تُعْجلنّى هَداكَ المليكُ   فإنّ لكُل مَقام مقالا)

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن   فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن

الضرب المقصور

فؤادى رَميْتَ وعَقْلى سَبَيْتَ   ودَمْعى مَرَيتَ ونَوْمى نَفَيتَ
يَصُد أصطبارى إذا ماصَدَدتَ   ويَنأى عَزائى إذا ما نأيت
عَزمتُ عليكَ بمَجرى الوِشاح   وما تحت ذلك مما كَنَيت
وتُفّاح خَدٍّ ورُمَّان صَدْر   ومَجناهما خيرُ شىء جَنَيت
تجدّد وصلاً عفا رسمُه   فتلك لمّا بدا لى بَقَيتَ
(على رَسْم دار قفار وَقَفْتَ   ومن ذِكرعهد الحبيب بَكَيْت)

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن   فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن

الضرب المحذوف المعتمد

أيا ويح نَفسى ووَيل أمّها   لِمَا لَقِيَتْ من جَوَى هَمِّها
فديتُ التى قتلتْ مُهجتى   ولم تَتَّق الله فى دَمِّها
أغُضّ الجُفونَ إذا ما بَدَتْ   وأَكنِى إذا قيل لى سَمِّها
أدارى العُيون وأخشى الرّقيب   وأرْصُد غَفْلة قَيِّمِها
(سبتْنى بِجيد وَخدٍّ ونحر   غَداةَ رَمَتْنى بأسهُمِها)

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعل   فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعل

الضرب الأبتر

لَا تبكِ لَيْلَى ولا مَيّـه　　　ولا تَنْدُبَنْ راكبا نِيّه
وَبكِّ الصِّبا إذ طَوى ثَوْبه　　　فلا أحـــدٌ ناشرٌ طيَّه
ولا القَلْب ناسٍ لِما قد مَضى　　　ولا تاركٌ أبداً غَيّه
ودَع قول باكٍ(1) على أرْسم　　　فَليس الرُّســوم بمَبكيّه
(خَليلى عُوجا على رَسم دارٍ　　　خَلَت من سُليمى ومن مَيّه)

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعولن ، فعولن　　　فعولن ، فعولن ، فعولن ، فع(2)

العروض المجزوء المحذوف المعتمد

ضربه مثله

أأُحرمْ منْك الرِّضا　　　وتذكر ما قد مَضى
وتَعرض عن هائم　　　أبَى عنكَ أن يُعرضا
قَضَى الله بالُحبّ لى　　　فصبراً على ما قَضى
رميتَ فؤادى فـمَا　　　تَركتَ به مَنْهضا
(فقَوْســكِ شِرْيانَةٌ　　　وَنَبلكِ جمر الغَضا)

تقطيعه :

فعولن ، فعولن ، فعل　　　فعولن ، فعولن ، فعل

* * *

يجوز فى المتقارب من الزحاف : القبض ، وهو فيه حسن . ويدخله الخرم فى الابتداء ، على حسب ما يدخل الطويل .

(1) فى بعض الأصول : « عنك يأسا » .
(2) فى ا ، ن : « فل » .

[وقد أكملنا فى هذا الجزء مختصر المثال فى ثلاث وستّين مُقطعة ، وهى عدد ضُروب العروض ، والتزمنا فيها ذكر الزّحاف والعلل التى يقوم ذكرها فى الجزء الأول الذى أختصرنا فيه فرش العروض ، ليكون هذا الكتاب مكتفياً بنفسه ، لمن قد تأدّى إليه معرفةُ الأسباب والأوتاد ومواضعها من الأجزاء الثمانية التى ذكرناها فى مختصر الفرش .

وأحتجنا بعد هذا إلى اختلاف الأبيات التى استشهد بها الخليل فى كتابه ، لتكون حُجة لمن نظر فى كتابنا هذا . فاجتلبنا جملة الأبيات السالمة والمعتلة ، وما لكل شطر منها .

أبيات الطويل

العروض المقبوض . الضرب السالم

أبا مُنذر أفْنيت فاستَبْق بعضَنا حنانَيْك بعضُ الشرّ أهونُ من بعضِ

ضرب مقبوض

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد

أثلم مكفوف

شاقَتْك أحداج سُليمَى بعاقلٍ فعيناكَ للبَيْن يَجُودان بالدّمع

أثرم

هاجك رَبْع دارِسٌ باللّوى لأسماء عفَّى المُزنُ والقَطْرُ

محذوف معتمد

وما كُل ذى لُبٍ بمؤتيك نُصحَه وما كُل مؤتٍ نُصحه بلَبيبِ

***

أقيموا بنى النُّعمان عنَّا صُدورَكم وإلا تُقيموا صاغرين الرُّءوسا

أبيات المديد

عروض مجزوء . ضرب مجزوء

يا لبكر انشُروا لى كُليباً يا لبكر أين أين الفِرارُ

ضرب مجزوء . مخبون صدر

ومتى مايَعِ منك كلامًا يتكلَّمْ فيجبك بعَقْلِ

مكفوف عجز

لن يزال قومنا مُخصبين صالحين ما اتَّقَوا واُستقامُوا

مشكول عجز

لمن الدِّيارُ غَيَّرهنَّ كُلُّ جَوْنِ المُزْن دانى الرَّبابِ

مشكول طرفاه

ليت شعرى هل لنا ذاتَ يومٍ بُجنوبِ فارع من تَلاقِ

العروض المحذوف اللازم الثانى

الضرب المقصور ، اللازم الثانى

لا يغُرنَّ أمرأً عيشُه كُل عيش صائرٌ للزوالِ

الضرب المحذوف ، اللازم الثانى

اعلموا أنّى لكم حافظٌ شاهداً ما كنتُ أو غائباً

الضرب الأبتر ، اللازم الثانى

إنما الذَّلفاء يا قوتةٌ أُخرجت من كِيس دِهقانِ

العروض المحذوف المخبون

الضرب المحذوف المخبون

الفتى عقلٌ يعيشُ به حيثُ تَهدى ساقه قدمُه

الضروب الأبتر

رُبَّ نارٍ بتُّ أرمقها تَقضم الهنديَّ والغارا

أبيات البسيط

العروض المخبون . الضرب المخبون

يا حارِ لا أُرمَيَنْ منكم بداهيةٍ لم يَلقَها سوقةٌ قبلى ولا مَلِكُ

مخبون

لقــد حلّت صُروفَها عَجب فأحدَثتْ عِبراً وأعقبت دُوَلاَ

مطوى

أرتحلُوا غُدوةً وانطلقوا بُكَرا فى زُمَرٍ منهم تَتبعها زُمَرُ

الضرب المقطوع

اللازم الثانى

قد أشهد الغارةَ الشّعواء تحملنى جَرداء مَعروقة اللَّحْيين سُرحوبُ

***

والخير والشرُّ مقرونان فى قَرن فالخيرُ مُتبّع والشرُّ مَحْذورُ

العروض المجزوء

الضرب المذال

إنا ذَمَمْنا على ما خَيَّلت سَعْد بن زَيدٍ وعمرًا من تميم(1)

مخبون

قد جاءكم أنكم يوماً إذا   فارقتمُ الموتَ سوف تُبعثون

مطوى

يا صاحِ قد أخلفَتْ أسماء ما   كانت تمنّيك من حُسن الوِصال

الضرب المحذوف

ماذ وُقوفى على ربع خلا   مُخْلولقٍ دارسٍ مُسْتعجِم

مخبون

إنّى لمُثْنٍ عليها أستمعوا   فيها خصالٌ تُعدُّ أربعُ

مطوى

تَلقى الهوى عن بنى صادق   نَفسى فِداهُ وأُمّى وأبِى

الضرب المقطوع الممنوع من الطى

سِيروا معًا إنما ميعادُكم   يُوم الثلاثاء ببطن الوادِى

***

قلت أستجيبى فلمّا لم تُجب   سالت دُموعى على ردائى

العروض المقطوع الممنوع من الطى

ما هيَّج الشوقَ من أطلال   أضحت قفاراً كوَحْى الواحِى

أبيات الوافر

العروض المقطوف الضرب المقطوف

لنا غَنمٌ نُسوِّقها غزار   كأن قُرون جِلّتها العِصىّ

***

إذا لم تَستطع شيئًا فدَعْه   وجاوزْه إلى ما تَستطيعُ

***

معقول

منازلٌ لفَرتنى قِفارُ كأنما رسومُها شُطورُ

أعضب

إذا نَزَل الشتاء بدارِ قوم تجنَّب جارَ بيتهم الشِّتاء

أقصم

ما قالوا لنا سيِّداً ولكن تفاحش قولُهم فأتوا بهُجْرِ

أجم

وإنك خير من رَكب المَطايا وأكرمُهم أباً وأخاً وَنفسًا

العروض المجزوء الممنوع من العقل

ضربه مثله

لقـد علمت ربيعة أنْ حَبلك واهنٌ خَلَقُ

* * *

أهاجك منزلٌ أقوَى وغيَّر آيه الغِيَرُ

الضرب المعصوب

عجبتُ لمعشر عدلوا بمُعتمر أبا عَمْرِو

أبيات الكامل

العروض التام الضرب التام

وإذا صحوتُ فما أقصِّر عن ندًى وكما علمتِ شمائلى وتكرّمِى

المضمر

إنّى امرؤٌ من خير عَبسٍ مَنصبِى شَطْرى وأحمِى سائرِى بالمُنْصلِ

موقوص

يَذُبُّ عن حَرِيمه بِنَبْله وسَيفه ورُمحه ويَحْتَمِى

مخزول

مَنْزِلة صَمّ صَداها وعفا رسمُها إن سُئِلت لم تُجِبِ

الضرب المقطوع

ممنوع إلا من الإضمار

وإذا دعونَكَ عَمَّهن فإنه نسبٌ يَزِيدك عندهنّ خَبالاَ

* * *

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذُخرا يكون كصالح الأعمالِ

الضرب الأحذ المضمر

لمن الديارُ برامَتَين فعاقلٌ دَرَست وغَيَّر آيها القَطْرُ

العروض الأحذ السالم

الضرب الأحذ المضمر

لمن الدِّيار عفا معالمها هَطِل أجشُّ وبارح تَرِبُ

الضرب الأحذ المضمر (1)

ولأنت أشجعُ من أسامة إذ دُعيت نَزالِ ولجّ فى الذعر

العروض المجزوء

الضرب المرفل

ولقد سبقتَهمُ إلىّ فَلِمْ نزَعْتَ وأنت آخِرِ

(1) ليس تكرارا ، إذ الأولى عروضها صحيحة وهذه عروضها حذاء

المضمر

وغررتنى وزعمتَ أنـ ـك لابنٌ فى الصّيف تامر

موقوص

ذَهبُوا إلى أجلٍ وكُـــلٌ مُؤجّل حَىٌ كَذَاهب

الضرب المذال

جَـدَث يكون مقامه أبداً بمُختلف الرّياح

مضمر

وإذا اغتبطتُ أو ابتأشـــتُ حمدت ربّ العـالمين

موقوص

كُتب الشقاء عليهما فهمـا له مُتيسّران

مخزول

جاوبت إذ دعاكَ مُعالناً غير مُخافِ

الضرب المجزوء

وإذا افتقرتَ فلا تكُن مُتخشّعا وتجمّــلِ

مضمر

وإذا الهوى كَرِه الهُدى وأَبى التُّقى فاعصِ الهَوى

موقوص

ولو أنها وزنت شمام بحِلْمه شالتْ لَه

مخزول

خلطتْ مرارتها بحلاوةٍ كالعسلِ

الضرب المقطوع الممنوع إلا من إضمار

وإذا همُ ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسناتِ

مضمر

وأبو الحُليس وربِّ مكّةَ فارغ مَشْــغول

أبيات الهزج

العروض المجزوء الممنوع من القبض

ضربه مثله

إلى هندٍ صبا قلبِي   وهندٌ مثلها يُصبِي

مكفوف

فهذان يَذودان   وذا مِن كَثَب يَرْمِي

مقبوض

فقالت لا تَخف شيّا   فما عندك من باس

أخرم

أعادُوا ما أستعاروه   كذاك العيشُ عاريه

أخرب

ولو كان أبو بِشْر   أميراً ما رَضِــــيناه

أبتر

وفى الذين ماتُوا   وفيما جَمَعــوا عِبْره

الضرب المحذوف

وما ظَهرى لباغى الضَّـــيم   بالظَّهر الذَّلول

مثـــله

قتلنا سَــيّد الخزر   ج سَعد بن عُباده

أبيات الرجز

العروض التـام

الضرب التـام

دار لسلمى إذ سُليمى جارةٌ   قَفْرٌ تَرَى آياتها مثل الزُّبر

مخبون

وطالمـا وطالمـــا سَقَى   بكفِّ خالدٍ وأطْعما

مطوى

فأرسل المهر على آثارهم   وَهَيأ الرُّمحَ لطعنٍ فطَعَنْ

مخبول

ما ولدتْ والدةٌ من وَلدٍ   أكرمَ من عَبد مناف حَسباَ

الضرب المقطوع الممنوع من الطى

القلب منها مُستريح سالمٌ   والقلبُ منّى جاهدٌ مجهودُ

***

لا خَير فيمن كفَّ عنا شرَّه   إذ كان لا يُرجى ليوم خَيرُه

العروض المجزوء

الضرب المجزوء

قد هاج قلبى منزلٌ   من أم عمرٍو مُقْفِرُ

مخبول

مات الفعَال كُلّه   إذ مات عَبْد رَبِّه

مطوى

هل يَستوى عندك مَن   تَهوى ومَن لا ترمقه

مخبول

لامَتْك بنت مَطر ما أنتَ وابنة مَطَر

العروض المشطور

الضرب المشطور

ما هاج أحزانا وشَجواً قد شَجَا

***

إنك لا تَجنى من الشوك العِنب

مخبون

قد تعلمون أنــــنى ابنُ أُختكم

مطوى

ما كان من شـيخك إلاّ عملُه[1]

مخبول

هــــلا سألت طللا وخيَا

مطوى العروض المنهوك

يا ليتنى فيها جَذع أخُب فيها وأضع

مخبون

فارقت غير وامق

مخبول

يا صاح فيما غضبوا

(١) فى شواهد الاستثناء عند العينى « مالك من » .

أبيات الرمل

العروض المحذوف والجائز فيه الخبن

الضرب المتم

مثل سَحق البُرد عَفَّى بعدك الـ   قَطر مَغْناه وتأويبُ الشَّمال

مخبون صدر

وإذا رايةُ مَجدٍ رُفعتْ   نَهض الصَّلتُ إليها فحَواها

مكفوف عجز

ليس كُلّ مَنْ أراد حاجةً   ثم جَدّ فى طِلابها قَضَاها

مشكول عجز

فَدعُوا أبا سعيـد عامراً   وعليـكمْ أخاهُ فاْضربوه

مشكول طرفان

إنّ سـعداً بطلٌ مُمارسٌ   صابرٌ مُحتسب لِمَـا أصابَه

الضرب المقصور

يا بَنِى الصَّيداء رُدُّوا فَرسِى   إنما يُفعل هـذا بالذَّليل

***

أحدثْ كِسْرى وأمسَى قيصرٌ   مُغلقاً من دونه بابُ الحديد

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

قالت الخنساء لَمّـا جِئتُها   شابَ بعدى رأسُ هذا وأشتهبْ

مخبون

كيف تَرجونَ سُقوطى بعدما   لَفع الرأسَ مَشيبٌ وصَلَع

الضرب المشبع

يا خليلىّ أربعا فأستـ   ـخبرا رَسْماً بعُسفانـِ

مخبون

واضحات فارسيَّا ت وأُدم عربيَّات

الضرب المجزوء

مُقْفرات دارسات مثل آيات الزَّبور

الضرب المشبع

لانَ حتَّى لو مَشى الذَّ رّ عليه كادَ يُدْميه

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

ما لِمَا قرّت به العي نان من هذا ثمَن

مخبون

قلبُه عند الثريّا بائنٌ من جسده

أبيات السريع

قد يُدرِك المُبطئُ من حَظه والخيرُ قد يَسبق جُهد الحَرِيص

العروض المكفوف

المطوى اللازم الثانى

الضرب الموقوف اللازم الثانى

أزْمانَ سَلمى لا يَرى مثلَها الر رَاءون فى شامٍ ولا فى عِراقْ

مخبول

وَالهِـا وهُو بها عارفٌ ويحك أمثالُ طَريفٍ قَلِيل

مخبون

أَرِدْ مِن الأُمور ما يَنبغى وما تُطيقه وما يَستقيم

الضرب المكسوف اللازم الثانى

لا تَـكسع الشَّولَ بأغبارها إنك لا تَدرى من النَّاتجُ

***

هاج الهوى رسمٌ بذات الغَضى مُخلَولِقٌ مُستعجم مُحْوِل

الضرب الأصلم السالم

قالت ولم تَقْصِد لقِيل الخَنَى مهلاً فقد أَبلغت أسماعِى

الضرب المخبون المكسوف

النَّشر مسكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

***

يأيها الزَّارى على عمرٍو قد قُلتَ فيه غير ما تَعلم

العروض المشطور الموقوف الممنوع من الطى

يا صاح ما هاجك من رَبْع خَال يَنضحن فى حافاته بالأبْوال

مخبون

لا بُد منه فاحذرنْ وإنْ فَتن

مشطور

يا صاحِبى رَحلى أَقِلاَّ عذلى

مخبون

الضرب المشطور المكسوف الممنوع من الطى

يا رب إن أخطأتُ أو نَسيت

***

وبلدةٍ بَعيدة النَّياطِ

أبيات المنسرح

العروض الممنوع من الخبل

الضرب المطوى

إنّ ابن زَيد ما زال مُستعملا للخير[١] يُهدى فى مِصْره العُرْفا

* * *

من لم يَمُت عَبْطَةً يَمت هَرماً الموت كأسٌ والمَرء ذائقها[٢]

مثله

إنّ سُمَيراً أرى عَشيرَته قد حَدبوا دونه وقد أنِفُوا[٣]

المطوى

منازلٌ عفاهنّ بذى الأراك كُلّ وابل مُسْبل هَطِل

مخبون

فى بَلَدٍ معروفة سَمتـــه قَطَّعه عابرٌ على جَمل

* * *

مخبول

* صبراً بنى عبد الدار *

العروض المنهوك المكسوف الممنوع من الطى

ضربه مثله

* ويل ام سعد سعدا *

* * *

(١) فى رواية : « يغش » .
(٢) البيت لأمية بن أبى الصلت .
(٣) سمير على هيئة التصغير : اسم رجل .

أبيات الخفيف

العروض التام

الضرب التام الجائز فيه التشعيث(١)

حَل أهلى بَطْن الغُميس فبادَوا   لَى وحلّت عُلوِيةً بالسّخال(٢)

***

ليس من مات فاستراح بمَيْت   إنما الميتُ ميّت الأحياء

مخبون صدر

وفؤادى كعهده بسُليمى   بهوًى لم يَزُل ولم يتغيَّر

مكفوف عجز

وأقلّ ما يظهر مِن هَواكا   ونحن نَستكثر حين يَبْدو

***

مشكول عجز

إن قومى جَحاجحة كرامٌ   مُتقادمٌ مَجْدهم أخيارُ

مشكول طرفان

الضرب المحذوف الجائز فيه الخبن

إنْ قَدرنا يومًا على عامر   نَمْتَثل منه أو نَدعه لكم

مخبون

رُب خَرْق من دونها قَذَف   ما به غيرُ الجِنّ من أحَد

---

(١) التشعيث : هو تحويل « فاعلاتن » إلى « مفعولن » .

(٢) البيت للأعشى .

العروض المجزوء

الضرب المجزوء

ليت شِعرى ماذا تَرى أُمّ عَمرٍو فى أمرنا

مثله

أسَلمى أمّ خالد رُبّ ساعٍ لقاعد

الضرب المقصور المخبون

كُل خطب إن لم تكونوا غَضبتمْ يسيرُ

أبيات المضارع

العروض المجزوء الممنوع من القبض

وإن تَدْنُ منه شبراً يُقرّبك منه باعَا

مقبوض

دعانى إلى سُعادٍ دَواعى هَوى سُعاد

أخرب

وقد رأيتُ مثل الرّجال فما أرى مِثل زَيْد

أشتر

قلنا لهم وقالوا كُلٌّ له مَقال

أبيات المقتضب

العروض المجزوء المنطوى

الضرب المجزوء المنطوى

هل علىّ وَيحكما إنّ لهوتُ من حَرَج

مخبون

أعرضتْ فـلاح لها عارضـان كالبَرَدِ

أبيات المجتث

العروض المجزوء

البطن منها خَميصٌ والوجه مثل الهِلال

الضرب المجزوء

ولو عَلِقْتَ بسَـلْمى علمتَ أنْ ستمُوتُ

***

أولئك خير قومى إذ ذكر الخيار

***

أنت الذى ولدتك أسـ ـماء بنتُ الحُباب

أبيات المتقارب

العروض التام الجائز فيه الحذف والقصر

الضرب التام

فأمّا تميمٌ تميم بن مُرّ فألفاهمُ القومُ رَوْبَى نِياماً[1]

مثله

فلا تُعجلنّى هداك المليكُ فإنّ لكُل مَقام مَقالا

مقبوض

أفاد فجاد وساد وزاد وذاد وعاد وقاد وأفْضل

(١) روبى ، على وزن جرحى : مختلطو النفوس .

أثلم

رَمينا قِصاصاً وكان التّقاصّ حقًّا وعدلاً على المسلمينا

أثرم

قلتُ سداداً لمن جاءنى فأحسنتُ قولاً وأحسنتُ رأيا

مثل الأول

ولولا خِداشٌ أخذت دوابّ سعد ولم أُعطه ما عليها

الضرب المقصور

ويأوى إلى نسوة بائسات وشُعثٍ مَراضيع مِثْل السَّعالِى

مثـــله

على رسم دارٍ قفار وقفتُ ومِنْ ذِكْر عَهْد الحَبيب بكيتُ

مثله مقصور

الضرب المحذوف المعتمد

وأبنى مِن الشّعر شعراً عَويصا يُنسِّى الرُّواة الذى قد رَوَوْا

***

سبَتْنى بخَدٍّ وجِيد ونَحر غَـــداةَ رمَتْنى بأسهمِها

الضرب الأبتر

غير معتمد الاعتماد فى المتقارب

بإثبات النون فى « فعولن » التى قبل القافية

خليلىّ عُوجا على رسم دار خَلَت من سُليمى ومن مَيّه

مثـــله

صفيّة قُومى ولا تَعجزى وبكّى النِّساء على حَمزةِ

الضرب المحذوف

أمن دِمنة أقفرتْ لسَلْمى بذات الغَضَا

المجزوء المعتمد

ورُوحك فى النَّادِى وتعلم ما فى غدِ][1]

(١) فى ا ، ن بعد هذا : « كملت الأبيات وبتمامها تم الجزء السادس بعون الله وتوفيقه ويتلوه فى أول الكتاب إن شاء الله تعالى علل القوافى ، وهو كمال كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى » .

وبعده فى ن : وكان الفراغ من نساخة هذا الجزء صبيحة يوم الثلاثا لثمان ليال بقين من شهر شعبان أحد شهور سنة ثلث عشرة وسبعمائة ، أحسن الله خاتمها أمين والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد صلى وصحبه وسلم » .

علل القوافى

القافية حرف الرويّ الذى يُبنى عليه الشعر ، ولا بد من تكريره فيكون فى كل بيت .

والحروف التى تلزم حرف الروى أربعة : التأسيس ، والردف ، والوصل ، والخروج . فأما التأسيس ، فألف يكون بينها و بين حرف الروى حرف متحرك بأىّ الحركات كان ؛ و بعض العرب يسميه الدَّخيل . وذلك نحو قول الشاعر :

* كِلِينى لهم ياأميمة ناصب *

فالألف من « ناصب » تأسيس . والصاد ، دخيل . والباء ، روى . والياء المتولدة من كسرة الباء ، وصل .

أما الردف ، فإنه أحد حروف المد واللّين ، وهى الياء والواو والألف . يدخل قبل حرف الرويّ . وحركة ما قبل الرِّدف بالفتح إذا كان الرِّدف ألفا ، و بالضم إذا كان واوا ، وبالكسر إذا كان ياء . والأرداف ثلاثة : فردف يكون ألفا مفتوحا ما قبلها . وردف يكون واوا مضموما ما قبلها . وردف يكون ياء مكسوراً ما قبلها .

وقد تجتمع الياء والواو فى شعر واحد ، لأن الضمة والكسرة[1] أختان ، كما قال الشاعر[2] :

أجارةَ بَيْتينا أبوكِ غَيورُ ومَيْسور ما يُرجَى لديكِ عَسيرُ

فجاء «بغيور» مع « عسير » ولا يجوز مع الألف غيرها ، كما قال الشاعر[3]:

* بان الخليطُ ولو طُووِعَتْ ما بانا *

---

(١) فى ا : « يجتمعا » .
(٢) هو أبو نواس .
(٣) هو جرير يهجو الأخطل . وعجزه :
* وقطعوا من حبال الوصل أقرانا *

وجِنس ثالث من الرِّدف ، وهو أن يكون الحرفُ مَفتوحا ، ويكون الرِّدف ياء أو واوا ، نحو قول الشاعر :

كُنت إذا ماجئتُه من غَيب   يَشَم رأسِى ويَشَمّ جيبى(١)

وأما الوصل . فهو إعراب القافية وإطلاقها . ولا تكون القافية مطلقةً ، إلا بأربعة أحرف : ألف ساكنة مَفتوح ما قبلها من الروىّ ، وياء ساكنة
٢١٨ ب مكسور ما قبلها من الروىّ ، وهاء متحركة أو ساكنة مكنيّة .

ولا يكون شىء من حُروف المُعجم وصلاً غير هذه الأحرف الأربعة : الألف والواو والياء والهاء المكنّية . وإنما جاز لهذه أن تكون وصلاً ولَم يَجُز لغيرها من حروف المُعجم ، لأنّ الألف والياء والواو حُروف إعراب ليست أصليّات ، وإنما تتولّد مع الإعراب ؛ وتشبّهت الهاء بهن لأنها زائدة مثلهن . ووجدوها تكون خَلفا منهن فى قولهم : أرقت الماء ، وهرقت الماء ؛ وأيا زيد ، وهيازيد . ونحو قول الشاعر :

قد جمعت من مُكُن وأمْكنه   من ها هنا وها هنا ومن هُنه

وهو يريد « هنا » ، فجعل الهاء خلفا من الألف .

وأما الخروج فإنّ هاء الوصل إذا كانت متحرّكة بالفتح تبعتْها ألف ساكنة وإذا كانت متحركة بالكسر تبعتها ياء ساكنة ، وإذا كانت متحركة بالضم تبعتها واو ساكنة . فهذه الألف والياء والواو يقال لها الخُروج . وإذا كانت هاء الوصل ساكنةً لم يكن لها خُروج ، نحو قول الشاعر :

* ثارَ عَجَاج مُستطيل قَسْطله *

وأمّا الحركات اللّوازم للقوافى فخمس ، وهى : الرس والحَذْو والتَّوجيه والمجرى والنَّفاذ .

فأما الرّس ، ففتحة الحرف الثانى قبل التأسيس .

وأما الحَذو ، ففتحة الحرف الذى قبل الرِّدف أو ضَمته أو كسرته .

وأما التَّوجيه ، فهو ما وجَّه الشاعرُ عليه قافيتَه ، من الفتح والضم والكسر ،

(١) الرجز لخالد بن زهير الهذلى فى ديوان الهذليين (١ : ١٦٥) . وفى بعض الأصول : « ثوبى » .

يكون مع الرويّ المُطلق أو المُقيّد ، إذا لم يكن فى القافية رِدف ولا تأسيس .

وأما المجرى : ففتح حَرف الرويّ المُطلق أوضَمته أو كسرته .

وأما النفاذ ، فإنه فَتحة هاء الوصل أو كسرتها أو ضَمتها . ولا تجوز الفتحة مع الكسرة ، ولا الكسرة مع الضمة ، ولكن تنفرد كل حركة منها على حالها .

وقد يَجتمع فى القافية الواحدة الرّس ، والتأسيس ، والدّخيل ، والرويّ ، والمَجرى ، والوَصل ، والنفاذ ، والخُروج ، كما قال الشاعر :

يُوشك من فَرّ من مَنيّته فى بَعض غرّاته يُوافقها

فحركة « الواو » الرس ، و « الألف » تأسيس ، و « الفاء » دخيل ، و « القاف » رَويّ ، وحركته المجرى » ، و « الهاء » هاء الوصل ، وحركتها النفاذ ، و « الألف » الخروج . ونحو قول الشاعر :

* عفَت الديارُ مَحلّها فمقامُها *

فحركة « القاف » الحذو ، و «الألف» الردف ، و«الميم» الرويّ ، وحركتها المجرى ، و « الهاء » وصل ، وحرَكتها النفاذ ، و « الألف » الخروج . وكل هذه الحروف والحركات لازمة للقافية .

باب

ما يجوز أن يكون تأسيسا وما لا يجوز أن يكون

إذا كانت ألف التأسيس فى كلة وكان حَرف الرويّ فى كلة أخرى منفصلة عنها فليس بحرف تأسيس ، لأنفصاله من حرف الرويّ وتباعده منه ؛ لأنّ بين حرف الرويّ والتأسيس حرفاً متحركا . وليس كذلك الرِّدف ؛ لأنّ الردف قريب من الرويّ ليس بينهما شيء ، فهو يجوز أن يكون فى كلة ويكون الرويّ فى كلة أخرى منفصلة عنها ، نحو قول الشاعر[1] :

(١) هو أبو العتاهية كما فى الأغانى (٣ : ١٤٢)

أتتـه الخلافةُ مُنقادةً إليه تُجَـرِّر أذيالَهَا
فلم تكُ تَصلحُ إلّاَ لَه ولَم يكُ يَصْلحُ إلّا لهَا

فألف : « إلا » رِدف . واللام ، حرف الرويّ ، وهى فى كلمة منفصلة من

٢٢٩/٣ الردف ، فجاز ذلك لقرب ما بين الرّدف والرويّ ، ولم يَجز فى التأسيس ، لتباعده من الرويّ ، نحو قول الشاعر :

فهن يَعْكفن به إذا حَجَا عَكْفَ النَّبيط يَلعبون الفَنْزَجا[1]

فلم يجعلها تأسيسها لتباعدها عن الرويّ ، وانفصالها منه . ومثله قول الراجز :

وطالَمَا وطالَما وطالَما غلبتُ عادًا وغلبتُ الأعجما

فلم يجعل الألف تأسيساً . وقد يجوز أن تكون تأسيساً إذا كان حرف الرويّ مضمراً ، كما قال زُهير :

ألا ليتَ شِعرى هل يَرى الناسُ ما أرى من الأمر أو يَبدو لهم ما بدَاليا

فجعل ألف « بداليا » تأسيساً ، وهى كلمة منفصلة من القافية لما كانت القافية فى مُضمر . وكذلك قولُ الشاعر[2] :

وقد يَنْبُت المَرعَى على دِمَن الثَّرى وتَبقى حَزازاتُ النُّفوس كما هِيَا

وأما « غلامك » و « سلامك » فى قافية فلا تكون الألف إلا تأسيساً ، لأن « الكاف » التى هى حرف الرويّ لا تَنفصل من « الغلام » .

باب
ما يجوز أن يكون حرف روى وما لا يجوز أن يكون

أعلم أنّ حروف الوصل كُلّها لا يجوز أن تكون رويّا ، لأنها دخلت على القوافى بعد تمامها ، فهى زوائد عليها ، ولأنها تَسقط فى بعض الكلام . فإذا كان

(١) الفنزج : اللعب الذى يقال له : الدستبند . يعنى به رقص المجوس . وقيل : رقص العجم إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون . والرجز للعجاج . انظر الديوان واللسان (فنزج) .

(٢) هو زفر بن الحارث كما فى اللسان (دمن) .

ما قبل حرف الوصل ساكناً فهو حرف الرويّ ، لأنه لا يكون ما قبل حرف الرويّ ساكنا ، نحو قول الشاعر :

أصبحتِ الدُّنيا لأربابها مَلْهًى وأصبحتُ لها مَلْهَى
كأنِّى أُحرَم منهــــا على قَدْر الذى نال أبى منْهـــا

وإذا حُرِّكت ياء الوصل أو واو الوصل جاز لها أن تكون رويّا ، كما قال زُهير :

ألا ليتَ شِعْرى هل يَرى النَّاسُ ما أَرَى مِن الأمر أو يَبْدو لهم ما بدَاليَا

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرقيّات :

إنّ الحوادثَ بالمَدينة قد شَيّبننى وقَرْعَن مَرْوَتِيَهْ

وكذلك الهاء من « طلحة » و « حمزة » وما أشبههما لا تكون رويا إلا أن تُطلق فتعود ياء ، فإذا كان ذلك فأنت فيها بالخيار ، إن شئت جعلتها رويّا أو وصلا لما قبلها . وجعلها أبو النَّجم رويّا فقال :

أقولُ إذ جِئْن مُدبَّجاتِ ما أقربَ الموتَ من الحَياةِ

وكذلك « ألتاء » نحو « أقشعرت » و « أستهلت » ، و « الكاف » نحو ، « مالكا » و « فعالكا » فقد يجوز أن تكون رويّا وقد يجوز أن تكون وصلا . وإنما جاز أن تكون رويّا لأنها أقوى من حرف الوصل ، وجاز أن تكون وصلاً لأنها دخلت على القوافى بعد تمامها . وقد جعلت الخنساء « التاء » ، وصلا ولزمت ما قبلها ، فقالت :

أعينىّ هلاّ تبكيان أخاكا إذا الخيلُ من طُول الوَجيفِ أقشعرّتِ

فلزمت « الراء » فى الشعر كله وجعلت « التاء » صلةً . وقال آخر فجعل « التاء » رويّا :

الحمدُ لله الذى استقلّتِ بإذنه السماء وأطمأنّتِ

وقال حَسان فجعل « الكاف » رويّا :

٢٣٠/٣ دعُوا فَلَجات الشام قد حِيل بينها[1]   بطَعن كأفواه المَخاض الأوارِكِ
بأيدى رجالٍ هاجروا نحو ربّهم   بأسيافِهم حقًّا وأيدى المَلائك

ثم قال :

إذا سلكت بالرّمل منَ بطن عالجٍ   فقُولا لها ليس الطريقُ هُنالِكِ

و«هنالك» كافها زائدة ، تقول للرجل : هنالك ، وللمرأة : هنالك .

وقال غيره :

أبا خالدٍ يا خيرَ أهل زمانِكَا   لقد شَغل الأفواهَ حسنُ فَعالِكاَ

فجعل « الكاف» رويًا . وقد يجوز أن تكون وصلا ويُلزم ما قبلهاَ .

وكذلك « فعالكم » و « سلامكم » الميم الآخرة حرف الرويّ ، كما قال الشاعر :

بنو أُمية قومٌ من تَجِيبهم   أنّ المَنون عليهم والمَنون هُمُ

الميم ، حرف الرويّ . وقد جعلها بعضُ الشعراء وصلاً مع الهاء والكاف التى قبلها ، لأنهما حرفا إضمار كالهاء والكاف ، ولحقت الاسم بعد تمامه كما لحقت الهاء والكاف ، فى نحو قوله :

زُرْ والدَيْك وقِفْ على قَبرَيْهما   فكأنّى بكَ قد نُقلتَ إليهما

ومثْله لأُميّة بن أبى الصَّلت :

لَبيّكُما لَبيّكا   ها أنذا لَدَيْكا

وأما النّسبة مثل ياء « قُرشيّ » و « ثقفيّ » وما أشبه ذلك ، إذا كانت خفيفةً فأنت فيها بالخيار ، إن شئتَ جعلتها رويًّا و إن شئتَ وصلا ، نحو قول الشاعر[2] :

إنّى لمن أنكرنى ابنُ اليَثربِى   قتلتُ عِلْباء وهِنْد الجملى

(١) فى بعض الأصول : « دونها» .
(٢) هو عمرو بن يثربى الضبى ، كما فى وقعة صفين ٤٦٢ .

فجعل « الياء » الخفيفة رويّا ، وإذا كانت النسبة مثقلة مثل « قرشىّ » و « ثقفى » لم تكن إلا رويّا .

وإذا قال شعراً على « حصاها » و « رماها » لم تكن « الهاء » إلا حرف الروىّ .

ومن بنى شعرا على « أهتدى » فجعل الدال رويّا جاز له أن يجعل مع ذلك « أحدا » . وإن جعل الألف من « أهتدى » حرف الروىّ لم يجز معها « أحدا » وجاز له معها « بشرى » و « حُبلى » و « عَصا » و « أفعى » ، ومن ذلك قولُ الشاعر[1] :

دايَنتُ أَروى والدُّيونُ تُقضَى   فمطلَتْ بَعضًا وأدَّت بَعْضاَ

فلزم « الضاد » من « تقضى » وجعل الياء وصلا ، فشبّهها بحرف المدّ الذى فى القافية .

ومثله :

ولأنت تَفرِى ما خَلقت وبعـ   ـضُ القوم يَخلُق ثم لا يَفرِى[2]

ومثله :

هجرتْك بعد تَواصل دَعْدُ   وَبدا لدَعْد بَعضُ ما يَبْدُو

و « يرمى » ، مع « يقضى » جائز إذا كانت الياء حرف الروىّ ، لأنها من أصل الكلمة .

ومما لا يجوز أن يكون رويّا الحروف المُضمرة كلها ؛ لدخولها على القوافى بعد تمامها ، مثل : « اضربا ، واضربوا ، واضربى » ؛ لأن ألف « أضربا » لحقت « أضرب » وواو « أضربوا » لحقت « أضرب » ، وياء « أضربى » لحقت « اضرب » بعد تمامها : فلذلك كانت وصلا ، لأنها زائدة مع هذا الفعل ، فى نحو قول الشاعر :

لا يُبعد الله جيراناً تركتهُم   لم أدرِ بعد غداةِ البَيْن ماصنعوا

(١) هو رؤبة . ديوانه ٧٩ .

(٢) البيت لزهير بن أبى سلمى .

ومثله :

يا دار عَبلة بالجواء تكلّمى وعِمِى صباحاً دار عبلة واسلمى

فجعل الياء وصلا ، وبعضهم جعلها رويًا على قُبح .

وأمّا ياء « غلامى» فهى أضعف من ياء «اسلمى» لأنها قد تُحذف فى بعض المواضع «تقول» : هذا غلام ، تريد غلامى . وقالوا . ياغلام أقبل : فى النداء ، وواغلاماه ، فحذفوا الياء ، وبعضهم يجعلها رويًا على ضعفها ، كما قال :

إنى أمرؤ أحمِى ذمار إخْوتى إذا رأوا كريهةً يرمون بِى

ومثله :

إذا تغدّيت(١) وطابتْ نَفْسى فليس فى الحىّ غلامٌ مِثْلى

قال الأَخفش : وقد كان الخليل يُجيز« إخوانى» مع « أصحابى » . ويأبى عليه العلماء ، ويحتجّ بقول الشاعر :

بازلُ عامَين حديثُ سنّى لمثل هـذا ولدتْنى أُمِّى

وحرف الإضمار إذا كان ساكناً كان ضعيفاً . فإذا تحرّك قَوِى وجاز أن يكون رويًا ، كقول زُهير :

ألا ليت شِعرى هل يَرى الناسُ ماأرى مِن الأمر أو يَبْـدو لهم ما بَدَاليَا

وإنما جاز «الـكاف» أن تكون رويًا ولم يجز ذلك للهاء ، وكلاهما حرف إضمار ، لأن « الـكاف » أقوى عندهم من « الهاء » وأثبت فى الـكلام . وإذا خاطبت للذكر والمؤنث لا تبدل صورتها كما تُبدل « الهاء » ، فى : « غلامه » و « غلامها » . وإذاقلت : مررت بغلامك ، ورأيت غلامك ، فالـكاف فى حال واحدة ، والهاء مضطربة فى قولك . رأيت غلامه ، ومررت بغلامه . وإنما جاز فيها أن تكون وصلا أيضا كما تكون « الهاء » ، لأنها تشبهت بالهاء إن كانت حرف إضمار كالهاء ، ودخلت على الاسم كدخول الهاء ، وكانت اسماً

(١) فى ا ، ن : « تغذمت » . والتغذم : المضغ : ويقال ، هو يتغذم كل شىء ، إذا كان كثير الأكل .

للحرف كما تكون الهاء ، وإنما خالفتها بالشيء اليسير . وأما قولك : أرمه ، واغزه ، فلا تكون الهاء هاهنا رويًّا ، لأنها لحقت الاسم بعد تمامه ، ولأنها زوائد فيه ، وإنما دخلت لتبيِّن الحركة من « اغزه » والميم من «أرمه» . وقد تدخل للوقف أيضا .

وإذا كانت الهاء أصلية لم تكن إلا رويًّا : مثل قول الشاعر :

قالت أبيلَى لى ولم أَسْبَهِ ما السنّ إلا غَفلة[1] المدُلَّه

ومن بَنى شعراً على « حىّ » جاز له فيه « طىّ » و « مىّ » ؛ لأن الياء الأولى من «حى» ليست بردف ؛ لأنها من حرف مثقل قد ذهب مدّه ولينه .

قال سيبويه : وإذا قال الشاعر : « تعالى » أو « تعالوا » ، لم تكن الياء والواو إلا رويًّا ؛ لأن ما قبلها أنفتح . فلما صارت الحركة التى قبلها غيّر حركتهما ذهبت قوتهما فى المدّ وأكثر لينهما .

وكذلك : « أخشَىْ » و«اخشوا» . وكل ياء أو واو انفتح ما قبلها . وكذلك هذه الياء والواو إذا تحركتا لم تكونا إلا حرف روى ؛ لذهاب اللين والمد . وكذلك قوله : رأيت قاضياً ورامياً ، وأريد أن يغزو وتدعو ، فى قافيتين من قصيدة .

وأما الميم من : « غلامهم » و « سلامهم » فقد تكون رويًّا وقد تكون وصلا ، ويلزم ما قبلها ؛ كما قال الشاعر :

يا قاتَل الله عُصبةً شَهِدوا خَيف مِنًى لى ما كان أشرَعهم
إنْ نَزلوا لم يكُن لهم لَبثٌ أو رَحلوا أعجلوا مُودِّعهم
لا غَفر الله للحجيج إذا كان حَبيبى إذا نَأَوْا معهم

فالعين ، هنا حرف الرويّ ، والهاء والميم صلة لحروف الإضمار كلها التى تقدّم ذكرها .

---

(١) كذا فى ا ، ن . وأبيلى : اسم امرأة . ولم أسبه : لم يذهب عقلى من الهرم . والبيت لرؤبة . والذى فى سائر الأصول :

« قالت إنا لى وإلا أشفه ما السوا إلا عقله »

ولا يَحسن أن يكون رويًا إلا ما كان منها مُحرّكا ، لأنّ المتحرك أقوى من الساكن ، وذلك مثل ياء الإضافة التى ذكرنا ، أو ما كان منها حرفاً قويًا مثل الكاف والميم والنون ، فإنها تكون رويًا ، ساكنةً كانت أو متحركة ، وذلك مثل قولُ الشاعر :

فِتى لا يكُن هذا تعلّةَ وَصْلِنا   لبَيْنٍ ولاذا حَظّنا من نَوالكِ

ثم قال :

أبرّ وأوْفى ذمّةً بعُهوده   إذا وُوزنت شُمّ الذُّرى بالحوارِكِ

وقال آخر :

قُل لمن يَملك المُلو   كَ وإن كان قد مُلِكْ
قد شَرَيناك مرّةً   وبعْنَاك إليك بِكْ

وقال آخر[1] فى الميم[2] :

رَفَوْنى وقالوا يا خُويلد لا تُرَعْ   فقلت وأنكرتُ الوُجوه هُمُ هُمُ

ولآخر[3] :

نَمت فى الكرام بنى عامرٍ   فُروعى وأصلى قُريش العَجَمْ
فهُمْ لىَ فَخر إذا عُدّدوا   كما أنا فى النّاس فَخْرٌ لهم

وقال آخر فى النون :

طَرِحتم من التّرحال أمراً فَغَمّنا   فلو قد رحلتُم صَبّح الموتُ بَعضَنا

وقال آخر :

فهل يَمنعَنّى ارتيادِى البلاَ   دَ من حَذَر الموت أن يأتينْ
أليس أخو المَوت مُستوثقاً   علىّ وإنْ قلتُ قد أنسأنْ

(١) هو أبو خراش الهذلى . (انظر ج ١ ص ١٧٦) من هذه الطبعة .
(٢) فى بعض الأصول : « فى الماء » .
(٣) هو بشار بن برد . (انظر الأغانى ٣ : ٢١ طبعة بلاق) .

وأما الهاء . فقد أجمعوا ألاَّ تكون رويّا لضعفها ، إلا أن يكون ما قبلها ساكنا ، كما قد ذكرنا . ومَن بَنى شعراً على « أُخشَوا » جاز له معها : طغوا ، وبغوا ، وعصوا ، فتكون الواو رويّا لانفتاح ما قبلها وظهورها مع القبح ، لأنها مع الضمة صلة ، ولا تكون هذه إلا رويّا .

باب عيوب القوافى

السناد ، والإيطاء ، والإقواء ، والإكفاء ، والإجازة ، والتضمين ، والإصراف .

السناد على ثلاثة أوجه : فالوجه الأول منهـا اختلاف الحرف الذى قبل الرِّدف بالفتح والكسر ، نحو قول الشاعر :

أَلم تَرَ أَنَّ تَغْلب أهلُ عِزٍّ   جبالُ مَعاقِلٍ ما يُرتَقيناَ
شَرِبنا من دِماء بنى تَميم   بأَطراف القَنا حتى رَوِيناَ

والوجه الثانى اختلافُ التوجيه فى الرويّ المُقيّد ، وهو اجتماع الفَتحة التى قبل الرويّ مع الكسرة والضمة ، كهيئتها فى الحَذْو ، وذلك كقوله :

* وقاتم الأَعماق خاوى المُخترقْ *

ثم قال :

* أَلَّف شتَّى ليس بالرّاعى الحَمِقْ *

ومثله :

تَميم بن مُرّ وأشياعُهـا   وكِنْدة حَولى جميعاً صُبُر
إذا رَكبوا الخيلَ واستلأموا   تحرّقت الأرضُ واليوم قَرّ ٢٣٣/٣

والوجه الثـالث من السِّناد أن يُدخل حرف الرِّدف ثم يدعه ، نحو قول الشاعر :

وبالطَّوف نالَ الخيرَ ما أصبحا به[١]   وما المرء إلا بالتقلّب والطَّوْفِ

(١) فى بعض الأصول : « وبالطوف بالأخيار ما اصطحبا به » .

فِراقُ حَبيب وأنتهاء عن الهَوى فلا تَعذُليني قد بدا لك ما أُخفِي

وأما القافية المُطلقة فليس اختلاف التوجيه فيها سنادا[1] .

وأما الإقواء والإكفاء فهما عند بعض العلماء شيء واحد ، وبعضهم يجعل الإقواء فى العروض خاصة دون الضرب ، ويجعلون الإكفاء والإيطاء فى الضرب دون العروض .

فالإقواء عندهم أن تنقص قوة العروض ، فيكون : «مفعولن» فى الكامل، ويكون فى الضرب «متفاعلن» ، فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة . فيقال : أقوى فى العروض ، أى أذهب قوته ، نحو قول الشاعر[2] :

لما رأت ماء السَّلَى مَشروباً والفَرثَ يُعصَر فى الإناء أرَنَّتِ

ومثله :

أفبعد مَقتل مالك بن زُهير ترجو النِّساء عواقبَ الأطهارِ[3]

والخليل يُسمى هذا المُقعَد .

وزعم يونس أن الإكفاء عند العرب هو الإقواء . وبعضُهم يجعله تبديل القوافى ، مثل أن يأتى بالعين مع الغين ، لشبههما فى الهجاء ، وبالدال مع الطاء ، لتقارب مخرجيهما ، ويحتج بقول الشاعر :

جارية من ضَبة بن أدّ كأنها فى دِرْعها الُمنعطّ[4]

والخليل يُسمى هذا الإجازة .

وأبو عمرو يقول : الإقواء : اختلاف إعراب القوافى بالكسر، والضم ، والفتح . وكذلك هو عند يونس وسيبويه .

---

(١) فى بعض الأصول : «شيئا» .
(٢) هو النابغة الذبيانى . (انظر الشعر والشعراء ص ٣٠) .
(٣) البيت للربيع بن زياد فى مالك بن زهير العبسى . (انظر الحماسة ص ٤٤٧) .
(٤) المنعط : المنشق . وأنشدوا لأبى النجم :

* كأن تحت درعها المنعط *

والإجازة عند بعضهم اجتماع الفتح مع الضم أو الكسر فى القافية .

ولا تجوز الإجازة إلا فيما كان فيه الوصل هاء ساكنة ، نحو قول الشاعر :

الحمـــدُ لله الذى يَعفو ويشتد انتقامُه
فى كرْههم ورِضَاهم[1] لا يَستطيعون اهتضامه

ومثله :

فديتُ من أنصفنى فى الهوى حتى إذا أحكمه ملَّه
أينما كنتُ ومَن ذا الذى قبلى صَفا العيشُ له كُلُّه

والإكفاء : اختلاف القوافى بالكسر والضم ، عند جميع العلماء بالشعر ، إلا ما ذكر يونس .

وأما المُضمَّن ، فهو أن لا تكون القافية مُستغنيةً عن البيت الذى يليها ، نحو قول الشاعر :

وهم وَردوا الجِفار على تَميم وهم أصحابُ يوم عُكاظ إنّى
شهدتُ لهم مواطن صالحاتٍ تُنبئهم بودّ الصَّدر مِنّى

وهذا قبيح ، لأن البيت الأول متعلق بالبيت الثانى لا يستغنى عنه ، وهو كثير فى الشعر .

وأما الإيطاء ، وهو أحسن ما يُعاب به الشعر ، فهو تكرير القوافى . وكلما تباعد الإيطاء كان أحسن ، وليس فى المعرفة مع النكرة إيطاء .

وكان الخليل يزعم أن كل ما اتفق لفظُه من الأسماء والأفعال ، وإن اختلف معناه ، فهو إيطاء ، لأنّ الإيطاء عنده إنما هو تَرديد اللفظتين المُتفقتين من الجنس ٢٣٤/٣
الواحد ، إذا قلت للرجل تخاطبه : أنت تضرب ، وفى الحكاية عن المرأة : هى تضرب ، فهو إيطاء . وكذلك فى قافية : «أمر جلل» ، وأنت تريد تعظيمه ، وهو فى قافية أخرى «جلل» وأنت تريد تهوينه ، فهو إيطاء . حتى إذا كان اسم مع فعل ، اسم ، وإن اتفقا فى الظاهر فليس بإيطاء ، مثل « يزيد » ، وهو و « يزيد » ، وهو فعل .

(١) فى أكثر الأصول : « وربنا ربهم » . وما أثبتنا من ا ، ن .

باب ما يجوز فى القافية من حروف اللين

أعلم أن القوافى التى تدخلها حروف المد ، وهى حروف اللين ، فهى كل قافية حُذف منها حرف ساكن وحركة ، فتقوم المدة مقام ما حذف .

وهو من الطويل « فعولن » المحذوف ، ومن المديد « فاعلان » المقصور ، و « فعلن » الأبتر . ومن البسيط « فعلن » المقطوع ، و « مفعولن » االمقطوع .

فأما « مستفعلان » المذال ، فاختلف فيه ، فأجازه قوم بغير حرف مد ، لأنه قد تم وزيد عليه حرف بعد تمامه . وألزمه قوم المد لألتقاء الساكنين ، وقالوا : المدة بين الساكنين تقوم مقام الحركة . وإجازته بغير حرف مدأحسن لتمامه .

وأما الوافر فلا يلزم شىء منه حرف مد .

وأما الكامل فيدخل فيه حرف اللين فى « فعلاتن » المقطوع ، وفى « متفاعلان » المذال .

وأما الهزج فلا يلزمه حرف مد .

وأما الرجز فيلزم « مفعولن » منه المقطوع حرف المد .

وأما الرمل فيلزم « فاعلان » وحدها لألتقاء الساكنين .

وأما السريع فيلزم « فاعلان » الموقوف لألتقاء الساكنين . وكذلك « مفعولان » .

وأما المنسرح فيلزم « مفعولات » ، كما يلزم السريع .

وأما الخفيف فإنه يلزم «فعولن» المقصور ، وإن كان قد نقص منه حرفان ، وليس فى المدة خلف من حرفين . ولكن لما نقص من الجزء حرف ، وهو « سين » « مستفعلن » قام ما تخلف بالمدة مقام ما نقص من آخر الجزء ، لأنه بعد المَدة .

وأما المضارع والمقتضب والمجتث فليس فيها حرف مد لتمام أو اخرها .

وأما المتقارب فألزموا « فعول » المقصور حرفَ المد لالتقاء الساكنين .

قال سيبويه : وكل هذه القوافى قد يجوز أن تكون بغير حرف المد ، لأن رويّها تامٌّ صحيح على مثل حاله بحرف المَد ، وقد جاء مثلُ ذلك فى أشعارهم ، ولـكنه شاذٌّ قليل ، وأن يكون بحرف المد أحسن لـكثرته ولزوم الشعراء إياه .

ومما قيل بغير حرف مَدّ :

ولقد رحلتُ العِيس ثم زَجرتُها قُدُماً وقلتُ عليك خيرَ مَعدّ

وقال آخر :

* إن تمنع النومَ النَّساء يُمنعنْ *

* * *

ومن قولنا مقطّعات على تأليف حروف الهجاء وضروب العَروض

الضرب الأول من الطويل

السالم

وأزهرَ كالعَيّوق يَسعى بزَهراء لنا منهما داءٌ وبُرء مِنَ الدّاء
ألا بأبى صُدْغٌ حكَى العينَ عِطْفهُ وشاربُ مِسْك قد حَكى عَطْفة الرّاء
فما السِّحر ما يُعزَى إلى أرض بابل ولـكنْ فُتور اللّحظ من طَرف حَوْراء
وكَفّ أدارتْ مُذْهب اللّون أصفراً بمُذْهبة فى راحة الـكَفّ صَفراء

الضرب الثانى من الطويل

مقبوض

مُعذِّبتى رِفقاً بقَلْبٍ مُعذَّب وإن كان يُرضيك العَذابُ فعذِّبى
لَعمرى لقد باعدْتِ غيرَ مُباعَدٍ كما أننى قرّبتُ غير مُقرَّب
بنَفسىَ بدرٌ أَخْجل البدرَ نُورُه وشمسٌ متى تَطلع(١) إلى الشّمس تَغرب
لو أن أمرأ القيس بن حُجْر بدتْ له لما قال : مُرّا بى على أم جُندب

(١) فى بعض الأصول : « تبدو » .

٢٣٥/٣

الضرب الثالث من الطويل

المحذوف المعتمد

مُحبٌّ طوى كَشْحًا على الزَّفرات ... وإنسانُ عَين خاضَ فى غَمرات
فيا مَن بِعَيْنَيه سَقامى وصِحّتى ... ومَن فى يَديه مِيتَتى وحَياتى
بحُبك عاشرتُ الهُموم صَبابةً ... كأنّى لها تِربٌ وهُن لِدَاتى
فخدّىَ أرضٌ للدُمُوع ومُقْلتى ... سماء لهـــا تَنْهلّ بالعَبرَات

الضرب الأول من المديد

وهو السالم

طَلّق اللَّهوَ فؤادى ثلاثًا ... لا ارْتجاعَ لى بعـد الثّلاثِ
وبياضٌ فى سَواد عِذارى ... بَدّل التّشبيبَ لى بالمَراثى
غير أنّى لا أُطيق اصطباراً ... وأرانى صابراً لأنتـكاثى
بإناث فى صِفات ذُكُور ... وذُكور فى صِفات إناث

الضرب الثانى من المديد

وهو المقصور اللازم الثانى

صدعتْ قلبىَ صَدْع الزُّجاج ... ماله من حِيلة أو عِلاجْ
مزجتْ رُوحىَ ألحاظُها ... بالهَوى فهو لرُوحى مِزاج
يا قَضيبًا فوق دِعْصِ نَقًا ... وكَثِيبًا تحت تِمْثال عاج
أنت نُورى فى ظلام الدُّجى ... وسِراجى عنـد فَقْد السّراج

الضرب الثالث من المديد

وهو المحذوف اللازم الثانى

مُستهام دَمعـه سافحُ ... بين جَنْبيه هَوًى فادحُ
كُلّما أمّ سَبيل الهُدَى ... عاقه السانِح والبارح

حَلّ فيما بين أعدائه وهْو عن أحبابه نازح
أيها القادِح نارَ الهَوى أَصْلِها يأيها القادح

الضرب الرابع من المديد

وهو المقطوع المحذوف

عادَ منها كُل مطْبوخ غير داذِيّ وَمفضوخ[1]
واعتقد مِن ود أهل الحِجى[2] كُلّ وُد غير مَشْدوخ
وأنتشقْ ريّاك من مُلتقى شارِبٍ بالمِسْكِ مَلْطوخ
إنّ فى العلم وآثاره ناسخًا من بعد مَنْسوخ

الضرب الخامس من المديد

وهو المحذوف المخبون

يا مُجيل الرُّوح فى جَسدى والذى يَفترّ عن بَرَدِ
وَفريد الحُسن واحِدَه مُنتهاه مُنتهَى العَدَد
خُذ بكَفّى إننى غَرِقٌ فى بِحار جَمّة المَدد
ورِياحُ الهَجْر قد هَدَمَت ما أقام الوَصْل من أوَدى

الضرب السادس من المديد

وهو الأبتر

ذكرت من طِيزَناباذِ[3] فقُرى الكَرْخ ببغداذِ
قَهوة ليست بباذقة لا ولا بِتْع ولا دَاذِى[4]

(١) الداذى : نبت ، وقيل هو شىء له عنقود مستطيل ، وحبه على شكل حب الشعير ، يوضع منه مقدار رطل فى الفرق فتعبق رائحته ويجود إسكاره .
(٢) فى بعض الأصول : «الحبى» .
(٣) طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .
(٤) الباذق : الخمر الأحمر . والبتع : نبيذ يتخذ من عسل كأنه الخمر صلابة ؛ وهى أيضا الخمر ، يمانية .

٢٣٦/٣ مُرّة يَهذى الحليمُ بها ... بِأبى ذلك مِنْ هَاذى
فهى أستاذُ الشّراب بنا ... والمَعانى دأب أُستاذى

الضرب الأول من البسيط

وهو المخبون

نُور تولّد من شَمس ومن قمَرِ ... فى طَرفه قَدرٌ أمضَى من القَدرِ
أصْلَى فؤادى بلا ذَنب جَوى حُرق ... لم يُبْق من مُهجتى شَيْئاً ولم يَذَر
لا والرَّحيق المُصفّى من مَراشفه ... وما بخدّيه من وَرْد ومن طُرر
ما أنصفَ الحبُّ قَلبى فى حُكومته ... ولا عَفا الشَّوقُ عنّى عَفوَ مُقتدر

الضرب الثانى من البسيط

وهو المقطوع

خرجتُ أجتاز قَفراً غير مُجتاز ... فصادنى أشهلُ العَينين كالبازى
صَقرٌ على كفّه صَقرٌ يؤلّفه ... ذا فوق بَغْلٍ وهذا فوق قُفّاز
كم موعدٍ لىَ مِن ألحاظ مُقلته ... لو أنه مَوْعدٌ يُقضَى بإنجاز
أبكى ويَضحك منّى طرفُه هُزُوًا ... نَفسى الفِداء لذاك الضاحك المازى

الضرب الثالث من البسيط

وهو المجزوء المذال

يا غُصنا مائساً بين الرِّياطْ ... مالى بعدك بالعيش اغتباطْ
يا مَن إذا ما بدا لى ماشياً ... وَددتُ أنّ له خدّى بِساط
تَترك عيناه مَن أبصره ... مُختلطا عقلُه كُلّ اختلاط
قلتُ متى نَلتقى يا سيّدى ... قال غدا نَلتقى عند الصِّراط

الضرب الرابع من البسيط

وهو المجزوء السالم

يا ساحراً طرفُه إذ يَلحظ   وفاتناً لفظُه إذ يَلفِظُ
يا غُصُنا يَنثنى من لِينه   وجهُك مِن كُل عين يُحفظ
أيقظ طَرْفى إذ بَدا بن نعسة[1]   من طَرفه ناعسٌ مُستَيقظ
ظَبْى له وَجْنة من رِقّة   تجرحها مُقلتى إذ تَلْحظ

الضرب الخامس من البسيط

وهو المقطوع

يا مَن دَمِى دونه مَسفوكُ   وكُل حُرّ له مَملوكُ
كأنه فِضّـــة مَسْبوكة   أو ذَهبٌ خالص مَسْبوك
ما أطيبَ العَيشَ إلا أنه   عن عاجل كُلّه مَتْروك
والخير مَسدودة أبوابُه   ولا طَرِيقٌ له مَسْلوك

العروض المجزو المقطوع

ضربه مثله

إليك يا غُرة الهِـــلالِ   وبِدعة الُحسن والجَمالِ
مَددتُ كفًّا بها انقباضٌ   فأين كَفِّى من الملال
شكوتُ ما بى إليك وجدًا   فـــلم ترِقّ ولم تُبال
أعاضك الله عن قَريب   حالاً مَن السُّقم مثل حالى

العروض الأول من الوافر

ضربه مثله

بنفسى[2] مَن مَراشفه مُدام   ومَنْ لَحظات مُقلته سِهامُ

(١) فى بعض الأصول : « إذ ما قد بدا » .
(٢) فى بعض الأصول : « سقتنى » .

ومَن هو إن بدا والبدرُ تمٌّ   خَفِى من حُسنه البدرُ التّمام
أقُول له وقد أبدى صُدوداً   فلا لَفظٌ إلىّ ولا أبتسام
تَكلّم ليس يُوجعك الكَلام   ولا يَمْحو محاسنَك السّلام

العروض الثانى من الوافر

مجزوء سالم — ضربه مثله

سلبتَ الرُّوح من بَدَنى   ورُعت القلبَ بالحَزَنِ
فلى بَدَنٌ بلا رُوح   ولى رُوح بلا بَدَنِ
قرنتَ مع الرّدَى نَفسى   فنَفسى وهو فى قَرَن
فليتَ السِّحرَ من عَيْنيك   لم أرَه ولم يَرَنى

العروض الثالث من الوافر

المجزوء المعصوب

غزالٌ من بنى العاصِ   أحسّ بصَوت قنّاصِ
فأتلع جيدَه ذُعراً   وأشخص أىَّ إشخاص
أيامَن أخلصتْ نَفسى   هواه كُلَّ إخلاص
أطَاعك مِن صَميم القَلـب   عَفْواً كلُّ مُعتاص

العروض الأول من الكامل التام

ضربه مثله

فى الكِلّة الصّفراء رِيمٌ أبيضُ   يَسْبى القلوبَ بمُقلتيه ويُمرِضُ
لمّا غدا بين الحُمول مُقوّضاً   كاد الفؤاد عن الحياة يُقوّض
صَدّ الكَرى عن جَفن عينك مُعرضاً   لما رآه يَصُد عنك ويُعْرِض
أدّيتُ من حُبّى إليك فَريضةً   إن كان حُب الخَلْق مما يُفرض

الضرب الثانى

المقطوع

أومتْ[١] إليكَ جُفونُها بوَدَاع ... خَوْدٌ بَدت لكَ مِن وراء قِنَاعِ
بَيضاء أنعاها النَّعيم بصُفْرة ... فكأنها شَمْسٌ بغير شُعاع
أمّا الشّباب فودّعت أيامه ... ووداعهنّ موكَّل بوَداعِى
لله أيامُ الصّبا لو أنّها ... كرّت علىّ بلذّة وسَماع

الضرب الثالث

الأحذ المضمر

أصغَى إليك بكأسه مُصْغِى ... صَلْت الجبينِ مُعَقرب الصُّدغِ
كأس تؤلّف بالمَحبة بيننا ... طَوْراً وتَنْزغ أيّما نَزغ
فى رَوضة دَرجت بزَهرتها الصَّبا ... والشمسُ فى دَرَج من الفَرغ[٢]
فاشرَب بكفّ أغنّ عَقرب صُدغه ... للقَلب منك نُميتة[٣] اللّدغ

الضرب الرابع

الأحذ الممنوع من الإضمار — العروض الثانى

يا دمية نُصبت لمُعتكفٍ ... بل ظَبية أوفت على شَرف
بل دُرّة زَهراء ما سَكَنت ... بَحراً ولا اكتنفت ذَرا صَدف[٤]
أسرفتِ فى قَتْلى بلا تِرَةٍ ... وسَمعتِ قولَ الله فى السَّرف ٢٣٨/٣
إنّى أتوبُ إليكَ مُعتَرِفاً ... إن كنت تَقبل تَوْبَ مُعترف

---

(١) فى ا ، ن : « أوحت » .
(٢) الفرغ : كوكبان ، هما فرغ الدلو المقدم والمؤخر ، وهما منزلان للقمر . وقد جعلهما للشمس .
(٣) فى ن : « منية » .
(٤) فى بعض الأصول : « ورا » .

الضرب الخامس

الأحذ المضمر

يا فِتْنة بُعِثت على الخَلقِ   ما بينها والموتِ من فَرْقِ
شَمسٌ بدتْ لك من مَغاربها   يفترّ مَبْسمها عن البرْق
ما كنتُ أحسبُ قبل رُؤْيتها   للشّمس مُطّلعاسوى الشّرْق
يا مَن يَضَنّ بفضل نائله   لو فى يَديْهِ مفاتح الرزْق

الضرب السادس

المجزوء المرفل — العروض الثالث — له أربعة ضروب

طَلعتْ له والليلُ دَامِس   شَمْسٌ تجلّت فى حَنادِسْ
تَختـال فى لِين المَجا   سِد بين حارسة وحَارس
يامَــن ببهجة وَجْهه   يَستأسِر البطلُ المُمارس
لم يَبْق من قَبلى سِوى   رَسْمٍ تغـيّر فهو دارس

الضرب السابع

المجزوء المذيل[1]

دَعْ قَول واشية وواشى   واجعلْهما كَلبَى هِراشِ
واشرب مُعتّقة تَسلـــسل فى العِظام وفى المُشاش

الضرب الثامن

المجزوء الصحيح

ألْحاظ عَينى تَلْتهى   فى رَوْض وَرْد يَزْدهى
رَتعت بها وتنزّهتْ   فيها ألذّ تَنزّه
يأيهـا الخنث الجُفو   ن بنَخْوة وتَـكرّه
والمُكتسى غَنَجا أما   تَرْثى لأشعثَ أمْره

(١) فى ا ، ن : « المذال » .

الضرب التاسع

المجزوء المقطوع إلا من سلامة الثانى

أطفت شَرارةَ لَهوى ولوتْ بشدّة عَذْوى
شُغُلٌ عَلَوْن مَفارقى ومَضت ببَهجة سَرْوى
لمّا سلكت عَروضَها ذَهب الزّحاف بحذْوى
يأيها الشادِى صَهٍ ليست بساعة شَدْو

الهزج

له عروض واحد وضربان

ألا يا ويح[1] قلبى الشّ باب النَّضرَ إذ وَلى
جعلت الغَىّ سِرْبالى وكان الرُّشد بى أولى
بنَفسى جائرٌ فى الحُكـــم يُلْفَى جَوره عَدلا
وليس الشّهد فى فِيه بأحلَى عنده مِن لا

الضرب الثانى المحذوف

هُنا تفنى[2] قَوافِى الشّعــــر فى هذا الروىّ
قوافٍ أُلبست حَلْياً من الحُسن البدىّ
تعالتْ عن جَرير بل زُهير بل عَـــدِىّ[3] ٢٣٩/٣

كمل بحمد الله الجزء الخامس من كتاب العقد الفريد لأبى عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى المتوفى سنة ٣٢٨ هجرية . ويليه الجزء السادس، وأوله كتاب الياقوتة الثانية فى الألحان واختلاف الناس فيه» . والحمد لله على ما أنعم ، والصلاة والسلام على نبيه الأكرم

---

(١) فى بعض الأصول : « ألا يادين » . (٢) فى بعض الأصول : « تفق » .

(٣) فى ن بعد هذا : « تم الجزء الثامن والثلاثون : بتمام كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى . فالحمد لله رب العالمين » . وفى ا : « آخر كتاب العروض . هو المسمى الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى . والحمد لله رب العالمين » .

فهرست الموضوعات

كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة

ذكر خلفاء بنى العباس

وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم

كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم

حروب قيس فى الجاهلية

حرب قيس وكنانة

حرب قيس وتميم

أيام بكر على تميم

أيام بكر على تميم

حرب البسوس

أيام الفجار

